

(فهرست نجوم المهتدين ورجوم المعتدين في دلائل نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم)

(والرد على اعدائه اخوان الشياطين)

صحيفة

٢ خطبة الكتاب

١١ مقدمة الكتاب وهي تشتمل على عشرة فصول (الفصل الاول)

١٣ (الفصل الثانى) ١٧ (الفصل الثالث) ١٨ (الفصل الرابع) ٢٠ (الفصل الخامس) ٢٣ (الفصل السادس) ٢٤ (الفصل السابع) ٢٥ (الفصل الثامن) ٢٨ (الفصل التاسع)

٢٩ (الفصل العاشر)

٣٦ (القسم الاول) من نجوم المهتدين ورجوم المعتدين فى دلائل نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ورد ما افتراه صاحب هداية الشيطان بالدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة والحجج القاطعة القاهرة وهو يشتمل على سبعة أبواب

٣٧ (الباب الاول) فى محاسن خَلقه وخُلقه صلى الله عليه وسلم

٦٣ (الباب الثاني) فى معجزاته ودلائل نبوته صلى الله عليه وسلم

١١٩ (الباب الثالث) فيما قاله بعض أكابر الأئمة من العبارات الفائقات والحجج الباهرات على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم مرتبين بحسب ازمانهم وهو يشتمل على فصول

١٢٠ (فصل) وقال الامام حجة الاسلام أبو حامد الغزالى رحمه الله تعالى

صحيفة

١٢١ (فصل) وقال الامام أبو محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى رحمه الله تعالى

١٣١ (فصل) وقال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله تعالى

١٣٣ (فصل) وقال الامام أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى

١٥٠ (فصل) وقال الامام كمال الدين بن الهمام رحمه الله تعالى

١٥٤ (فصل) وقال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى

١٥٤ (فصل) وقال الامام شهاب الدين القسطلانى رحمه الله تعالى

١٥٦ (فصل) وقال الامام الزرقانى رحمه الله تعالى

١٥٦ (فصل) وقال السيد مرتضى رحمه الله تعالى

١٥٧ (فصل) وقد سلك الشيخ رحمة الله فى الباب السادس فى اظهار الحق لاثبات نبوته صلى الله عليه وسلم ستة مسالك

١٥٧ (المسلك الاول) ماظهر على يديه صلى الله عليه وسلم من المعجزات

١٥٧ (المسلك الثانى) ما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من الاخلاق العظيمة والاوصاف الجميلة وغيرها

١٥٨ (المسلك الثالث) من نظر الى ما اشتملت عليه شريعته الغراء صلى الله عليه وسلم مما يتعلق بالاعتقادات والعبادات وغيرها من باقى الاحكام

١٥٨ (المسلك الرابع) انه عليه الصلاة والسلام ادعى بين قوم لا كتاب لهم ولا حكمة فيهم

١٦٠ (المسلك الخامس) انه صلى الله عليه وسلم ظهر في وقت

صحيفة

كان الناس محتاجين الى من يهديهم الى الطريق المستقيم

١٦١ (المسلك السادس) اخبار الانبياء المتقدمين عليه عن نبوته صلى الله عليه وسلم وفيه سبع بشائر

١٦٦ (البشارة الاولى) في الباب الثامن عشر من سفر الاستثناء أى من التوراة

١٦٩ (البشارة الثانية) فى الثالث والثلاثين من سفر الاستثناء

١٦٩ (البشارة الثالثة) الآية العاشرة من الباب التاسع والاربعين من سفر التكوين

١٧٠ (البشارة الرابعة) في الزبور الخامس والاربعين

١٧١ (البشارة الخامسة) فى الباب الثانى والاربعين من كتاب أشعيا

١٧٣ (البشارة السادسة) فى الباب الرابع والخمسين من كتاب اشعيا

١٧٥ (البشارة السابعة) فى الباب الرابع عشر من انجيل يوحنا

١٨٢ (تتمة) الباب الثالث من القسم الاول من نجوم المهتدين

١٨٤ (الباب الرابع) من القسم الاول فى الجواب عن الاعتراضات التى اعترض بها فى أثناء كتابه على بعض شؤن النبى صلى الله عليه وسلم وفيه فصول

٢١٣ (فصل) اعترض فى صفحة ٢٦ على شرك أبوى النبى صلى الله عليه وسلم

٢١٤ (فصل) زعمه فى صفحة ١١٣ أن يونس أفضل من النبي

صحيفة

صلى الله عليه وسلم

٢١٥ (فصل) قال المعترض فى صفحة ٢٢٦ يلزم ان تكون المعجزة ظاهرة امام العيان

٢٢٣ (فصل) قال هذا المعترض فى صفحة ٢٤٧ و٢٤٨ من الكلام المتناقض ان يهوذا قال لليهود الذى أقبله هو المسيح فامسكوه

٢٣٠ (فصل) اعترض في صفحة ٢٦٢ على قوله تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا ان لانؤمن الآية

٢٣٤ (فصل) اعترض فى هامش صفحة ١٢٠ على كثرة الانبياء عند المسلمين

٢٣٦ (فصل) اعترض فى صفحة ١٤٦ على كون القرآن نسب الى ابراهيم وأولاده كتبا منزلة

٢٤٤ (فصل) ان هذا المعترض اعترض في صفحة ٦٨ بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب السيدة عائشة رضى الله عنها

٢٤٦ (فصل) وأما اعتراضه في صفحة ٦٩ على ارسال النبى صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه الى بعض أعدائه الالداء

٢٤٩ (فصل) ومن اعتراضاته فى صفحة ٧٧ بأن رجلا من اليهود سحر النبى صلى الله عليه وسلم

٢٥١ (فصل) افترى المعترض في صفحة ٥٧ على الخلفاء الراشدين

٢٥٣ (الباب الخامس) فى الجواب عن الآيات الواردة فى شؤن النبى صلى الله عليه وسلم التى استدل بظاهرها من يقول بعدم

صحيفة

عصمة الانبياء وفيه سبعة عشر فصلا

٢٥٩ (الفصل الاول) في الجواب عن قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى

٢٦٠ (الفصل الثانى) فى الجواب عن قوله تعالى فى سورة الحج وما أرسلنا من قبلك من رسول الآية

٢٦٩ (الفصل الثالث) فى الجواب عن قوله تعالى فى سورة بنى اسرائيل وان كادوا ليفتنونك الآيات

٢٧١ (الفصل الرابع) الجواب عن قوله تعالى فى سورة بنى اسرائيل ولا تجعل مع الله الهاً آخر الآية

٢٧٢ (الفصل الخامس) في الجواب عن قوله تعالى فى سورة الاحزاب يا أيها النبى اتق الله الآية

٢٧٥ (الفصل السادس) فى الجواب عن قوله تعالى فى سورة الزمر قل أفغير الله تأمرونى الآية

٢٧٦ (الفصل السابع) فى الجواب عن قوله تعالى فى سورة المائدة يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك الآية

٢٧٩ (الفصل الثامن) في الجواب عن قوله تعالى في سورة الاحزاب واذ تقول للذى أنعم الله عليه الآيات

٢٨٧ (الفصل التاسع) فى الجوب عن قوله تعالى فى سورة التحريم يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الآية

٢٨٨ (الفصل العاشر) في الجواب عن قوله تعالى فى سورة الانفال ما كان لنبى ان يكون له أسرى الآية

صحيفة

٢٩٤ (الفصل الحادى عشر) فى الجواب عن قوله تعالى فى سورة براءة عفا الله عنك لم أذنت لهم الآية

٢٩٧ (الفصل الثانى عشر) فى الجواب عن قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى الآية

٣٠١ (الفصل الثالث عشر) فى الجواب عن قوله تعالى في سورة الانعام ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الآية

٣٠٢ (الفصل الرابع عشر) فى الجواب عن قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك الآية

٣ ٣ (الفصل الخامس عشر) فى الجواب عن قوله تعالى فى سورة الفتح ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر الآية

٣٠٣ (الفصل السادس عشر) فى الجواب عن قوله تعالى فى سورة محمد فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك

٣٠٤ (الفصل السابع عشر) في الجواب عن قوله تعالى في سورة النساء انا أنزلنا اليك الكتاب الآية

٣٠٧ (الباب السادس) من القسم الاول فى عصمة سائر النبيين والجواب عما نقله المعترض من كتب علماء المسلمين مما يدل بظاهره على عدم عصمتهم صلوات الله على نبينا وعليهم وفيه خمس عشرة حجة وذكر الانبياء المعترض عليهم

٣٠٩ (الحجة الاولى) (الحجة الثانية) (الحجة الثالثة)

٣١٠ (الحجة الرابعة) (الحجة الخامسة) (الحجة السادسة) (الحجة السابعة) (الحجة الثامنة)

صحيفة

٣١١ (الحجة التاسعة) (الحجه العاشرة)

٣١٢ (الحجة الحادية عشر) (الحجة الثانيـة عشر) (الحجة الثالثةعشر) (الحجة الرابعة عشر)

٣١٣ (الحجة الخامسة عشر)

٣١٩ (آدم عليه السلام)

٣٢١ (نوح عليه السلام)

٣٢٢ (ابراهيم عليه السلام) ٣٢٣ (يعقوب عليه السلام)

٣٢٤ (يوسف عليه السلام)

٣٢٦ (الاسباط اخوة يوسف عليهم السلام)

٣٢٨ (ايوب عليه السلام) ٣٢٩ (شعيب عليه السلام)

٣٣٠ (موسى عليه السلام) (داود عليه السلام)

٣٣٤ (سليمان عليه السلام) ٣٣٧ (يونس عليه السلام)

٣٣٨ (لوط عليه السلام) (زكريا عليه السلام)

٣٣٩ (عيسى عليه السلام)

٣٤٠ (الباب السابع) من القسم الاول فى الجواب عن الاحاديث التى زعم المعترض وجود مناقضات فيها

٣٦٥ (القسم الثاني) من كتاب نجوم المهتدين في اثبات أن القرآن كلام الله تعالى ورد مافتراه صاحب هداية الشيطان وهو يشتمل على أربعة ابواب

(الباب الاول) فى كونه هو المعجزة الدائمة الكبرى الدالة على صحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفيه فصلان

صحيفة

٣٨٠ (فصل) وقال في الشقاء أيضا ولاسبيل الى جحد الملحد الا قولهم أساطير الاولين

٣٨٤ (فصل) قال الحافظ السيوطى فى كتابه الخصائص الكبرى وقد اختلف الناس فى الوجه الذى وقع به اعجاز القرآن

٣٨٦ (الباب الثانى) فى حفظ الله تعالى للقرآن وجمع الصحابة له ووقوع النسخ فيه وفى الحديث وفيه ثلاثة فصول

٣٨٦ (الفصل الاول) فى حفظ الله تعالى للقرآن من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل

٣٩٦ (الفصل الثانى) في جمع الصحابة رضى الله عنهم للقرآن

٤٠٤ (الفصل الثالث) فى جواز نسخ الشرائع بعضها ببعض

٤٢٢ (الباب الثالث) من القسم الثانى في الجواب عما زعمه المعترض من مناقضات القرآن وهو يشتمل على فصلين

٤٢٢ (الفصل الاول) فيما زعمه من مناقضات القرآن

٤٢٤ (الفصل الثانى) فى اختلاف القراآت

٤٣٤ (الباب الرابع) من القسم الثانى فى الجواب عن الاعتراضات المتفرقة التى اعترض بها على القرآن فى كتابه هداية الشيطان وفيه فصول

٤٤٧ (فصل) في الجواب عن اعتراضاته على عدم المناسبة بين بعض الآيات والسور

٤٥٠ (فصل) ومن أشنع مكابرة هذا المعترض تفضيله فى عدة مواضع عبارة التوراة والانجيل على عبارة القرآن

صحيفة

٤٥٢ (فصل) ومن مكابرته الباردة فى صفحة ٨٢ أن القرآن لم يأت بآيات باهرة لاقناع المعارضين

٤٥٧ (فصل) زعم المعترض فى صفحة ١٠٦ أن القرآن نزل على كثيرين يعنى بسبب موافقة عمر وغيره فى عدة آيات

٤٥٩ (فصل) ومن مكابرة هذا المعترض فى صفحة ٩٠ و ١٣٠ من أن القرآن يأخذ من الكتب السماوية

٤٦١ (فصل) اعترض فى صفحة ١٢٨ بأن القرآن فيه من لغة العجم شىء كثير مثل أباريق وغيرها

٤٦٣ (فصل) جعل فى صفحة ١٣٩ الاختلاف فى أوقات نزول بعض السور القرآنية مثل الاختلاف فى وقت تأليف الأناجيل

٤٦٥ (فصل) ومن أبرد البردات قوله فى صفحة ١٤٨ أن محمدا صلى الله عليه وسلم أخذ جل قرآنه من الكتب المقدسة

٤٦٩ (فصل) اعترض فى صفحة ١٥١ على أن القرآن فيه المحكم والمتشابه

٤٧١ (فصل) ومن غرائب وقاحة هذا المعترض قوله في صفحة ١١٩ واذا قلنا لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل حكمة من حكم سليمان الخ

٤٨٠ (فصل) زعم فى صفحة ١٥٣ أن القرآن لم ينتشر انتشار كتبهم لانها ترجمت وهو لم يترجم

٤٨٢ (فصل) قال فى صفحة ١٤١ ان التوراة ليست كالقرآن

٤٨٤ (فصل) قال في صفحة ٢٦٠ استقباح القرآن قتل اليهود للمسيح

صحيفة

٤٨٧ (فصل) ومن قلة حيائه قوله فى صفحة ٨٥ ان الادلة المؤيدة لنسبة الكتب المقدسة عندهم الى أصحابها هى أقوى من الادلة المؤيدة لنسبة القرآن والاحاديث أو معلقات العرب الى أصحابها

٤٩٥ (فصل) ومن قلة حيائه أيضا قوله فى آخر العبارة السابقة الواقعة فى صفحة ٨٥ ان النصارى الاولين كانت لهم فرصة مناسبة للانتقاد والبحث أكثر من المسلمين

٤٩٨ (فصل) قوله فى صفحة ١٢٠ فأهل الكتاب محافظون على أقل عبارة فى كتبهم الى آخر عبارته

٥٠٠ (فصل) اعترض فى صفحة ١١٠ بأنه ورد فى سفر القضاة ان الله أخبر جدعون أحد قضاة بنى اسرائيل بأن كل من يلغ بلسانه الى آخر العبارة

٥٠٦ (خاتمة الكتاب) فى اثبات تحريف التوراة والانجيل بالدلائل الظاهرة التى لا تحتمل التأويل

٥١٦ (كلام الامام ابى محمد على بن احمد بن حزم فى اثبات التحريف والتبديل فى العهدين

٥٣٨ (كلام اظهار الحق) فى اثبات التحريف والتبديل في العهدين اختصرته اختصارا مفيدا وقسمته الى أربعة أقسام

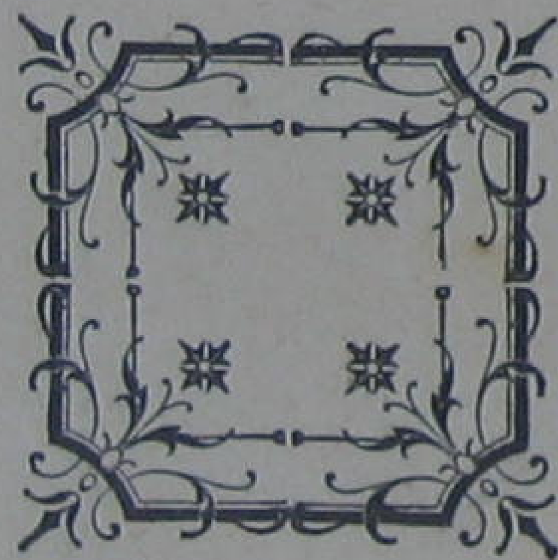
٥٣٩ (القسم الاول) ماورد عن الله ورسوله وأئمة الاسلام
فماورد عن الله تعالى فى القرآن
ومما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم في ذلك

صحيفه

٥٤٠ ومما ورد عن الصحابة رضى الله عنهم في ذلك
ومما ورد عن أئمة الاسلام فى ذلك (فمنهم الامام البغوى)
٥٤١ (ومنهم الامام فخر الدين الرازى) (ومنهم الامام تقى الدين بن تيمية
(ومنهم الامام شمس الدين بن القيم الجوزية)
٥٤٢ (ومنهم الامام القرطبى)
٥٤٣ (ومنهم الامام المقريزي)
٥٤٤ (ومنهم الامام بدر الدين العينى الحنفي)
(ومنهم الامام منلا كاتب جلبي)
(ومنهم عبد السلام الذى كان من احبار اليهود واسلم
٥٤٥ (ومنهم الامام رحمة الله صاحب اظهار الحق)
٥٤٧ (القسم الثانى) ماورد عن بعض علماء النصارى المعتبرين عندهم كعلماء طائفة البروتستانت والكاتوليك
٥٦٥ (القسم الثالث) الاختلافات والاغلاط والتحريف والتبديل فى التوراة والانجيل
٥٦٦ فمن اختلافات التوراة
٥٦٧ ومن اختلافات الانجيل
٥٦٩ ومن اغلاط التوراة
٥٧٠ ومن اغلاط الانجيل
٥٧١ اثبات التحريف اللفظى بالتبديل
٥٧٢ فمن الشواهد على وقوع التحريف فى التوراة بالتبديل
٥٧٣ ومن الشواهد على وقوع التحريف في الانجيل بالتبديل

صحيفة

٥٧٣ ومن الشواهد على وقوع التحريف في التوراة بالزيادة
٥٧٦ ومن الشواهد على وقوع التحريف فى اناجيل متى ومرقص ولوقا بالزيادة
٥٧٧ ومن الشواهد على وقوع التحريف فى انجيل يوحنا بالزيادة
٥٧٩ ومن الشواهد على وقوع التحريف فى التوراة بالنقصان
٥٧٩ ومن الشواهد على وقوع التحريف فى الانجيل بالنقصان
٥٨١ (القسم الرابع) فى ذكر أمور يزول بها استبعاد وقوع التحريف في كتبهم
٥٨٩ زيادة ايضاح مسألة وقوع التحريف والتبديل في التوراة والانجيل بوجوه عقلية لا يأباها الا كل مكابر جاهل
٦٠٢ (تتمة الخاتمة) فى ان جميع النصارى على شك فى دينهم




T. C.

كتاب نجوم المهتدين ورجوم المعتدين في دلائل نبوة سيدنا محمد سيد المرسلين والرد على أعدائه اخوان الشياطين

تأليف

الاستاذ العلامة العامل والفاضل التقي الكامل صاحب الفضيلة الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني رئيس محكمة الحقوق في بيروت أطال الله بقاه

قال الله تعالى قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا الي كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ وقال تعالى يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وقال تعالى قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَي مَا تَعْمَلُونَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

(حديث) روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الامة يهودي ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار قال العلماء وغير اليهود والنصارى يكونون بالاولى من أصحاب النار اذا لم يؤمنوا به وبما جاء به صلى الله عليه وسلم والمراد بهذه الامة في الحديث أمة الاجابة وهي جميع الناس من زمنه صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة فكل من بلغه خبر بعثته منهم ولم يؤمن به فهو من أهل النار وبئس القرار

(طبع على نفقة مصطفى البابي الحلبي وشركاه)

طبع بالمطبعة الحميدية المصرية بشارع الحلوجي بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الاحد * الفرد الصمد * الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له اله عظيم بقدرته انشأ المخلوقات * وبحكمته أبدع الارضين والسموات * وخلق الجبال والبحار * والليل والنهار * والظلمات والانوار * والكواكب والافلاك * والارواح والاملاك * ومايُرى ومالا يُرى من سائر الجهات والاقطار * بكل تقدير وكل اعتبار * وهو الصانع سبحانه لكل ما سفل وعلا * من تحت أطباق الثرى * الى ما فوق العرش الاعلى * وما بين ذلك وما أحاط بذلك من كل جماد وحيوان * وانس وجان * وهواء وخلاء * ومالا يحصره من سائر الجهات انتهاء * كل ذلك فى تصرفه تعالى بلا معارض ولا منازع * ولا مخالف ولا مدافع * حى قيوم قديم باق لابداية له فى الماضى ولانهاية له فى الاستقبال * تقدست ذاته العلية * وصفاته الصمدية * عن كل نقص واتصفت بكل كمال * تعالى عن أن تدركه العقول والافهام * أو تتخيله الافكار والاوهام * أو تحده الالسنة والاقلام * أو تحويه الامكنة والازمان * أو يتعلق بادراك حقيقته علم أو عرفان * أو يصل الى معرفة كنهه انس أو ملك أو جان * غنى عن الخلق أجمعين * لاحاجة له الى الانبياء والمرسلين * والملائكة المقربين فضلا عمن سواهم من المخلوقين * ولا يستغنى عنه أحد من أهل السموات

والارضين * وكل ما كان وما يكون وما هو كائن من جميع العالمين * على عليم لا يعزب عن علمه كل جليل وحقير * وكبير وصغير * وكل ما هجس به الخاطر أو أجنه الضمير * ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير * بلى قد علم جميع الكليات والجزئيات * والحسيات والمعنويات من جميع الكائنات * ومالم يكن لو كان وما يكون له من الصفات * حاكم على الجميع حكما لاسبيل لاحد منهم الى مزايلته * والخروج عن طاعته * كيف وكلهم مقهورون فى قبضته * محصورون فى دائرة قدرته * ومصرَّفون تحت مشيئته وارادته * ليس لاحد منهم من الخير والشر الا ما قدره وقضاه * سواء حرمه أو حباه * فالكل له عبيد وإماء * يفعل فيهم مايشاء * هذا هو الرب الجليل الذى ندينُ له ونوحده * ونتوجه اليه ونعبده * وفى كل مانحب ونكره من أمور الدنيا والآخرة نرجوه ونخشاه * لا اله غيره ولا معبود سواه * هذا هو الرب الكبير المتعالى الذى لا يصل أحد الى نفعه وضره * لا الخيّر يقدر أن ينفعه بخيره ولا الشرير يقدر أن يضره بشره * واذا كانت عظمته وقدرته وغناه تعالى مالها حد ولا انتهاء * ولا تصل الى تصورها علوم العلماء وعقول العقلاء * فكيف يتصور انتفاعه أو تضرره من الاكوان * أو تتخيله الافكار والاذهان * ذلك أمر مستحيل لا يكون ولا كان * هذا هو الرب العزيز القدير الذى لو قال لجميع الكائنات كونى عدما لعمها فى الحال الفناء والزوال * وعادت عدما محضا كأن لم يكن لها عهد فى الوجود بحال من الاحوال * هذا هو الرب الغنى المطلق الذى لا تنقص شيئا من خزائنه التى لاتتناهى زيادة العطاء * ولو جعل العالمين كلهم أغنياء * ولا يزيد خزائنه شيئا نقصان الحباء * ولو جعلهم كلهم فقراء * هذا هو الرب المحيي المميت الذى لاحىّ الا به حياته * ولا ميت الا منه

عماته * فحياة كل حى هى له بالاصالة وعندصاحبها عارية مردودة * الى مدة
محدودة * وهكذا كل ما فاض من بحار جوده على الانام * من الفضل
والغنى وسائر أنواع الانعام * كلها عوار عند أصحابها متى شاء استردها *
وأعطاهم ضدها * من غير دفع ولا منع * وماثَمّ الا الطاعة والسمع *
خلق جميع الخلائق وحده بالاستقلال * من غير سابقة مثال * لم يعنه
أحد على خلقهم * ولم يساعده على تدبيرهم ورزقهم * وكما خلقهم خلق
أوصافهم وأفعالهم وأقوالهم * وخواطرهم وأحوالهم * من كل ما كان وما
يكون * مما لا تدركه الاوهام والظنون * استوى فى ذلك أصغر المخلوقات
وأكبرها * وأخفاها وأظهرها * من المحسوسات والمعقولات * وما يطرأ
عليها من العوارض والحالات * هذا هو الرب الملك الكبير * المنفرد فى
ملكه بالخلق والتدبير * من دون شريك ولا وزير * ولا معين ولا مشير
ولا شبيه ولا نظير * (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) * هذا هو
الرب الواحد القهار * الذى لو أراد أن يتصرف بشىء من جميع هذه
الاكوان بجميع وجوه التصرفات لا يجد الا سامعا مطيعا * (قُلْ فَمَنْ
يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ
وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) * خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه * وقضى على
بعضهم أن يوحدوه * وعلى بعضهم أن يجحدوه * ولاجل أن يكون من
أطاعه مظهرا لصفات جماله صفات الانعام ومن عصاه مظهرا لصفات
جلاله صفات الانتقام * جعلهم فريقين * وخلق لهم دارين * سمى
احداهما جنة وجعلها لخلود الاخيار * وسمى احداهما نارا وجعلها
لخلود الاشرار * وقبضهم قبضتين فقال هؤلاء للجنة ولا أبالى وهؤلاء
للنار * وبمن يبالى سبحانه وتعالى ولا أحد وقتئذ سواه * والكل صائرون الى

ما قدره عليهم وقضاه * ولتمييز القبضتين * وتعيين الفريقين * من أهل
هاتين الدارين * أرسل اليهم رسله الكرام * بما شرعه لهم من الاحكام *
ويسر كلا لما خُلق له * وسهل له اعتقاده وعمله * وبين سبيل الجنة
وسبيل النار * وجعل لخلقه فى السلوك الى احداهما الترجيح والاختيار *
وبذلك تقوم الحجة يوم القيامة على أهل الشقاوة اذ يعتذرون * (أَلَا لِلَّهِ
الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) * (وأشهد) أن سيدنا
محمدا عبده ونبيه ورسوله الصادق الامين * الذى أرسله رحمة للعالمين *
بالدين القيّم والحق المبين * أرسله والشرك قد ملأ الارض قتامه * وعم
العباد ظلامه * وخفقت فى الخافقين أعلامه * واستولت على قلوب الناس
أوثانه وأصنامه * على حين قد غرقت فى بحار الضلالة العرب والعجم *
وجلب ابليس بخيله ورجله على سائر الامم * فقادهم الى الكفر صاغرين *
وأدخلهم فى طاعته أجمعين * فانطمست معالم التوحيد ومحيت آثاره *
وجهلت علومه ونُسيت أخباره * وانتشر البغى والعدوان * والافك
والبهتان * وصارت الناس كالانعام * وارتفع ذكر الحلال والحرام *
والجاهلية قد ضربت بجيرانها * وأحرقت الناس بنيرانها * واستوى في
الضلال عالم القوم وجاهلهم * ومفضولهم وفاضلهم * ومرؤسهم ورئيسهم *
وشريفهم وخسيسهم * حشرهم جميعا الشيطان في شرك شركه * وحصرهم
فى دائرة غيه وافكه * فبينما الامر كذلك وقد طبقت الارض ظلمات
الشرك * وغلبت على بيض أيام التوحيد لياليه الحُلْك * رحم الحق الخلق
فارسل اليهم حبيبه الاعظم * وخليله الاكرم * سيد ولد آدم * وصفوة
الصفوة من جميع العالم أبا القاسم سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا
نبيا * هاديا مهديا فطلع عليهم طلوع البدر التمام * وسفر لهم سفور الشمس

ليس دونها غمام * فجدد للتوحيد مواسم * وللشرك مآتم * وأتاح للايمان
مغانم * وللكفر مغارم * ومحا بنور اسلامه وايمانه ظلمات الاوثان
والاصنام * وأزال بقرآنه وبرهانه شبهات الشكوك والاوهام * وأقنع من لم
يقنعه بديع بيانه بلسان السنان وحد الحسام * فمن لم يشرح الله صدره
بالقول الفصيح * شرحه بالسيف الصحيح * ومن لم يقومه النصح * قومه
الرمح * ومن لم يكن له سهم من الاسلام * كان له من الحرب سهام *
ومن لم يؤثر فيه الكلام * أثرت فيه الكلام * ولم يزل صلى الله عليه
وسلم كذلك يجاهد فى الله حق جهاده * وينشر دينه في بلاده وعباده *
حتى خزي الشيطان بشركه * ونظم التوحيد من شاءه الله بسلكه *
فامتلأت الدنيا بعبادة الرحمن * وتقلصت من الارض عبادة الاوثان *
وانقشعت غمائم الكفر والعدوان * وسطعت أنوار الايمان والامان *
وخذل الله الشيطان وأعوان الشيطان * مع اجتهادهم فى كل زمان ومكان
بأسباب محو دينه صلى الله عليه وسلم واطفاء نوره * وستر محاسنه واخفاء
سفوره * فيزيده الله بذلك ظهورا وانتشارا * وتعميما واشتهارا * رغما عن
ابليس وقبيله * من كل كافر بالله ورسوله * اللهم صل وسلم وبارك عليه
وعلى سائر أنبيائك الذين عصمتهم من الذنوب * وبلغتهم من رضاك غاية
المطلوب * وعلى آلهم وصحبهم أجمعين * وكل من لم يفرق بينهم من
المؤمنين الى يوم الدين * (أما بعد) فانى كنت سمعت بكتاب ضلال وبهتان *
وسفر كفر وعدوان * سماه صاحبه الهداية أى هداية الشيطان * الى سبيل
النيران * لانه هو الذي هداه اليه * وأملاه عليه * فهو كتاب ابليس * أوحاه
الى هذا الخاسر الخسيس * ألفه بقصد الرد بلا حق * على السيف الصقيل
واظهار الحق * ولم يقتصر من غيه على ذلك * بل سلك فى تيه الضلال اقبح

المسالك * فلم تطلب نفسى النظر اليه * ولو للرد عليه * لشدة كراهتى للكفر
وأسبابه * وبغضى للسفيه وسبابه * وقلت كثير من علماء الاسلام *
وجهابذة الايمان * من هو أوسع منى علماً * واصح منى فهماً * وأكثر منى
فضلاً * واقل منى شغلا * واقدر منى على اثبات الحق ودفع الباطل * وامهر
منى باقامة الحجج وترتيب الدلائل * وان كانت صحة دين الاسلام وبطلان
غيره من الاديان * أثبت من ان يفتقر كل منهما الى الاثبات بقلم أو لسان *
واظهر من أن يحتاج الى المهارة فى اقامة الدليل والبرهان * ثم بعد ان مضى
على ذلك نحو سنتين قدر الله اطلاعى عليه فوجدته صحيفة بهتان وافك *
وحقيبة عدوان وشرك * وقد كتم مؤلفه اسمه * وشهر كفره وظلمه *
ولا ملام عليه ولا عتب * فليس بعد الكفر ذنب * وقد أراد بزعمه ان
يموه به على الخلق * ويخفى بباطله اظهار الحق * ويضمد بما حشاه به
من خلقان الاباطيل * جروح السيف الصقيل * وهيهات هيهات *
لا تزول الحقائق بالترهات * وقد ظهر من ذلك انه ليس مقصوده اتباع
الحق حيث كان * بل رد الكلام بالكلام * ومدافعة الصدق بالبهتان *
وأخذ يؤيد ظلامه بكل اجتهاده * ويحاول ستر سواطع الانوار * وماذاك الا
دخان نشأ عن نار فؤاده * ولكنه لا يحجب ضوء الشمس والنهار * ولو
اشتغل برد ماقالوه في تزييف معتقده فقط من دون ان يتعدى الى الاعتراض
على الدين المبين دين الاسلام * ويرميه من كنانة افكه وكفره بسهام
الاوهام * لكان ذلك اخف الشرين * ولكنه ضم الى المكابرة فى تزيين
القبيح تقبيح الزين * وقد تجاوز بالسفاهة حده * وجعل كل عاقل حتى من
قومه ضده * ودلنا ماتشدق به من زخرفة أباطيله * وتفيهق به من
بهرجة اضاليله * ومطاولته بقبيح أقاويله * انه قد ظن بجهله * وسخافة

عقله * أن العلم * بالشتم * والنباهة * بالسفاهة * والمكاثرة * بالمكابره * ولم يدر لعمى بصيرته ان شمس الحق لا يسترها ضباب الاباطيل * والوجه القبيح لا يفيده حسن المناديل * فمهما قبحت العبارة بالتعبير عن الحق يظهر عليها حسنه وجماله * ومهما تحسنت بالتعبير عن الباطل يغلب عليها قبحه واعتلاله * ولعمرى لو قصد احقاق الحق واظهاره * ودحض الباطل وانكاره * لماهوى في تلك المهاوي * وتلطخ بما تلطخ به من قاذورات هاتيك المساوى * ولكنه قصد اساءتهم بمثل ما ساؤه فاقترف مااقترف * واغترف من بحر تعصبه البارد ما اغترف * فحملنى ذلك على تأليف هذا الكتاب لدحض الباطل بالحق * ومقابلة الكذب بالصدق * وسميته (نجوم المهتدين ورجوم المعتدين * فى دلائل نبوة سيدنا محمد سيد المرسلين * والرد على أعدائه اخوان الشياطين) وأنا معترف بقصوري عن درجة فرسان الكلام * من العلماء الاعلام * ولكن أباطيل ذلك الكافر الافاك أظهر من أن يحتاج ردها الى كثرة العلم * وحدة الفهم * وكل من دافع عن دين الله الاقوم * دين الاسلام * ونافح عن رسوله الاكرم * سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام * فهو موعود منه صلى الله عليه وسلم بتأييد الله تعالى له حيث يقول ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم روح القدس هو جبريل عليه السلام ومعنى نافح دافع * قال ابن الاثير فى النهاية ومنه الحديث ان جبريل مع حسان ما نافح عنى اه والظاهر والله أعلم ان ذلك التأييد ليس خاصا بحسان رضى الله عنه بل كل من نافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل التوحيد * يكون له من الله تعالى ذلك التأييد * ولا أشك بانه حصل لى ذلك فى تأليف هذا الكتاب * والحمد لله المنعم الوهاب * فانى حينما كنت أكتب الردود * على ذلك

الجحود * كنت ربما أكتب كراسا أو قريبا منه في نحو ساعتين أو ثلاث بقلم الرصاص ويدى فى غاية السرعة بالكتابة حتى كأن ممليا يملى علىّ ذلك بل لو أملى علىّ لما بلغ الامر تلك السرعة ولا أعلم لذلك سببا الا التأييد بالامداد والالهام * الذى ذكره لحسان النبي عليه الصلاة والسلام * ومن اطلع على كتابى هـذا وعلم حالى وقلة بضاعتى فى العلم والفهم مع كونى لم أشتغل فى تأليفه الا فى أول النهار غالبا وقد تم بنحو أربعة أشهر مع كثرة عوائقى وعلائقى يتيقن صحة الحديث الوارد فى حق حسان * وانه ليس خاصا به بل هو لكل من نافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقلم أو اللسان * والحمد لله ولى الاحسان * مع ان أباطيل ذلك الافاك الاثيم لظهورها لا يعجز عن ردها العوام * من أهل الاسلام * فان أقل عامى مسلم يعلم ويعتقد اعتقادا جازما أن الله تعالى واحد متصف بجميع صفات الكمال * ومنزه عن جميع صفات النقص وهو عليه محال * وأن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله الصادق الامين * سيد الخلق أجمعين * وانه معصوم من المعاصى كسائر النبيين والمرسلين * وان القرآن المجيد هو كلام الله تعالى الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد * هذه عقيدة كل مسلم عالم أو جاهل حقير أو جليل * قد رسخت فى قلوبهم رسوخ الجبال فلا يمكن أن تزلزلها عواصف الاكاذيب والاباطيل * واعلم انه ليس من خلق المجادلة بالخشونة مع أهل الاديان ولو كانوا من عباد الاصنام فضلا عن أهل الكتاب فقد أوحى الله تعالى الى سيدنا ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم حسن أخلاقك مع الكفار * تنل منازل الابرار * واختلاطنا فى أوطاننا معهم كثير * وان اختلف المصير * فهم وان خالفونا فى الدين * اخواننا فى الطين * كلنا أولاد آدم وآدم من تراب *

وكم لهم منا ولنا منهم فى الشؤون الدنيوية أصحاب * فلا تجوز الانسانية
اساءة بعضنا لبعض * ومجاملة كل منا للآخر هى فى حكم السنة ان لم تكن
فى حكم الفرض * ولكن عذرى فيما صدر منى من ذلك مقبول * لما صدر منهم
من التعدى فى حق القرآن والرسول * صلى الله عليه وسلم فصارت اجابتهم
واساءتهم علىّ من الفروض المحتمة * ولولا ذلك لما أسأتهم بكلمة *
لقوله تعالى (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وأباح
لنا ذلك بقوله سبحانه (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) ولا شك انهم من أظلم
الظالمين * باعتراضهم على القرآن وسيد المرسلين * صلى الله عليه وسلم وقد
ألفوا الكتب وشحنوها باسباب الشحناء * ونشروها منطوية على الاضاليل
الباطلة والقول الهُراء * معترضين بها على دين الاسلام اعتراض الشوهاء
على الحسناء * فذكرنا بذلك قول المعرى أبى العلاء *

اذا عير الطائى بالبخل مادر * وعير قسا بالفهاهة باقل
فيا موت زر ان الحياة ذميمة * ويا نفس جدى ان دهرك هازل

ولما كانت اعتراضاته وهى على كثرتها بلا محصل * وليس على شيء منها
معوّل * لا تخرج عن ان تكون فى شؤون النبى صلى الله عليه وسلم أو شؤون
القرآن جعلت هذا الكتاب على قسمين * (القسم الاول) فى اثبات
نبوته صلى الله عليه وسلم بالدلائل الظاهرة الباهرة * والمعجزات القاطعة
القاهرة * وألحقت بذلك الكلام على عصمة جميع النبيين * والجواب عن
الاعتراضات المتعلقة بشؤون سيد المرسلين * صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
أجمعين * وهذا القسم يشتمل على سبعة أبواب (الباب الاول) فى محاسن
خَلقه وخُلُقه صلى الله عليه وسلم (الباب الثنى) فى معجزاته ودلائل نبوته
صلى الله عليه وسلم (الباب الثالث) فيما قاله بعض أكابر الائمة من العبارات

الفائقات * والحجج الباهرات * والبراهين القاطعات * على صحة نبوته صلى
الله عليه وسلم (الباب الرابع) فى الجواب عن الاعتراضات المتفرقة التى
اعترض بها فى أثناء كتابه على بعض شؤون النبى صلى الله عليه وسلم وفى
هذا الباب كالذى قبله كثير من الحجج القطعية والدلائل العقلية والنقلية *
على نبوته صلى الله عليه وسلم (الباب الخامس) فى الجواب عن الآيات
القرآنية الواردة فى شؤون النبى صلى الله عليه وسلم التى استدل بظاهرها
من يقول بعدم عصمة الانبياء (الباب السادس) فى عصمة سائر النبيين
والجواب عما نقله المعترض من كتب علماء المسلمين مما يدل بظاهره على
عدم عصمتهم صلوات الله على نبينا وعليهم (الباب السابع) فى الجواب عن
الاحاديث التى زعم المعترض وجود مناقضات فيها * (القسم الثانى) * فى
اثبات ان القرآن كلام الله تعالى المجيد * الذى لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد * وألحقت به الجواب عن
الاعتراضات المتعلقة بشؤونه وهذا القسم يشتمل على أربعة أبواب (الباب
الاول) فى كون القرآن هو المعجزة الدائمة الكبرى * والآية المستمرة
العظمى (الباب الثانى) فى جمع القرآن وحفظه من التحريف والتبديل
والزيادة والنقص وجواز وقوع النسخ فيه وفى الحديث (الباب الثالث)
فى الجواب عما زعم المعترض من مناقضات القرآن (الباب الرابع) فى
الجواب عن الاعتراضات المتفرقة التى اعترض بها على القرآن * وختمت
الكتاب بخاتمة أثبت فيها وقوع التحريف والتبديل فى التوراة والانجيل *
وجعلت له مقدمة تصلح أن تكون جوابا اجماليا عن جميع الاعتراضات
وهى هذه * (مقدمة الكتاب وهى تشتمل على عشرة فصول الفصل الاول) *
اعلم ان جميع اعتراضات هذا المعترض المكابر * الافاك الفاجر * لا تخرج

عن هذه الاقسام (قسم منها) هو ما استشكله أهل السنة من علمائنا معاشر المسلمين على عصمة الانبياء من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التى تدل ظواهرها على وقوع بعض الذنوب من بعضهم صلوات الله على نبينا وعليهم *ومن ذلك ماورد في حقه صلى الله عليه وسلم من مثل هذه الآيات التى نقلها المعترض من كتب المسلمين كالشفاء والتفاسير ولم ينقل أجوبتها فنقلتها أنا مع أجوبتها في هذا الكتاب ولا وجه له فى الاعتراض بها لانه لا يعتقد عصمة الانبياء بل يرميهم بحسب عقيدته النصرانية باكبر الكبائر وافحش الذنوب حاشاهم من ذلك (وقسم) زعم فيه وقوع المناقضة في بعض الآيات والاحاديث ونقل الاجوبة عن الآيات وأما الاحاديث فانه لم ينقل أجوبتها وزعم انه استخرج ذلك بدقيق فكره من كتب الحديث المسندة وحذف أسانيدها للاختصار وهو كاذب لانها كلها موجودة في منتقى الاخبار *مع شرحه نيل الاوطار * للامام الشوكانى ولاشك انه نقلها منه وقدم وأخر للايهام *واخفاء المرام* وليس شيء منها مما يعترض به على النبى صلى الله عليه وسلم بان فى كلامه مناقضة وانما الاحاديث تختلف درجاتها فمنها الصحيح والحسن والضعيف والموصول والمقطوع وغير ذلك من أقسام علم مصطلح الحديث ومنها الخاص والعام والناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد ومع ذلك فانى نقلت الاجوبة عن جميع الاحاديث التى زعم وقوع المناقضة فيها (وقسم) اعترض فيه على جمع القرآن بعد النبى صلى الله عليه وسلم بمعرفة الصحابة رضى الله عنهم مع ان ذلك من أحسن المحاسن وأوجب الواجبات لان الله تعالى قد تكفل بحفظه بقوله عز وجل (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) فالهمهم ذلك وأعانهم عليه لتحقيق وعده تعالى بالحفظ وقد حصل والحمد لله على أتم

الوجوه الى الآن والى يوم القيامة بفضل الله تعالى وزعمه انه بذلك لابد أن يكون فقد منه شيء زعم فاسد نعم المنسوخ منه قد أنساهم الله أكثره في حياة النبى صلى الله عليه وسلم وأنساه اياه أيضا حتى صاروا لا يتذكرونه بالكلية قهرا عنهم لا باختيارهم وذلك من أبهر الآيات وأظهر المعجزات الدالة على ان الامر بيد الله تعالى وحده وان القرآن كلامه يمحو منه ما يشاء ويثبت مايشاء وليس للنبى صلى الله عليه وسلم ولا لأصحابه فى ذلك أدنى اختيار وما عدا ذلك من الاعتراضات فهى كلها سفاهات ومكابرات وضلالات لا يثبت شيء منها على المحك * ولا تخرج عن الزور والبهتان والافك

(الفصل الثاني) اعلم ان الاجوبة التى أجاب بها عن اعتراضات اظهار الحق على دين النصرانية تأليف الامام الجليل المحقق النبيل الاستاذ الكامل جامع الفضائل التقى الزاهد الورع العابد ولى الله حضرة سيدى وشيخ بعض مشايخى الشيخ رحمة الله الهندى بلدا المكى اقامة ووفاة رضى الله عنه ونفعنا ببركاته وعن اعتراضات كتاب السيف الصقيل تأليف العالم الفاضل الاديب الكامل الشيخ بكر التميمى الدارى أحد أفاضل علماء نابلس الكرام قد زادتنا تلك الاجوبة فى هذين الكتابين الفريدين اعتقادا وبهما وثوقا ولهما اعتبارا وعليهما اعتمادا لانا نظرنا الى تلك الاجوبة فوجدناها فى غاية الضعف والسقوط ووجدنا الاعتراضات فى غاية القوة والثبوت ومع ذلك لم يقع الجواب عن عشر معشار ما اعترضا به فعلمنا بذلك ان جميع الاعتراضات التي لم يقع الجواب عنها وهي جل الكتابين مسلمة عند من اطلع عليها من علماء النصارى ومن جملتهم مؤلف كتاب الهداية أى هداية الشيطان المشحونة بالضلال والبهتان لان مؤلفها بل مؤلفيها مع كونهم جماعة تألبوا وتعصبوا وأفرغوا وسعهم وبذلوا جهدهم وضاعفوا

اجتهادهم وجدهم فى الرد عليهما لم يتعرضوا للجواب عن جل الاعتراضات
وهى كثيرة جدا لم يجيبوا عنها بشئ وما اجابوا به عن بعض الاعتراضات
انما هو تلفيقات وتمويهات ومغالطات لا يصلح شيء منها جوابا ولما رأوا
أنفسهم عاجزين عما اعترضا به عليهم خرجوا عن الصدد الى السفاهة
والهذيان فى حق القرآن وسيد الانام عليه الصلاة والسلام وقد تذكرت
بفعلهم هذا حكاية تناسب المقام وهي ان رجلا عالما ناظره رجل جاهل
فافحمه فلما عجز الجاهل عن الجواب بصق فى وجه العالم فقال له قاتلك الله
ما أضعف حجتك وهكذا هؤلاء السفهاء لما عجزوا عن الجواب عما
أورداه عليهم من الاعتراضات التى لاجواب لها الا التسليم استعملوا
السفاهة وقلة الحياء ولو انصفناهم لعذرناهم لانهم قوم نصبوا أنفسهم
للمحاماة عن دينهم على علاته وزلاته من غير نظر الى حق او باطل فهم
يرون انفسهم مكلفين بقبوله والاقبال عليه والرد على كل من تعرض
اليه مع علمهم بكثرة معايبه ومثالبه لانها اظهر من ان تخفى على أمثالهم
ولو كان مرادهم اتباع الحق لما عجزوا عنه فان حقيقة دين الاسلام
وصحة نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وكون القرآن كلام الله الملك
العلام ليست من الامور التي تخفى على مثل هؤلاء الجماعة الذين قضوا
أعمارهم فى قراءة العلم والبحث فى الاديان فلا شك انه قد قام لهم على
صحة هذا الدين المبين وبطلان دينهم ما لا يحصى من الحجج والبراهين
ولكنهم بالنظر لكونهم نشؤا على دينهم واخذوا على عواتقهم حمايته والذب
عنه فكل دليل يرد عليهم بصحة لاسلام وفساد النصرانية يؤولونه ان أمكن
التأويل واذا عجزوا عن تأويله يتركونه ويقنعون أنفسهم وأهل مذهبهم
بالدعوى التى جعلوها جوابا لكل اعتراض على دينهم لايمكن الجواب عنه

وهى قولهم الدين فوق العقل ولا جل كتم ما فيه من العيوب والمذام*
وستر محاسن دين الاسلام *أكثروا من كتب ضلالهم المنشورة* ويأبى
الله الا ان يتم نوره * ولو أراد الله هدايتهم لاتخذوا الشيخ رحمة الله اماما
يقتدى به وجعلوا كل اعتمادهم على كتابه اظهار الحق فانه لايمكن ان
يقرأه عاقل منصف ولا يتحقق صحة دين الاسلام وبطلان ما عداه
من الاديان ولا سيما دين النصارى وهو فى بابه كتاب فريد لا نظير له
ولم يؤلف في معناه مثله لان مؤلفه رحمه الله مع كونه من اكابر العلماء
المتبحرين* وافراد الفضلاء المحققين* بذل جهده في تأليفه واستجلب له
من اقاصى البلاد وأدانيها ماقدر عليه من مؤلفات علماء النصارى وكتب
أئمتهم المعتمدة عندهم المعول عليها فى مذهبهم واستخرج منها نصوصهم
التى لاتحصى كثرة على فساد دينهم بفساد اساساته وهي التوراة وما ألحق
بها من كتب العهد العتيق والانجيل وما ألحق به من كتب العهد الجديد
ولا شك ان أئمتهم أصحاب تلك الكتب التى نقل عنها الشيخ رحمة الله لو
فرض اجتماعهم في مكان واحد كما جمع الشيخ أقوالهم فى كتابه وتذاكروا
وتناظروا لقرروا بالاتفاق * فساد كتب العهدين على الاطلاق *
وعدم جواز التدين بها بحال من الاحوال فقد كان عندهم من الانصاف*
ما لا يوجد الآن عند هؤلاء الاخلاف * ولذلك نبهوا فى كتبهم على
تحريف كتب التوراة والاناجيل وغيرهما من كتب دينهم بدون تحاش
وأقاموا على ذلك الادلة العقلية والنقلية التى يسلمها كل منصف عاقل* ولا
يأباها الا مكابر أو جاهل* وهذا هو السبب فى خروج أكثر علماء النصارى
ولا سيما الافرنج المتقدمين والمتأخرين من الديانة النصرانية بالكلية وصاروا
دهريين وطبيعيين لايؤمنون بدين وما حملهم على ذلك الا الحالة السيئة

التي شاهدوها فى كتب التوراة والانجيل وما عطف عليهما من كتب العهد العتيق والجديد فان من وهبه الله ادنى عقل لايمكن ان يحتمل تلك المخالفات والمناقضات والاحوال السيئات والسفاهات فى حق الانبياء والمرسلين مما يأبى أرذل الناس واحقرهم نسبته اليه ويستحى مؤلفو الروايات والحكايات الكاذبة من ذكره ونسبته اليهم فكيف مع ذلك يمكن للعاقل ان يعتقد ان تلك الكتب هي من عند الله تعالى أوحاها الى أنبيائه ورسله وصفوة خلقه حاشا وكلا ولظهور هذه الامور فى كتبهم هذه الدينية لم يسع علماءهم المتقدمين المتمسكين بالدين الا تسليمها والاقرار بوجودها فى كتبهم المقدسة المذكورة ويا ليت اخلافهم هؤلاء الذين يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون اقتدوا بأولئك الاسلاف * فى الانصاف فاراحونا من هذا الجدال * بالمحال * واذ لم يقتدوا بهم فى ذلك فياليتهم لم يعاكسوهم فى ذلك بالدعاوى الكاذبة الباطلة * والمكابرات الباردة العاطلة * فانهم مع تصريح أئمتهم بتحريف كتب التوراة والانجيل * ومناقضاتها بالزيادة والنقص والتبديل * واستشهادهم على ذلك بعباراتها الكثيرة التى لاتقبل التأويل * نرى هؤلاء القسوس الذين ابتلى بهم هذا الزمان فضلا عن كونهم مصرين على مكابرتهم يجتهدون فى تأييدها بانواع الكذب والبهتان ولا يتعرضون للطعن فى أئمتهم أو تكذيبهم فيما قالوا لانهم هم أيضا يعتقدون صحة ماقالوه ولكنهم لعدم أمانتهم يصرون على المكابرة بالباطل * التى لايرضاها لنفسه الا أرذل الاراذل * ولولا ان كتب أئمتهم طبعت مرارا ونشرت فى اقطار الارض لحذفوا منها تلك العبارات * فان ذلك أسهل من الاصرار على هذه المكابرات * واذا كانت هذه حالتهم وهم يعلمونها من أنفسهم والناس يعلمونها منهم وليس من الممكن انكارها مع

مجاهرتهم وعدم حيائهم من التظاهر بها فلاى شىء يستبعدون وقوع التحريف فى كتب العهدين فى الازمنة السالفة اما كان يوجد نظيرهم فى تلك الازمان بهذه الاخلاق السيئة من قلة الامانة والتلاعب فى الدين بحسب الاهواء والاغراض ورفض الحق والمكابرة بالباطل وغير ذلك من الاوصاف التى لايقدرون ان ينكروا أنها أوصافهم التى جبلوا عليها ونشؤا على التخلق بها بل هذا العصر عصر المدنية التى يزعمونها يقتضى ان يجتنبوا هذه الاوصاف التي لايرضاها لنفسه أحد سواهم بخلاف تلك العصور القديمة عصور الجهل والجاهلية فكيف يستبعدون وقوع التحريف والتبديل من اولئك فى عصر الجاهلية وهو واقع منهم فى هذا العصر عصر المدنية

(الفصل الثالث) اعلم ان مثله فى اعتراضه على النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن مثل ناموسة نفخت على جبل عظيم لتزيله بنفختها ومثله مثل مجنون بال فى البحر المحيط لينجسه ومثله مثل كلب عوى على القمر ليضره بعوائه ويحطه من سمائه

لو نبح البدر كلاب الورى * ما وصل النبح الى البدر

قاتله الله من جاحد معاند ينكر المحسوسات والبديهيات ويدعى وقوع المحالات ولايستحي من ذلك وكل عارف منصف اطلع على غوايته التى سماها الهداية وقرأ ماحشاه فيها من الاباطيل والمكابرات والاكاذيب والسفاهات يعلم انه رجل جاهل من جهات سفيه من جهات مكابر من جهات كذاب مفتر من جهات ضال مضل من جهات فاقد الذوق والحياء من جهات يدعى المستحيلات ويزعم أنها من الواقعات وينكر البديهيات ويزعم انها من الممتنعات ولا تظن أيها المطلع على كتابي هذا من دون ان تطلع على كتابه المذكور كتاب الكفر والضلال انى

رتبت هذه العبارات ونحوها شتائم له من دون ان يكون هو محققا بمعانيها كما فعله فى كتابه لا والله ولو لا انى لا اريد تنجيس قلمى وكتابى بنقل عباراته الخبيثة لنقلتها بلفظها ومع ذلك فاني سأنقل منها ما تدعو اليه ضرورة الرد عليه ويعلم منه انه تجاوز أعلى درجات السفاهة والضلال وهو مع ذلك يناقض اقوال نفسه فى كثير من الابحاث ولا يستحى ممن ينسبه بذلك الى الجهل والمكابرة بالباطل وأول أكاذيبه ما حشا به مقدمة كتابه من العقائد المحرفة والاباطيل المزخرفة ومن اصرحها كذبا قوله فيها (والتزمنا جانب الادب فى كل مقام لان الحق لا يعزز بالسفاهة وهراء الكلام) الى آخر ما تبجح به مما هو كذب صريح لا أصل له ألبتة بل هو عكس الحقيقة فانه لم يدع فى كتابه بابا من السفاهة الا دخله وافرغ فيه خطأه وخطله وهو لو كان عاقلا لم يرتكب ما ارتكبه من تلك الفواحش البديهية البطلان فان العاقل يمنعه عقله عن المكابرات وانكار البديهيات ولو كانت على خلاف مراده واعتقاده لا محبة بالانصاف وتسلم الحق لاهله فقط بل لئلا يتطرق اليه سوء الظن من الناس فيكون غير موثوق به ومعول على كلامه عندهم بعد ان يثبت لديهم كذبه ومكابرته واصراره على باطله الظاهر ورفضه حق غيره الواضح فعقله يمنعه من ذلك محبة فى نفسه لا محبة في الحق ان كان على خلاف ما هو عليه وهذا الهالك ليس كذلك *(الفصل الرابع)* كل من اطلع على كلام مؤلف هذا الكتاب * يعلم يقينا انه كلام مفتر كذاب * خالع العذار * لا يبالى بما لحقه من العار * والظاهر انه رجل ضال * مستأجر بالمال * يريد ان يرضى من استأجره بكل عبارة ولو كان عليه فيها عار الابد * وغضب الواحد الاحد * وجرأه على ذلك كتم اسمه وعدم نسبة الكتاب

اليه ولذلك رفع برقع الحياء وجال فى ميدان الوقاحة والسفاهة كيف شاء * ولولا ذلك لما قال ما قال * وهوى فى مهاوى الضلال والوبال * وكلامه يدل على انه رجل عربى اللسان لا افرنجى والنصارى عندنا معاشر العرب أهل أدب وحشمة وحسن امتزاج مع مواطنيهم المسلمين لم نر من احد منهم قط مثل هذه السفاهة ولا سمعنا بصدور نحو ذلك ممن قبلنا أو فى عصرنا فاذن الذى حمله على ذلك شيئان شدة طمعه في المال المستأجر به وكون اسمه مجهولا وهو لو أشهر اسمه لوجد الملامة الشديدة من قومه أكثر من المسلمين لان السفاهة وقلة الحياء لا دخل لها فى الدين فبذلك يعلم ان ما أتى به هذا الرجل خارج عن القاعدة والقياس * ومستوجب سخط الله والناس * ويا عجبا كيف جوزت له انسانيته ان يسيء الى قوم هو ساكن معهم عائش بنعمتهم مقيم بين أظهرهم بل كيف جوزت له انسانيته ان يسيء الى أمة عظيمة * هذه الاساءة الذميمة * مع ما استفاده منها منذ نشأ الى الآن من الفوائد الحسية والمعنوية مما لا يعد ولا يحد فقد أبدى هذا الظالم لنفسه لابناء جنسه فى كتاب ضلالته المذكور من السفاهة وقلة الحياء ما هو اهل له وابرز فيه ما جبلت عليه طينته الخبيثة وانطوي عليه قلبه المظلم المجرم ولو أنصفناه لا نلومه على ذلك لانه قد ذم الله سبحانه وتعالى باعظم من ذلك بكثير وكذلك ذم سائر الانبياء من عهد آدم الى عيسى عليه السلام افحش الذم مع كونه يعتقد تعظيمهم وانهم خاصة الله تعالى ونخبة خلقه كما هو الحقيقة فقد صدق القائل

لا تبلغ الاعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه

اما ذمه الله تعالى فهو اعتقاده فيه عز وجل وتقدس ان له ولدا وصاحبة وان عيسى هو الله وانه مع ذلك حصل له من اليهود اقبح الاهانات

التى انتهت بالقتل والصلب اذاعلمت ذلك تعلم ان جميع ما ذم به النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن وما ارتكبه فى حقهما من الزور والبهتان لايجيء عشر معشار ماذم به الهه تعالى الله عن ذلك وعن كل مايقوله الظالمون والكافرون علوا كبيرا واما ذمه لانبياء الله تعالى ورسله السابقين فهو مع اعتقاده كمالهم وانهم خير الناس يذمهم أفحش الذم بافترائه عليهم بحسب عقيدته ان بعضهم عبد الاصنام وبعضهم زنى ببناته وبعضهم زنى بمحارمه وبعضهم ارتكب أفحش المعاصى من أنواع شتى وانهم لم يزالوا محبوسين في جهنم فى سجن ابليس مؤاخذين بخطيئة آدم لابخطاياهم الى ان جاء عيسى عليه وعليهم السلام فدخلها وخلصهم من سجن ابليس بالحيلة مع كونه يعتقد الوهيته وينسب اليه العجز عن ابليس وتخليص أبنائه وشعبه الا بالحيل وتمكين اليهود من اهانته وصلبه حتى اجروا فى حقه أفظع الفظائع فقد ذم الهه والانبياء الكرام عليهم السلام بافحش المذام التى لا يقبل نسبتها الى نفسه أرذل الاراذل وألأم اللئام فقد تبين أن هذا المعترض لو كان يعقل او يستحى لما اعترض على النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن * بما أتى به من الهذيان * وعمى عما هو واقع فيه من هذه الاحوال والاهوال (وفى المثل رمتنى بدائها وانسلت) واى داء أدوأ من الضلال والشقاء * ولكن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء *(الفصل الخامس)* ان قيل انك قد وصفت هذا المعترض فى كلامك فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب باوصاف قبيحة وهو وان كان اهلا لها ومستحقها الا ان الله تعالى قال فى كتابه العزيز (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) قلت قال الحافظ السيوطى فى الدر المنثور اخرج الفريابى وابن جرير عن مجاهد فى قوله تعالى

(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) قال الذين قالوا مع الله اله أو له ولد أو له شريك أو يد الله مغلولة أو الله فقير ونحن أغنياء أو آذوا محمدا صلى الله عليه وسلم وهم أهل الكتاب اه وقد علمت ان هذا المعترض قد آذى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أشد الايذاء مع كونه متصفا بكثير من الاوصاف الاخرى كجعله مع الله الها آخر واعتقاده الولد والشريك لله سبحانه وتعالى واذا كان كذلك فهو من الظالمين الذين استثناهم الله تعالى فى هذه الآية من المجادلة بالتى هي أحسن على ان جميع ما وصفته به لايقوم مقام كلمة واحدة مما ارتكبه من الظلم والعدوان مع انهم ليس عندهم من المنكر المحظور استعمال ألفاظ الشتم فى حق أوليائهم عند الاقتضاء فضلا عن أعدائهم أما استعمالها فى حق اعدائهم وان كانوا من أكابر الناس الممتازين بين قومهم فى دينهم ودنياهم فمن ذلك العبارات الشنيعة التي قالها رئيس مذهبهم لوطر فى حق البابا ولو كان هذا ممنوعا عندهم لما خاطبه بها ومن نظر كلامه فى حق البابا وأهل مذهبه ومنهم الملك هنرى الثامن ملك لندن فى عصره لايستغرب ما قالوه في حق دين الاسلام فان أولئك مع موافقتهم لهم فى كثير من عقائدهم يطعنون فيهم أفحش الطعن وها أنا أنقل بعض ذلك ليسهل على المسلمين ماراوه في كتاب الهداية أى هداية الشيطان من السفاهة والبهتان قال الشيخ رحمه الله فى اول اظهار الحق قال رئيسهم لوطر فى صفحة ٢٧٤ من المجلد السابع المطبوع سنة ١٥٥٨ فى حق البابا هكذا (أنا أول من طلبه الله لاظهار الاشياء التى يوعظ بها فيما بينكم وانى اعلم ان كلام الله المقدس عندكم امش مشيا هينا يا بولس الصغير واحفظ نفسك يا حمارى من السقوط

احفظ نفسك ياحمارى البابا ولا تقدم ياحمارى الصغير لعلك تسقط وتكسر الرجل لان الهواء فى هذا العام قليل جدا حتى ان الثلج يوجد فيه دسومة كثيرة وتزل فيه الاقدام فان سقطت فيستهزئ الخلق اى امر شيطانى هذا ابعد واعنى أيها الاشرار الغير المبالين الحمقى الاذلاء الحمير أأنتم تخلون انفسكم انكم أفضل من الحمير انك أيها البابا حمار بل حمار احمق وتبقى حمارا دائما) انتهى ثم قال فى الصفحة ٢٧٤ من المجلد المسطور هكذا (لو كنت حاكما لحكمت ان يكتف الاشرار البابا ومتعلقوه ثم يفرقوا فى اسيتا الذى من الروم على ثلاثة اميال وهناك غدير عظيم يعنى البحر لانه حمام جيد لحصول الشفاء للبابا وجميع متعلقيه من جميع الامراض والضعف وانى اعطى قولى بل اعطى المسيح كفيلا على انى لو أغرقتهم اغراقا لينا الى نصف ساعة لبرؤا من جميع الامراض) انتهى وقال في صفحة ٤٥١ من المجلد المذكور هكذا (ان البابا ومتعلقيه زمرة الاشرار المفسدين الخادعين الكاذبين وكنيف الاشرار الذى هو مملوء من أعظم الشياطين الجهنميين وهو مملوء بحيث يخرج من بصاقه ومخاطه الشياطين) انتهى وقال فى صفحة ١٠٩ من المجلد الثانى المطبوع سنة ١٥٦٢ هكذا (قلت أولا ان بعض مسائل جان هكس مسائل الانجيليين والآن ارجع عن هذا القول واقول ليس البعض بل كل مسائله التى ردها الدجال وحواريه فى محفل كونستس وأقول لك مشافهة ايها النائب المقدس لله ان جميع مسائل جان هكس المردودة واجبة التسليم وكل مسألة من مسائلك شيطانية كفرية فلذلك اسلم مسائل جان هكس المردودة واستعد لتأييدها بفضل الله) انتهى مانقله اظهار الحق من كلام لوطر فى حق البابا واما استعمال ألفاظ الشتم عندهم فى حق أوليائهم

واصدقائهم عند الاقتضاء فهذا ثابت بقول سيدنا عيسى على زعمهم لبطرس ياشيطان ولا يخفاك انه لا يوجد لفظة من ألفاظ الشتائم أقبح من لفظة شيطان ولذلك كرر استعمالها لوطر في حق البابا كما تقدم ومع شدة قبحها خاطب بها المسيح عليه السلام على ما زعموا أصدق اصدقائه بطرس وهذا انما أذكره لزيادة اقامة الحجة عليهم والا فانا لا اعتقد ان سيدنا عيسى عليه السلام يخاطب بهذا اللفظ الشنيع عدوا من أعدائه فضلا عن ولى من أوليائه كيف وقد ثبت انه عليه الصلاة والسلام كان من أحلم النبيين والمرسلين وقد أمر بانجيله بعدم مقابلة السيئة بالسيئة وورد عنه عليه السلام انه مر على جيفة خنزير ميت فقال ما أبيض اسنانه وقال مرة لخنزير مر عليه اذهب بسلام فقيل له فى ذلك فقال اريد ان لا اعوّد لسانى الا على الكلام الطيب *(الفصل السادس)* اعلم انى لست اقصد فى هذا الكتاب بتنويع العبارات واختلاف الاساليب وتكثير البراهين في اقامة الحجة عليهم الا اظهار أضاليلهم وتحذير الناس من أباطيلهم وليس لى أمل فى اقناعهم حتى يتركوا ماهم عليه من الاباطيل والاضاليل ويسلموا بتحريف التوراة والانجيل ويؤمنوا بأن الله تعالى واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله كما ان سيدنا عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله كما ان سيدنا موسى عليه السلام عبد الله ورسوله وهكذا باقى رسل الله الكرام عليهم الصلاة والسلام لانى اعلم ان اقناعهم بذلك من المحال عادة لما علمته من انهم لا يتفكرون فى حق أو باطل حتى تؤثر فيهم قوة البراهين وكثرة الدلائل وانما وظيفتهم التى اقاموا أنفسهم فيها وأخذوها على عهدتهم

بين أفراد ملتهم هي المدافعة عن مذهبهم مذهب البروتستانت بحق
او باطل والطعن فى كل ما يخالفه حتى عقائد النصارى الآخرين ولو شاء
الله لهداهم أجمعين *(الفصل السابع)* اعلم ان مقصدى الوحيد من
تأليف هذا الكتاب التقرب الى رضا الله تعالى ورسوله الاعظم صلى
الله عليه وسلم عالما انه عليه الصلاة والسلام لا يمس قدره الرفيع الجليل
شىء من تلك الاكاذيب والاباطيل * وهل يكدر البحر ونيم الذباب *
أو يضر البدر نبح الكلاب * حاشا وكلا ولكنى أتشرف بخدمته لنفع
نفسى واخوانى المسلمين * ومن شاء الله هدايته من الضالين * وهو
صلى الله عليه وسلم فى غاية الاستغناء عنى وعن جميع العالمين * بما افاضه
الله عليه من النعم والكمالات * التى لا تحد ولا تعد وليس لها غاية من
الغايات * وما كنت اتعرض للرد على دين ذلك المعترض لولا انه اقتضى
ذلك اقامة الحجة عليه * ورد سهم كيده اليه * والا فلا حاجة لى
فى اظهار عيوب دينه لان أهله أنفسهم يعرفون من مساويه ومحاسن دين
الاسلام مالا يستحى المنصف منهم من التصريح به في اثناء الكلام *
ولذلك كثر التاركون منهم لدينهم الداخلون فى دين الاسلام * واكثر منهم
بكثير الخارجون من دينهم الى الزندقة وعدم اتباع دين من الاديان
لانهم لما رأوا دينهم الذي نشؤا عليه بهذه الغرابة من مخالفة العقل اعتقدوا
عدم صحة الاديان جميعها فصاروا زنادقة ولو حققوا دين الاسلام وعرفوا
اسراره واخباره لتحققوا ان لله دينا حقاً هو هذا الدين المبين الذى
جاء به سيد المرسلين * وحبيب رب العالمين * سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين * وكما أنه صلى الله عليه وسلم لا نفع
له من ولائى له وذبى عنه لا ضرر عليه من عداوة ذلك الرجل واعتراضه

عليه صلى الله عايه وسلم وانما أنا أظهر ما عندي له من حسن الاعتقاد
والحب والولاء فاسعد بذلك ان شاء الله تعالى وذلك المعترض قد أظهر
ما عنده من قبيح الاعتقاد واسباب الشقاء وكل اناء ينضح بما فيه * ونعوذ
بالله من الباطل وأهليه *(الفصل الثامن)* اعلم ان جميع الاعتراضات
التي أوردها ليس منها شيء يصلح ان يكون اعتراضا صحيحاً على دين
الاسلام أو يخل بصحة نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام * وهو لو
أنصف لما أورد شيئاً منها وانما الحامل له على تلفيقها وتزويقها شدة
تعصبه ومحاماته عن ضلاله القديم * ونظره الى هذا الدين المنير نظر
الكاره السقيم * لانه نشأ على بغضه وتربى على كراهته وامتزجت عداوته
له بلحمه ودمه منذ طفوليته وهو من ذلك الحين يزداد عمى عن محاسنه
وانطماس بصيرة عن مشاهدة أنواره ومع ما استفاده منه ومن علمائه وكتبه
من العلم لم يفده ذلك الا بعدا * ولم يؤثر فيه الا طردا * بل اتخذ
تلك الفوائد * على الاسلام والمسلمين مكايد * فصار يطالع كتب
المسلمين من تفسير وحديث وغيرهما وكلما رأى عبارة يمكنه ان يبنى عليها
اعتراضا ينقيها شأن الخائن الكذاب * والمبطل المرتاب * الذى يجتهد
لنصرة باطله بغير الحق والصواب * وهو يعلم ان تلك الاعتراضات ليس
شىء منها يخل باصل الدين * ولا تروج على الجهال فضلا عن العلماء
من المسلمين * ولكنه اراد بتلبيسه أن يروجها على عوام النصارى
واذكياء شبانهم وابناء المدارس منهم الذين اطلعوا على كتب علماء المسلمين
التي ردوا بها على دين النصارى ولا سيما كتاب اظهار الحق فانه خرقه
أى تخريق * ومزقه أى تمزيق * وكشف حجابه وستاره وأظهر
عواره وشناره * بحيث لو قرأه منهم منصف لا يمكنه أن لا يعترف بصحة

ما فيه ولعمري انهم لو عرفوا وأنصفوا لعدوه عليهم من أكبر النعم واعتبروا به واتعظوا بما يحويه على ان كل عاقل منهم عنده مما ذكره اظهار الحق في تزييف دينهم شيء كثير مما استفاده من ذوى الالباب ومما أدركه بعقله بدون حاجة الى كتاب * فان مناقضات الديانة النصرانية * وتشويش أحكامها الدينية * ولا سيما المتعلقة بالله تعالى كثيرة جدا لا تخفى على جهالهم فضلا عن علمائهم ولكن القسس علموهم عبارة جعلوها سدا بينهم وبين البحث فى الدين وهي قولهم الدين فوق العقل والاعتراض على الدين كفر وكلما رأى أحدهم حكما ظاهر الفساد لا يقبله عقله وسأل عنه معلمه يقول له اسكت لا تكفر هكذا يلزم أن تعتقد وكلهم اذا ذاكرتهم تجد عندهم على دينهم اعتراضات كثيرة ولكنهم نشؤا عليه فلا تسمح نفوسهم بمفارقته وكل من اطلع من فضلائهم وأذكيائهم على دين الاسلام يتحقق صحته ولكنه لما لم يكن دين آبائه وأجداده لا يتجاسر على الدخول فيه خوفا من قومه أن يعيروه بذلك وحرصا على دنياه وانتظام معيشته ومع ذلك فالداخلون فيه منهم كثير فى كل عصر ومصر حتى فى بلاد الافرنج بلا رغبة ولا رهبة بخلاف دين النصارى فانا لا نكاد نرى أحدا من المسلمين في المدد المتطاولة دخل فيه مع وفرة النفقات التى ينفقونها وتعدد الاساليب التى يستعملونها * وكثرة الطرق التى يسلكونها للتوصل الى اضلال أحد منهم فلا يقع فى يدهم الا ما شذ من الجهلة المراق الفاسقين * الذين لا يعدون حقيقة من المسلمين * وذلك أيضا فى غاية الندور مع ان لهم جمعيات عظيمة غنية لا وظيفة لها الا ذلك وهم الذين ألفوا بسعيهم ومالهم بواسطة ذلك الرجل المجهول * هذا الكتاب

المرذول * هداية الشيطان وغواية البهتان * وهم يعلمون ان كل ما اشتمل عليه من الاضاليل والاباطيل لا تروج على المسلمين ولكن قصدوا ان يفهموا النصارى انه كما يوجد اعتراضات على دينهم كالمذكورة في اظهار الحق والسيف الصقيل كذلك يوجد اعتراضات على دين الاسلام وان كل الاديان لا تخلو من الاعتراضات فينبغى قبولها على علاتها وعيوبها ومناقضاتها ومن يسمع بخل ينظرون كتاباً ضخماً فيه نقول كثيرة عن كتب المسلمين وغيرها وكلها اعتراضات ومناقشات فيظن الجاهل منهم ان تحت هذه القعقعة طحنا وفي الحقيقة ان ذلك جميعه لا يمس دين الاسلام بشيء يعبأ به ولو كان ذلك يضره لما ذكر علماؤه ما ذكروه من تلك الاعتراضات فى كتبهم على سبيل الاستشكال * ودفع ما لعله يقال من أهل الالحاد والضلال * وذلك هو من أقوى الادلة على صحة دين الاسلام * وانه دين الله الحق بين الانام * الذى ليس فيه محاباة ولا مماراة * ولا مكابرة ولا مداجاة * ولم تزل علماؤه ينتقدون كل ما ظهر لهم من العبارات * ويستشكلون كل ما رأوا فيه اشكالا من الاحاديث والآيات * ويرد بعضهم على بعض عند الاقتضاء * فترد التلامذة على مشايخهم والابناء على الآباء * ولا يحابون في دين الله احدا وما يظهر لهم الجواب عنه من الاشكالات * يجيبون عنه بأحسن العبارات * و يكلون ما لا علم لهم به الى الله تعالى بعد ان لا يكون شيء من ذلك يمس فى توحيد الله تعالى وكمالاته الربانيه * ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكمالاته النبوية * وكذلك سائر رسل الله تعالى وانبيائه الكرام * على نبينا وعليهم الصلاة والسلام * فان هذا هو الاصل الاصيل لدين الاسلام * وما عدا ذلك فروع لا يضره شيء منها مما

تنبو عنه الافهام * او تستشكله ذوو الاحلام * وهذا الاصل بحمد الله تعالى في غاية السلامة من كل اعتراض وانتقاد * رغما على أهل الكفر والالحاد * وما استشكل من ذلك بحسب الظاهر * فجوابه حاضر *

(الفصل التاسع) اعلم انى لم أقصر هذا الكتاب على رد اعتراضات ذلك المعترض المكابر * الافاك الفاجر * بل جعلته بعون الله تعالى وحسن توفيقه بحالة من الكمال لايحتاج معها الى مراجعة غيره من الكتب فى اثبات نبوة سيدنا محمد سيد المرسلين * وصحة دينه المبين * وكون القرآن كلام الله رب العالمين * ولا يشك فى ذلك الا كل كفار أثيم * او حمار بهيم * وقد اقتصرت من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ووجوه اعجاز القرآن على مافى كتاب الشفاء لانه مع اختصاره جمع من ذلك شيئاً كثيراً وصاحبه القاضى عياض من كبار الائمة المتفق على تقدمهم وجلالة قدرهم وما نقلته عن غيره من كلام الائمة نبهت عليه في موضعه ونسبته الى قائله واما ما لم انسبه الى احد ممافى هذه المقدمة وبعض الابواب وجميع الردود على اعتراضات المعترض فعباراتها كلها مما تفضل الله تعالى به على والهمنى اياه واجراه على قلمى من دون ان استعير فيه عبارة احد من العلماء الا اذا استشهدت بكلام واحد منهم فاني انسبه اليه نعم المعانى كلها لم يخرج شيء منها عن العقل والنقل والحمد لله ولى الفضل ولا شك بأنه لايقرأ هذا الكتاب احد من غير المسلمين عنده أدنى فهم وانصاف ثم يبقى فى قلبه أدنى شك فى صدق سيدنا محمد سيد المرسلين وصحة دينه المبين اما المسلمون ولا سيما الذين لم يتربوا في مدارس النصارى ونحوهم فهم بفضل الله تعالى فى غنية عن مثل هذا الكتاب بما أفاض الله على قلوبهم من أنوار الهداية واليقين فان كل مافيه من الادلة

والبراهين على ان القرآن كلام الله تعالى وان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين هو منطو فى قلوبهم على اكمل الاحوال وان لم يحسن بعضهم التعبير عنه بلسانه على سبيل الاستدلال فكلهم والحمد لله على يقين مابعده يقين بأن سيدنا محمدا رسول الله وان القرآن كلام الله وان دين الاسلام هو دين الله بحيث لو فرض ارتداد أهل الارض كافة لا يتزلزل احدهم عن يقينه فى صحة دينه ومن لم يكن كذلك فليس هو بمسلم حقيقة وان عد في الظاهر من المسلمين نعم يلذ لهم مطالعة هذا الكتاب ونحوه لموافقته ما عندهم فى اثبات صحة هذا الدين المبين ولما فيه من الثناء على نبيهم الصادق الامين سيد الخلق اجمعين صلى الله عليه وسلم على حد قول القائل

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

(الفصل العاشر) لا يخفى على عاقل ان المقصود بالذات من الدين هو معرفة الله تعالى وتوحيده وعبادته عز وجل ولما كان الناس بعقولهم وحدها لا يستقلون بمعرفته سبحانه وتعالى ومعرفة مايجب له من اوصاف الكمال التى اجلها التوحيد ومعرفة ما يستحيل عليه من اوصاف النقص التى اعظمها الشرك ومعرفة كيفية العبادة التى تليق به من عباده تعالى عرفهم ذلك بواسطة رسل اختارهم منهم متصفين بأعظم صفات الكمال التى توجد فى البشر ومنزهين عن كل صفات النقص التى تشينهم بين الناس فأوحى اليهم بواسطة بعض ملائكته او الهاما دينه وما يجب له من أوصاف الكمال ويستحيل عليه من أوصاف النقص ويعبد به من أنواع العبادة وانواعها كثيرة جدا لانها تحصل بامتثال جميع اوامره واجتناب جميع مناهيه مما يتعلق به تعالى او بخلقه من امر المعاش والمعاد ويأتى دين

الاسلام هو الموفى بهذا الغرض المقصود بالذات من خلق الخلق وبعثة الرسل على أحسن وجه واتمه وأكمله أو دين النصارى هو الموفي بذلك لااظن ان احدا عنده ادنى ادراك وانصاف من النصارى فضلا عن المسلمين لايجيب بأن دين الاسلام هو الموفى بهذا الغرض المقصود على أكمل الوجوه واتمها وأعظمها فائدة وأعمها وهـذا مما لايشك به عاقل من المسلمين وغير المسلمين والحمد لله رب العالمين وها أنا أذكر عقيدتنا معاشر المسلمين أهل السنة والجماعة فى حق الله تعالى وانبيائه بالاختصار ثم اتبعها بعقيدة النصارى في حق الله تعالى وانبيائه ليظهر الفرق بين الباطل والحق أما عقيدة المسلمين فقد الف العلماء فيها مؤلفات كثيرة نظما ونثرا وهى شائعة ذائعة بين الناس لا تخفى على أحـد ولما كانت العقيدة المرشدة التى ذكرها الحافظ السيوطى فى الفلك المشحون والامام تاج الدين السبكى فى الطبقات الكبرى واثنى عليها في كتابه معيد النعم هي مع اختصارها وافية بالمقصود اخترت نقلها هنا وانى أشهد الله تعالى وجميع خلقه انها عقيدتى التى اعتقدها وادين الله بها وابرأ اليه من كل عقيدة تخالفها وهى (العقيدة المرشدة عقيدة المسلمين أهل السنة والجماعة فى حق الله تعالى) اعلم ارشدنا الله واياك ان الله عز وجل واحد فى ملكه خالق العالم باسره العلوى والسفلى والعرش والكرسى والسموات والارض وما فيهما وما بينهما جميع الخلائق مقهورون بقدرته لاتحرك ذرة الا باذنه ليس معه مدبر فى الخلق ولا شريك فى الملك حى قيوم لاتأخذه سنة ولا نوم عالم الغيب والشهادة لايخفى عليه شيء فى الارض ولا فى السماء يعلم مافي البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين أحاط

بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا فعال لما يريد قادر على مايشاء له الملك والغنى وله العزة والبقاء وله الحمـد والثناء وله الاسماء الحسنى لادافع لما قضى ولا مانع لما اعطى يفعل في ملكه مايريد ويحكم فى خلقه مايشاء لايرجو ثواباً ولا يخاف عقابا ليس عليه حق ولا عليه حكم فكل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل لايسأل عما يفعل وهم يسألون موجود قبل الخلق ليس له قبل ولا بعـد ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف ولا كل ولا بعض ولا يقال متى كان ولا اين كان ولا كيف كان كون الاكوان ودبر الزمان لايتقيد بزمان ولا يختص بمكان ولا يلحقه وهم ولا يكيفه عقل ولا ينحصر فى الذهن ولا يتمثل فى النفس ولا يتصور في الوهم ولا يتكيف فى العقل لاتلحقه الاوهام والافكار جل عن الشبيه والنظير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير انتهت العقيدة المرشدة اما اعتقادنا فى حق أنبياء الله تعالى فنحن نعتقدهم معصومين من الذنوب وانهم أفضل الخلق واكملهم فى كل وصف جميل وأما (عقيدة النصارى فى حق الله تعالى) فقد اتفقت طوائفهم على اعتقاد أن عيسى هو الله تعالى نفسـه وانه مع ذلك هو ابن الله وان الابن نفس الاب والاب نفس الابن وان روح القـدس كذلك هو الله وان هؤلاء الثلاثة واحد وان كل واحد منهم هو الثلاثة فالواحد ثلاثة والثلاثة واحد ويعتقدون مع ذلك ان الله سبحانه وتعالى دخل فى بطن السيدة مريم وأقام فيه مدة من الزمان جنينا محتاجا الى كل ماتحتاج اليه الاجنة فى بطون أمهاتهم ثم ولدته وعاش طفلا يمص الثدي ويبكى ويتألم ويجوع ويعطش ويبول ويتغوط ثم لما كبر تسلط عليه أعداؤه من اليهود وغيرهم وقهروه وحقروه غاية التحقير فلطموا خديه وربطوا

يديه وبصقوا في وجهه وصفعوا قفاه وألبسوه اكليلا من الشوك وحملوه
صليبه على كتفه وصلبوه جهرا بين لصين وسمروا يديه ورجليه وجرعوه
أعظم الآلام وهو يستغيث فلا يغاث ولم يزل كذلك حتى فقد الحياة
ومات مصلوبا على أسوأ الحالات ويعتقدون مع ذلك رغما عن العقل
ان هذه الامور وقعت له باختياره وانه أتى الى العالم لهذه الغاية فهذه
العقيدة هي أشنع وأفظع العقائد التي بني عليها دين النصرانية ولولا انهم
نشؤا عليها وان الله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء لما كان يصدق
العقل بأنه يوجد ناس لهم أدنى فهم يعتقدون ذلك في المسيح الذي هو
بشر مثلهم وانه انما أتى الى هذ العالم مع كونه الها ليلقي على نفسه أنواع
العذاب والبلاء والشقاء لاجل أن يخلص عبيده من جهنم سجن عدوه
الشيطان فهذه العقيدة لو عرضت على أقل الناس عقلا وأسقمهم فهما
لعرف بأدنى تأمل انها عقيدة ظاهرة الفساد * باطلة الاعتقاد * بعيدة عن
الهدى والرشاد * ولا يمكن أن يعتقدها انسان الا ويكون في أقصى درجات
الجهل والضلال في شؤن الله تعالى وما يجب له سبحانه من الكمالات وما
يستحيل عليه عز وجل من النقائص والمحالات ونحن نقول لهم ان كنتم
لاتعتقدون وجوب اتصاف الله تعالى بجميع الكمالات وتنزيهه عن جميع
النقائص فلا كلام لنا معكم لانكم لاتعرفون الله عز وجل ولا معنى
الالوهيـة فلا يسعهم الا أن يقولوا انه تعالى متصف بجميع الكمالات
ومنزه عن جميع النقائص فنقول لهم هذه الاوصاف التي نسبتموها اليه
تعالى من كونه دخل في بطن مريم ثم وثم الى آخر ماتقدم قد اشتملت
على غاية الضعف ونهاية الحقارة وأقبح العجز وأقبح الذل وأقبح الاهانة
التي لو نسبت الى أحد من أحقر الناس لاستنكف منها ومع كونها

من أشنع أوصاف النقص وان ذلك من البديهيات التي لا تخفى على أحد
تعدونها أنتم رغما عن العقل والنقل والسمع والبصر محاسن وكمالات وقد
أجابوا عن هذا الاله بانه انما قبل على نفسه هذا البلاء والشقاء ليخلص
عبيده من جهنم سجن عدوه وعدوهم ابليس وكان قد حبس فيها
بزعمهم أنبياء الله تعالى وأصفياءه بسبب أكلة أبيهم آدم عليه السلام
التي أخرج لاجلها من الجنة فهم مؤاخذون أيضا بذنب غيرهم وهذا
الجواب ظاهر البطلان واضح الفساد يمجه العقل ويرده الطفل اذ لو
كان الامر كذلك وتمكن ابليس من أن يتغلب على هذا الاله ويأسر
أحباءه وأنبياءه ويسجنهم في جهنم ثم لايتمكن هذا الاله من اخراجهم
الا بالحيل وايقاع نفسه بالبلايا العظيمة والرزايا الوخيمة فاذا يكون
ابليس أقوى منه وأقدر وأحق بأن يكون هو الاله المعبود فالواجب اذا
أن يتخذوا ابليس الها فان القوي الغالب هو المستحق بالالوهية دون
العاجز المغلوب وما ذا الذي يؤمننا معاشر الخلق أن يرجع ابليس مرة
اخرى ويتغلب على الناس ويسجنهم في جهنم ولا يقدر الرب على
خلاصهم الا بأن يلقي نفسه في الرزايا والبلايا فالاولى اذا والصواب
اتخاذ ابليس الها والاستراحة من هذه الاحوال الذميمة والاهوال
الوخيمة ولم يكتفوا بذلك مع شناعته وفظاعته الى الغاية التي لايقبلها
عقل ولايؤيدها نقل حتى اعتقدوا في الههم هذا ماهو أعجب من كل
عجيب وأغرب من كل غريب وهو ان الخبز والخمر يستحيلان بقراءة
القسيس عليهما بعض العبارات والدعوات الى نفس جسد عيسى ودمه
حقيقة من دون تشبيه ولا تأويل وهم مكلفون بذلك تكليفا محتما
لا مندوحة منه كما انهم مكلفون بأن يكذبوا حواسهم التي تشاهدهما

خبزا وخمرا ومن لم يعتقد ذلك بقلبه اعتقادا جازما رغما عن عقله وحسه فهو كافر عندهم فيأكلون ذلك الخبز ويشربون ذلك الخمر معتقدين انهم أكلوا نفس جسد عيسى وشربوا نفس دمه وانه في هذه الحالة هو الههم ومعبودهم وانظر مقدار من على وجه الارض من النصارى الذين يفعلون ذلك في كل يوم ولا أظن ان العاقل مادام عقله في رأسه يمكنه أن يعتقد بقلبه شيئا على خلاف ما يشاهده ببصره كأن يعتقد الحجر انسانا والخشبة حيوانا وما أشبه ذلك فهو ولو زعم أنه يعتقد ذلك كاذب فيما زعم وحينئذ يكون جميع العقلاء منهم الذين لا يعتقدون هذا الاعتقاد حقيقة كلهم كفارا بحسب عقيدتهم هذه اذ من لم يعتقد ذلك فهو كافر عندهم والعاقل لا يمكن أن يعتقد ذلك حقيقة وانما يقوله بلسانه مجاراة لرئيس دينه على خلاف ما أضمره في جنانه هذه هي عقيدة النصارى في حق الله تعالى ولولا ان الناس مقادون بزمام الاقدار الالهية ومع كونهم مختارين كأنهم ليس لهم اختيار بالكلية لما اعتقد هذه العقيدة الظاهرة الفساد والبطلان أحد من نوع الانسان ولكن الله يفعل في خلقه مايشاء ويختار وقد ورد في الحديث القدسي انه سبحانه وتعالى قبض الخلق قبضتين فقال هؤلاء الى الجنة ولا أبالي وهؤلاء الى النار وزد على ذلك أنهم يعتقدون كل مايعتقده اليهود مما اشتملت عليه توراتهم المبدلة من المحالات والضلالات في حق الله تعالى وانبيائه فمن أشنع فظائعها في حقه تعالى انه صارع يعقوب فصرعه يعقوب وهذه وحدها فيها من الكفر الشنيع مايعجز القلم عن وصف بعضه وأما الانبياء فيعتقدون فيهم صحة مانسبته اليهم هذه التوراة المبدلة من الفواحش التي تقشعر من ذكرها الجلود من الزنا بالمحارم وغيرهن والسجود للاصنام

وعظائم الآثام فياعباد الله أين عقولكم الرجيحة وأفهامكم الصحيحة التي تدركون بها دقائق الامور الدنيوية بحيث بلغتم فيها الى الغاية القصوى أما كان يجب عليكم ان تستعملوا هذه العقول وهذه الافهام في معرفة ربكم الذي خلقكم ورزقكم وصوركم فاحسن صوركم ووهبكم هذه العقول والافهام حتى تعرفوا مايليق به سبحانه من الكمالات فتصفوه بها وتنزهوه عن جميع المذام وكذلك أنبياؤه الكرام عليهم الصلاة والسلام ثم تنظرون بشؤن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من بدايته الى نهايته وشؤن من جاء قبله من النبيين والمرسلين وتنظرون ماجاء به صلى الله عليه وسلم من الاحكام الشرعية والعقائد الدينية نظر فهم وانصاف بدون تعصب ولا اعتساف فاذا فعلتم ذلك لاشك انكم تتيقنون ان الدين عند الله الاسلام وان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الرسل الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام ورحم الله الامام شرف الدين البوصيري حيث قال من قصيدة طويلة

جاء المسيح من الاله رسولا * فابى أقل العالمين عقولا
زعموا الاله فدى العبيد بنفسه * وأراه كان القاتل المقتولا
وأجل روحا قامت الموتى به * عن أن يُرى بيد اليهود قتيلا
أيجوز قولُ مُنزِّهٍ لالهه * سبحان قاتلِ نفسه فاقولا
وأجل من جعل اليهود بزعمكم * شوك القتاد لرأسه اكليلا
ومضى بحمل صليبه مستسلما * للموت مكتوف اليدين ذليلا
فاعجب لأمته التي قد صيرت * تنزيهها لالهها التنكيلا
كم ذا أبكتكم ولم تستنكفوا * ان تسمعوا التبكيت والتخجيلا
ضل النصارى في المسيح وأقسموا * لا يهتدون الى الرشاد سبيلا

واذ أراد الله فتنة معشر * وأضلهم رأوا القبيح جميلا

(القسم الاول من كتاب نجوم المهتدين ورجوم المعتدين في دلائل نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ورد ماافتراه عليه صاحب هداية الشيطان بالدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة والحجج القاطعة القاهرة)

اعلم ان نبوته صلى الله عليه وسلم كانت فى أول بعثته عليه الصلاة والسلام تحتاج الى دليل يثبت صحتها عند من كانوا يعرفونه غير نبي وخصوصا من العرب قومه وغيرهم فانهم لم يكن لهم عهد بالنبوة ولا يعرفون الانبياء واخبارهم لانهم أمة أمية لا يقرؤن ولا يكتبون فى الغالب فلما جاءهم صلى الله عليه وسلم بهذا الدين الجديد الذى لاعهد لهم ولا لآبائهم بمثله احتاج الامر الى أن يقيم لهم الدليل على صحة دعواه فاقام لهم أدلة كثيرة على ذلك من المعجزات وخوارق العادات أعظمها القرآن الذى نزل عليه بلغتهم وهو رجل أمى نشأ بينهم يتيما فقيرا ولم يتعلم شيئا ولو أراد أن يتعلم لا يوجد عندهم أحد يتعلم منه لانهم كلهم جهلة فى عصر جاهلية فاتي مع ذلك بما أدهش العقول من العلوم التى اشتمل عليها القرآن وأخبار الامم السابقة التى لا يطلع على بعضها فضلا عن كلها الا الافراد القليلة من الناس الذين أفنوا أعمارهم فى القراءة وتتبع الاخبار من الكتب والعلماء فضلا عن فصاحته وبلاغته الخارقتين للعادة واعجاز الله لهم مع كونهم فصحاء الناس عن ان يأتوا بسورة من مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وحينئذ آمن منهم من آمن ومنع كثيرا منهم الحسد وحب بقائهم على ما كانوا عليه من دين الآباء والاجداد عن الايمان به صلى الله عليه وسلم الى ان كان ما كان وتوالت عليهم الازمات والازمان * وثبت لدى من بقى منهم نبوته صلى الله عليه

وسلم بالدليل والبرهان * فآمنوا به ولم يبق من العرب أحد عند وفاته صلى الله عليه وسلم الاوقد دخل في دين الاسلام اما الآن وقد مرت هذه العصور الكثيرة وظهرت نبوته صلى الله عليه وسلم ظهور الشمس المنيرة فلم يبق من حاجة عند من أعطاه الله شيئا من نور العقل والهداية يدرك به حقائق الامور الى كثرة الاشتغال باقامة الادلة والبراهين على صحة دينه وصدق نبوته صلى الله عليه وسلم كما قيل

وليس يصح فى الاذهان شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

ومع ذلك فانى أثبت في هذا الباب من دلائل نبوته ومعجزاته عليه الصلاة والسلام ما اذا اطلع على بعضه فضلا عن كله عاقل منصف فلابد ان يصدق ويسلم بصحة نبوته صلى الله عليه وسلم وان منع من سبقت له الشقاوة فى الازل من الايمان به شقاوه المحتم وكونه من أهل جهنم وقد اقتصرت من معجزاته ودلائل نبوته صلى الله عليه وسلم على ما ذكره القاضى عياض فى الشفاء باختصار قليل ونقلت من كتابى حجة الله على العالمين وغيره عن بعض أكابر الائمة عبارات فائقات اقاموا فيها الحجج والبراهين على صحة نبوة سيدنا محمد سيد المرسلين صلي الله عليه وسلم وفى بعض ذلك مقنع لكل منصف اما المعاند فلا ينفعه كثير ولا قليل ومن شاء الاطلاع على بسط معجزاته وبشائره ودلائله وفضائله صلى الله عليه وسلم مع تخريج أحاديثها وبيان رواتها والكتب التي نقلت منها فعليه بكتابى حجة الله المذكور فقد جمع من ذلك مالم يجمعه كتاب قبله فيما أعلم وهذا القسم ينقسم الى ابواب

(الباب الاول) فى محاسن خلقه وخلقه التى هي باجتماعها من أظهر وأبهر دلائل نبوته وصحة رسالته صلى الله عليه وسلم قال القاضى

عياض رحمه الله تعالى بعد ان ذكر مايتصف به الانسان من الاوصاف الجميلة واذا كانت خصال الكمال والجلال ماذكرناه ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها أو اثنتين ان اتفقت له فى كل عصر اما من نسب أو جمال أو قوة أو علم أو حلم أو شجاعة أو سماحة حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف بذلك فى القلوب أُثْرة (١) وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم (٢) بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال * على وجه الكمال الى ما لا يأخذه عدّ ولا يعبر عنه مقال * ولاينال بكسب ولاحيلة الا بتخصيص الكبير المتعال * واذا نظرت الى خصال الكمال التى هى غير مكتسبة وفى جبلة الخلقة موجودة وجدته عليه السلام حائزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع لكمال صورته وتناسب أعضائه فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك ومع كونه كان ربعة من الرجال لم يكن يماشيه أحد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم وكان اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام واذا تكلم رؤى كالنور يخرج من بين ثناياه قال البراء رضى الله عنه مارأيت من ذى لِمَّة (٣) فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال أبوهريرة رضى الله عنه مارأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه واذا ضحك يتلألأ فى الجدر * وقال جابر بن سمرة رضى الله عنه وقال له رجل أكان وجه رسول الله صلى

(١) الأُثْرة المكرمه (٢) الرمة العظم البالى (٣) اللِّمَّة مايجاوز شحمة الاذن وبلغ بالمنكبين من شعر الرأس

الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكانت مستديرا وقالت ام معبد في بعض ماوصفته به أجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب وفى حديث ابن أبي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر * وقال علىّ رضى الله عنه في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم والاحاديث فى بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطيل بسردها (واما نظافة جسمه) وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد فى غيره عن أنس رضى الله عنه قال ماشممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم * وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجها من جونة عطار مسها بطيب أو لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبى فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار أنس فعرق فجاءت أمه بقارورة تجمع فيها عرقه فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب * وذكر البخارى في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يمر فى طريق فيتبعه أحد الا عرف انه سلكه من طيبه وذكر اسحاق بن راهويه ان تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم * وروى المزنى عن جابر رضى الله عنه قال أردفنى النبى صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمى فكان ينم (١) علىّ مسكا ومنه حديث على رضى الله عنه غسلت

(١) ينم يفوح

النبى صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت (١) منه ريح لم نجد مثلها قط وكان صلى الله عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع السرة وقد روى عن امه آمنة انها قالت ولدته نظيفا ما به قذر * (واما) وفور عقله صلى الله عليه وسلم وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله صلى الله عليه وسلم فلا مرية (٢) انه كان أعقل الناس واذكاهم ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسته للعامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما أفاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر فى رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا مما لا يحتاج الى تقريره لتحققه وقد قال وهب بن منبه قرأت فى احدى وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا وفي الموطأ عنه عليه الصلاة والسلام انى لأراكم من وراء ظهرى ونحوه عن انس فى الصحيحين وفي بعض الروايات انى لأنظر من ورائى كما انظر الى من بين يدى * وحكى بقى بن مخلد عن عائشة رضى الله عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم يرى فى الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة فى رؤيته صلى الله عليه وسلم للملائكة والشياطين ورفع النجاشى له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين بنى مسجده وهذه كلها محمولة على رؤية العين * وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة فى الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات

(١) سطعت انتشرت (٢) المرية الشك

كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال ابو هريرة ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشيه كأنما الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث * وفي صفته ان ضحكه كان تبسما * (وأما فصاحة اللسان) وبلاغة القول فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذى لا يجهل سلاسة طبع وبراعة (١) منزع (٢) وايجاز (٣) مقطع وفصاحة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف أوتى جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب فكان يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغاتها ويباريها في منزع بلاغتها من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وقد الف الناس فى جوامع كلمه وحكمه المأثورة الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب وقد قال له اصحابه ما رأينا الذى هو أفصح منك فقال وما يمنعنى وانما أنزل القرآن بلسانى لسان عربى مبين وقال مرة أخرى انا أفصح العرب بيد (٤) انى من قريش ونشأت فى بنى سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة (٥) البادية (٦) وجزالتها (٧) ونصاعة الفاظ الحاضرة (٨) ورونق كلامها الى التاييد الالهى الذى مدده الوحى الذى لا يحيط بعلمه بشر وقالت ام معبد فى وصفها له صلى الله عليه وسلم حلو المنطق فصل (٩) لا نذر (١٠)

(١) البراعة مصدر برع الرجل فاق أقرانه (٢) المنزع المأخذ (٣) المقطع منتهى المرام (٤) بيد غير وهو من باب المدح بما يشبه الذم (٥) عارضة البادية حلاوة كلامها * (٦) الجزالة ضد الركاكة (٧) نصاعة الفاظها خلوصها من الركاكة (٨) رونق كلامها حسن (٩) فصل مفصل مفهوم (١٠) النذر القليل

ولا هذر (١) كان منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة التعبير به صلى الله عليه وسلم *(واما شرف نسبه صلى الله عليه وسلم)* وكرم بلده ومنشئه فمما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه صلى الله عليه وسلم نخبة بنى هاشم ونخبة قريش وصميمها وأشرف العرب وأعزها نفرا من قبيل أبيه وأمه ومن أهل مكة أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده وأما ما تدعو ضرورة الحياة اليه مما تتمادح العرب والحكماء بقلته وتذم بكثرته كالغذاء والنوم فقد اخذ من هذين الفنين بالاقل عن عائشة رضى الله عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان فى أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان أطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب وفى صحيح الحديث قوله عليه الصلاة والسلام اما انا فلا آكل متكئا وكان يقول صلى الله عليه وسلم انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد * وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي *(واما مايكون التمدح بكثرته) والفخر بوفوره كالنكاح والجاه عند الناس فقد قال أنس انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه فى الساعة من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال وكنا نتحدث انه أعطى قوة ثلاثين أخرجه النسائى * وعن طاوس قوة أربعين رجلا وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة منهن قبل ان يأتى الاخرى وقال هذا أطيب وأطهر وقد ورد كثرة الجماع عن سليمان وداود عليهما

(١) الهذر بالسكون الكثير وبالفتح الهذيان

السلام وفى حديث أنس عنه عليه الصلاة والسلام فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش *(واما الجاه) فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قد رزق الحظ الاوفر من الحشمة (١) والمكانة فى القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاه فى نفسه خفية حتى اذا واجههم أعظموا أمره وقضوا حاجته وأخباره فى ذلك معروفة وقد كان يبهت (٢) ويفرق (٣) لرؤيته من لم يره كما روى عن قيلة أنها لما رأته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة * وفى حديث أبي مسعود ان رجلا قام بين يديه صلى الله عليه وسلم فارعد فقال له عليه الصلاة والسلام هون عليك فاني لست بملك *(واما عظيم قدره بالنبوة) وشريف منزلته بالرسالة وانافة (٤) رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم *(وأما سيرته صلى الله عليه وسلم) وخلقه فى المال فانه أوتى خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل لنبى قبله وفتح عليه فى حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجاب اليه من أخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبي للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استأثر بشئ منه ولا أمسك منه درهما بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم ما يسرني ان لى أحدا ذهبا يبيت عندى منه دينار الا دينارا أرصده لديني وأتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها

(١) الحشمة الوقار والهيبة (٢) يبهت من البهت وهو الحيرة (٣) يفرق يفزع (٤) الانافة الرفعة

ستة فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن
استرحت ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه
ومسكنه على ماتدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده
فيلبس فى الغالب الشملة (١) والكساء الخشن والبرد (٢) الغليظ ويقسم
على من حضره أقبية (٣) الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره
اذ المباهاة فى الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة
والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط فى جنسه وكونه لُبس مثله وكذلك
التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته * ومن ملك الارض
وجبى اليه مافيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك
للفخر بهذه الخصلة باضرابه (٤) عنها وزهده فى فانيها وبذلها فى مظانها
(واما الخصال المكتسبة) من الاخلاق الحميدة والآداب الشريفة
التى اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد
منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وأمر بها ووعد بالسعادة الدائمة
للمتخلق بها ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق
وهو الاعتدال فى قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف
اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء فى كمالها
والاعتدال الى غايتها حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك فقال (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ
عَظِيمٍ) وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال على وأنس
رضى الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا
وكان مجبولا عليها في أصل خلقته من أول فطرته لم تحصل له باكتساب

(١) الشملة كساء يشتمل به شبه العباء (٢) البرد الثوب الذى فيه خطوط
(٣) القباء شبه القنباز (٤) اضرابه اعراضه

ولا برياضة الا بجود الهى وخصوصية ربانية وهكذا سائر الانبياء عليهم
السلام * وقد حكى أهل السير أن آمنة بنت وهب أم النبى صلى الله عليه
وسلم اخبرت أنه ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا رأسه الى السماء
وقال صلى الله عليه وسلم لما نشأت بغضت الىَّ الاوثان وبغض الىَّ الشعر
ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمنى الله منهما ثم لم أعد
وذكر همه بسماع غناء فى المرتين * وهذه الاخلاق المحمودة والخصال
الجميلة كثيرة ولكننا نذكر أصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه عليه
الصلاة والسلام بها أما أصل فروعها وعنصر (١) ينابيعها ونقطة دائرتها
فالعقل الذى منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عنه ثقوب الرأى وجودة
الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة
الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد اشرنا
الى مكانه منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية التى لم يبلغها
بشر سواه وان جلالة محله من ذلك وما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجارى
احواله واطراد سيره وطالع جوامع كلمه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم
حديثه وعلمه بما فى التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء
وسير الامم الخالية وأيامها وضرب الامثال وسياسات الأنام وتقرير الشرائع
وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التى اتخذ أهلها
كلامه عليه الصلاة والسلام فيها قدوة واشاراته حجة كتعبير الرؤيا والطب
والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه فى معجزاته عليه الصلاة
والسلام دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى
علمائهم بل نبي امى لم يعرف شيئا من ذلك حتى شرح الله صدره وأبان

(١) العنصر الاصل

أمره وعلانه واقرانه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص وآحاد القضايا اذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه عليه الصلاة والسلام الى سائر ما أعلمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ حارت العقول في تقدير فضله تعالى عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه * ﴿وأما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره﴾ فهذا كله مما أدب الله تعالى به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فقال ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ وقال له ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ وقال تعالى ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ وقال ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ وقال ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما * وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك على أصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال انى لم أبعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون * وروى عن عمر رضى الله عنه انه قال فى بعض كلامه بابى أنت وامى يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ﴾ الآية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطىء ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون قال القاضى

ابو الفضل عياض رحمه الله تعالى انظر ما فى هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر واهد ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومى ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون * ولما قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى لم يزده في جوابه على ان بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل ونهى من أراد من أصحابه قتله * ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا (١) والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم والسيف صلتا فى يده فقال من يمنعك منى فقال الله فسقط السيف من يده فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى فقال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس * ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية التى سمته فى الشاة بعد اعترافها وانه لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به وأوحى اليه بشرح أمره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن أبى وأشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم فى جهته قولا وفعلا * وعن انس كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجذبه اعرابى بردائه جذبة شديدة حتى أثرت حاشية البرد فى صفحة عاتقه

(١) القائل من القيلولة وهى النوم والاستراحة وقت الظهر والحر

الشريف ثم قال يا محمد احمل لى على بعيريّ هذين من مال الله الذى عندك فانك لا تحمل لى من مالك ولا من مال ابيك فسكت النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابى مافعلت بى قال لا قال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر وقالت عائشة رضى الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط مالم تكن حرمة من محارم الله تعالى وماضرب بيده شيأ قط الا ان يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امرأة وجيء اليه برجل فقيل له هذا اراد ان يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن تراع (١) لن تراع ولو أردت ذلك لم تسلط علىّ وجاءه زيد ابن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يابنى عبد المطلب مُطل فانتهره عمر وشدد له فى القول والنبى صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج يا عمر تامرنى بحسن القضاء وتامره بحسن التقاضى ثم قال لقد بقى من اجله (١) ثلاث وامر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقى من علامات النبوة شيء الا وقد عرفته فى محمد الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فاختبره بهذا فوجده كما وصف والحديث عن حلمه عليه الصلاة والسلام وصبره وعفوه عند المقدرة أكثر من أن نأتى عليه وحسبك ما ذكرناه مما فى الصحيح والمصنفات الثابتة مما بلغ متواترا مبلغ

(١) تراع تخاف (٢) أجله حلول مدة دينه

اليقين من صبره على مقاساة قريش واذاء الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم الى أن أظفره الله تعالى عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم (١) وابادة (٢) خضرائهم (٣) فما زاد على أن عفا وصفح وقال ما تقولون انى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال أقول كما قال أخى يوسف ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ الآية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال أنس رضى الله عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم رسول الله فانزل الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ الآية * وقال لابى سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب وقتل عمه وأصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول وقال له ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا اله الا الله فقال بابى أنت وأمى ما أحلمك وأوصلك وأكرمك * وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى صلى الله عليه وسلم * (واما الجود والكرم والسخاء والسماحة) فكان عليه الصلاة والسلام لا يوازى ولا يماثل به احد فى هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه روي البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان عليه الصلاة والسلام اجود الناس بالخير واجود ما كان فى شهر رمضان وكان اذا لقية جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة * وهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال له ورقة بن نوفل انك تحمل الكل (٤) وتكسب المعدوم وتقرى الضيف

(١) شأفتهم جمعهم (٢) الابادة الاهلاك (٣) الخضراء الجماعة
(٤) الثقيل من العيال

وعين على نوائب الحق * وقال انس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير *(وأما الشجاعة والنجدة) (١) فكان النبي صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذى لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة (٢) والابطال عنه غير مرة وهو صلى الله عليه وسلم ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما من شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة (٣) روى البخارى عن البراء وسأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء وابو سفيان بن الحارث آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب قيل فما رؤى يومئذ أحد أشد منه صلى الله عليه وسلم * وذكر مسلم عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان يعنى ابن الحارث آخذ بركابه * وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء * وقال ابن عمر ما رأيت اشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال على كرم الله وجهه انا كنا اذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً وكان الشجاع هو الذى

(١) النجدة القوة (٢) الكماة الشجعان (٣) الجولة تردد أشبه بالفرار

يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا العدو لقربه منه * وعن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس واشجع الناس واجود الناس ولقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قِبَل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا وقد سبقهم الى الصوت واستبرأ (١) الخبر على فرس لابى طلحة عرى والسيف فى عنقه اى متقلد به وهو يقول لن تراعوا * وقال عمران بن حصين ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب * ولما رآه أُبيّ بن خلف يوم أحد وهو يقول ابن محمد لا نجوت ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندى فرس اعلفها كل يوم فرَقا (٢) من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله تعالى فلما رآه يوم احد شد ابي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اى خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث ابن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشَّعْراء (٣) عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ (٤) منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من أضلاعه فرجع الى قريش يقول قتلنى محمد وهم يقولون لا بأس بك فقال لو كان ما بى بجميع الناس لقتلهم أليس قد قال أنا اقتلك والله لو بصق على لقتلنى فمات بسَرِف فى قفولهم الى مكة * (واما الحياء والاغضاء) (٥) فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات

(١) استبرأ الخبر كشفه (٢) الفرق كيل يسع ثلاثة آصع (٣) الشعراء ذباب يؤذى الحيوان (٤) تدأدأ تدحرج (٥) الاغضاء التجاوز والتغافل

اغضاء قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ ﴾ الآية وروى البخارى عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها (١) وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحدا بما يكرهه حياء وكرم نفس * وقالت عائشة رضى الله عنها لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً (٢) بالأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام فى وصفه صلى الله عليه وسلم عن التوراة من رواية عبد الله بن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص * وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه كان من حيائه لا يثبت بصره فى وجه أحد وانه كان يكنى عما اضطره الكلام اليه مما يكره * (وأما حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه) صلى الله عليه وسلم مع أصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار الصحيحة قال على رضى الله عنه فى وصفه عليه الصلاة والسلام كان أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة * وكان عليه الصلاة والسلام يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوى عن أحد منهم بشره ولا خلقه ويتفقد أصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه ابن ابى هالة وقال فى وصفه أيضا كان صلى الله عليه وسلم دائم

(١) الخدر الستر (٢) السخاب الصياح

البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه راجيه * وقال الله تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ وقال تعالى ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ الآية * وكان صلى الله عليه وسلم يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافى عليها * قال أنس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى اف قط ولا قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته الا قال لبيك * وكان صلى الله عليه وسلم يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويعود المرضى فى أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر * قال أنس ما التقم أحد اذن النبي صلى الله عليه وسلم فنحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذى ينحى رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر * ولم ير مقدما ركبتيه بين يدى جليس له * وكان صلى الله عليه وسلم يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ولم ير قط مادا رجليه بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التى تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان أبى ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بانتهاء أو قيام وكان صلى الله عليه وسلم لا يجلس اليه أحد وهو يصلى الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته * وكان صلى الله عليه وسلم أكثر

الناس تبسما وأطيبهم نفسا قال عبد الله بن الحارث ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم * وعن أنس قال كان خدام المدينة يأتون النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يأتونه بآنية الا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون التبرك * (وأما الشفقة والرأفة والرحمة) لجميع الخلق فقد قال تعالى فيه (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ) * وقال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) وروى ان اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فأعطاه ثم قال أأحسنت اليك قال الاعرابي لا ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام صلى الله عليه وسلم ودخل منزله وأرسل اليه وزاده شيئا ثم قال أأحسنت اليك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي أنفس أصحابي من ذلك شيء فان أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد أو العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي أكذلك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال عليه الصلاة والسلام مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني أرفق بها منكم وأعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار * وقال عليه الصلاة والسلام لا يبلغني احد منكم عن أحد من أصحابي شيئا

فاني أحب ان أخرج اليكم وانا سليم الصدر * ومن شفقته على أمته صلى الله عليه وسلم تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله لولا ان أشق على أمتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء وغير ذلك وعن عائشة رضي الله عنها قالت ماخير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما * وعنها رضي الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها عليه الصلاة والسلام عليك بالرفق * (واما خلقه صلى الله عليه وسلم) في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فمن عبد الله بن أبي الحمساء انه قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا هو في مكانه فقال يافتي لقد شققت علي أنا ههنا منذ ثلاث انتظرك * وعن عائشة رضي الله عنها انه دخلت عليه صلى الله عليه وسلم امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت تأتينا أيام خديجة وان حسن العهد من الايمان * وعن أبي قتادة قال وفد وفد النجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له أصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني أحب أن أكافئهم * ولما جيء باخته من الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها ان أحببت أقمت عندي مكرمة محببة أو متعتك (١) ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعتها * وقال أبو الطفيل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام اذ أقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه فقالوا أمه التي ارضعته * وعن عمرو بن السائب ان رسول الله صلى

(١) متعتك، زودتك

الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه * وكان يبعث الى ثويبة مولاة أبي لهب مرضعته بصلة وكسوة * وفي حديث خديجة رضى الله عنها أنها قالت له عليه الصلاة والسلام أبشر فوالله لايخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق *(واما تواضعه عليه الصلاة والسلام) على علو منصبه ورفعة رتبته فكان أشدّ الناس تواضعا واعدمهم كبرا وحسبك انه خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عليه السلام عند ذلك فان الله قد أعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الارض وأول شافع * وعن أبي امامة رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا فقمنا له فقال لاتقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا * وقال صلى الله عليه وسلم انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد * وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم حيثما انتهى به المجلس جلس * وفي حديث عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله * وعن أنس رضى الله عنه ان امرأة كان في عقلها شئ جاءته فقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا أم فلان في أيّ طرق المدينة شئت اجلس اليك حتى اقضى حاجتك قال

فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها * وقال أنس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة راكبا على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف (١) وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة (٢) السنخة (٣) فيجيب * قال وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة (٤) ماتساوى أربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى (٥) في حجه ذلك مائة بدنة * ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتي كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى * وعن كثير من الصحابة انه صلى الله عليه وسلم كان في بيته في مهنة (٦) أهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف (٧) نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعلف ناضحه (٨) ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق * وقال أنس رضى الله عنه ان كانت الامة من اماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى تقضى حاجتها * ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك فاني لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد (٩) * وعن أبي هريرة رضى الله عنه دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه

(١) الاكاف البردعة (٢) الاهالة كل ما يؤتدم به من الادهان (٣) السنخة المتغيرة الرائحة الزنخة (٤) القطيفة كساء له خمل (٥) اهدى ذبح والبدن تطلق على الناقة والجمل (٦) المهنة الخدمة (٧) يخصف يخرز (٨) الناضح البعير الذي يستقى عليه الماء (٩) القديد اللحم المجفف

وسلم فاشترى سراويل وقال للوازن زن وارجح وذكر القصة قال فوثب
الى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا
تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما أنا رجل منكم ثم أخذ السراويل
فذهبت لاحمله فقال صاحب الشئ أحق بشيئه أن يحمله *(وأما عدله
صلى الله عليه وسلم) وأمانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه
وسلم أأمن الناس وأعدل الناس وأعف الناس وأصدقهم لهجة منذ كان
اعترف له بذلك أعداؤه وكان يسمى قبل نبوته الامين *ولما اختلفت قريش
عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا أول داخل عليهم فاذا بالنبى
صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين
قد رضينا به *وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى الجاهلية قبل الاسلام * وقال عليه الصلاة والسلام والله انى
لامين فى السماء أمين فى الارض * وروى الترمذى عن على رضى الله
عنه ان أبا جهل قال للنبى صلى الله عليه وسلم انا لانكذبك ولكن
نكذب بما جئت به وروى غيره لا نكذبك وما أنت فينا بمكذب *
ولقى الاخنس بن شريق أبا جهل يوم بدر فقال له يا أبا الحكم
ليس هنا غيرى وغيرك يسمع كلامنا تخبرنى عن محمد صادق أم كاذب
فقال أبو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط * وسأل
هرقل عنه صلى الله عليه وسلم أبا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب
قبل ان يقول ماقال قال لا * وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان
محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا واعظمكم
أمانة حتى اذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر
لا والله ما هو بساحر *(وأما وقاره صلى الله عليه وسلم) وصمته

وتؤدته (١) ومروأته وحسن هديه فقد روى أبو داود عن
خارجة بن زيد رضى الله عنه انه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم
أوقر الناس فى مجلسه لا يكاد يخرج شيأ من أطرافه * وكان صلى الله
عليه وسلم كثير السكوت لايتكلم فى غير حاجة ويعرض عمن تكلم
بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان
ضحك أصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء
وخير وأمانة لاترفع فيه الاصوات ولا تؤبن (٢) فيه الحرم اذا تكلم
أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير * وفى صفته صلى الله عليه
وسلم يخطو تكفيا (٣) ويمشى هونا كأنما ينحط من صبب * وعن
جابر رضى الله عنه كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل
(٤) وترسيل وقال ابن أبى هالة رضى الله عنه كان سكوته عليه الصلاة
والسلام على أربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر * وقالت عائشة
رضى الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه
* وكان عليه الصلاة والسلام يحب الطيب والرائحة الطيبة ويستعملهما كثيرا
ويحض عليهما ويقول حبب الى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة
عينى في الصلاة ومن مروأته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام
والشراب والامر بالاكل مما يلى والامر بالسواك والنظافة *(وأما زهده
في الدنيا صلى الله عليه وسلم) فحسبك من تقلله منها واعراضه عنها وقد
سيقت اليه بحذافيرها (٥) وترادفت عليه فتوحها الى ان توفى صلى الله

(١) التؤدة التأنى (٢) تؤبن تذكر بقبيح والحرمة مالايحل انتهاكه (٣)
التكفؤ التمايل والصبب الارض المنحدرة (٤) الترتيل تبيين الحروف بالتأنى
وكذلك الترسيل (٥) بحذافيرها بجميعها

صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا * وبالسند الى عائشة رضى الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفى رواية أخرى من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء لأعطاه الله مالا يخطر ببال * وقالت عائشة أيضا ماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا * وفى حديث عمرو بن الحارث ماترك الا سلاحه وبغلته وأرضا جعلها صدقة * قالت عائشة رضى الله عنها ولقد مات وما فى بيتى شئ يأكله ذو كبد الا شطر شعير فى رف لى وقال لى انى عرض على ان تجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب أجوع يوما فاصبر وأشبع يوما فاشكر فاما اليوم الذي أجوع فيه فاتضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذى أشبع فيه فاحمدك وأثنى عليك * وفى حديث آخر ان جبريل عليه السلام نزل عليه فقال له ان الله يقرؤك السلام ويقول لك أتحب ان أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت فاطرق ساعة ثم قال ياجبريل ان الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له قد يجمعها من لاعقل له فقال له جبريل ثبتك الله يامحمد بالقول الثابت * وعن عائشة رضى الله عنها قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا مانستوقد نارا ان هو الا التمر والماء * وعن عائشة رضى الله عنها انما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه أدما حشوه ليف * وعن حفصة رضى الله عنها كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى مسحا (١) تثنيه ثنيتين فينام فثنيناه له ليلة باربع

(١) المسح لباس من شعر

فلما أصبح قال مافرشتمو لى الليلة فذكرنا له ذلك فقال ردوه بحاله فان وطاءته (١) منعتنى الليلة صلاتي * وكان ينام أحيانا على سرير مرمول (٢) بشريط حتى يؤثر فى جنبه * وعن عائشة رضى الله عنها قالت يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى أحد وكانت الفاقة أحب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعا يلتوى طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت أبكى رحمة له مما أرى به وأمسح بيدى على بطنه مما ارى به من الجوع وأقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول ياعائشة مالى وللدنيا اخوانى من أولى العزم من الرسل صبروا على ماهو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فاجدنى أستحيي اذا ترفهت في معيشتى ان يقصر بى غدا دونهم وما من شيء هو أحب الى من اللحوق باخوانى واخلائى قالت فما أقام بعد الاشهرا حتى توفي صلوات الله وسلامه عليه * (وأما خوف ربه وطاعته له وشدة عبادته صلى الله عليه وسلم) فعلى قدر علمه بربه روى الترمذى عن أبى ذر رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أرى ما لاترون وأسمع مالا تسمعون أطت (٣) السماء وحق لها ان تئط مافيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات (٤) تجأرون (٥) الى الله تعالى * وفى حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له أتكلف هذا وقد غفر الله لك ماتقدم

(١) وطاءته لينه (٢) مرمول بشريط منسوج بحبل مفتول (٣) أطت صوتت (٤) الصعدات الطرقات (٥) تجأرون تصوتون

من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا * وقالت عائشة رضى الله عنها كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق * وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم * وعن أنس قال كنت لاتشاء ان تراه صلى الله عليه وسلم من الليل مصليا الا رأيته مصليا ولا نائما الا رأيته نائما * وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلى فقمت معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة الا وقف فسأل ولا يمر بآية عذاب الا وقف وتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان الله ذى الجبروت والملكوت والكبرياء ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك * وعن عائشة رضى الله عنها قام عليه الصلاة والسلام بآية من القرآن ليلة * وعن عبد الله بن الشخير رضى الله عنه أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ولجوفه أزيز (١) كأزيز المرجل * وقال ابن أبي هالة كان صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة * وقال عليه الصلاة والسلام انى لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وروى سبعين مرة * قال القاضى عياض اعلم وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبياء والرسل صلوات الله عليهم من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هى هذه الصفات اذ رتبتهم أشرف الرتب ودرجاتهم أرفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال وقد أتيتك أكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة وأريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والامر فى مناقبه

(١) الازيز الصوت والمرجل القدر

صلى الله عليه وسلم أوسع فمجال هذا الباب فى حقه عليه الصلاة والسلام ممتد ينقطع دون نفاده الادلاء وبحر علم خصائصه زاخر لاتكدره الدلاء ولكننا أتينا فيه بالمعروف مما أكثره فى الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا فى ذلك بقلّ من كل وغيض (١) من فيض ثم ذكر حديث الحسن عن خاله هند بن أبى هالة وحديث الحسين عن أبيه علىّ رضى الله عنهم أجمعين وهما اجمع الاحاديث فى شمائله عليه الصلاة والسلام وقد تقدم أكثر ما فيهما من أخلاقه الكريمة وأوصافه الشريفة صلى الله عليه وسلم

(الباب الثانى في معجزاته ودلائل نبوته صلى الله عليه وسلم)

قال القاضى عياض رحمه الله فى الباب الرابع من القسم الاول من الشفاء ونيتنا ان نثبت أمهات معجزاته ومشاهير آياته لتدل على عظيم قدره عند ربه وأتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد وأكثره مما بلغ القطع أو كاد وأضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة واذا تأمل المتأمل المنصف ماقدمناه من جميل أثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر (٢) فى صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد فى اسلامه والايمان به روى الترمذى ان عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لأنظر اليه فلما استبينت (٣) وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب * وعن أبى رمثة التيمى رضى الله عنه قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ومعى ابن

(١) الغيض النقص (٢) يمتر يشك (٣) استبينت رأيت

لى فاريته فلما رأيته قلت هذا نبي الله صلى الله عليه وسلم * وروى
مسلم وغيره ان ضمارا لما وفد عليه فقال يا محمد انى راق هل بك شئ
أرقيك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه
من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا اله
الا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال له أعد على كلماتك
هؤلاء فلقد بلغنا قاموس البحر هات يدك أبايعك * وقال جامع بن شداد
كان رجل منا يقال له طارق فاخبر انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم
بالمدينة فقال هل معكم شئ تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا
وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه (١) وسار الى المدينة فقلنا بعنا من
رجل لاندرى من هو ومعنا ظعينة (٢) فقالت أنا ضامنة لثمن البعير
رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لايخيس (٣) بكم فاصبحنا فجاء
رجل بتمر فقال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم يأمركم أن
تأكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا * وفى خبر الجلندى
ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام
قال الجلندى والله لقد دلنى على هذا النبي الأمى انه لايأمر بخير الا كان
أول آخذ به ولا ينهى عن شر الا كان أول تارك له وانه يغلب فلا
يبطر ويغلب فلا يضجر ويفى بالعهد وينجز الموعود وأشهد أنه نبي *
وقال نفطويه فى قوله تعالى (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ) هذا مثل
ضربه الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام يقول يكاد منظره يدل على
نبوته وان لم يتل قرآنا كما قال ابن رواحة

لو لم تكن فيه آيات مبينة * لكان منظره ينبيك بالخبر

(١) الخطام الرسن (٢) ظعينة امرأة مسافرة (٣) لايخيس لايغدر

واعلم ان الرسل اذا جاؤا بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب
تصديقهم فى جميع ما أتوا به لان المعجزة مع التحدى من النبى قائمة
مقام قول الله تعالى صدق عبدى فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه
فى الذى يقول ومعنى تسميتها معجزة ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها
كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة
ونبع الماء من بين الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله أحد الا
الله تعالى فيكون ذلك على يد النبى صلى الله عليه وسلم من فعل الله تعالى
وتحديه أى طلب المعارضة ممن يكذبه ان يأتى بمثله تعجيزا له واعلم ان
نبينا صلى الله عليه وسلم أكثر الرسل معجزة وأبهرهم آية وأظهرهم
بيانا ومعجزاته فى كثرتها لايحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القرآن
لايحصى عدد معجزاته بالف ولا ألفين ولا أكثر لان النبى صلى الله
عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجزوا عنها قال أهل العلم وأقصر السور
(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) فكل آية أو آيات منه بعددها أو بقدرها معجزة
ثم فيها نفسها معجزات * ثم معجزاته عليه الصلاة والسلام على قسمين *
قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف
بمجيء النبى صلى الله عليه وسلم به وظهوره من قبله ويجرى هذا المجرى
على الجملة انه قد جرى على يديه عليه الصلاة والسلام آيات وخوارق
عادات ان لم يبلغ واحد منها معين القطع فيبلغه جميعها فلا مرية فى جريان
معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه قد جرت على يديه عجائب
وانما خلاف المعاند فى كونها من قبل الله تعالى وقد قدمنا كونها من قبل
الله وان ذلك بمثابة قوله تعالى صدقت فقد علم وقوع مثل هذا أيضا من
نبينا صلى الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم

وشجاعة عنترة وحلم أحنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم
وان كان كل خبر بنفسه لايوجب العلم ولا يقطع بصحته * والقسم الثانى مالم يبلغ
مبلغ الضرورة والقطع * وهو على نوعين * نوع مشتهر منتشر رواه العدد
الكثير وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والاخبار كنبع الماء
من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وتكثير الطعام * ونوع منه اختص به الواحد
والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى
مثله اتفقا في المعنى . واجتمعا على الاتيان بالمعجز قال القاضى عياض
وأنا أقول صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه صلى الله
عليه وسلم معلومة بالقطع اما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه وأخبر
عن وجوده ولا يعدل عن ظاهره الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح
الاخبار من طرق كثيرة وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها
الثقاة والعدد الكثير عن الجم الغفير عن العدد الكثير من الصحابة
ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها من الصحابة
ان ذلك كان في مواطن اجتماع الكثير منهم فى يوم الخندق وفى غزوة
بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وأمثالها من محافل المسلمين ومجمع
العساكر ولم يؤثر عن احد من الصحابة مخالفة للراوى فيما حكاه ولا
انكار لما ذكر عنهم انهم رووه كما رواه فسكوت الساكت منهم كنطق
الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة فى كذب
وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ماسمعوه منكرا عندهم
وغير معروف لديهم لأنكروه كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها
من السنن والسير وغيرها مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعى
من معجزاته صلى الله عليه وسلم وأيضا فان الاخبار التى لا أصل لها

لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس وأهل البحث من انكشاف
ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد فى كثير من الاخبار الكاذبة
والاراجيف الطارئة واعلام نبينا صلى الله عليه وسلم هذه الواردة من
طريق الآحاد لاتزداد مع مرور الزمان الا ظهورا ومع تداول القرون
وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف أصلها واجتهاد
الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولا وكذلك اخباره صلى الله عليه
وسلم عن الغيب وانباؤه بما يكون وكان معلوم من آياته على الجملة بالضرورة
* فمن معجزاته صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر فقد قال الله تعالى
﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ
مُسْتَمِرٌّ ﴾ اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضى واعراض الكفرة
عن آياته واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه ففى الصحيح عن
ابن مسعود وكثير من الصحابة رضى الله عنهم قالوا انشق القمر في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه
فقال كفار قريش سحركم ابن ابى كبشة فقال رجل منهم ان محمدا
ان كان سحر القمر فانه لايبلغ من سحره أن يسحر الارض كلها
فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فأتوهم فسألوهم فاخبروهم
انهم رأوا مثل ذلك وقال أبو جهل هذا سحر فابعثوا الى أهل الآفاق
حتى تنظروا أرأوا ذلك أم لا فاخبر أهل الآفاق انهم رأوه منشقا
فقال الكفار هذا سحر مستمر * ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم
طلوع الشمس بعد غروبها أخرج الطحاوى عن أسماء بنت عميس رضى
الله عنها من طريقين ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه
فى حجر على فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم أصليت يا على قال لا فقال عليه الصلاة والسلام
اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء
فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت ووقعت على الجبال والارض وذلك
بالصهباء فى خيبر وحكى الطحاوى ان أحمد بن صالح كان يقول لا ينبغى
لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة
وروي يونس بن بكير عن ابن اسحاق لما اسرى برسول الله صلى الله عليه
وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التى فى العير قالوا متى تجىء قال يوم
الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار
ولم تجىء فدعا عليه الصلاة والسلام فزيد له في النهار ساعة وحبست
عليه الشمس قال القاضى عياض وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما
ثقات * ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم نبع الماء من بين اصابعه
وتكثيره ببركته عليه الصلاة والسلام والاحاديث فى هذا كثيرة جدا
روى الترمذي عن انس رضى الله عنه قال رأيت النبى صلى الله عليه
وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوَضوء (١) فلم يجدوه فأتى
النبي صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في
ذلك الاناء يده وامر الناس أن يتوضؤا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين
أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند آخرهم قال الراوى عن انس
كم كنتم قال زهاء ثلاثمائة وهم بالزوراء عند السوق *وفى الصحيح عن
ابن مسعود رضى الله عنه بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس
معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل
ماء فاتى بماء فصبه فى اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين

(١) الوضوء ماء الوضوء

اصابعه صلى الله عليه وسلم * وفى الصحيح عن جابر رضى الله عنه
عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه
ركوة فتوضأ منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا مافى
ركوتك فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده فى الركوة فجعل الماء يفور
من بين أصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف
لكفانا كنا خمس عشرة مائة * وفى حديث مسلم فى ذكر غزوة بواط
قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياجابر ناد فى الناس الوضوء وذكر
الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة فى عزلاء شجب (١) فأتى به النبي
صلى الله عليه وسلم فغمزه (٢) وتكلم بشىء لا أدرى ماهو وقال ناد
بجفنة (٣) الركب فأتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله
عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق أصابعه وصب جابر عليه وقال بسم
الله قال فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت
حتى امتلأت فاستقوا حتي رووا فقلت هل بقى أحد له حاجة فرفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهى ملأى * وعن
الشعبى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره باداوة (٤)
ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى ركوة ووضع أصبعه فى وسطها وغمسها فى الماء وجعل
الناس يجيؤن ويتوضؤن ثم يقومون وروى عن الترمذى مثله عن عمران
ابن حصين قال القاضى عياض وفى هذه المواطن الحفيلة والجموع
الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا أسرع شىء الى

(١) العزلاء فم القربة من أسفل والشجب القربة البالية (٢) غمزه عصره
(٣) الجفنة أكبر قصاع الاطعمة (٤) الاداوة اناء صغير من جلد

تكذيبه لما جبلت عليه نفوسهم من ذلك ولانهم كانوا ممن لايسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر أحد من الناس عليهم ماحدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم لهم * ومما يشبه هذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم تفجير الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته فيما روى مالك فى الموطأ عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهى تبض (١) بشئ من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع فى شئ ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحق فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك يامعاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما ههنا قد ملئ جنانا * وفى حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه أتم في قصة الحديبية وهم أربع عشرة مائة وبئرها لاتروى خمسين شاة قال فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها (٢) وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلو عليها فبصق فدعا فجاشت فارووا أنفسهم وركابهم * وفى غير هاتين الروايتين فاخرج سهما من كنانته فوضع فى قعر قليب (٣) ليس فيه ماء فروي الناس حتى ضربوا بعطن (٤) * وعن أبي قتادة رضى الله عنه ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فى بعض أسفاره فدعا بالميضأة فجعلها فى ضبنه (٥) ثم التقم فمها فالله اعلم أنفث فيها أم لا فشرب الناس حتى رووا وملؤا كل اناء معهم فخيل لى

(١) تبض تقطر وتسيل (٢) جباها ماحول فمها (٣) القليب البئر (٤) عطن منزل الابل حول الماء (٥) الضبن من الكشح الى الابط

انها كما أخذها منى وكانوا اثنين وسبعين رجلا * وفى كتاب مسلم انه قال لابى قتادة احفظ علىّ ميضأتك فانه سيكون لها نبأ عظيم وذكر نحوه ذلك * ومن حديث عمران بن حصين رضى الله عنهما حين أصاب النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه عطش فى بعض أسفارهم فوجه رجلين من أصحابه وأعلمهما أنهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان فوجداها وأتيا بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه ماشاء الله ان يقول ثم أعاد الماء فى المزادتين ثم فتحت عزاليهما (١) وأمر الناس فملؤا أسقيتهم حتى لم يدعوا شيأ الا ملؤه قال عمران ويخيل الىّ انهما لم تزدادا الا امتلاء ثم أمر فجمع للمرأة من الازواد حتى ملأ ثوبها وقال ارجعى فانا لم نأخذ من مائك شيأ ولكن الله سقانا * وعن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه قال قال نبى الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها فى قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة (٢) ونحن أربعة عشر مائة * وفى حديث عمر رضى الله عنه في جيش العسرة وذكر ما أصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه (٣) فيشربه فرغب أبو بكر الى النبى صلى الله عليه وسلم فى الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت (٤) السماء فانسكبت فملؤا مامعهم من آنية ولم تجاوز العسكر * وعن عمرو بن شعيب ان أبا طالب قال للنبى صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذى المجاز عطشت وليس عندى ماء فنزل النبى صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب والحديث فى هذا الباب كثير * ومنه الاجابة لدعاء الاستقاء وما جانسه وهو كثير ذكرت جملة

(١) العزلاء فم القربة الأسفل (٢) صبه صبا كثيرا (٣) الفرث ما فى الكرش (٤) قالت أمطرت

منه فى حجة الله على العالمين *ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه ففى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق (١) شعير فما زال يأكل منه هو وامرأته وضيفه حتي كاله فاتى النبى صلي الله عليه وسلم فاخبره فقال لولم تكله لاكلتم منه ولقام بكم* ومن ذلك حديث أبى طلحة المشهور واطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين أوسبعين رجلا من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت ابطه فأمر بها ففتت وقال فيها ماشاء الله ان يقول * وحديث جابر فى اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق (٢)*وقال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط (٣) كما هى وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق فى العجين والبرمة وبارك * وعن ثابت مثله عن رجل من الانصار وامرأة ولم يسمهما قال وجيء بمثل الكف فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها فى الاناء ويقول ما شاء الله فأكل منه من فى البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ ممن قدم معه عليه الصلاة والسلام لذلك وبقى بعد ما شبعوا مثل ما كان فى الاناء * وحديث أبى أيوب انه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء (٤) ما يكفيهما فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من أشراف الانصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوه وما خرج منهم أحد حتي أسلم وبايع قال أبو أيوب فأكل من طعامه مائة وثمانون رجلا*

(١) الشطر النصف والوسق ستون صاعا (٢) العناق الانثى من ولد المعز (٣) البرمة القدر وتغط تغلى (٤) زهاء مقدار

وعن سمرة بن جندب أتى النبى صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فصاروا يتعاقبون من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون * ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومئة وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوى سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومئة الا وقد حزله حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا أجمعون وفضل فى القصعتين فحملته على البعير * ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبى عمرة الانصارى عن أبيه ومثله لسلمة بن الاكوع وأبى هريرة وعمر بن الخطاب رضى الله عنهم فذكروا مخمصة (١) أصابت الناس مع النبى صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد فجاء الرجل بالحثية (٢) من الطعام وفوق ذلك وأعلاهم الذى ياتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع (٣) قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقى فى الجيش وعاء الا ملؤه وبقى منه بقية * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال أمرنى النبى صلى الله عليه وسلم ان أدعوله أهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة فاكلنا منها ما شئنا وفرغنا وهى مثلها حين وضعت الا ان فيها أثر الاصابع * وعن على بن أبي طالب رضى الله عنه قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا أربعين منهم قوم يأكلون الجذعة (٤) ويشربون الفرق (٥) فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقى كما هو ثم دعا بعس (٦) فشربوا حتى رووا

(١) مخمصة مجاعة شديدة (٢) الحثية اليسير (٣) النطع بساط من الاديم (٤) الجذعة هى الشاة الداخلة فى السنة الثانية (٥) الفرق مكيال (٦) العس قدح من خشب

وبقى كأنه لم يشرب وقال أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم حين ابتنى (١) بزينب أمره ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيه حتى امتلأ البيت والحجرة فقدم اليهم تورا (٢) فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث أصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقى التور نحوا مما كان وكان القوم أحدا أو اثنين وسبعين *وفي رواية أخرى أن القوم كانوا زهاء ثلاثمائة وانهم أكلوا حتى شبعوا فلا أدرى حين وضعت كانت اكثرام حين رفعت * وعن على رضى الله عنه ان فاطمة رضى الله عنها طبخت قدرا لغدائهما ووجهت عليا فى طلب النبى صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فامرها فغرفت منها لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له صلى الله عليه وسلم ولعلى ثم لها ثم رفعت القدر وانها لتفيض. (٣) قال فاكلنا منها ماشاء الله تعالى *وأمر صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان يزود أربعمائة راكب من احمس فقال يارسول الله ماهى الا أصوع فقال اذهب فذهب فزودهم منها وكان قدر الفصيل الرابض (٤) من التمر وبقى بحاله * ومن ذلك حديث جابر فى دين أبيه بعد موته وكان قد بذل لغرماء أبيه أصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن فى ثمرها كفاية دينهم فجاءهم النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن أمره بجدها (٥) أى النخل وجعلها بيادر فى أصولها فمشى فيها ودعا فاوفى منه جابر غرماء أبيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفى رواية مثل ما أعطاهم قل وكان الغرماء يهودا فعجبوا من ذلك وقال أبو هريرة أصاب الناس مخمصة فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شئ قلت نعم شئ من التمر في المزود قال فائتنى به

(١) ابتنى تزوج (٢) التور وعاء من حجر (٣) تفيض تفور (٤) الفصيل ولد الناقة والرابض البارك (٥) جدها قطع ثمرها

قال فادخل يده فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال أدع عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا وقال خذ ماجئت به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه واقبض منه ولا تكبه فقبضت على أكثر مما جئت به فاكلت منه وأطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب منى فذهب وفى رواية لقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا وسقا في سبيل الله تعالى قل القاضى عياض وذكرت مثل هذه القصة في غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة * ومنه حديث أبى هريرة أيضا حين أصابه الجوع فاستتبعه النبى صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا فى قدح قد أهدى له وأمر له ان يدعو له أهل الصفة قال فقلت ماهذا اللبن فيهم كنت أحق ان أصيب منه شربة أتقوى بها فدعوتهم وذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم له ان يسقيهم فجعلت أعطى الرجل فيشرب حتى روى ثم يأخذه الآخر حتى روى جميعهم قال فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت أنا وأنت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذى بعثك بالحق ما أجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة *وفى حديث خالد بن عبد العزى رضى الله عنه انه أجزر للنبى صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تُبِدُّ (١) عياله عظما عظما وان النبى صلى الله عليه وسلم أكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دار خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وأفضلوا * ومن حديث الآجرى فى انكاح النبى صلى الله عليه وسلم عليا فاطمة رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر بلالا بقصعة من أربعة أمداد أو خمسة وبذبح

(١) تبد تكفى

جزور (١) لوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن فى رأسها ثم أدخل الناس رفقة رفقة يأكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وأمر بحملها الى أزواجه وقال كلن وأطعمن من غشيكن (٢) * وفي حديث أنس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه فصنعت امى أم سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه وادع لى فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم أر أحدا لقيته الا دعوته وذكر أنهم كانوا زهاء ثلاثمائة حتى ملؤا الصفة والحجرة فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبى صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال ماشاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لى ارفع فما أدرى حين وضعت كان أكثر أو حين رفعت قال القاضى عياض وأكثر هذه الاحاديث المتقدمة فى انشقاق القمر ونبع الماء والتبريك فيه والتبريك في الطعام هى فى الصحيح وقد اجتمع على معنى التبريك فى الطعام بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم أضعافهم من التابعين ثم من لا يعد بعدهم وأكثرها وردت فى قصص مشهورة ومجامع مشهورة لا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما أنكر منها ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته روى القاضى عياض بسنده الى مجاهد عن ابن عمر رضى الله عنه قل كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابى فقال يا اعرابى أين تريد قال الى أهلى قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهى بشاطئ الوادى

(١) الجزور البعير (٢) غشيكن جاء اليكن

فادعها فانها تجيبك قال فدعاها فاقبلت تخد (١) الارض حتى قامت بين يديه صلى الله عليه وسلم فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها * وعن بريدة رضى الله عنه سأل اعرابى النبى صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يارسول الله قال الاعرابى مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فى ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابى ائذن لى أسجد لك قال لو أمرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها قال فائذن لى أقبل يديك ورجليك فاذن له * وفي الصحيح فى حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادى فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحدهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادى علىّ باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش (٢) الذى يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قل التئما على باذن الله فالتأمتا وفي رواية أخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقى بصاحبتك حتى أجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت أحضر (٣) وجلست

(١) تخد تشق (٢) المخشوش الذي فى أنفه خشاش وهو عود يربط ويجعل فى أنف البعير (٣) أحضر اعدو

أحدث نفسى فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا * وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض معازيه هل تعنى مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادى مافيه موضع للناس فقال هل ترى من نخل أو حجارة فقلت أرى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن أن تأتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذى بعثه بالحق لقد رأيت النخلات تقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لى قل لهن يفترقن فوالذى نفسى بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتي عدن الى مواضعهن * وقال يعلى بن سيابة كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فأمر وديتين (١) فانضمتا وفى رواية اشاءتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله فى شجرتين * وعن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله فى غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة أيضا وذكر أشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة أو سمرة جاءت فاطافت به ثم رجعت الي منبتها فقال عليه الصلاة والسلام انها استأذنت أن تسلم علىّ * وفى حديث عبد الله بن مسعود آذنت (٢) النبى صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود فى هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد

(١) وديتين نخلتين صغيرتين (٢) اذنت أعلمت

لك قال هذه الشجرة فقال ياشجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث الاول اونحوه قال القاضى أبو الفضل فهذا ابن عمرو بريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلى بن أبى طالب وابن عباس وغيرهم رضى الله عنهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها أو معناها ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت فى انتشارها من القوة حيث هي * وذكر ابن فورك انه صلى الله عليه وسلم سار فى غزوة الطائف ليلا وهو وسن (١) فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهي هناك معروفة معظمة * ومن ذلك حديث أنس رضى الله عنه ان جبريل عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا أتحب ان أريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادى فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع فعادت الى مكانها * وعن على رضى الله عنه نحو هذا ولم يذكر فيه جبريل عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أرنى آية لاأبالى من كذبنى بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه عليه الصلاة والسلام لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له * وذكر ابن اسحاق ان النبى صلى الله عليه وسلم أرى ركانة مثل هذه الآية فى شجرة دعاها فاتت حتي وقفت بين يديه ثم قال ارجعى فرجعت * وعن الحسن انه عليه الصلاة والسلام شكى الى ربه من قومه وانهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها ان لامخافة عليه فاوحى الله اليه ان ائت وادى كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتيك ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله

(١) الوسن أول النوم

ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يارب علمت ان لا مخافة على
ونحو منه عن عمر رضى الله عنه وقال فيه أى آية لا أبالى من كذبنى بعدها
وذكر نحوه * وعن ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام قال لاعرابى
ارأيت ان دعوت هذا العذق (١) من هذه النخلة أتشهد انى رسول
الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز (٢) حتى أتاه فقال ارجع فعاد الى
مكانه واخرجه الترمذى وقال فى هذا صحيح ويعضد هذه الاخبار حديث
انين الجذع وهو فى نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر خرجه اهل
الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر قال جابر بن عبد الله رضى الله
عنه كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبى صلى الله عليه وسلم
اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا
كصوت العشار (٣) * وفى رواية انس حتى ارتج المسجد لخواره
(٤) * وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به * وفي رواية
المطلب حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده
عليه فسكت * زاد غيره فقال عليه الصلاة والسلام ان هذا بكي لما فقد
من الذكر * وزاد غيره والذى نفسى بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا
الى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر * وفى حديث أبي فكان اذا
صلى النبى صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد أخذه أبي
فكان عنده الى أن أكلته الارض وعاد رفاتا (٥) * وذكر الاسفرائينى

(١) العذق هو عرجون البلح بما فيه من الشماريخ (٢) ينقز يثب اليه
متوجها لديه (٣) العشار جمع عشراء وهي الناقة لحملها عشرة أشهر
(٤) أصل الخوار صوت البقر (٥) الرفات البالى

ان النبى صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق الارض فالتزمه
ثم أمره فعاد الى مكانه * وفى حديث بريدة فقال يعنى النبى صلى الله
عليه وسلم ان شئت أردك الى الحائط الذى كنت فيه ينبت لك عروقك
ويكمل خلقك ويجدد لك خوص (١) وثمرة وان شئت أغرسك
فى الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم أصغي له النبي صلى الله عليه
وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسنى في الجنة فيأكل منى أولياء
الله وأكون فى مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال عليه الصلاة
والسلام قد فعلت ثم قال صلى الله عليه وسلم اختار دار البقاء على دار
الفناء فكان الحسن رضى الله عنه اذا حدث بهذا الحديث بكى وقال
ياعباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه
فانتم أحق ان تشتاقوا الى لقائه وذكر القاضى عياض من رووا هذا
الحديث ومن رواه عنهم ثم قال فهذا حديث كما تراه اخرجه أهل الصحة
ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم ومن التابعين ضعفهم الى من
لم نذكرهم وبمن دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله
المثبت على الصواب * ومثل هذا فى سائر الجمادات روى البخارى عن
عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام
وهو يؤكل * وفى رواية أخرى عنه كنا نأكل مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه * وقال أنس رضى الله عنه
أخذ النبى صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتي سمعنا التسبيح ثم صبهن فى يد أبى بكر فسبحن
ثم فى أيدينا فما سبحن * وروى مثله أبو ذر وذكر انهن سبحن فى

(١) الخوص ورق النخل

كف عمر وعثمان رضى الله عنهما * وقال علىّ رضى الله عنه كنا بمكة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله
شجر ولا جبل الا قال له السلام عليك يا رسول الله * وعن جابر
ابن سمرة رضى الله عنه عنه عليه الصلاة والسلام قال انى لأعرف
حجرا بمكة كان يسلم علىّ قيل انه الحجر الاسـود * وعن عائشة
رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استقبلنى
جبريل عليه السلام بالرسالة جعلت لأمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك
يا رسول الله * وعن جابر رضى الله عنه لم يكن النبي صلى الله عليه
وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له * وفي حديث العباس رضى الله
عنه اذ اشتمل عليه النبى صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر
من النار كستره اياهم بملاءته فامنت اسكفة (١) الباب وحوائط البيت آمين
آمين * وعن جعفر بن محمد عن أبيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم
فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه عليه الصلاة والسلام
فسبح * وعن أنس صعد النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان
احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان *
ومثله عن أبى هريره فى حراء وزاد فيه ومعه على وطلحة والزبير وقال
فانما عليك نبى أو صديق أو شهيد * والخبر في حراء أيضا عن
عثمان قال ومعه عشرة من الصحابة انا منهم وزاد عبد الرحمن وسعدا
قال ونسيت الاثنين * وفي حديث سعيد بن زيد أيضا مثله وذكر عشرة
وزاد نفسه * وقد روى انه حين طلبته صلى الله عليه وسلم قريش قال
له ثبير اهبط يا رسول الله فانى أخاف أن يقتلوك على ظهرى فيعذبنى الله

(١) اسكفة الباب عتبته

فقال حراء الى يا رسـول الله * وروى ابن عمر رضى الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾
ثم قال يمجد الجبار نفسه يقول أنا الجبار أنا الجبار أنا الكبير المتعال
فرجف المنبر حتي قلنا ليخرن عنه * وعن ابن عباس رضى الله عنهما
كان حول البيت ستون وثلاثمائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص فى الحجارة
فلما دخل عليه الصلاة والسلام المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب
فى يده اليها ولا يمسها ويقول ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ الآية فما أشار
لوجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفا صنم الا وقع لوجهه حتى ما بقى منها
صنم * وفى حديث ابن مسعود قال فجعل صلى الله عليه وسلم يطعنها
ويقول ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ * ومن ذلك حديثه
صل الله عليه وسلم مع الراهب فى ابتداء أمره اذ خرج تاجرا مع عمه
أبى طالب وكان الراهب لا يخرج الى أحد فخرج وجعل يتخللهم حتى
أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله
رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش ما علمك قال انه لم يبق شجر
ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد الا لنبى وذكر القصة ثم قال
وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظلله فلما دنا من
القوم وجدهم قد سبقوه الى فىء الشجرة فلما جلس مال الفىء اليه صلوات
الله عليه * ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم فى طاعة الحيوانات ما رواه
القاضى عياض بسنده الى عائشة رضى الله عنها قالت كان داجن (١) عندنا
فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ
ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب *

(١) الداجن هو ما يألف البيت من الحيوان

وروى عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى محفل من أصحابه فجاءه اعرابى قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال الاعرابى واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب وطرحه بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعاً لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة فقال من تعبد فقال الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنه رحمته وفى النار عقابه قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك فاسلم الاعرابى * ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فأخذها الراعي منه فأقعى (١) الذئب وقال للراعى ألا تتقى الله حلت بينى وبين رزقى قال الراعى العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين (٢) يحدث الناس بأنباء ما قد سبق فأتى الراعى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال النبى صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق * وروى حديث الذئب عن ابى هريرة وفى بعض الطرق فقال الذئب انت أعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير فى جنود الله تعالى قال الراعي من لى بغنمى قال الذئب انا ارعاها حتى

(١) أقعى ألصق استه بالارض (٢) الحرة الارض ذات الحجارة السود والمدينة المنورة بين حرتين

ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه وانه وجد النبى صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبى عليه الصلاة والسلام عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها * وروى هذا الحديث عن اهبان بن أوس وهو صاحب القصة الذى كلمه الذئب * وروى أيضا عن سلمان بن عمرو وهو أيضا كلمه الذئب وكان سبب اسلامه * وقد روى ابن وهب انه وقع مثل هذا لابى سفيان بن حرب وصفوان بن أمية مع ذئب وجداه أخذ ظبيا فدخل الظبى الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال أبو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا (١) وقد ورد مثل هذا الخبر وانه جرى لابى جهل وأصحابه * وعن عباس بن مرداس رضى الله عنه انه لما تعجب من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر الذى ذكر فيه النبى صلى الله عليه وسلم فاذا طائر سقط فقال يا عباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام وأنت جالس فكان سبب اسلامه * وعن جابر بن عبد الله عن رجل أتى النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان فى غنم يرعاها لهم فقال يارسول الله كيف لى بالغنم قال احصب (٢) وجوهها فان الله سيؤدى عنك أمانتك ويردها الى أهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى أهلها * وعن أنس رضى الله عنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم حائط انصارى وأبو بكر وعمر ورجل من الانصار وفى الحائط غنم فسجدت له فقال

(١) الخلوف الخالية (٢) احصب أى ارم بالحصباء وهى دقاق الحصى

أبو بكر نحن أحق بالسجود لك منها الحديث * وعن أبي هريرة
دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله *
وروى مثله فى الجمل عن عدة من الصحابة قالوا وكان لايدخل احد الى
الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم عليه
دعاه فوضع مشفره (١) فى الارض وبرك بين يديه نخطمه وقال مابين
السماء والارض شئ الا يعلم انى رسول الله الا عاصى الجن والانس
وفى خبر فى حديث الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه
فاخبروه انهم أرادوا ذبحه * وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال لهم انه شكا الى كثرة العمل وقلة العلف *وفى رواية انه شكا الى
انكم أردتم ذبحه بعد ان استعملتموه فى شاق العمل من صغره فقالوا نعم *
وقد روى فى قصة ناقته العضباء وكلامها النبى صلى الله عليه وسلم وتعريفها
له بنفسها ومبادرة العشب اليها فى الرعى وتجنب الوحوش عنها وندائهم
لها انك لمحمد صلى الله عليه وسلم وانها لم تأكل ولم تشرب بعد
موته عليه الصلاة والسلام حتى ماتت ذكره الاسفرائيني * وروى
ابن وهب ان حمام مكة أظلت النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتحها
فدعا لها بالبركة * وروى عن أنس وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة الغار أمر الله تعالى شجرة فنبتت تجاهه صلى الله عليه وسلم فسترته
وأمر حمامتين فوقفتا في فم الغار * وفى حديث آخر وان العنكبوت
نسجت على بابه فلما أتى الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه أحد لم
تكن الحمامتان ببابه والنبي عليه الصلاة والسلام يسمع كلامهم فانصرفوا
وعن عبد الله بن قرط رضى الله عنه قال قرب الى رسول الله صلى

(١) مشفره شفته

الله عليه وسلم بدنات (١) خمس أو ست أو سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن
(٢) اليه بايتهن يبدأ وعن ام سلمة رضى الله عنها كان النبى صلى
الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يارسول الله قال ماحاجتك قالت صادنى
هذا الاعرابى ولى خشفان (٣) فى ذلك الجبل فاطلقنى حتى اذهب
الى ولدى فارضعهما وارجع قال أو تفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت
ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابى وقال يارسول الله ألك حاجة قال تطلق
هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء وتقول أشهد أن لا اله
الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله * ومن هذا القبيل ما روى من
تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه
الى معاذ باليمن فلقى الاسد فعرفه انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه كتابه فهمهم وتنحي عن الطريق وذكر فى منصرفه مثل ذلك
وفى رواية أخرى ان سفينة تكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد
قال فقلت له أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزنى بمنكبه
حتى أقامنى على الطريق * وأخذ عليه الصلاة والسلام باذن شاة لقوم
من بنى عبد القيس بين أصبعيه ثم خلاها فصارت لها ميسما (٤) وبقى
ذلك الاثر فيها فى نسلها بعد * وما روى عن ابراهيم بن حماد بسنده
من كلام الحمار الذى اصابه صلى الله عليه وسلم بخيبر وقال له اسمى
يزيد بن شهاب فسماه النبى صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه
الى دور الصحابة فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وان النبي صلى
الله عليه وسلم لما مات تردى (٥) الحمار فى بئر جزعا وحزنا فمات *

(١) البدنات الناقات (٢) ازدلفن قربن (٣) الخشف ولد الظبى
(٤) الميسم العلامة (٥) تردى رمى بنفسه

وحديث الناقة التى شهدت عند النبى صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه ماسرقها وانها ملكه * وفى العنز التى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عسكره وقد أصابهم عطش ونزلوا على غدير ماء وهم زهاء ثلاثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع املكها وما اراك فربطها فوجدها قد انطلقت * ورواه ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذى جاء بها هو الذى ذهب بها * وقال لفرسه عليه الصلاة والسلام وقد قام الى الصلاة فى بعض أسفاره لاتبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم * ويلحق بهذا مارواه الواقدى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم قال القاضى عياض والحديث فى هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الائمة رضى الله عنهم أجمعين * ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له صلى الله عليه وسلم بالنبوة روى أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه ان يهودية أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية (١) سمتها له فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم فانها أخبرتنى انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال صلى الله عليه وسلم لليهودية ماحملك على ماصنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذى صنعت وان كنت ملكا أرحت الناس منك قال فامر بها فقتلت * وقد روى هذا الحديث أنس

(١) مصلية مشوية

وفيه قالت أردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا ألا نقتلها فقال لا وكذلك روى عن أبي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواها أيضا جابر بن عبد الله وفيه أخبرتنى هذه الذراع قال ولم يعاقبها وفي رواية الحسن ان فخذها كلمنى انها مسمومة * وفى رواية أبى سلمة فقالت انى مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن اسحاق وقال فيه فتجاوز عنها وفى الحديث الآخر عن أنس انه قال فما زلت أعرفها فى لهوات (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفى حديث أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى وجعه الذى مات فيه مازالت أكلة خيبر تعاودنى فالآن أوان قطعت أبهرى (٢) * وحكى ابن اسحاق ان كان المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله تعالى به من النبوة * وقال ابن سحنون أجمع أهل الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التى سمته * وفى رواية ابن عباس انه دفعها لاولياء بشر بن البراء فقتلوها * وكذلك قد اختلف في قتله للذى سحره قال الواقدى وعفوه عنه أثبت عندنا وقد روى انه قتله * وروى الحديث البزار عن أبى سعيد فذكر مثله الا أنه قال في آخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم تضر أحدا منا قال القاضى عياض رحمه الله وقد خرج حديث الشاة المسمومة أهل الصحيح وخرجه الائمة وهو حديث مشهور * وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية ان النبى صلى الله عليه وسلم أتى بصبى قد شب لم يتكلم قط فقال من أنا فقال رسول الله * وروى عن معرض

(١) اللهوات جمع لهاة وهى اللحمة المعلقة في سقف أقصى الفم (٢) الابهر عرق يتصل بالصلب والقلب اذا قطع لم يبق معه حياة

ابن معيقيب قال رأيت من النبى صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبى يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع * وعن الحسن أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له انه طرح بنية له فى وادى كذا فانطلق معه الى الوادى وناداها باسمها يافلانة اجيبى باذن الله فخرجت وهى تقول لبيك وسعديك فقال لها ان أبويك قد أسلما فان أحببت ان أردك عليهما فقالت لاحاجة لى فيهما وجدت الله خيرا لى منهما * وعن أنس ان شابا من الانصار توفى وله أم عجوز عمياء فسجيناه (١) وعزيناها فقالت مات ابنى فقلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم انى هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تعيننى على كل شدة فلا تحملن علىّ هذه المصيبة فما برحنا حتى كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا * وروى عن عبد الله بن عبيد الله الانصارى قال كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت * وذكر عن النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة خر ميتا فى بعض أزقة المدينة فرفع وسجى اذ سمعوه بين العشاءين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا فحسر (٢) عن وجهه فقال محمد رسول الله النبى الامي وخاتم النبيين كان ذلك فى الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ثم قال السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان * ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ابراء المرضى وذوى العاهات ذكر القاضى عياض بسنده الى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولنى السهم لانصل له

(١) سجيناه غطيناه (٢) حسر كشف غطاؤه

فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت (١) وأصيبت يومئذ عين قتادة يعنى ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وأحدهما * وبصق صلى الله عليه وسلم على أثر السهم فى وجه أبى قتادة فى يوم ذى قرد قال فما ضرب علىّ ولا قاح * وروى النسائى عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه ان أعمى قال يارسول الله ادع الله ان يكشف لي عن بصرى قال انطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة يامحمد انى أتوجه بك الى ربك ان يكشف عن بصرى اللهم شفعه فى قال فرجع وقد كشف الله عن بصره * وروى ان ملاعب الاسنة أصابه استسقاء فبعث الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله تعالى * وذكر العقيلى عن حبيب ابن فديك ويقال فريك ان أباه ابيضت عيناه فكان لايبصر بها شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر فرأيته يدخل الخيط فى الابرة وهو ابن ثمانين * ورمى كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرئ * وتفل في عينى على يوم خيبر وكان رمدا فاصبح بارئا * ونفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت * وفى رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرئت * وعلى ساق على بن الحكم يوم الخندق اذ انكسرت فبرئ مكانه ومانزل عن فرسه واشتكى على بن أبى طالب فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه أو عافه ثم ضربه برجله فما

(١) اندقت انكسرت

اشتكى ذلك الوجع بعد * وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء
يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصقها فاصقت رواه
ابن وهب * ومن روايته أيضا ان خبيب بن يساف أصيب يوم بدر مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح * وأتته امرأة من
خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فأتى بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم
أعطاها اياه وأمرها بسقيه ومسه به فبرئ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول
الناس * وعن ابن عباس رضى الله عنهما جاءت امرأة بابن لها به جنون
فمسح صدره فثع (١) ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفى *
وانكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له
وتفل فيه فبرأ لحينه * وكانت فى كف شرحبيل الجعفى سلعة (٢) تمنعه القبض
على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبى صلى الله عليه وسلم فمازال يطحنها بكفه
حتى رفعها ولم يبق لها أثر * وسألته جارية طعاما وهو يأكل فناولها من
بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت انما أريد من الذي في فيك فناولها ما فى
فيه ولم يكن صلى الله عليه وسلم يسأل شيئا فيمنعه فلما استقر فى جوفها
ألقى عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها *
ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم استجابة دعائه وهذا باب واسع جدا
واجابة دعوة النبى صلى الله عليه وسلم لجماعة دعا لهم وعليهم متواتر
على الجملة ومعلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة رضى الله عنه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده
وولد ولده * وروى البخارى عن أنس قال قالت أمى أم سليم يا رسول

(١) ثع قاء (٢) السلعة زيادة تحدث بين الجلد واللحم كالغدة

الله خادمك أنس ادع الله له قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته
قال أنس فوالله ان مالى لكثير وان ولدى وولد ولدى ليعادون اليوم نحو المائة
وفى رواية وما أعلم أحدا أصاب اليوم من رخاء العيش ما أصبت ولقد
دفنت بيدى هاتين مائة من ولدى لا أقول سقطا ولا ولد ولد * ومن دعائه
صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو
رفعت حجرا لرجوت ان أصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه ولما مات حفر
الذهب من تركته بالفؤس حتى مجلت (١) فيه الايدى وأخذت كل زوجة
ثمانين ألفا وكن أربعا وقيل مائة ألف بعد صدقاته العظيمة فى حياته
أعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل
من كل شئ فتصدق بها وبما عليها * ودعا لمعاوية بالتمكين فى البلاد فنال
الخلافة ولسعد بن أبي وقاص ان يجيب الله دعوته فما دعا على أحد الا
استجيب له * ودعا بعز الاسلام بعمر أو بابي جهل فاستجيب له فى عمر وقال
ابن مسعود ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر وأصاب الناس في بعض مغازيه
عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم أقلعت *
ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا * وقال لابى
قتادة أفلح وجهك اللهم بارك فى شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين
سنة وكأنه ابن خمس عشرة سنة وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت
له سن وفي رواية فكان أحسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له
أخرى وعاش عشرين ومائة وقيل أكثر من هذا * ودعا لابن عباس
اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل فسمى بعد الحبر وترجمان القرآن *
ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة فى صفقة يمينه فما اشتري شيئا الا ربح فيه

(١) مجلت تنفطت

* ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال *ودعا بمثله لعروة ابن أبي الجعد قال فلقد كنت أقوم بالكناسة (١) فما ارجع حتى أربح أربعين ألفا * وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه *وروى مثل هذا لفرقد أيضا ونَدَّت (٢) له ناقة فدعا فجاءه بها اعصار ريح حتي ردها عليه * ودعا لام أبي هريرة فاسلمت * ودعا لعلى ان يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفى الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد * ودعا لفاطمة ابنته الله ان لا يجيعها قالت فما جعت بعد * وسأله الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال له اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه فقال يارب أخشى ان يقولوا مثلة (٣) فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء فى الليلة المظلمة فسمى ذا النور * ودعا على مضر فاقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا * ودعا على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق ملكه فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة فى أقطار الدنيا * ودعا على صبي قطع عليه الصلاة ان يقطع الله أثره فاقعد * وقال لرجل رآه يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه * وقال لعتبة بن أبي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد * وقال لامرأة أكلك الاسد فاكلها * وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود فى دعائه على قريش حين وضعوا السلا (٤) على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر * ودعا على الحكم بن أبي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم فرآه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى أن مات

(١) الكناسة مكان بالبصرة (٢) ندت نفرت (٣) المثلة التنكيل والعقوبة (٤) السلا الكرش

* ودعا على محلِّم بن جثَّامةَ فمات لسبع ثم ووري فلفظته الارض ثم ووري فلفظته مرات فالقوه بين صدين (١) ورضموا عليه بالحجارة وجحده رجل بيع فرس وهى التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصية (٢) رجلها يعنى ميتة وهذا الباب أكثر من ان يحاط به والله عزّ وجل أعلم * ومن معجزاته فى انقلاب الاعيان وتبدل الاوصاف ببركته صلى الله عليه وسلم روى البخاري ان أهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابى طلحة كان يقطف (٣) فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا (٤) فكان بعد لا يجارى * ونخس (٥) جمل جابر وكان قد أعيا فنشط حتى كان لا يملك زمامه * وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعى خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطا وباع من بطنها باثنى عشر ألفا * وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة فرده هملاجا (٦) لا يساير * وكانت شعرات من شعره عليه الصلاة والسلام فى قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر * وفي الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنها انها أخرجت جبة طيالسة (٧) وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها قال القاضى عياض وانبأنا القاضى أبو على عن شيخه أبي القاسم بن المأمون قال عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها * وسكب من فضل وضوئه

(١) الصد جانب الوادي (٢) شاصية رافعة (٣) يقطف يبطىء (٤) بحرا واسع الجرى (٥) نخس طعن (٦) الهملاج السير السريع (٧) الطيالسة الخلق

عليه الصلاة والسلام في بئر قباء فما نزفت بعد * وبصق صلى الله عليه وسلم في بئر كانت في دار أنس فلم يكن بالمدينة أعذب منها * ومر صلى الله عليه وسلم على ماء فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال صلى الله عليه وسلم بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب * وأتى له صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار أطيب من المسك واعطى الحسن والحسين لسانه صلى الله عليه وسلم فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا * وكان لام مالك عكة تهدى فيها للنبى صلى الله عليه وسلم سمنا فأمرها عليه الصلاة والسلام ان لاتعصرها ثم رفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا فيأتونها بنوها يسألونها الادم وليس عندهم شئ فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم أدمها حتى عصرتها * وكان عليه الصلاة والسلام يتفل في أفواه الصبيان المراضع فيجزئهم ريقه الى الليل * ومن ذلك بركة يده الشريفة صلى الله عليه وسلم فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلاثمائة وَدِيَّةٍ (١) يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى أربعين أوقية من ذهب فقام عليه الصلاة والسلام وغرسها له بيده الشريفة الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها النبى صلى الله عليه وسلم وردها فاخذت * وفى كتاب البزار فاطعم النخل من عامه الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها وأعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد ما أدارها على لسانه فوزن منها لمواليه أربعين أوقية وبقى عنده مثل ما أعطاهم * وفى حديث حنش بن عقيل سقانى رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب أولها وشربت آخرها فما

(١) الودية النخلة الصغيرة

برحت أجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا ظمئت * وأعطى قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا (١) وقال انطلق به فانه سيضئ لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه به حتى يخرج فانه شيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج * ومنها دفعه لعكاشة جذل (٢) حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد فى يده سيفا صارما طويل القامة أبيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى أن استشهد فى قتال اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون * ومنه دفعه لعبد الله ابن جحش يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب (٣) نخل فرجع في يده سيفا * ومن ذلك بركته عليه الصلاة والسلام فى درور الشياه الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة أم معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته وشارفها (٤) وشاة عبدالله بن مسعود وكانت لم ينز (٥) عليها فحل وشاة المقداد * ومن ذلك تزويده أصحابه سقاء ماء بعد ان أوكأه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة * ومسح على رأس عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين سنة فما شاب * وروى مثل هذه القصة عن غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك * وكان يوجد لعتبة ابن فرقد رطيب يغلب طيب نسائه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) العرجون أصل قطف البلح الذى عليه الشماريخ (٢) الجذل العود وأصله أصل الشجرة (٣) عسيب الجريدة (٤) الشارف الناقة المسنة (٥) ينز يثب

مسح بيده على بطنه وظهره لمرض فشفي ومسح وجه آخر فما زال على وجهه
نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر فى
وجهه كما ينظر فى المرآة* ووضع يده على رأس حنظلة بن حذيم وبرك
عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها
فيوضع على موضع كف النبى صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم *وسلت
الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له
غرة كغرة الفرس ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامى ودعا له فمات
ابن مائة سنة ورأسه أبيض وموضع كف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما مرت عليه يده الشريفة من شعره أسود فكان يدعى الأغر *ويروى
مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهنى *ونضح في وجه زينب بنت أم
سلمة نضحة من ماء فما كان يعرف فى وجه امرأة من الجمال ما بها
ومسح على رأس صبى به عاهة فبرئ واستوى شعره وروى مثله في خبر
المطلب بن فضالة وعلى غير واحد من الصبيان المرضى والمجانين فبرؤا
وأتاه رجل به ادرة (١) فامره أن ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل
فبرأ * وعن طاوس لم يؤت النبى صلى الله عليه وسلم باحد به مس (٢)
فصك فى صدره الا ذهب المس * ومج فى دلو من بئر ثم صب فيها ففاح
فيها ريح المسك * وأخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه
الكفار وقال شاهت (٣) الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن
أعينهم * وشكا اليه أبو هريرة النسيان فامره أن يبسط ثوبه وغرف
بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل فما نسى شيئا بعد * وما يروى عنه صلى
الله عليه وسلم فى هذا الباب كثير وضرب فى صدر جرير بن عبد

(١) الادرة نفخة في خصيته (٢) المس الجنون (٣) شاهت تغيرت

الله ودعا له وكان ذكر له انه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس
العرب واثبتهم * ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو
صغير وكان دميما (١) ودعا له بالبركة ففرع (٢) الرجال طولا وتماما
*ومن ذلك ما أطلع عليه من الغيوب والاحاديث فى هذا الباب بحر
لا يدرك قعره وذلك من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل الينا
خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب
روى أبو داود عن حذيفة رضى الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون فى مقامه ذلك الى قيام الساعة
الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابى هؤلاء
وانه ليكون منه الشئ فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا
غاب عنه ثم اذا رآه عرفه ثم قال حذيفة ما أدرى أنسى أصحابى أم
تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى أن تنقضى
الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه
وقبيلته * وقال أبو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك
طائر جناحيه فى السماء الا ذكر لنا منه علما * وقد خرج أهل الصحيح
والائمة ما أعلم به أصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور
على أعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور
الامن حتى تظعن المرأة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله وان المدينة
ستغزى وتفتح خيبر على يد على فى غد يومه وما يفتح الله على أمته من
الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث
بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم

(١) الدميم القبيح (٢) فرع طال وعلا

على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وانها ستكون لهم انماط
(١) ويغدو أحدهم فى حلة ويروح فى أخرى وتوضع بين يديه صحفة
وترفع أخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال آخر الحديث
وأنتم اليوم خير منهم يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطاء (٢) وخدمتهم
بنات فارس والروم رد الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم
وأخبر صلى الله عليه وسلم بقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى
وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى لا قيصر
بعده أى في الشام وهي بلاده وقتئذ وذكر ان الروم ذات قرون الى
آخر الدهر وبذهاب الامثل فالامثل من الناس وتقارب الزمان وقبض
العلم وظهور الفتن والهرج (٣) وقال صلى الله عليه وسلم ويل للعرب
من شر قد اقترب واخبر صلى الله عليه وسلم بانه زويت له الارض فارى
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمته مازوى له منها وكذلك كان امتدت في
المشارق والمغارب مابين أرض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث
لا عمارة وراءه وذلك مالم تملكه أمة من الامم ولم يمتد فى الجنوب ولا في
الشمال مثل ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا يزال أهل الغرب ظاهرين
على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني الى أنهم العرب لانهم
المختصون بالسقى بالغرب وهو الدلو وغيره يذهب الى أنهم أهل المغرب
وفى حديث آخر من رواية أبي امامة لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين
على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك * وأخبر
صلى الله عليه وسلم بملك بنى أمية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بنى أمية
مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم أضعاف

(١) الانماط نوع من البسط (٢) المطيطاء التبختر (٣) الهرج القتل

ماملكوا وخروج المهدي وما ينال أهل بيته صلى الله عليه وسلم وتقتيلهم
وتشريدهم وقتل على رضى الله عنه وان أشقاها الذى يخضب هذه من
هذه أى لحيته من رأسه وانه قسيم النار يدخل أولياؤه الجنة وأعداؤه
النار فكان ممن عاداه الخوارج والناصبة (١) وطائفة ممن ينسب اليه
من الروافض كفروه وقال صلى الله عليه وسلم يقتل عثمان وهو يقرأ
فى المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه
سيقطر دمه على قوله تعالى (فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ) *
وان الفتن لا تظهر مادام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلى وبنباح كلاب الحوأب
(٢) على بعض أزواجه وانه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجوا بعد ما
كادت فنبحت على عائشة رضى الله عنها عند خروجها الى البصرة
وان عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله أصحاب معاوية وقال لعبد الله بن
الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال فى قزمان وقد
أبلى (٣) مع المسلمين انه من أهل النار فقتل نفسه * وقال في
جماعة فيهم أبو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا فى
النار فكان بعضهم يسأل عن بعض فكان سمرة آخرهم موتا هرم
وخرف فاصطلى بالنار فاحرق فيها * وقال في حنظلة الغسيل سلوا
زوجته عنه فاني أرى الملائكة تغسله فسألوها فقالت انه خرج جنبا
وأعجله الحال عن الغسل قال أبو سعيد ورأينا رأسه يقطر ماء * وقال
يكون في ثقيف كذاب ومبير (٤) فرأوهما الحجاج والمختار * وبان
مسيلمة يعقره الله * وان فاطمة أول أهله لحوقا به * وأنذر بالردة

(١) الناصبة هم الذين يتدينون ببغض على كرم الله وجهه (٢) الحوأب
مكان (٣) قاتل قتالا شديدا (٤) مبير مهلك

وبان الخلافة بعده ثلاثون ثم تكون ملكا فكانت كذلك وتمت الثلاثون بمدة الحسن بن على * وقال ان هذا الامر بدا نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا فى الامة وأخبر بشأن أويس القرنى وبامراء يؤخرون الصلاة عن وقتها وبأنه سيكون فى أمته ثلاثون كذابا فيهم أربع نسوة وفى حديث آخر ثلاثون دجالا كذابا آخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله * وقال يوشك ان يكثر فيكم العجم يأكلون فيأكم ويضربون رقابكم * ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان * وقال خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتى بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون * وقال لا يأتى زمان الا والذي بعده شر منه وقال هلاك أمتى على يدى أغيلمة من قريش قال أبو هريرة راويه لو شئت لسميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان * وأخبر بظهور القدرية والرافضة وسب آخر هذه الامة أولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح فى الطعام فلم يزل أمرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون بعده أثرة * وأخبر بشأن الخوارج وصفتهم والمخدج الذى فيهم وان سيماهم التحايق وترى رعاء الغنم رؤس الناس والحفاة العراة يتبارون (١) في البنيان وان تلد الامة ربتها وان قريشا والاحزاب لايغزونه أبدا وانه هو يغزوهم وأخبر بالموتان الذى يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة وانهم يغزون فى البحر كالملوك على الاسرة (٢) وان الدين لو كان

(١) يتبارون يتفاخرون (٢) الاسرة جمع سرير وهو بساط الملك

منوطا (١) بالثريا لناله رجال من أبناء فارس * وهاجت ريح فى غزاة فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك * وقال لقوم من جلسائه ضرس أحدكم في النار أعظم من أحد قال أبو هريرة فذهبت القوم يعنى ماتوا وبقيت أنا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة * واعلم بالذى غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذى غل الشملة وحيث هي ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشان كتاب حاطب الى أهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبى صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير النبي صلي الله عليه وسلم قاصدا لقتله وأطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر والسر أسلم * وأخبر بالمال الذى تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ماعلمه غيرى وغيرها فاسلم وأعلم بانه سيقتل أبي بن خلف وفى عتبة بن أبى لهب انه يأكله كلب من كلاب الله وعن مصارع أهل بدر فكان كما قال وقال في الحسن ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين واسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضربك آخرون واخبر بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر أو أزيد وبموت النجاشى يوم مات وهو بارضه وأخبر فيروز اذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة أسلم واخبر أبا ذر بتطريده كما كان ووجده فى المسجد نائما فقال له كيف بك اذا أخرجت منه فقال له اسكن المسجد الحرام قال فاذا أخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وبموته وحده وأخبر أن أسرع أزواجه به لحوقا أطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة وأخبر بقتل الحسين بالطف وأخرج بيده

(١) منوطا معلقا

تربة وقال فيها مضجعه * وقال فى زيد بن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده فى الجهاد * وقال فى الذين كانوا معه على حراء أثبت فانما عليك نبى صديق وشهيد فقتل على وعمر وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد * وقال لسراقة كيف بك اذا لبست سوارى كسرى فلما أتى بهما لعمر ألبسهما اياه وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى وألبسهما سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودُجَيْل وَقُطْرُبُل والصَّراة تجبى اليها خزائن الارض يخسف بها يعنى بغداد * وقال سيكون فى هذه الامة رجل يقال الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه * وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر فى سهيل بن عمرو عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام أبى بكر يوم بلغهم موت النبى صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم * وقال لخالد حين وجهه لأكيدر انك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الامور كلها فى حياته وبعد موته كما قال عليه الصلاة والسلام * ومنها ما أخبر به جلساءه من أسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفى المؤمنين حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء واعلامه بصفة السحر الذى سحره به لبيد بن الاعصم وكونه فى مشط ومشاطة (١) فى جُف (٢) طلع نخلة ذكر وانه ألقى فى بئر ذروان فكان كما قال عليه الصلاة والسلام ووجد على تلك الصفة * واعلامه قريشا با كل الارضة ما فى صحيفتهم التى تظاهروا بها على بنى هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها أبقت

(١) المشاطة ما يسقط من الشعر عند مشطه (٢) جف طلع النخلة وعاؤه الذى ينبت فيه

فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم * ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه فى خبر الاسراء ونعته اياه نعت من عرفه واعلامهم بعيرهم التى مر عليها فى طريقه وانذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال عليه الصلاة والسلام الى ما اخبر به من الحوادث التى تكون ولم تأت بعده ومنها ما ظهرت مقدماتها كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية ومن اشراط الساعة وآية حلولها وذكر النشر والحشر واخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيامة قال القاضى عياض بعد ماذكر وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما أشرنا اليه من نكت الاحاديث التى ذكرناها كفاية وأكثرها فى الصحيح وعند الائمة رحمهم الله تعالى * ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من اذاهم قال الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ وقال تعالى ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ وقال تعالى ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ قيل بكاف محمدا أعداءه المشركين وقال تعالى ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ وقال تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية روى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى ربى عز وجل * وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل بمنزل اختار له أصحابه شجرة يقيل (١) تحتها فاتاه أعرابى فاخترط سيفه

(١) القيلولة النوم فى الحر

ثم قال من يمنعك منى فقال الله فارعدت يد الاعرابي وسقط سيفه
وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الآية وقد رويت
هذه القصة فى الصحيح وان غورث بن الحارث صاحب هذه
القصة وان النبى صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال
جئتكم من عند خير الناس وقد حكى ان مثل هذه الحكاية جرى
له يوم بدر وقد انفرد من أصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من
المنافقين وذكر مثله وقد روى انه وقع له مثلها فى غزوة غطفان
بذى أمر مع رجل اسمه وعثور بن الحارث وان الرجل أسلم فلما رجع
الى قومه الذين أغروه وكان سيدهم وأشجعهم قالوا له أين ما كنت تقول
وقد أمكنك فقال انى نظرت الى رجل أبيض طويل دفع فى صدرى
فوقعت بظهرى وسقطت فعرفت انه ملك وأسلمت قيل وفيه نزلت
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا
إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ) الآية وفي رواية الخطابى ان
غورث بن الحارث أراد أن يفتك بالنبى صلى الله عليه وسلم لم يشعر به
الا وهو قائم على رأسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب
من وجهه من زلخة (١) زلخها بين كتفيه وندر (٢) سيفه من يده
وقيل كان عليه الصلاة والسلام يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية
استلقى ثم قال من شاء فليخذلنى * وذكر عبد بن حميد قال كانت
حمالة الحطب تضع العضاه (٣) وهي جمرة على طريق رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكأنما يطؤها كثيبا أهيل * وذكر ابن اسحاق عنها انها لما

(١) الزلخة وجع الظهر (٢) ندر خرج وسقط (٣) العضاه نوع من الشجر

بلغها نزول (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) وذكرها بما ذكرها الله به مع زوجها
من الذم أتت النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد ومعه
أبو بكر وفي يدها فهر (١) من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا أبابكر
وأخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا أبا بكر أين
صاحبك فقد بلغنى انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه
وعن الحكم بن أبي العاص قال تواعدنا على النبى صلى الله عليه وسلم
حتى اذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقى بتهامة أحد فوقعنا
مغشيا علينا فما أفقنا حتى قضى صلاته ورجع الى أهله ثم تواعدنا
ليلة أخرى فجئنا حتى اذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالتا بيننا وبينه *
وعن عمر قال تواعدت أنا وابوجهم بن حذيفة ليلة على قتل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فتسمعنا له ففتح وقرأ (الْحَاقَّةُ
مَا الْحَاقَّةُ) الى قوله تعالى (فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ) فضرب أبو
جهم على عضد عمر وقال انج وفرا هاربين فكان ذلك من مقدمات
اسلام عمر * ومن ذلك العبرة المشهورة والكفاية التامة عند ما
اخافته قريش واجتمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على
رؤسهم وقد ضرب الله على أبصارهم وذر التراب على رؤسهم وخلص منهم
وحمايته عن رؤيتهم اياه فى الغار وما هيأه الله تعالى له من الآيات
والعنكبوت الذى نسج على بابه حتي قال أمية بن خلف حين قالوا
ندخل الغار ما أربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما أري انه قبل أن
يولد محمد * ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه أحد
لما كان هناك حمام * وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة

(١) الفهر حجر ملء الكف

وقد جعلت قريش فيه وفي أبي بكر الجعائل فانذر به فركب فرسه وتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام (١) فخرج له مايكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لايلتفت وأبو بكر يلتفت فقال للنبي صلى الله عليه وسلم أتينا فقال (لَا تَحْزَنْ انَّ اللّٰهَ مَعَنَا) فساخت ثانية الى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب له النبي الله صلى الله عليه وسلم أمانا كتبه ابن فهيرة وقيل أبو بكر وأخبرهم بالاخبار وأمره النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يترك أحدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ماههنا وقيل بل قال لهما أراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر آخر ان راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدرى ما يصنع وأنسى ماخرج له حتى رجع الى موضعه وجاءه فيما ذكر ابن اسحاق وغيره أبو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون اليه ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى الي خلفه ثم سأله ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه (٢) فسألوه عن شأنه فذكر انه عرض لي فحل دونه فما رأيت قط مثله هم بي ان يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك جبريل لودنا لاخذه * وذكر السمرقندى ان رجلا من بني المغيرة أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله

(١) الازلام السهام بلا نصول كانوا يستقسمون أى يتفاءلون بها فى الجاهلية (٢) يدمغنه يصيبن دماغه

فرجع الى أصحابه ولم يرهم حتى نادوه * وروى ان فى هاتين القصتين نزلت (انَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً) الآيتين * ومن ذلك ماذكره ابن اسحاق وغيره فى قصة اذ خرج الى بنى قريظة فى أصحابه فجلس الى جدار بعض آطامهم (١) فانبعث عمرو بن جحاش أحدهم ليطرح عليه رحى فقام النبى صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة وأعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ هَمَّ قَوْمٌ) الآية فى هذه القصة نزلت * وحكى السمرقندى انه خرج الى بنى النضير يستعين فى عقل (٢) الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن أمية فقال له حيي بن أخطب اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبى صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر وتآمر حيي معهم على قتله فاعلم جبريل النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجة حتى دخل المدينة * وذكر أهل التفسير عن أبي هريرة ان أبا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا يصلى ليطأن رقبته فلما صلى صلى الله عليه وسلم أعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه أشرفت على خندق مملوء نارا كدت أهوي فيه وابصرت هولا عظيما وخفق أجنحة قد ملأت الارض فقال عليه الصلاة والسلام تلك الملائكة لودنا لاختطفته عضوا عضوا ثم أنزل على النبى صلى الله عليه وسلم (كَلَّا اِنَّ الْاِنْسَانَ لَيَطْغَى) الى آخر السورة * ويروى ان شيبة بن عثمان الحجبى أدركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل أباه وعمه فقال اليوم أدرك ثارى من محمد فلما اختلط بالناس أتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه

(١) آطامهم حصونهم (٢) العقل الدية

قال فلما دنوت منه ارتفع الى شواظ من نار أسرع من البرق فوليت هاربا وأحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني ووضع يده على صدري وهو أبغض الخلق الي فما رفعها الا وهو أحب الخلق الي وقال لي أدن فقاتل فتقدمت أمامه اضرب بسيفي وأقيه بنفسي ولو لقيت أبي تلك الساعة لاوقعت به دونه * وعن فضالة بن عمير انه قال أردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لاشيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله مارفعها حتى ماخلق الله شيئا أحب الي منه * ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل وأربد بن قيس حين وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له أنا أشغل عنك وجه محمد صلى الله عليه وسلم فاضربه أنت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه فى ذلك قال له والله ماهممت ان أضربه الا وجدتك بيني وبينه أفاضربك * ومن عصمته له تعالى ان كثيرا من اليهود والكهنة أنذروا به وعينوه لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه أمره * ومن ذلك نصره بالرعب أمامه مسيرة شهر كما قال عليه الصلاة والسلام * ومن معجزاته الباهرة صلى الله عليه وسلم ماجمعه الله له من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته بامور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح أمته وماكان فى الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم عليه السلام الى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعى سيرهم وسرد أنبيائهم وايام الله فيهم وصفات أعيانهم واختلاف آرائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم

ومحاجة كل أمة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من أهل الكتابين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتواء على لغات العرب وغريب ألفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعاني أشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذى لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الآداب وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه ثم ما أحل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به أنفسهم واعراضهم وأموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار آجلا مما لا يعلم ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدروس والعكوف على الكتب مع ما احتوى عليه من ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة (١) والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم مما اتخذ أهل هذه المعارف كلامه عليه الصلاة والسلام فيها قدوة وأصولا فى علمهم * وأما علمه عليه الصلاة والسلام بلغات العرب وحفظ معاني أشعارها فامر مشهور وكذلك حفظه لكثير من لغات الامم كقوله في الحديث سَنَه سَنَه وهى حسنة بالحبشية وقوله ويكثر الهرج وهو القتل وقوله في حديث أبي هريرة (أَشْكَنْبَ دَرْدَمْ) أى وجع البطن بالفارسية الى غيرذلك مما لايعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا

(١) العبارة تعبير الرؤيا

بعضه الا من مارس الدروس والعكوف على الكتب ومجالسة أهلها عمره وهو رجل كما قال الله تعالى أمى لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة الشىء من هذه الامور ولا عرف هو قبل بشىء منها قال الله تعالى (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ) الآية انما كانت غاية معارف العرب النسب وأخبار أوائلها والشعر والبيان وانما حصل لهم ذلك بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة أهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد لشىء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة فى دفع مانصصناه الا قولهم (أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * وَانَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) فرد الله تعالى قولهم بقوله (لِسَانُ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) ثم ماقالوه مكابرة العيان فان الذي نسبوا تعليمه اليه اما سلمان أو العبد الرومى وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور مالا يعد من الآيات وأما الرومى فكان أسلم وكان يقرأ على النبى صلى الله عليه وسلم واختلف فى اسمه وقيل بل كان عليه الصلاة والسلام يجلس عنده عند المروة وكلاهما أعجمى اللسان وهم الفصحاء اللد (١) والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما أتى به والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف باعجمى ألكن نعم وقد كان سلمان أو بلعام على اختلافهم فى اسمه بين أظهرهم يكلمونه مدى أعمارهم فهل حكى عن واحد منهم شىء من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف أحد منهم بشىء من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده

(١) اللد شديد الخصومة

ودؤب طلبه وقوة جسده أن يجلس الى هذا ويأخذ عنه أيضا مايعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من أخبار كتبه ولا غاب النبى عليه الصلاة والسلام عن قومه ولا كثرت اختلافاته الى بلاد أهل الكتاب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين أظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة أنبيائهم ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة أو سفرتين لم يطل فيها مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان فى سفره فى صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف الى حبر وقس أو منجم أو كاهن بل لو كان هذا بعد لكان مجيء ما أتى به من معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل أمر * ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر آياته أنباؤه مع الملائكة والجن وامداد الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من أصحابه لهم قال الله تعالى (وَانْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ) الآية وقال (اذْ يُوحِي رَبُّكَ الَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ) الآية وقال (اذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ) الآيتين وقال (وَاذْ صَرَفْنَا الَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ) * وروي مسلم عن عبد الله بن مسعود قال (لَقَدْ رَأَي مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَي) قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل فى صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل واسرافيل وغيرهما من الملائكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور وقد رآهم بحضرته جماعة من أصحابه فى مواطن مختلفة فرأى أصحابه جبرئيل عليه السلام فى صورة رجل يسأله عن الايمان والاسلام ورأى ابن عباس

وأسامة وغيرهما عنده جبريل في صورة دحية وذكر ابن سعد ان
مصعب بن عمير لما قتل يوم أحد أخذ الراية ملك على صورته فكان
النبى صلى الله عليه وسلم يقول تقدم يامصعب فقال له الملك لست بمصعب
فعلم انه ملك ورأى سعد على يمينه وعلى يساره جبريل وميكائيل في صورة
رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر
الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤس من الكفار ولا
يرون الضارب ورأى أبوسفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل
بلق بين السماء والارض مايقوم لها شيء وقد كانت الملائكة تصافح
عمران بن الحصين ورأى النبي صلى الله عليه وسلم لحمزة جبريل في
الكعبة فخر مغشيا عليه ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع
كلامهم وشبههم برجال الزط وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن
عمر بن الخطاب انه قال بينا نحن جلوس مع النبى صلى الله عليه وسلم
اذ أقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال
نغمة الجن من أنت قال أنا هامة بن الهيم بن لاقس بن ابليس فذكر
انه لقى نوحا ومن بعده فى حديث طويل وان النبى صلى الله
عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر الواقدى قتل خالد عند هدمه
العزى للسوداء التى خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها (١)
بسيفه واعلم النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال تلك العزى وقال عليه
الصلاة والسلام ان شيطانا تفلت البارحة ليقطع على صلاتى فامكننى الله
منه فاخذته فاردت أن أربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا
اليه كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا

(١) جزلها قطعها

لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ الآية فرده الله خاسئا وهذا باب واسع *ومن
دلائل نبوته وعلامات رسالته صلى الله عليه وسلم ماترادفت به الاخبار
عن الرهبان والاحبار وعلماء أهل الكتاب من صفته وصفة أمته
واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذى بين كتفيه وماوجد من ذلك فى
أشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والاوس بن حارثة وشبهه وكعب
ابن لؤى وسفيان بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن
ذى يزن وغيرهم وما عرف به من أمره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة
ابن نوفل وعثكلان الحميرى وعلماء اليهود وشامول عالمهم صاحب تبع
من صفته وخبره وما ألفى من ذلك فى التوراة والانجيل مما قدجمعه العلماء
وبينوه ونقله عنهما الثقات ممن أسلم منهم مثل ابن سلام وبنى سعنة وابن
يامين ومخيريق وكعب واشباههم ممن أسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور
وضفاطر (١) وصاحب بصرى واسقف الشام والجارود (٢) وسلمان
والنجاشى ونصارى الحبشة وراهب بصرى وأساقف نجران وغيرهم
ممن أسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب دومة عالما
النصارى ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا
وابن أخطب وأخوه وكعب بن أسد والزبير بن باطياء وغيرهم من
علماء اليهود وممن حملهم الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء والاخبار
فى هذا كثيرة لاتنحصر وقد قرع أسماع اليهود والنصارى بما ذكر انه
فى كتبهم من صفته وصفة أصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من
ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم ألسنتهم ببيان أمره
ودعوتهم الى المباهلة على الكاذب فما منهم الا من نفر عن معارضته

(١) هو الاسقف الرومى أسلم على يد دحية الكلبى (٢) ابن العلاء

وأبدى ما ألزمهم من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار و نبذ القتال وقد قال لهم ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران وجذل بن جذل الكندى وابن خاصة الدوسى وسعيد بن بنت كريز وفاطمة بنت النعمان ومن لا ينعد كثرة الى ماظهر على ألسنة الاصنام من نبوته وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب واجواف الصور وما وجد من اسم النبى صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بسبب ذلك معلوم مذكور * ومن ذلك ماظهر من الآيات عند مولده وما حكته أمه ومن حضره من العجائب وكونه رافعا رأسه عند ماوضعته شاخصا ببصره الى السماء وما رأته من النور الذى خرج معه عند ولادته وما رأته اذ ذاك ام عثمان بن أبى العاصى من تدلى النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ماتنظر الا لنور وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه الصلاة والسلام على يدى واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله وأضاء لى مابين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظئراه (١) ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته صلى الله عليه وسلم وما جرى من العجائب ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط شرفانه وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها ألف عام لم تخمد وانه كان اذا أكل مع عمه أبى طالب وآله وهو صغير شبعوا ورووا فاذا غاب فاكلوا فى غيبته لم

(١) والظئر المرضعة

يشبعوا وكان سائر ولد أبي طالب يصبحون شعثا ويصبح هو صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا قالت أم أيمن حاضنته مارأيته صلى الله عليه وسلم اشتكي جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا * ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم من استراق السمع وما نشأ عليه من بغض الاصنام والعفة عن أمور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى فى ستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة اذا أخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه مابالك فقال انى نهيت عن التعرى * ومن ذلك اظلال الله تعالى له بالغمام في سفره وفى رواية ان خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه فى سفره وقد روى ان حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها وروى ذلك عن أخيه من الرضاعة * ومن ذلك انه عليه الصلاة والسلام لما نزل فى بعض أسفاره وقبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ماحولها وأينعت هي فاشرفت وتدلت عليه أغصانها بمحضر من رآه وميل فيء الشجرة اليه في الخبر الآخر حتى أظلته * وماذكر من انه صلى الله عليه وسلم كان لاظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان لايقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى أوحى اليه ثم اعلامه بموته ودنو أجله وان قبره فى المدينة وفى بيته وان بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده على ما رويناه في بعضها واستئذان ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله وندائهم الذى سمعوه ان لاتنزعوا عنه القميص

عند غسله وما روى من تعزية الخضر والملائكة أهل بيته عند موته الى ما ظهر على أصحابه من كراماته وبركاته في حياته وموته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته * قال القاضى عياض رحمه الله تعالى بعد ما ذكر قد أتينا فى هذا الباب على نكت من معجزاته صلى الله عليه وسلم واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفايه والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد فى جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا (١) الباب لو تقصى (٢) ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم أظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين أحدهما كثرتها وانه لم يؤت نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها أو ماهو أبلغ منها وقد نبه الناس على ذلك فان أردت فتأمل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبياء تقف على ذلك ان شاء الله تعالى ثم ذكر كثرتها بما نقلته عنه فى آخر كلامه على القرآن ووجوه اعجازه فى القسم الثاني من هذا الكتاب وان أردت أن تقف على كثرتها با كثر من ذلك ومقابلتها بمعجزات الانبياء صلوات الله عليهم ليتضح لك انه لم يؤت نبي معجزة الا الا وعند نبينا مثلها أو ما هو أبلغ منها فراجع كتابي حجة الله على العالمين تجد فيه مايكفى ويشفى والحمد لله رب العالمين

---

(١) أى كافيه (٢) تقصى تتبع

(الباب الثالث)

فيما قاله بعض أكابر الائمة من العبارات الفائقات والحجج الباهرات والبراهين القاطعات على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم مرتبين بحسب أزمانهم

قال الامام الماوردى الشافعى في المبحث الاول من أعلام النبوة وقد قدمنا أقسام المعجزات فاذا ظهرت احداهن حجت ودلت على صحة النبوة وقد ظهر في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اكثرها مع ما تقدمها من انذار * وظهر بها من آثار * وتحقق بها من أخبار * فصارت أظهر النبوات اعجازا * وأوضحها طريقا وامتيازا * واكثرها تأييدا الهيا * وتعبدا شرعيا * تقهر شواهدها من نافر وعاند * وتحج دلائلها من ناكد وجاهد * لان المهيأ لامر مطبوع على آلته * ومنقاد الى غايته * حتى يتدرج اليه بغير تكلف ويستقر فيه بغير تصنع ولا يشبه من تعاطاه بمن طبع عليه * فضح التطبع شيمة المطبوع * ولم تزل امارات النبوة لائحة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تدرج اليها وهو غافل عنها وغير متطلع اليها فنهض بأعبائها حين أتته وقام بحقوقها حين لزمته غير ذاهل فيها ولا عاجز عنها الى ان تكامل به الشرع فثبت على أصل مستقر وقياس مستمر لا يدفعه عقل ولا يأباه قلب ولا تنفر منه نفس هذا وهو أمى لم يقرأ كتابا ولا اكتسب علما فأوضح كل ملتبس وأبان كل مشتبه حتى رجع كثير من الملل الى شريعته فى علم ما قصروا عنه من حقوق وعقود استوفى أقسامها وبين أحكامها وما ذاك الا بعون الهى وتأييد لاهوتى وحسبك بهذا شاهدا لو اقتصرنا عليه وحجاجا لو اكتفينا به وينضم الى ذلك من معجزاته القاهرة وبراهينه الواضحة ما

يرد كل جاحد ويصد كل معاند من أنواع متغايرة وأخبار متواترة و آثار متظاهرة يصدق بعضها بعضا ليكون تغايرها جامعا لكل برهان و تظاهرها رافعا لكل بهتان فمنها ما تقدمه من نذير وبشير ومنها ما تعقبه من تغيير وتأثير ومنها ما قاربه من أقوال وأفعال صدرت منه واليه فلم يبق من الآيات ما أخل به ولا من الاعلام ما قصر فيه انتهى (فصل) وقال الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالى الشافعى رحمه الله تعالى فى الاحياء اعلم ان من شاهد أحواله صلى الله عليه وسلم وأصغى الى سماع أخباره المشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لاصناف الخلق وهدايته الى ضبطهم وتألفه أصناف الخلق وقوده اياهم الى طاعته مع ما يحكى من عجائب أجوبته فى مضايق الاسئلة وبدائع تدبيراته فى مصالح الخلق ومحاسن اشاراته فى تفصيل ظاهر الشرع الذى يعجز الفقهاء والعقلاء عن ادراك اوائل دقائقها فى طول أعمارهم لم يبق له ريب ولا شك في ان ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك الا باستمداد من تأييد سماوي وقوة الهية وأن ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت شمائله صلى الله عليه وسلم شواهد قاطعة بصدقه حتى أن العربى القح كان يراه فيقول والله ما هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله فكيف من شاهد أخلاقه ومارس أحواله صلى الله عليه وسلم فى جميع مصادره وموارده وانما اوردنا بعض اخلاقه لتعرف محاسن الاخلاق ولينتبه لصدقه عليه الصلاة والسلام وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله اذ آتاه الله جميع ذلك وهو صلى الله عليه وسلم رجل أمى لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب علم ولم يزل يعنى قبل النبوة بين أظهر الجهال

من الاعراب يتيما ضعيفا مستضعفا فمن أين حصل له صلى الله عليه وسلم محاسن الاخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلا فقط دون غيره من العلوم فضلا عن معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحي ومن أين لقوة البشر الاستقلال بذلك فلو لم يكن له صلى الله عليه وسلم الا هذه الامور الظاهرة لكان فيه كفاية وقد ظهر من آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم ما لا يستريب فيه محصل ثم سرد الغزالى رضى الله عنه جملة من معجزاته صلى الله عليه وسلم وقال فى آخرها فاعظم بغباوة من ينظر فى أحواله ثم فى أقواله ثم فى أفعاله ثم في أخلاقه ثم فى معجزاته ثم فى استمرار شرعه الى الآن ثم فى انتشاره في أقطار العالم ثم فى اذعان الملوك له فى عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه صلى الله عليه وسلم ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه وما أعظم توفيق من آمن به وصدقه واتبعه في كل ما ورد وصدر فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به فى الاخلاق والافعال والاحوال والاقوال بمنه وسعة جوده اه * (فصل) وقال الامام أبو محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى فى أماكن متفرقة من كتابه الملل والنحل جمعتها هنا يقال لليهود بأى شيء علمتم صحة نبوة موسى عليه السلام ووجوب طاعته فلا سبيل الى ان يأتوا بشيء غير معجزاته فيقال لهم اذا وجب تصديق موسى لما ظهر من معجزاته فلا فرق بينه وبين من أتى بمعجزات غيرها و بضرورة العقل يعلم كل ذى حس ان ما أوجبه لنوع فانه واجب لاجزائه كلها فاذا كانت المعجزات موجبة لتصديق من ظهرت عليه فوجوب تصديق موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام واجب وجوبا مستويا ولا فرق بينهم بالضرورة ويقال لهم ما الفرق عندكم فى

تصديقكم بعض من ظهرت عليه المعجزات وتكذيبكم بعضهم ولا سبيل الى ان يأتوا على ذلك بفرق فان الايمان بالاله الباعث لموسى هو الايمان بالاله الباعث لمحمد وعيسى صلى الله عليهم وسلم وان طريق ذلك طريق واحدة لا فرق فيها فليس ههنا الا صحة ما أتوا به من المعجزات فيقال لهم فان النقل الى محمد صلى الله عليه وسلم في معجزاته أقرب عهدا وأظهر صحة واكثر عددا من جهة الناقلين وأدخل فى الضرورة ولا فرق ولا مخاص لهم من هذا أصلا لانه نقل ونقل الا أن نقلنا أفشى وأظهر وأقوى انتشارا فان ادعوا ان عيسى ومحمدا صلى الله عليهما وسلم لم يأتيا بالمعجزات بان كذبهم ومكابرتهم اذ نقلت الالوف الثقات عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سقى العسكر فى تبوك وهم الوف كثيرة من قدح صغير نبع فيه الماء من بين اصابعه عليه الصلاة والسلام وفعل ايضا مثل ذلك بالحديبية وأنه صلى الله عليه وسلم اطعم في منزل ابى طلحة اهل الخندق حتى شبعوا وفى منزل جابر أيضاً ورمى هوازن فى جيش بقبضة تراب بيده فعمت عيون جميعهم وفيها أنزل الله تعالى (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ) وشق القمر اذ سأله قومه آية فأنزل الله تعالى فى ذلك (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ) وكذلك حنين الجذع الذى سمعه كل من حضره من الصحابة رضوان الله عليهم ومن أبهر ذلك وأعظم قوله لليهود الذين كانوا معه وفى وقته وهم زيادة على ألف بلا شك ولعلهم كانوا ألوفاً وهم بنو قريظة وبنو النضير وبنو اهدل وبنو قينقاع ان يتمنوا الموت ان كانوا صادقين فى تكذيبهم نبوته واعلمهم أنهم لا يستطيعون ذلك أصلا فعجزوا عن تمنى الموت وحيل بينهم وبين النطق بذلك وهذه قصة منصوصة في سورة الجمعة وقد كان أسهل الامور عليهم ان يكذبوا بأن يتمنوا الموت لو

استطاعوا وهم يسمعونه يقول (فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) قال وهذا أمر لا يدفعه الا وقاح جاهل مكابر للعيان لان القرون والاعصار نقلت هذه الآيات جيلا جيلا يخاطبون بها فكل أذعن وأقر ولم يمكن أحدا دفعه ودعا عليه الصلاة والسلام من حين مبعثه العرب كلهم على فصاحة ألسنتهم وكثرة استعمالهم لانواع البلاغة من الاطالة والايجاز والتصرف فى أفانين البلاغة والالفاظ المركبة على وجوه المعانى على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ثم ردهم الى سورة فعجزوا كلهم عن ذلك على سعة بلادهم طولا وعرضا وانه صلى الله عليه وسلم أقام بين أظهرهم ثلاثة وعشرين عاماً يستسهلون قتاله والتعرض لسفك دمائهم واسترقاق ذراريهم وقد أضربوا عما دعاهم اليه من المعارضة للقرآن جملة وهذا لا يخفى على من له أقل فهم انما حملهم على ذلك العجز عما كلفهم من ذلك وارتفاع قوتهم عنه وانه قد حيل بينهم وبين ذلك ثم عم الدنيا من البلغاء الذين يتخللون فى بألسنتهم تخلل البعير ويطيلون فى المعنى التافه إظهارا لاقتدارهم على الكلام جماعات لا بصائر لهم فى دين الاسلام منذ اربعمائة عام وعشرين عاماً (وهو عصر ابن حزم والى الآن ١٣٢٢ عاماً فى زمن جامع هذا الكتاب الفقير يوسف النبهانى عفى الله عنه والحال على ما هو عليه من عجز الخلق كافة عن معارضة أقصر سورة من القرآن) فما منهم أحد يتكلف معارضته الا افتضح وسقط وصار مهزأة ومعيرة يتماجن به وبما أتى به منهم مسيلمة الكذاب لما رام ذلك لم ينطق لسانه الا بما يضحك الثكلى وهذا مشاهد وهى آية باقية الى اليوم والى انقضاء الدنيا وسائر آيات الانبياء قد فنيت

بفنائهم فلم يبق منها الا الخبر عنها فقط مع ما فى التوراة من الانذار البين برسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى فيها سأقيم لبنى اسرائيلى نبيا من اخوتهم اجعل على لسانه كلامى فمن عصاه انتقمت منه ولم تكن هذه الصفة لغير محمد صلى الله عليه وسلم واخوة بنى اسرائيل هم بنو اسماعيل ومن قوله في السفر الخامس منه جاء الله من سينا وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران وسينا هو موضع مبعث موسى عليه السلام بلا شك وساعير هو موضع مبعث عيسى عليه السلام وفاران بلا شك هي مكة موضع محمد صلى الله عليه وسلم بيان ذلك ان ابراهيم عليه السلام أسكن اسماعيل فاران ولا خلاف بين أحد فى انه انما أسكنه مكة فهذا نص على مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والرؤيا التى فسرها دانيال فى أمر الحجر الذى رآه الملك بختنصر فى نومه الذى دق الصنم الذى كان بعضه ذهبا و بعضه فضة و بعضه نحاسا و بعضه حديدا و بعضه فخارا وخلطه كله وجعله شيئا واحدا ثم ربا الحجر حتى ملأ الارض ففسره دانيال انه نبى يجمع الاجناس و يبلغ ملكه الآفاق فهل كان نبى قط غير محمد صلى الله عليه وسلم جمع الاجناس كلها على اختلافها واختلاف لغاتها وأديانها وممالكها وبلادها فجعلها جنسا واحدا ولغة واحدة وأمة واحدة ومملكة واحدة ودينا واحدا فان العرب والفرس والنبط والاكراد والترك والديلم والمغل والبربر والقبط ومن أسلم من الروم والهند والسودان على كثرتهم كلهم ينطقون فى دينهم بلغة واحدة وبها يقرؤن القرآن وقد صاروا كلهم أمة واحدة فصحت النبوة المذكورة وصدق الخبر على النبى صلى الله عليه وسلم بلا اشكال وكل مافى هذا الباب تقوم به الحجة على النصارى أيضا مع ما فى الانجيل

من دعاء المسيح عليه السلام فى قوله اللهم ابعث البارقليط ليعلم الناس ان ابن البشر انسان وهذا غاية البيان لمن عقل لان المسيح عليه السلام علم انه ستغلو قومه فيه فيقولون انه الله وانه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فدعا المسيح الله فى أن يبعث البارقليط ليبين للناس انه ليس الها ولا ابن الله وانما هو انسان ولد من امرأة من البشر فهل أتى بعده عليه السلام نبى يبين هذا الامر الا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا لايخفى بيانه على ذى فهم سليم وانصاف والحمد لله رب العالمين (وقال ابن حزم أيضا فى موضع آخر من كتابه المذكور) وأما محمد صلى الله عليه وسلم فلا يختلف أحد فى مشرق الارض وغربها انه عليه السلام أتى الى قوم لقاح لايقرون بملك ولا يطيعون لاحد ولا ينقادون لرئيس نشأ على هذا آباؤهم واجدادهم وأسلافهم منذ ألوف من الاعوام قد سرى الفخر والعز والنخوة والكبر والظلم والانفة في طباعهم وهم أعداد عظيمة قد ملؤا جزيرة العرب وهي نحو شهرين فى شهرين قد صارت طباعهم طباع السباع وهم ألوف الالوف قبائل وعشائر يتعصب بعضهم لبعض أبدا فدعاهم بلا مال ولا اتباع بل خذله قومه فأبوا الي أن يخطوا من ذلك العز الى غرم الزكاة ومن الحرية والظلم الى جري الاحكام عليهم ومن طول الايدى بقتل من أحبوا وأخذ مال من أحبوا الى القصاص من النفس وقطع الاعضاء ومن اللطمة من أجل من فيهم لاقل علج غريب دخل فيهم والى اسقاط الانفة والفخر الى ضرب الظهور بالسياط وبالنعال ان شربوا خمرا أو قذفوا انسانا والى الضرب بالسوط والرجم بالحجارة الى أن يموتوا ان زنوا فانقاد أكثرهم لكل ذلك طوعا بلا طمع ولا غلبة ولا خوف مامنهم أحد أخذ بغلبة الا مكة وخيبر فقط وما غزا قط

غزوة يقاتل فيها الا تسع غزوات بعضها عليه و بعضها له فصح ضرورة
انهم انما آمنوا به طوعا وكرها وتبدلت طبائعهم بقدرة الله تعالى من
الظلم الى العدل ومن الجهل الى العلم ومن الفسق والقسوة الى العدل
العظيم الذى لم يبلغه أكابر الفلاسفة وأسقطوا كلهم اولهم عن آخرهم
طلب الثار وصحب الرجل منهم قاتل ابنه وأبيه واعدى الناس له صحبة
الاخوة المتحابين دون خوف يجمعهم ولا رياسة ينفردون بها دون
من اسلم من غيرهم ولا مال يتعجلونه فقد علم الناس كيف كانت سيرة
أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وكيف كانت طاعة العرب لهما بلا رزق
ولا عطاء ولا غلبة فهل هذا الا بغلبة من الله تعالى على نفوسهم وقسره
عز وجل لطباعهم كما قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا
أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ ثم بقى عليه السلام كذلك
بين أظهرهم بلا حارس ولا ديوان جند ولا بيت مال محروسا معصوما
وهكذا نقلت آياته ومعجزاته فايما يصح من أعلام الانبياء فاعظم منه ما
نقل عنه عليه السلام بصحة الطريق اليه وارتفاع دواعى الكذب
والعصبية جملة عن اتباعه فيه فجمهورهم غرباء من غير قومه لم يغنهم
بدنيا ولا وعدهم بملك وهذا لاينكره احد من الناس وأيضا فان سيرة
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لمن تدبرها تقتضى تصديقه ضرورة وتشهد
له بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا فلو لم تكن له معجزة غير
سيرته صلى الله عليه وسلم لكفى وذلك انه عليه السلام نشأ كما قلنا فى
بلاد الجهل لا يقرأ ولا يكتب ولا خرج عن تلك البلاد قط
الا خرجتين احداهما الى الشام وهو صبي مع عمه الى أول أرض
الشام ورجع والاخرى أيضا الى أول الشام ولم يطل بها البقاء ولا

فارق قومه قط ثم أوطأه الله تعالى رقاب العرب كلها فلم تتغير نفسه
ولا حالت سيرته الى أن مات ودرعه مرهونة فى شعير لقوت أهله
اصواع ليست بالكثيرة ولم يبت قط في ملكه دينار ولا درهم وكان
يأكل على الارض ما وجد ويخصف نعله بيده ويرقع ثوبه ويؤثر
على نفسه وقتل رجل من أفاضل أصحابه بين أظهر أعدائه
من اليهود فلم يتسبب الى أذى أعدائه بذلك اذ لم يوجب الله تعالى له ذلك
ولا توصل بذلك الى دمائهم ولا الى ذم واحد منهم ولا الى أموالهم بل
فداه من عند نفسه بمائة ناقة وهو فى تلك الحال محتاج الى بعير واحد
يتقوى به وهذا أمر لاتسمح به نفس ملك من ملوك الارض وأهل
الدنيا من أصحاب بيوت الاموال بوجه من الوجوه ولا يقتضى هذا
أيضا ظاهر السيرة والسياسة فصح يقينا بلا شك انه انما كان متبعا ما أمر
به ربه عز وجل كان ذلك مضرا به فى دنياه غاية الاضرار أو كان غير
مضر به وهذا عجيب لمن تدبره ثم حضرته المنية وأيقن بالموت وله عم
اخو أبيه هو أحب الناس اليه وابن عم هو من أخص الناس به وهو
أيضا زوج ابنته التى لاولد له غيرها وله منها ابنان ذكران وكلا الرجلين
المذكورين عمه وابن عمه عنده من الفضل والدين والسياسة فى الدنيا
والبأس والحلم وخلال الخير ما كان كل واحد منهما حقيقا بسياسة العالم
كله فلم يحابهما وهما من أشد الناس غناء عنه ومحبة فيه وهو من أحب
الناس فيهما اذ كان غيرهما متقدما لهما فى الفضل وان كان بعيد النسب
فيه بل فوض الامر اليه قاصدا الى الحق واتباع ما أمر به ولم يورث ورثته
ابنته ونساءه وعمه فلسا فما فوقه وهم كلهم أحب الناس اليه وأطوعهم
له وهذه أمور لمن تأملها كافية مغنية فى انه انما تصرف بأمر الله تعالى

له لا بسياسة ولا بهوى فوضح بما ذكرنا ولله الحمد كثيرا ان نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حق وان شريعته التى أتى بها هي التى وضحت براهينها واضطرت دلائلها الى تصديقها والقطع على أنها الحق الذى لاحق سواه وانها دين الله تعالى الذى لادين له فى العالم غيره والحمد لله رب العالمين (وقال ابن حزم أيضا) رحمه الله تعالى في موضع آخر من كتابه المذكور وكانت العرب بلا خلاف قوما لقاحا لايملكهم أحد كمضر وربيعة واياد وقضاعة أو ملوكا فى بلادهم يتوارثون الملك كابرا عن كابر كملوك اليمن وعمان وشهر بن بهرام ملك صنعاء والمنذر بن ساوى ملك البحرين والنجاشى ملك الحبشة وجيفر وعياذ ابنى الجلندى ملكي عمان فانقادوا كلهم لظهور الحق وبهوره وآمنوا به صلى الله عليه وسلم طوعا وهم آلاف الآلاف وصاروا اخوة كبنى أب وأم وانحل كل من أمكنه الانحلال عن ملكه منهم الى رسله صلى الله عليه وسلم طوعا بلا خوف غزو ولا اعطاء مال ولا بطمع فى عز بل كلهم أقوى جيشا من جيشه وأكثر مالا وسلاحا منه وأوسع بلدا من بلده كذى الكلاع وكان ملكا متوجا ابن ملوك متوجين تسجد له جميع رعيته يركب امامه ألف عبد من عبيده سوى بنى عمه من حمير وذى ظليم وذى ذود وذي مران وذى عمرو كلهم ملوك متوجون فى بلادهم هذا كله أمر لايجهله أحد من حملة الاخبار بل هو منقول كنقل كون بلادهم في مواضعها وهكذا كان اسلام جميع العرب أولهم كالاوس والخزرج ثم سائرهم قبيلة قبيلة لما ثبت عندهم من آياته وبهرهم من معجزاته وما اتبعه الاوس والخزرج الا وهو فريد طريد قد نابذه قومه حسدا له اذ كان فقيرا لامال له يتيما لاأب له ولا أخ ولا ابن أخ ولا ولد أميا لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل

يرعى غنم قومه باجرة يتقوت بها فعلمه الله تعالى الحكمة دون معلم وعصمه من كل من أراده بلا حرس ولا حاجب ولا بواب ولا قصر يمنع فيه على كثرة من أراد قتله من شجعان العرب وفتاكهم كعامر بن الطفيل واربد وغورث بن الحارث وغيرهم مع اقرار أعدائه بنبوته كمسيلمة وسجاح وطليحة والاسود وهو مكذب لهم فهل بعد هذا برهان أو بعد هذه الكفاية من الله تعالى كفاية وهو لا يبغي دنيا ولا يعنى بها من اتبعه بل انذر الانصار بالأثرة عليهم بعده وتابعوه على الصبر على ذلك وقام له أصحابه على قدم فمنعهم وأنكر ذلك عليهم وأعلمهم ان القيام لله تعالى لا لخلقه ورضوا بالسجود له فاستعظم ذلك وأنكره الا لله وحده ولا شك فى ان هذه ليست صفة طالب دنيا قط أصلا ولا صفة راغب في غلبة ولا بعد صيت بل هذه حقيقة النبوة الخالصة لمن كان له أدنى فهم فهذا هو الحق لا ماتدعيه النصارى من الكذب البحت فى أن الملوك دخلوا دينهم طوعا وقد كذبوا في ذلك لان أول ملك تنصر قسطنطين بانى القسطنطينية بعد نحو ثلاثمائة عام من رفع المسيح عليه السلام فاى معجزة صحت عنده بعد هذه المدة وانما نصرته أمه لانها كانت نصرانية بنت نصرانى تعشقها أبوه فتزوجها هذا امر لاتناكر بين النصارى فيه والنشأة لاخفاء بما تؤثره فى الانسان وأما من اتبع النبى صلى الله عليه وسلم فانهم اتبعوه اذ بلغهم خبره فى حياته عليه الصلاة والسلام للآيات التي كانت له بحضرة جميع أصحابه كاعجاز القرآن وانشقاق القمر ودعاء اليهود الى تمنى الموت واخبارهم بعجزهم عن ذلك وانهم لايتمنونه أصلا والانذار بالغيوب ونبعان عين تبوك فهى كذلك الى اليوم ونبعان الماء من بين أصابعه بحضرة العسكر واطعامه النفر الكثير من طعام يسير مرارا جمة بحضرة

الجوع واخباره باكل الارضة كل ما فى الصحيفة المكتوبة على بنى
هاشم وبنى المطلب حاشا أسماء الله تعالى فقط وتعيينه مصارع أهل بدر
بحضرة الجيش موضعا موضعا وبالنور الواقع فى سوط الطفيل بن عمرو
الدوسى وحنين الجذع بحضرة جميعهم ودفع أربد عنه وقضاء غرماء جابر
من تمر يسير مشى بجنبه وتزويد عمر أربعمائة راكب من تمر يسير ورميه
هوازن بتراب عم عيونهم وخروجه بحضرة مائة من قريش وهم لايرونه
ودخول الغار وهم عليه لايرونه وفتح الباب فى حجر صلد فى جنب الغار
لم يكن فيه قط ولو كان هنالك يومئذ لما أمكنه الاختفاء فيه لانه ليس
بين البابين الا أقل من ثمانية اذرع وهو ظاهر الى اليوم وكل حين
يزوره أهل الارض من المسلمين ولو رام فتح الباب الثانى في ذلك الحجر
أهل الارض ماقدروا على ازاحته سالما عن مكانه ولو كان ذلك الباب
هنالك يومئذ لرآه الطالبون له بلا مؤنة لانهم لم يكونوا الا جموع
قريش لعلهم مئون كثيرة وآثار رأسه المقدس فى ذلك الحجر وآثار
كتفيه ومعصمه وظاهر يده باق الى اليوم فعل الله تعالى منقول نقل
الكافة جيل عن جيل ورمى الجمار التى ترمى مما لايحصيه الا الله تعالى
كل عام ثم لايزيد حجمه في ذلك الموضع ورمى الله تعالى جيش أبرهة
صاحب الفيل اذ غزا مكة عام مولده صلى الله عليه وسلم بالحجارة المنكرة بايدى
طير منكرة ونزلت في ذلك سورة من القرآن متلوة الى اليوم وكان
ذلك ببركته عليه الصلاة والسلام وانذاراته وشكوى البعير اليه وابراء
عينى على من الرمد بحضرة الجماعات فى ساعة وسوخ قوائم فرس سراقة
اذ يتبعه ودرور الشاة التى لالبن لها مرارا وتسبيح الطعام وكلام الذئب
ومجيئه وقوله للحكم اذ حكا مشيته كن كذلك فلم يزل يرتعش الى أن مات

ودعائه للمطر فاتى للوقت وفى الصحو فانجلى للوقت وظهور جبريل
عليه السلام مرتين مرة فى صورة دحية ثم أتى دحية بحضرة الناس
وأخرى في صورة رجل لم يعرفه أحد ولا رؤى بعدها وقوله اذ خطب
بنت الحارث بن عوف بن ابى حارثة المزنى فقال له أبوها ان بها بياضاً
فقال لتكن كذلك فبرصت فى الوقت وهى أم شبيب بن البرصاء الشاعر
المشهور وغير هذا كثير جداً انتهى كلام ابن حزم رحمه الله تعالى
(فصل) وقال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله تعالى فى تفسير
قوله تعالى (قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ
النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) اعلم ان
الطريقة الى معرفة نبوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ظهور المعجز عليهم
ولما ظهر المعجز على يدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجب الاعتراف
بنبوته والايمان برسالته فان تخصيص البعض بالقبول والبعض بالرد يوجب
المناقضة في الدليل وانه ممتنع عقلا فان قيل كيف يجوز الايمان بابراهيم
وموسى وعيسى مع القول بان شرائعهم منسوخة قلنا نحن نؤمن بان كل
واحد من تلك الشرائع كان حقا فى زمانه فلا يلزم منا المناقضة أما
اليهود والنصارى لما اعترفوا بنبوة بعض من ظهر المعجز عليه وانكروا
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مع قيام المعجز على يده فحينئذ يلزمهم
المناقضة فظهر الفرق ثم قال وأما قوله تعالى (لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ)
ففيه وجهان (الاول) انا لانؤمن ببعض ونكفر ببعض فانا لو فعلنا
ذلك كانت المناقضة لازمة علي الدليل وذلك غير جائز (الوجه الثانى)
لانفرق بين أحد منهم أى لانقول انهم متفرقون فى أصول الديانات

بل هم مجتمعون على الاصول التى هي الاسلام كما قال تعالى ﴿شَرَعَ لَكُم مِنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ اما قوله ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ فالمعنى ان اسلامنا لاجل طاعة الله لا لاجل الهوى واذا كان كذلك فهو يقتضى انه متى ظهر المعجز وجب الايمان به فاما تخصيص بعض أصحاب المعجزات بالقبول والبعض بالرد فذلك يدل على ان المقصود من ذلك الايمان ليس طاعة الله تعالى والانقياد له بل اتباع الهوى والميل ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَآ آمَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ قال الفخر أيضا اعلم انه تعالى لما بين الطريق الواضح فى الدين وهو أن يعترف الانسان بنبوة من قامت الادلة على نبوته وان يحترز فى ذلك عن المناقضة رغبهم فى مثل هذا الايمان فقال فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق أى ان تركوا مثل هذا الايمان فقد التزموا المناقضة والعاقل لا يلتزم المناقضة البتة فحيث التزموها علمنا انه ليس غرضهم طلب الدين والانقياد للحق وانما غرضهم المنازعة واظهار العداوة والشقاق الخلاف وقال الحسن العداوة قال القاضى ولا يكاد يقال فى المعاداة على وجه الحق أو المخالفة التى لا تكون معصية انها شقاق وانما يقال ذلك للمخالفة عظيمة توقع صاحبها فى عداوة الله تعالى وغضبه ولعنه وفى استحقاق النار فصار هذا القول وعيداً منه تعالى لهم وصار وصفهم بذلك دليلا على ان القوم للرسول مضمرون له السوء مترصدون لا يقاعه فى المحن فعند هذا آمنه الله تعالى من كيدهم وآمن المؤمنين من شرهم ومكرهم فقال فسيكفيكهم الله تقوية لقلبه وقلب المؤمنين لانه تعالى اذا تكفل بالكفاية فى أمر حصلت الثقة به قال المتكلمون هذا اخبار عن الغيب فيكون معجزاً

دالاً على صدقه صلى الله عليه وسلم وانما قلنا انه اخبار عن الغيب وذلك لانا وجدنا مخبر هذا القول على ما أخبر به بأنه تعالى كفاه صلى الله عليه وسلم شر اليهود والنصارى ونصره عليهم حتى غلبهم المسلمون وأخذوا ديارهم وأموالهم فصاروا أذلاء في أيديهم يؤدون اليهم الخراج والجزية ولا يقدرون البتة على التخلص من أيديهم وانما قلنا انه معجز لان المتخرص لا يصيب فى مثل ذلك على التفصيل انتهى ﴿ فصل ﴾ وقال أبو العباس أحمد بن تيمية الحنبلى رحمه الله تعالى في كتابه الجواب الصحيح في الرد على من بدل دين المسيح وهو أربعة مجلدات وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من آياته واخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته من آياته وأمته من آياته وعلم أمته ودينهم من آياته وكرامة صالحى أمته من آياته وذلك أى صدقه بدعوى النبوة يظهر بتدبر سيرته من حين ولد الى أن بعث ومن حين بعث الى أن مات وتدبر نسبه وبلده وأصله وفضله فانه صلى الله عليه وسلم كان من أشرف أهل الارض نسبا من سلالة ابراهيم الذى جعل الله في ذريته النبوة والكتاب فلم يأت نبى من بعد ابراهيم الا من ذريته وجعل له ابنين اسماعيل واسحاق وذكر فى التوراة هذا وهذا وبشر فى التوراة بما يكون من ولد اسماعيل ولم يكن فى ولد اسماعيل من ظهر فيما بشرت به التوراة غيره صلى الله عليه وسلم ودعا ابراهيم لذرية اسماعيل بان يبعث فيهم رسولا منهم ثم من قريش صفوة بنى ابراهيم ثم من بنى هاشم صفوة قريش ومن مكة أم القرى وبلد البيت الذى بناه ابراهيم ودعا الناس الى حجه ولم يزل محجوجاً من عهد ابراهيم مذكورا فى كتب الانبياء باحسن وصف وكان صلى الله عليه وسلم من أكمل الناس تربية ونشأة لم يزل معروفا بالصدق والبر والعدل

ومكارم الاخلاق وترك الفواحش والظلم وكل وصف مذموم مشهودا
له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة و بعدها لا يعرف له شئ يعاب
لا في أقواله ولا في أفعاله ولا فى أخلاقه ولا جرب عليه كذبة قط ولا
ظلم ولا فاحشة وكان خلقه وصورته من أكمل الصور وأتمها وأجمعها
للمحاسن الدالة على كماله وكان أميا من قوم أميين لا يعرف لا هو ولا
هم ما يعرفه أهل الكتاب التوراة والانجيل ولم يقرأ شيئا من علوم
الناس ولا جالس أهلها ولم يدع نبوة الى أن كمل الله له أربعين سنة فأتى
بأمر هو أعجب الامور وأعظمها وبكلام لم يسمع الاولون والآخرون
بنظيره واخبر بأمر لم يكن فى بلده وقومه من يعرف مثله ولم يعرف
قبله ولا بعده لا في مصر من الامصار ولا فى عصر من الاعصار من أتي
بمثل ماأتى به ولا من ظهر كظهوره ولا من أتى من العجائب والآيات بمثل
ماأتى به ولا من دعا الى شريعة أكمل من شريعته ولا من ظهر دينه على
الاديان كلها بالعلم والحجة و باليد والقوة كظهوره ثم انه اتبعه اتباع الانبياء
وهم ضعفاء الناس وكذبه أهل الرياسة وعادوه وسعوا فى هلاكه وهلاك
من اتبعه بكل طريق كما كان الكفار يفعلون بالانبياء واتباعهم والذين
اتبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرهبة فانه لم يكن عنده مال يعطيهم ولا جهات
يوليهم اياها ولا كان له سيف بل كان السيف والمال والجاه مع أعدائه
وقد آذوا اتباعه بانواع الاذى وهم صابرون محتسبون لا يرتدون عن
دينهم لما خالط قلوبهم من حلاوة الايمان والمعرفة وكانت مكة يحجها
العرب من عهد ابراهيم فتجتمع فى الموسم قبائل العرب فيخرج اليهم
يبلغهم الرسالة ويدعوهم الى الله صابرا على مايلقاه من تكذيب المكذب
وجفاء الجافى واعراض المعرض الى أن اجتمع باهل يثرب وكانوا جيران

اليهود قد سمعوا أخباره منهم وعرفوه فلما دعاهم علموا انه النبي المنتظر
الذى تخبرهم به اليهود وكانوا قد سمعوا من أخباره ما عرفوا به مكانته
فان أمره كان قد انتشر وظهر فى بضع عشرة سنة فآمنوا به وبايعوه
على هجرته وهجرة أصحابه الى بلدهم وعلى الجهاد معه فهاجر هو ومن
اتبعه الى المدينة وأصحابه المهاجرون والانصار ليس فيهم من آمن برغبة
دنيوية ولا برهبة الا قليلا من الانصار اسلموا في الظاهر ثم حسن اسلام
بعضهم ثم اذن له بالجهاد ثم أمر به ولم يزل قائما بامر الله على أكمل طريقة
وأتمها من الصدق والعدل والوفاء لا يحفظ له كذبة واحدة ولا ظلم لاحد
ولا غدر باحد بل كان أصدق الناس وأعدلهم وأوفاهم بالعهد مع اختلاف
الاحوال عليه من حرب وسلم وأمن وخوف وغنى وفقر وقلة وكثرة
وظهوره على العدو تارة وظهور العدو عليه تارة وهو على ذلك كله لازم
لاكمل الطرق وأتمها حتى ظهرت الدعوة فى جميع أرض العرب التي كانت
مملوأة من عبادة الاوثان ومن أخبار الكهان وطاعة المخلوق والكفر
بالخالق وسفك الدماء المحرمة وقطيعة الارحام لا يعرفون آخرة ولا
معادا فصاروا اعلم اهل الارض وأدينهم وأعدلهم وأفضلهم حتى ان النصارى
لما رأوهم قدموا الشام قالوا ماكان الذين صحبوا المسيح بأفضل من
هؤلاء وهذه آثار علمهم وعملهم فى الارض وآثار غيرهم يعرف العقلاء
فرق ما بين الامرين وهو صلى الله عليه وسلم مع ظهور أمره وطاعة الخلق
له وتقديمهم له على الانفس والاموال مات ولم يخلف درهما ولا دينارا
ولا شاة ولا بعيرا الا بغلته وسلاحه ودرعه مرهونة عند يهودى على
ثلاثين صاعا من شعير ابتاعها لاهله وكان بيده عقار ينفق منه على أهله
والباقى يصرفه في مصالح المسلمين فحكم بانه لايورث ولا يأخذ ورثته

شيئا من ذلك وهو فى كل وقت يظهر على يديه من عجائب الآيات وفنون الكرامات ما يطول وصفه ويخبرهم بخبر ما كان وما يكون ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويشرع الشريعة شيئا بعد شئ حتى أكمل الله دينه الذى بعث به وجاءت شريعته أكمل شريعة لم يبق معروف تعرف العقول انه معروف الا أمر به ولا منكر تعرف العقول انه منكر الا نهى عنه لم يأمر بشئ فقيل ليته لم يأمر به ولا نهى عن شئ فقيل ليته لم ينه عنه وأحل الطيبات لم يحرم شيئا منها كما حرم في شرع غيره وحرم الخبائث لم يحل منها شيئا كما استحله غيره وجمع محاسن ما عليه الامم فلا يذكر فى التوراة والانجيل والزبور نوع من الخبر عن الله وعن الملائكة وعن اليوم الآخر الا وقد جاء به على أكمل وجه وأخبر باشياء ليست في هذه الكتب فليس في تلك الكتب ايجاب لعدل وقضاء بفعل وندب الى الفضائل وترغيب فى الحسنات الا وقد جاء به وبما هو أحسن منه واذا نظر اللبيب في العبادات التي شرعها وعبادات غيره من الامم ظهر فضلها ورجحانها وكذلك فى الحدود والاحكام وسائر الشرائع وأمته اكرم الامم فى كل فضيلة فاذا قيس علمهم بعلم سائر الامم ظهر فضل علمهم وان قيس دينهم وعباداتهم وطاعتهم لله بغيرهم ظهر انهم أدين من غيرهم واذا قيس شجاعتهم وجهادهم فى سبيل الله وصبرهم على المكاره فى ذات الله ظهر انهم أعظم جهادا وأشجع قلوبا واذا قيس سخاؤهم وبذلهم وسماحة أنفسهم بغيرهم تبين انهم أسخى وأكرم من غيرهم وهذه الفضائل به نالوها ومنه تعلموها وهو الذى أمرهم بها لم يكونوا قبله متبعين لكتاب جاء هو بتكميله كما جاء المسيح بتكميل شريعة

التوراة فكانت فضائل اتباع المسيح وعلومهم بعضها من التوراة وبعضها من الزبور وبعضها من النبوات وبعضها من المسيح وبعضها ممن بعده كالحواريين ومن بعد الحواريين وقد استعانوا بكلام الفلاسفة وغيرهم حتى أدخلوا فى دين المسيح أمورا ليست منه وأما أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يكونوا قبله يقرؤن كتابا بل عامتهم ما آمنوا بموسى وعيسى وداود والتوراة والانجيل والزبور الا من جهته فهو الذي أمرهم أن يؤمنوا بجميع الانبياء ويقروا بجميع الكتب المنزلة من عند الله ونهاهم أن يفرقوا بين أحد من الرسل وأمته لا يستحلون أن يأخذوا شيئا من الدين من غير ماجاء به ولا يبتدعوا بدعة ماأنزل الله بها من سلطان ولا يشرعوا من الدين مالم يأذن به الله لكن ماقصه عليهم من أخبار الانبياء وأممهم اعتبروا به وماحدثهم به أهله موافقا لما عندهم صدقوه ومالم يعلموا صدقه ولا كذبه أمسكوا عنه وما عرفوا انه باطل كذبوه ومن أدخل فى الدين ماليس منه من أقوال متفلسفة الهند والفرس واليونان أو غيرهم كان عندهم من أهل الالحاد والابتداع وهذا هوالدين الذى كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وهو الذي عليه أئمة الدين الذين لهم فى الامة لسان صدق وعليه جماعة المسلمين وعامتهم ومن خرج عن ذلك كان مذموما مدحورا عند الجماعة وهو مذهب أهل السنة والجماعة وهم الظاهرون الى قيام الساعة الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم لا يزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة وقد تنازع بعض المسلمين مع اتفاقهم على هذا الاصل الذى هو دين الرسل عموماً ودين محمد خصوصاً ومن خالف هذا الاصل كان عندهم ملحدا مذموماً والله

سبحانه وتعالى أرسل رسله بالعلم النافع والعمل الصالح فمن اتبع الرسل حصل له سعادة الدنيا والآخرة وانما دخل فى البدع من قصر في اتباع الانبياء علماً وعملا ولما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق تلقى ذلك عنه المسلمون أمته فكل علم نافع وعمل صالح عليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم أخذوه عن نبيهم مع مايظهر لكل عاقل ان أمته صلى الله عليه وسلم أكمل الامم فى جميع الفضائل العلمية والعملية ومعلوم ان كل كمال فى الفرع المتعلم فهو من الاصل المعلم وهذا يقتضى انه صلى الله عليه وسلم كان أكمل الناس علماً ودينا وهذه الامور توجب العلم الضرورى بانه كان صادقا في قوله انى رسول الله اليكم جميعا *وقال الامام ابن تيمية أيضا فى كتابه المذكور ودلائل النبوة يعنى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أنواع كثيرة لكن الآيات نوعان منها ما مضى وصار معلوما بالخبر كمعجزات موسى وعيسى ومنها ما هو باق الى اليوم كالقرآن الذى هو من أعلام نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكالعلم والايمان للذين فى اتباعه فانهما من أعلام نبوته وكشريعته التى اتى بها فانها من أعلام نبوته وكالآيات التي يظهرها الله وقتا بعد وقت من كرامات الصالحين من أمته ووقوع ما أخبر بوقوعه كقوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تخرج نار بأرض الحجاز تضىء لها اعناق الابل ببصرى وقد خرجت هذه النار سنة خمس وخمسين وستمائة وشاهد الناس اعناق الابل فى ضوء النهار ببصرى وظهور دينه وملته بالحجة والبرهان واليد واللسان ومثل المثلات والعقوبات التى تحيق بأعدائه ونعته الموجود فى كتب الانبياء قبله وغير ذلك ثم ذكر فى موضع آخر أنواعاً من المعجزات وجملة أحاديث متواترة فى معاني مختلفة قال فى

اخرها فالاحاديث المتواترة فى هذه الانواع اى أنواع المعجزات اكثر من الاحاديث المتواترة فى مثل تلك الامور ولهذا كان شهرتها في هذه الامة وفي أهل العلم بأحواله صلى الله عليه وسلم أعظم من شهرة كثير من تلك الامور والمقصود هنا ان تواتر انواع آياته المستفيضة فى الاحاديث أعظم من تواتر امور كثيرة هى متواترة عند الامة وعند علمائها وعلماء اهل الحديث وهذا غير الآيات والبراهين المستفادة بالقرآن فان تلك قد تجرد لها طوائف من المسلمين ذكروا من أنواعها وصفاتها ما هو مبسوط فى غير هذا الموضع حتي بينوا أن ما فى القرآن من الآيات يزيد على عشرة آلاف وهذا غير ما فى كتب أهل الكتاب من الاخبار به وهذه الاجناس الثلاثة غير ما فى شريعته التى بعث بها وغير صفات أمته وغير ما يدل من المعرفة بسيرته وأخلاقه وصفاته وأحواله وهذا كله غير نصر الله واكرامه لمن آمن به وعقوبته وانتقامه ممن كفر به كما فعل بالانبياء المتقدمين فان تعداد اعيان دلائل النبوة مما لا يمكن بشرا الاحاطة به اذ كان الايمان به واجبا على كل أحد فبين الله لكل قوم بل لكل شخص من الآيات والبراهين ما لا يبين لقوم آخرين كما ان دلائل الربوبية وآياتها أعظم وأكثر من كل دليل على كل مدلول *ثم قال الامام ابن تيمية فى موضع آخر من كتابه المذكور ومحمد صلى الله عليه وسلم جعلت له الآيات البينات قبل مبعثه وحين مبعثه وفي حياته وبعد موته والى قيام الساعة فان ذكره الى الساعة وذكر كتابه والبشارة بذلك موجود في الكتب المتقدمة كما قد بسط فى موضعه ولما ولد صلى الله عليه وسلم اقترن بمولده من الآيات ما هو معروف وجرى ذلك العام قصة أصحاب الفيل المشهورة وكان يحصل له في مدة نشأته من

الآيات والدلائل امور كثيرة قد ذكر طرف منها فى كتب دلائل النبوة والسيرة وغيرها مثل الآيات التى حصلت لمرضعته لما صار عندها ومثل ما شوهد من أحواله فى صغره واما انتصار الله له ولأتباعه واعلاء ذكره ونشر لسان الصدق له واهلاك أعدائه واذلال من يحاده ويشاقه واظهار دينه على كل دين باليد واللسان والدليل والبرهان فهذا مما يطول وصف تفصيله * وذكر الامام ابن تيميه فى كتابه المذكور ايضا بعد ذكر جملة وافرة من اخبار معجزاته صلى الله عليه وسلم طرقاً بين بها ان هذه الاخبار تفيد العلم بوقوع تلك الآيات فقال وهذه الاخبار منها ما هوفى القرآن ومنهاماهو متواتر تعلمه العامة والخاصة كنبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وتكثير الطعام وحنين الجذع ونحو ذلك فان كلا من ذلك تواترت به الاخبار واستفاضت ونقلته الامة جيلا بعد جيل وخلفاً عن سلف فما من طبقة من طبقات الامة الا وهذه الآيات منقولة مشهورة مستفيضة فيها وذلك ان آيات الرسول صلى الله عليه وسلم كان كثيرا منها يكون بمشهد من الخلق العظيم فيشاهدون تلك الآيات كما شاهد أهل الحديبية وهم ألف وخمسمائة نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وظهور الماء الكثير من بئر الحديبية لما نزحوها ولم يتركوا فيها قطرة فكثر حتى روي العسكر وكما شاهد العسكر في غزوة ذات الرقاع الماء اليسير لما صبه جابر في الجفنة وامتلأت وملأ منها جميع العسكر وكما شاهد الجيش فى رجوعهم من غزوة تبوك المزادة مع المرأة وقد ملؤا منها كل وعاء معهم وشربوا وهى ملأى كما هى وكما شاهدوا وهم ألف وخمسمائة الطعام الذى كان كربضة الشاة فاشبع الجيش كلهم وكما شاهد الجيش العظيم وهم نحو ثلاثين ألفا فى غزوة تبوك العين لما كانت

قليلة الماء فكثر ماؤها حتى كفاهم وشاهدوا الطعام الذى جمعوه على نطع فاخذوا منه حتى كفاهم وكما شاهدا أهل الخندق وهم أكثر من ألف كثرة الطعام فى بيت جابر بعد ان كان صاعا من شعير وعناقا فاكلوا كلهم بعد الجوع حتي شبعوا وفضلت فضلة وكما شاهد الثمانون نفسا كثرة الطعام لما أكلوا فى بيت أبي طلحة وكما شاهد الثلاثمائة كثرة الماء لما توضؤا من قدح والماء ينبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم حتى كفاهم وكذلك وليمة زينب كانوا ثلاثمائة فاكلوا من طعام فى تور اى اناء من حجارة وهو أى الطعام باق فظن أنس انه أزيد مما كان وكانوا يتداولون قصعة من غدوة الى الليل يقوم عشرة ويجلس عشرة كما فى حديث سمرة بن جندب وأهل الصفة لما شربوا كلهم من اللبن القليل وكفاهم وفضل وكانوا ينقلون ذلك بينهم وهو مشهور ينقله بعض من شاهده الى من غاب عنه ولهذا لا يكاد يوجد مسلم الا وقد عرف كثيرا من هذه الآيات وسمعها ونقلها الى غيره بخلاف كثير من الاحكام المتواترة عنه صلى الله عليه وسلم المتفق على نقلها عند العلماء فان كثيرا من الناس لا يعرفها ولا سمعها وقد توفرت الهمم والدواعى على نقل آياته صلى الله عليه وسلم أكثر مما توفرت على نقل أكثر آيات الانبياء قبله صلى الله عليه وسلم وأكثر مما توفرت على نقل الاخبار العجيبة من سير الملوك والخلفاء فانه من تدبر نقل هذه الآيات وجد شهرتها فى كل زمان وظهور الاخبار بها أعظم من شهرة ما ينقل من آيات الانبياء وسير الملوك والدول التى جرت العادة بتوفر الهمم والدواعى على نقلها ومثل هذا لا يجب في كونه متواترا ان يتواتر عند كل أحد من الناس فان أكثر ما تواتر عند كل أمة من احوال متقدميها قد لا يسمعه كثير من الامم

من غيرهم فضلا عن تواتره عندهم حتى ان كثيراً من الامم الذين لايعرفون الانبياء قدلايكونون سمعوا باسماء الانبياء ولا باخبارهم فضلا عن تواترها عندهم وأكثر اتباع الانبياء لم يتواتر عندهم من أخبار الملوك وسيرهم ماتواتر عند غيرهم كالوقائع المشهورة التي هي متواترة عند أهل العلم بالسير واخبار الناس والتاريخ وظهور هذه الآيات التي هي دلائل النبوة واعلامها مشهور بين الامة عامتها وخاصتها فى كل زمان أعظم من ظهور تلك الاخبار التاريخية فهى أحق أن تجعل متواترة منها ونقلة هذه الآيات من الخاصة أهل العلم وكتب الحديث والتفسير والمغازى والسير وكتب الاصول والفقه التى توجد فيه هذه الاخبار أصح نقلا باتفق أهل العقل والعلم من كتب التواريخ المرسلة فان تلك كثير من أخبارها منقطع الاسناد وفيها من الاكاذيب مالايحصيه الا الله تعالى وهذه الآيات المشهورة فى الامة كثير من أجناسها متواتر عند العامة وكثير من آحادها متواتر عند الخاصة أهل العلم وما كان من هذه الآيات والمعجزات فى الصحاح بل وكثير مما لم يخرجه البخارى ومسلم فهذه عامتها مما يقطع أهل العلم بالحديث بصحتها ويتيقنون ذلك وهذا عندهم مستفيض متواتر وان كان بعض ذلك قد لايتواتر ويستفيض عند غيرهم فان الاخبار قد تتواتر وتستفيض عند قوم دون قوم بحسب عنايتهم بها وطلبهم لها وعلمهم بمن أخبر بها وصفاتهم ومقاديرهم وما دل من الدلائل على صدقهم وأهل العلم بحديث النبي صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله وسيرته وأسباب نزول القرآن ومعانيه وغير ذلك لهم بهذا من العلم وعندهم به من اليقين مالا يوجد مثله لغيرهم كما أن أصحاب أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة

العلوم عند كل طائفة منهم من أقوال متبوعهم ونصوصه وأخباره مايقطعون به وان كان غيرهم لايعلم ذلك وعند أهل الكتاب من أخبار كبرائهم مايقطع به علماؤهم وان كان غيرهم لايعلم ذلك واذا كان آحاد أهل العلم من أهل الفقه أو الطب أو الحساب أو النحو أو القرآن بل وآحاد الملوك يعلم الخاصة من أمورهم مالا يعلمه غيرهم ويقطعون بذلك فكيف بمن هو عند اتباعه أعلى قدرا من كل عالم وأرفع منزلة من كل ملك وهم أرغب الخلق فى معرفة أحواله وأعظم تحريا للصدق فيها ولرد الكذب منها حتى قد صنفوا الكتب الكثيرة فى أخبار جميع من روى شيئامن أخباره صلى الله عليه وسلم وذكروا فيها أحوال نقلة حديثه وما يتصل بذلك من جرح وتعديل ودققوا فى ذلك وبالغوا مبالغة لايوجد مثلها لأحد من الامم ولا لاحد من هذه الامة الا لاهل الحديث فهذا يعطى انهم أعلم بحال نبيهم من كل أحد بحال متبوعه وانهم أعلم بصدق الناقل وكذبه من كل أحد بصدق من نقل عن متبوعهم وكذبه فاذا كان أولئك فيما ينقلونه عن متبوعهم متفقين عليه جازمين بتصديقه لا يكون الا صدقا فهؤلاء مع جزمهم بالصدق واتفاقهم على التصديق أولى أن لايكون ماجزموا بصدقه الا صدقا وعامة أخبار الصحيحين مما اتفق علماء الحديث على التصديق بها وجزموا بذلك وانما تنازعوا في أحاديث قليلة منها وعامة ماذكرناه من آيات النبى صلى الله عليه وسلم التى فى الصحاح هي من موارد اجماعهم المستفيضة عندهم التى يجزمون بصدقها ليست من موارد نزاعهم فهذه طريقان فى تصديق هذه الآثار التواتر العام والتواتر الخاص (والطريق الثالث) التواتر المعنوى وهذا مما اتفق على معرفته عامة الطوائف فان الناس قد يسمعون أخباراً متفرقة بحكايات يشترك مجموعها فى أمر واحد

كما سمعوا أخباراً متفرقة تتضمن شجاعة عنتر وسخاء حاتم وعدل عمر وحلم الاحنف وما أشبه ذلك فيحصل بمجموع الاخبار علم ضروري بان الشخص موصوف بذلك النعت وان كان كل من الاخبار لو تجرد وحده لم يفد العلم لان كلا من الحكايات ليست وحدها منقولة بالتواتر واذا عرف هذا فهذه الاحاديث الواردة فى آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم هي أضعاف أضعاف ما ينقل عن الواحد من هؤلاء المشاهير ونقلتها أجل وأكثر وأفضل من نقلة أخبار هؤلاء وهي كلها تتضمن ان محمد ابن عبد الله كان يجرى على يديه من الآيات الخارقة للعادة والعجائب العظيمة مالا يعرف نظيره عن أحد من الناس وعلم المسلمين بهذا أعظم من علم أهل الكتاب مما ينقلونه من آيات موسى وعيسى وغيرهما فان نقلة آيات محمد صلى الله عليه وسلم للقرآن وغيره أضعاف أضعاف نقلة التوراة والانجيل فضلا عن غيرهما من أخبار الانبياء فان التوراة لم تكن جميعها محفوظة لعموم بني اسرائيل كما يحفظ القرآن عامة المسلمين وعند خراب البيت المقدس قل من يحفظها جدا حتى تنازع الناس في تواتر نقلها وكذلك الانجيل نقلته أقل بكثير من نقلة آيات محمد صلى الله عليه وسلم فاذا قال النصارى هؤلاء كانوا صالحين وكان لهم آيات أيضا كما يذكرونه من آيات الحواريين فصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوهم صالحون ولهم من الآيات أعظم مما للحواريين وغيرهم من الامم وفيهم من كان يحمل العسكر على الماء ومن كان يشرب السموم القاتلة ومن يحيي الله الموتى بدعوته ومن يكثر الطعام والشراب بدعوته وكتب كرامات الاولياء فيها من ذلك أعظم مما عند أهل الكتاب وهم ينقلون أخبار الانبياء والصالحين من كتب عندهم

مثل كتاب أخبار الحواريين وكتاب سفر الملوك ونحو ذلك ومايذكرون من حجة فى صحة نقلها الا وحجة المسلمين فيما ينقلونه عن نبيهم وأصحابه والتابعين أظهر وأقوى (والطريق الرابع) ان يقال هذه الآيات التى ذكرنا بعضها كانت تكون بحضر من الخلق الكثير كتكثير الطعام يوم الخندق فانه كان أهل الخندق رجالهم ونساؤهم الوفا وكذلك نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وفيضان البئر بالماء يوم الحديبية وكانوا يومئذ ألفا وخمسمائة وكلهم صالحون من أهل الجنة لا يعرف فيهم من تعمد كذبة واحدة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك في تكثير الماء والطعام في غزوة خيبر كانوا ألفا وخمسمائة وفي تبوك كانوا ألوفا مؤلفة وكان بعض من حضر هذه المشاهد ينقل وقوع هذه الآيات قدام آخرين ممن حضرها الى من لم يحضرها فيذهب أولئك فيخبرون بها من حضرها فيصدق بعضهم بعضا ويحكى هذا مثل ماحكى هذا من غير تواطىء وأدنى أحواله أن يقره ولا ينكر عليه روايتها ونحن نعلم بموجب العادة الفطرية التي جبل الله عليها عباده و بموجب ما كان عليه سلف الامة من اعتياد الصدق وتحريه واعتقادهم ان ذلك واجب ومن شدة توقيهم الكذب على نبيهم صلى الله عليه وسلم وتعظيمهم ذلك اذ قد تواتر عنه عندهم انه قال من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار فنحن نعلم انهم لم يكونوا يقرون من يعلمون انه يكذب عليه ومن أخبر عنه بما كانوا مشاهدين له وكذب عليه فقد علموا انه كذب عليه فلما اتفقوا على الاقرار على ذلك وعلى تناقله بينهم من غير انكار أحد منهم لذلك علم قطعا ان القوم كانوا متفقين على نقل ذلك كما هم متفقون على نقل القرآن والشريعة المتواترة وان كان جمهورهم ليس منتصبا لتلقين

القرآن بل هذا يلقنه وهذا يسمعه من هذا الملقن ولا ينكر بعضهم
على بعض القراءة وهذا يعلم هذا الصلاة ان الظهر فى الحضر أربع
ركعات والمغرب ثلاث والفجر ركعتان وهذا يقر هذا فلما كان بعضهم
يقر بعضا على نقل ذلك علم اتفاقهم على نقل ذلك وهذا غاية التواتر
فكذلك مانقلوه من شرائعه ومن آياته و براهينه صلى الله عليه وسلم
يبين ذلك ان ما أنكره بعضهم رده على الآخر ولم يوافقه عليه وان
كانوا متأخرين عن زمن الصحابة فكيف بالمتقدمين ومن تدبر هذه
الطريق افادته علماً يقينا قطعيا بصحة هذه الآيات عن محمد صلى الله
عليه وسلم وكذلك الطرق المتقدمة فان ماكان الناس أحوج الى معرفته
يسر الله دلائله للناس أعظم من تيسر غيره وحاجة الخلق الى تصديق
الرسول أشد من حاجتهم الى جميع الاشياء اذ بذلك تحصل سعادتهم
فى الآخرة ونجاتهم من العذاب وبه يحصل صلاح العباد في المعاش والمعاد

(الطريق الخامس) ان نقول مامن صنف من أصناف العلماء الاوقد
تواتر عندهم من آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم مافيه كفاية فكتب
التفسير مشحونة بذكر الآيات متواتر ذلك فيها وكتب الحديث مشحونة
بذكر الآيات متواتر ذلك فيها وكتب السير والمغازى والتواريخ مشحونة
بذكر الآيات متواتر ذلك فيها وكتب الفقه مشحونة بذكر الآيات
متواتر ذلك فيها وان لم يكن هذا مقصودا منها وانما المقصود الاحكام
لكنهم فى ضمن مايوردونه من الاحكام يوردون فيها من آياته صلى الله عليه
وسلم ماهو متواتر عندهم وكتب الاصول والكلام مشحونة بذكر الآيات
متواتر ذلك فيها ونقل كل طائفة من هذه الطوائف يفيد العلم اليقيني
فكيف بما ينقله كل هذه الطوائف وهذه الطريق وغيرها مثل طريق

الاقرار والتصديق وطريق التواتر المعنوى وطريق تصديق أهل
الحديث والعلم بهاوغير ذلك يستدل بها تارة على تواتر الجنس العام
للآيات الخارقة للعادة وهذا أقل ما يكون ويستدل بها على تواتر جنس
جنس منها كتواتر تكثير الطعام وتواتر تكثير الطهور والشراب
وعلى تواتر نوع نوع منها كتواتر نبع الماء من بين أصابعه وتواتر
اشباع الخلق العظيم من الطعام القليل وتواتر شخص شخص منها كتواتر
حنين الجذع اليه صلى الله عليه وسلم وأمثال ذلك وكلما أمعن الانسان
فى ذلك النظر واعتبر ذلك بأمثاله واعطاه حقه من النظر والاستدلال
ازداد بذلك علماً ويقينا وتبين له ان العلم بذلك أظهر من جميع ما
يطلب من العلم بالاخبار المتواترة فليس في الدنيا علم مطلوب بالاخبار
المتواترة الا والعلم بآيات نبينا صلى الله عليه وسلم وشرائع دينه أظهر
من ذلك وما من حال أحد من الانبياء والملوك والعلماء والمشايخ
المتقدمين وأقواله وأفعاله وسيرته الا والعلم باحوال محمد صلى الله عليه
وسلم أظهر من العلم به وأبين ونقله أكمل وأتم وما من علم يعلم بالتواتر
مما هو موجود الآن كالعلم بالبلاد البعيدة كعلم أهل الشام بالعراق
وخراسان والهند والصين والاندلس وعلم أهل المغرب بالشام والعراق
وأمثال ذلك من علم أهل البلاد بعضهم بحال بعض الا وعلم الانسان
بحال المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها وما هم عليه من الدين وما
ينقلونه عن نبيهم من آياته وشرائعه أظهر من علمه بهذا كله وهذا مما
يبين انه ليس فى الوجود أمر يعلم بالنقول المتواترة أعظم مما يعلم
هذا الامر تحقيقا لقوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ وظهوره على الدين

كله بالعلم والحجة والبيان انما هو بما يظهر من آياته و براهينه وذلك انما يتم بالعلم بما ينقل عن محمد صلى الله عليه وسلم من آياته التى هي الادلة وشرائعه التى هى المدلول المقصود بالادلة فهاهو قد أظهره الله علماً وحجة وبيانا على كل دين كما أظهره قوة ونصرا وتأييدا على كل دين والحمد لله رب العالمين كما انه ما من دليل على يستدل به على مدلول الا والادلة على آيات الرب تعالى أكثر وأكثر والحمد لله رب العالمين (الطريق السادس) ان العلماء قد صنفوا مصنفات كثيرة فى ذكر آياته وبراهينه المنقولة فى الاخبار وجردوا لذلك كتبا مثل كتاب دلائل النبوة للشيخ الحافظ أبي بكر البيهقى وقبله دلائل النبوة لابي الشيخ الاصبهانى ولابي القاسم الطبرانى وقبلهما دلائل النبوة للامام الحافظ أبى زرعة الرازى وللشيخ المصنف ابى بكر عبد الله بن أبى الدنيا وللامام أبى اسحاق الحربى وللمصنف الحافظ أبي جعفر الفريابى وما صنفه الشيخ العالم أبو الفرج بن الجوزى في كتابه المسمى بالوفا في فضائل المصطفى وما صنفه الحافظ أبو عبد الله المقدسى فى دلائل النبوة وهؤلاء وغيرهم يذكرون مايذكرون بالاسانيد المعروفة والطرق المتعددة الكثيرة المتواترة وآخرون يذكرون ما يذكرونه معزوا مسندا الى من رواه وان لم يذكروا اسناده كما يفعله القاضى عياض فى كتابه المسمى بالشفا بتعريف حقوق المصطفى ومنهم من يقرر ذلك بشهرة ذلك وطرق أخرى تبين صحته كما يفعله كثير من النظار كالقاضي عبد الجبار والجاحظ والماوردي القاضى وسليم الرازى الفقيه وأضعاف هؤلاء وهذه الكتب فيهامن الاحاديث المتضمنة لآيات نبوته وبراهين رسالته صلى الله عليه وسلم أضعاف أضعاف الاحاديث

المأثورة فيما هو متواتر عنه صلى الله عليه وسلم فى الاحكام الشرعية وليس منها شىء الا وتواترت آياته وبراهينه التي تذكر فى القرآن أعظم من تواتر أحاديث الاحكام وغيرها والكتب المصنفة فى آياته وبراهينه الخارجة عن القرآن فيها من الاحاديث أضعاف أضعاف مايوجد من الاحاديث فى تلك بل فى كل صنف من أصناف آياته من الاحاديث أضعاف ما يوجد فى مثل ذلك كتواتر أخباره بالغيوب المستقبلة وتواتر تكثيره للطعام مرات متعددة وتواتر تكثيره للطهور والشراب مرات متعددة اما بنبع الماء من بين أصابعه واما بفيضان الينبوع الذى يضع فيه بعض آثاره واما بفيضان الماء من الوعاء الذى يبرك فيه والماء باق بحاله لم ينقص فالاحاديث المتواترة فى مثل هذه الانواع اكثر من الاحاديث المتواترة بغيرها ولهذا كان شهرة هذه في الامة وفى أهل العلم باحواله صلى الله عليه وسلم اعظم من شهرة كثير من غيرها والمقصود هنا ان تواتر انواع آياته المستفيضة في الاحاديث اعظم من تواتر امور كثيرة هي متواترة عند الامة أو عند علمائها وعلماء أهل الحديث وهذا غير الآيات والبراهين المستفادة بالقرآن فان تلك قد تجرد لها طوائف من المسلمين ذكروا من أنواعها وصفاتها ماهو مبسوط فى محله حتى بينوا ان مافى القرآن من الآيات يزيد عن عشرات ألوف من الآيات وهذا غير مافى كتب أهل الكتاب من الاخبار به وهذه الاجناس الثلاثة غير مافي شريعته التى بعث بها وغير صفات أمته وغير ما يدل على نبوته من المعرفة بسيرته واخلاقه وصفاته وأحواله وهذا كله غير نصر الله واكرامه لمن آمن به وعقوبته وانتقامه ممن كفر به كما فعل بالانبياء المتقدمين فان تعداد أعيان دلائل النبوة مما لا يمكن بشرا الاحاطة به اذ كان الايمان

به واجبا على كل أحد فيبين الله لكل قوم بل لكل شخص من الآيات
والبراهين مما لا يبين لقوم آخرين كما ان دلائل الربوبية وآياتها أعظم
وأكثر من كل دليل على كل مدلول ولكل قوم بل ولكل انسان من
الدلائل المعينة التي يريه الله اياها في نفسه وفي الآفاق مالا يعرف أعيانها
قوم آخرون انتهى كلام ابن تيمية (فصل) وقال الامام كمال الدين
ابن الهمام الحنفي رحمه الله تعالى في كتابه المسايرة في العقائد المنجية
في الآخرة مع شيء قليـل من عبارة شرحها للامام كمال الدين ابن
أبي شريف الشافعي رحمه الله تعالى الاصل العاشر في اثبات نبوة نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم نشهد ان محمدا رسول الله أرسله الى الخلق
اجمعين بالهدى ودين الحق خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من الشرائع
لانه صلى الله عليه وسلم ادعى النبوة واظهر المعجزة تصديقاً لدعواه
أما دعواه النبوة فقطعي لا يحتمل التشكيك وأما اظهاره للمعجزة فلانه
أتى بأمور خارقة للعادة مقرونة بدعوى النبوة بمعنى جعلها بياناً
لصدقه فيما يدعيه عن الله تعالى ولا نعني بالمعجزة الا ذلك ووجه
دلالتها على الصدق انها لما كانت مما يعجز عنه الخلق لم تكن الا فعلا
لله سبحانه وتعالى فهما جعلها بينة على صدقه فيما ينقل عن الله
وهو معنى التحدي فأوجده الله تعالى موافقا لقوله كان ذلك الايجاد
على وفق ما قال تصديقاً له من الله تعالى وذلك التصديق للرسول بايجاد
الخالق على وفق دعوى النبوة كتصديق القائم بين يدي الملك من
ملوك الدنيا حال كون ذلك القائم مقبلا على قوم بحضرة الملك يدعى أنه رسول
ذلك الملك اليهم فان ذلك المدعى الرسالة عن الملك اذا قال للملك المرسل
له ان كنت صادقاً فيما نقلت عنك من الرسالة الى هؤلاء فقم على

سريرك على خلاف عادتك ففعل حصل للحاضرين علم قطعي بأنه صدقه
بمنزلة قوله أي الملك صدقت والذي أظهره الله تعالى لنبينا صلى الله عليه
وسلم من المعجزات ثلاثة امور أعظمها القرآن ثم حاله في نفسه التي
استمر عليها صلى الله عليه وسلم من عظيم الاخلاق وشريف الاوصاف
ومن الكمالات العلمية والعملية مع ضميمة انه لم يصحب معلما اديبه
ولا حكيما هذبه ثم ما ظهر على يديه من الخوارق للعادات كانشقاق القمر
له فرقتين وتسليم الحجر عليه قبل النبوة وبعدها وسعي الشجر اليـه
وحنين الجذع الذي كان يخطب عليه لما انتقل الى المنبر عنه ونبع الماء
من بين اصابعه بالمشاهدة ممن حضر وشرب القوم والابل الكثير عددهم
وعددها من الماء القليل الذي مج فيه بعد ما نزحت البئر في الحديبية
وكانوا ألفا وأربعمائة وأكل الجم الغفير كما في حديث ابي طلحة
وكانوا ألفا من أقراص يأكلها رجل واحد واخبار الشاة المشوية بأنها
مسمومة وقد صح في البخاري انهم كانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو
يؤكل وغير ذلك مما أفرد بالتصنيف وقول السهيلي في بعض هذه انها
علامة للنبوة لا معجزة اي لا تسمى معجزة بذلك بناء على عدم اقترانها
بدعوى النبوة ليس بذاك اي ليس بمقبول فانه صلى الله عليه وسلم لما
ادعى النبوة انسحب عليه ذلك فهو منسحب عليه دعوى النبوة من حين
ابتدائها الى ان توفاه الله تعالى كأنه في كل ساعة يستأنفها فكل ما وقع
له من الخوارق كان معجزة لاقترانه بدعوى النبوة حكما وكأنه يقول
في كل ساعة اني رسول الله الى الخلق وكأنه يقول في كل وقت وقع فيه
خارق للعادة هذا دليل صدقي وأما القرآن فهو المعجزة العقلية الباقية على
طول الزمان الذي اعيا كل بليغ بجزالته وغرابة أسلوبه وبلاغته وأما حاله

صلى الله عليه وسلم فما استمر عليه من الآداب الكريمة والاخلاق الشريفة التي لو أفنى أحد العمر فى تهذيب النفس لم تحصل كذلك كما حصلت له صلى الله عليه وسلم كالحلم وتمام التواضع منه صلى الله عليه وسلم للضعفاء بعد تمام رفعته وانقياد الخلق له والصبر والعفو مع الاقتدار عن المسيء اليه ومقابلة السيئة بالحسنة والجود وتمام الزهد فى الدنيا وشدة الخوف من الله تعالى حتى انه ليظهر عليه ذلك الخوف الشديد اذا عصفت الريح وفي نحوه من الاوقات التي تعرض فيها عوارض سماوية من الكسوف وغيره ونحو ما ذكر من الاخلاق الكريمة الشريفة كالوفاء بالوعد واداء الامانة وصلة الرحم والحياء وما ينتظم فى هذا السلك فقد كان صلى الله عليه وسلم أعلى الخلق مقاما فى كل منها ودام فكره وتجديد التوبة والانابة فى اليوم سبعين مرة كلما بدا له من جلال الله وكبريائه قدر فيستصغر بنظره اليه ماهو فيه من القيام بشكره تعالى على تلك الانعامات العظيمة وطاعته والفراغ عن هوى النفس وحظوظها مما لا يقع الا لمن استولت عليه معرفة الله تعالى حتى زهد فى نفسه حتى انه صلى الله عليه وسلم ما انتصر لنفسه قط الا أن تنتهك حرم الله تعالى وما خير بين أمرين الا اختار ايسرهما ولعمري ان من رآه طالبا للحق لم يحتج عند مشاهدة وجهه الكريم الى غيره لظهور شهادة طلعته المباركة بصدق لهجته وصفاء سريرته كما قال المرتاد للحق عبد الله بن سلام فما هو الا أن رأيت وجهه صلى الله عليه وسلم علمت انه ليس بوجه كذاب وتفاصيل شيمه الكريمة صلى الله عليه وسلم تستدعي مجلدات تؤلف فيها ولا تستوفيها هذا كله مع العلم بانه صلى الله عليه وسلم نشأ بين قوم لا يعلمون علما ولا أدبا يرون الفخر ويتهالكون عليه والاعجاب ويتغالون

فيه معبوداتهم حظوظ النفس لم يؤثر عنه انه خرج عنهم الى حبر من أهل الكتاب تردد اليه ليتعلم منه ولا الى حكيم عول عليه ليتهذب به بل استمر بين أظهرهم الى أن ظهر بمظهر علم واسع وحكمة بالغة مع بقائه صلى الله عليه وسلم على أميته لا يقرأ ولا يكتب وذلك أبهر لشأنه وأظهر لبرهانه وأخبر صلى الله عليه وسلم عن مغيبات ماضية من أخبار قرون سالفة وأحوال وأمم خالية لا يطلع عليها الا من مارس الكتب واختلف الى افراد يشار اليهم في ذلك الزمان بالعلم لندرة سعة المعرفة في أولئك الكائنين من أهل الكتاب مع ضنة أحدهم أى بخله باليسير الكائن عنده من ذلك فلا يسمح بتعليم شيء منه لاحد بل قد كان أهل الكتاب كثيرا ما يسأله الواحد والعدد منهم عن شيء فينزل عليه من القرآن ما يبين ذلك كقصة موسى والخضر ويوسف واخوته وأصحاب الكهف ولقمان وابنه وأشباه ذلك وما فى التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيبه وأخبر صلى الله عليه وسلم عن أمور مستقبلة فوقعت كما أخبر مثل قوله تعالى فى الروم لما غلبتهم فارس (الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ) وقوله تعالى (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) وقوله تعالى (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) فكان جميع هذا كما قال واذا ثبتت نبوته صلى الله عليه وسلم ثبتت نبوة سائر الانبياء لثبوت كل ما أخبر به صلى الله عليه وسلم ومن جملة ذلك نبوة سائر الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام اهـ كلام الكمال ابن

الهمام (فصل) وقال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر فى فتح البارى وأما ما عدا القرآن من نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وتكثير الطعام وانشقاق القمر ونطق الجماد فمنه ماوقع التحدى به ومنه ماوقع دالا على صدقه من غير سبق تحد ومجموع ذلك يفيد القطع بانه ظهر على يده صلى الله عليه وسلم من خوارق العادات شئ كثير كما يقطع بوجود جود حاتم وشجاعة على وان كانت افراد ذلك ظنية وردت مورد الآحاد مع ان كثيرا من المعجزات النبوية قد اشتهر وانتشر ورواه العدد الكثير والجم الغفير وافاد الكثير منه القطع عند أهل العلم بالآثار والعناية بالسير والاخبار وان لم يصل عند غيرهم الى هذه الرتبة لعدم عنايتهم بذلك بل لو ادعى مدع ان غالب هذه الوقائع مفيدة للقطع بطريق نظرى لما كان مستبعدا وهو انه لامرية ان رواة الاخبار فى كل طبقة قد حدثوا بهذه الاخبار فى الجملة ولا يحفظ عن أحد من الصحابة ولا من بعدهم مخالفة الراوى فيما حكاه من ذلك والا لأنكروا عليه فيما هنالك فيكون الساكت منهم كالناطق لان مجموعهم محفوظ من الاغضاء على الباطل ثم قال وذكر النووى فى مقدمة شرح مسلم ان معجزات النبي صلى الله عليه وسلم تزيد على الالف ومائتين وقال البيهقى فى المدخل بلغت ألفاً وقال الزاهدى من الحنفية ظهر على يديه صلى الله عليه وسلم ألف معجزة وقيل ثلاثة آلاف وقد اعتنى بجمعها جماعة من الائمة كأبى نعيم والبيهقى وغيرهما

﴿ فصل ﴾ وقال الامام شهاب الدين القسطلانى فى المواهب اللدنية اعلم انه لاسبيل لاحد الى الاحاطة بنقطة من بحار معارفه أو قطرة مما أفاضه الله عليه من سحائب عوارفه صلى الله عليه وسلم وأنت اذا

تأملت مامنحه الله تعالى به من جوامع الكلم وخصه به من بدائع الحكم وحسن سيرته ومن حديثه وأنبائه بأنباء القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الدائرة كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى مع الخضر ويوسف مع اخوته وأصحاب الكهف وذى القرنين وأشباه ذلك وبدء الخلق وأخبار الدار الآخرة وما فى التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى واظهار أحوال الانبياء وأممهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم وغير ذلك مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فضلا عما أفاضه من العلم ومحاسن الآداب والشيم والمواعظ والحكم والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين الادلة الواضحات والاشارة الى فنون العلوم التى اتخذ أهلها كلامه فيها قدوة واشارته فيها حجة كاللغة والمعانى والبيان والعربية وقوانين الاحكام الشرعية والسياسيات العقلية ومعارف عوارف الحقائق القلبية الى غير ذلك من ضروب العلوم وفنون المعارف الشاملة لمصالح أمته كالطب وعبر الرؤيا والحساب وغير ذلك مما لايعد ولا يحد قضيت بان مجال هذا الباب في حقه عليه الصلاة والسلام ممتد تنقطع دون نفاده الادلاء وان بحر علمه ومعارفه زاخر لاتكدره الدلاء وان ذلك يستحيل أن يكون من بشر دون أن يكون امتداده من بحار القدرة الالهية ومواهبها اللدنية وقال الشهاب القسطلانى أيضاً فى موضع آخر من كتابه المذكور وأنت اذا تأملت معجزاته وباهر آياته وكراماته عليه الصلاة والسلام وجدتها شاملة للعلوى والسفلى والصامت والناطق والساكن والمتحرك والمائع والجامد والسابق واللاحق والغائب والحاضر

والباطن والظاهر والعاجل والآجل الى غير ذلك مما لو عد لطال كالرمى بالشهب الثواقب ومنع الشياطين من استراق السمع فى الغياهب وتسليم الحجر والشجر عليه وشهادتهما له بالرسالة ومخاطبتهما بالسيادة وحنين الجذع ونبع الماء من كفه وانشقاق القمر ورد العين من العور ونطق البعير والذئب والجمل وكالنور المتوارث من آدم الى جبهة أبيه من الازل وما سوى ذلك من المعجزات التى تداولتها الحملة ونقلتها عن السن الاول النقلة مما لوا عملنا أنفسنا فى حصرها لفنى المداد فى ذكرها ولو بلغ الاولون والآخرون الغاية في احصاء مناقبه لعجزوا عن استقصاء ماحباه الكريم من مواهبه ولكان الملم بساحل بحرها مقصرا عن حصر بعض نحرها الى أن قال ثم حاصل معجزاته وباهر آياته وكراماته عليه الصلاة والسلام كما نبه عليه القطب القسطلانى يرجع الى ثلاثة أقسام ماض وقد وجد قبل كونه فقضى بمجده صلى الله عليه وسلم ومستقبل وقع بعد مواراته في لحده صلى الله عليه وسلم وكائن معه من حين حمله وضعه الى أن نقله الله الى محل فضله ومرضع جمعه اه

(فصل) وقال الزرقانى فى شرح المواهب بعد نقله عبارة الفتح فى عدد معجزاته صلى الله عليه وسلم وفى الانموذج وخص صلى الله عليه وسلم بانه أكثر الانبياء معجزات فقد قيل انها تبلغ ألفاً وقد قيل ثلاثة آلاف سوى القرآن فان فيه ستين ألف معجزة تقريبا قال الحليمى وفيها مع كثرتها معنى آخر وهو انه ليس فى شئ من معجزات غيره صلى الله عليه وسلم ما يحو نحو اختراع الاجسام وانما ذلك فى معجزات نبينا خاصة اه أى كتكثير الطعام واللحم والتمر والماء ونحو ذلك

(فصل) وقال السيد محمد مرتضى في شرح الاحياء اعلم ان معجزاته صلى

الله عليه وسلم كثيرة وهي أخص الشمائل وأكملها وأشرفها وأعمها القرآن وأما غيره فمنه ما وقع التحدى به وهو طلب المعارضة والمقابلة ومنه ماوقع بدون طلبه ولا ينافى تسميته معجزة اذ التحدى شرط فيها لانا نقول هو شرط فيها من حيث الجملة لافي كل من جزئياتها وهى اما قبل نبوته صلى الله عليه وسلم كقصة الفيل والنور الذى خرج معه حتى أضاء له قصور الشام وأسواقها حتى رؤيت أعناق الابل ببصرى ومسح الطائر لفؤاد أمه حتى لم تجد ألماً بولادته والطواف به فى الآفاق وخمود نار فارس وسقوط شرفات ايوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة وما سمع من الهواتف الصارخة بنعوته وأوصافه صلى الله عليه وسلم وانتكاس الاصنام وخرورها لوجهها من غير دافع لها فى أمكنتها الى سائر ما نقل من العجائب فى أيام ولادته وأيام حضانته وبعدها الى أن نبأه الله تعالى كاظلال الغمام أى في السفر وشق صدره واما بعد موته صلى الله عليه وسلم وهو غير محصور اذ كل خارق وقع لخواص أمته انما هو فى الحقيقة له اذ هو السبب فيه وأما من حين نبوته الى حين وفاته فهذا هو الذى الكلام فيه انتهى ملخصا

(فصل) وقد سلك الشيخ رحمة الله فى الباب السادس في اظهار الحق لاثبات نبوته صلى الله عليه وسلم ستة مسالك (المسلك الاول) ماظهر على يده صلى الله عليه وسلم من المعجزات وذكر منها أربعين ثم قال (المسلك الثانى) مااجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من الاخلاق العظيمة والاوصاف الجميلة والكمالات العلمية والعملية والمحاسن الراجعة الى النفس والبدن والنسب والوطن مما يجزم العقل بانه لا يجتمع في غير نبي فان كل واحد منها وان كان يوجد في غير النبي لكن مجموعها لا يحصل الا

للأنبياء فاجتماعها في ذاته صلى الله عليه وسلم من دلائل النبوّة وقد أقر المخالفون من علماء النصاري بوجود أكثر هذه المحاسن في ذاته صلى الله عليه وسلم مثل أسبان هميس المسيحي وهو من أشد أعداء النبي صلى الله عليه وسلم فقد نقل سيل قوله في مقدّمة ترجمة القرآن في الصفحة السادسة من النسخة المطبوعة سنة ١٨٥٠ هكذا (انه يعني النبي صلى الله عليه وسلم كان حسن الوجه وذكيا وكانت طريقته مرضية وكان الاحسان الى المساكين شيمته وكان يعامل الكل بالخلق الحسن وكان شجاعا على الأعداء وكان يعظم اسم الله تعظيما عظيما وكان يشدد على المفترين والذين يرمون البرآء والزانين والقاتلين وأهل الفضول والطامعين وشهود الزور تشديدا بليغا وكان كثرة وعظه في الصبر والجود والرحم والبر والاحسان وتعظيم الابوين والكبار وتوقيرهم وتكريمهم وكان عابدا مرتاضا في الغاية) انتهى كلام أسبان المذكور وهو من الانصاف والصدق وموافقة الحقيقة بمكان (المسلك الثالث) من نظر الى ما اشتملت عليه شريعته الغراء صلى الله عليه وسلم مما يتعلق بالاعتقادات والعبادات والمعاملات والسياسات والآداب والحكم علم قطعا انها ليست الا من الوضع الالهي والوحي السماوي وان المبعوث بها ليس الا نبيا (المسلك الرابع) انه عليه الصلاة والسلام ادعي بين قوم لا كتاب لهم ولا حكمة فيهم اني بعثت من عند الله تعالى بالكتاب المنير والحكمة الباهرة لانور العالم بالايمان والعمل الصالح وانتصب مع ضعفه وقلة ماله وقلة أعوانه وانصاره مخالفا لجميع أهل الارض آحادهم وأوساطهم وسلاطينهم وجبابرتهم فضلل آراءهم وسفه أحلامهم وأبطل مللهم وهدم دولهم وظهر دينه على الاديان في مدة قليلة شرقا وغربا وزاد على مر الاعصار

والازمان ولم يقدر الاعداء مع كثرة عددهم وعددهم وشدة شوكتهم وشكيمتهم وفرط تعصبهم وحميتهم وبذل غاية جهدهم على اطفاء دينه وطمس آثار مذهبه فهل يكون ذلك الا بعون الهي وتأييد سماوي ولنعم ما قال غمالائيل معلم اليهود لهم في حق الحوار يين يا أيها الرجال الاسرائليون احترزوا لانفسكم من جهة هؤلاء الناس فيما أنتم مزمعون ان تفعلوا لانه قبل هذه الايام قام ثوراس قائلا عن نفسه انه شيء الذي التصق به عدد من الرجال نحو أربعمائة الذي قتل وجميع الذين انقادوا اليه تبددوا وصاروا لاشيء وبعد هذا قام يهودا الجليلي في أيام الاكتتاب وازاغ وراءه شعبا غفيرا فذاك أيضا هلك وجميع الذين انقادوا اليه تشتتوا والآن أقول لكم تنحوا عن هؤلاء الناس واتركوهم لانه ان كان هذا الرأى وهذا العمل من الناس فسوف ينتقض وان كان من الله فلا تقدرون ان تنقضوه لئلا توجدوا محاربين لله أيضا انتهى كلام معلم اليهود المذكور وهو مصرح به في الباب الخامس من كتاب الاعمال * والآية السابقة من الزبور الاول هكذا لان الرب يعرف طريق الصديقين وطريق المنافقين تهلك * والآية السادسة من الزبور الخامس هكذا ويهلك كل الذين يتكلمون بالكذب والرجل السافك للدماء والغاش يرذله الرب * والآية السادسة عشر من الزبور الرابع والثلاثين هكذا وجه الرب على الذين يعملون المساوى ليبيد من الارض ذكرهم * وفي الزبور السابع والثلاثين هكذا لان سواعد الخطاة تتكسر والرب يعضد الصديقين * الخطاة فيهلكون وأعداء الرب جميعا اذ يمجدون ويرتفعون يبيدون وكالدخان يفنون * فلو لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم من الصديقين لاهلك الرب طريقه ورذله وأباد ذكره من الارض وكسر سواعده وأفناه كالدخان لكنه لم يفعل

شيئا من ذلك فكان محمد صلى الله عليه وسلم من الصديقين والانبياء الصادقين ﴿المسلك الخامس﴾ انه صلى الله عليه وسلم ظهر فى وقت كان الناس محتاجين الى من يهديهم الى الطريق المستقيم ويدعوهم الى الدين القويم لان العرب كانوا على عبادة الاوثان ووأد البنات والفرس على اعتقاد الالهين ووطء الامهات والبنات والترك على تخريب البلاد وتعذيب العباد والهند على عبادة البقر والسجود للشجر والحجر واليهود على الجحود ودين التشبيه وترويج الاكاذيب المفتريات والنصارى على القول بالتثليث وعبادة الصليب وصور القديسين والقديسات وهكذا سائر الفرق فى أودية الضلال والانحراف عن الحق والاشتغال بالمحال ولا يليق بحكمة الله الملك المبين ان لا يرسل فى هذا الوقت أحدا يكون رحمة للعالمين وما ظهر أحد يصلح لهذا الشأن العظيم ويؤسس هذا البنيان القويم غير محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فازال الرسوم الزائغة والمقالات الفاسدة وأشرقت شموس التوحيد وأقمار التنزيه وزالت ظلمة الشرك والثنوية والتثليث والتشبيه عليه من الصلاة أفضلها ومن التحيات أكملها واليه أشار الله تعالى بقوله ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ قال الفخر الرازى قدس سره فى تفسير هذه الآية الفائدة فى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند فترة من الرسل هى ان التغيير والتحريف قد تطرق الى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول زمانها وبسبب ذلك اختلط الحق بالباطل والصدق بالكذب وصار ذلك عذرا ظاهرا فى اعراض الخلق عن العبادات لان لهم ان يقولوا يا الهنا عرفنا انه لا بد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبد فبعث الله تعالى فى هذا الوقت

محمدا عليه الصلاة والسلام ازالة لهذا العذر انتهى كلام الفخر الرازى

﴿المسلك السادس﴾ أخبار الانبياء المتقدمين عليه عن نبوته صلى الله عليه وسلم وذكر الشيخ رحمه الله فى هذا المسلك ثمانى عشر بشارة بالنبى صلى الله عليه وسلم مما هو لم يزل موجودا فى كتب التوراة والانجيل وما الحق بهما من كتب الانبياء الى الآن وقدم على ذلك أمورا ﴿الاول﴾ ان الانبياء الاسرائيليين مثل أشعيا وأرمياء ودانيال وحزقيال وعيسى عليهم السلام أخبروا عن الحوادث الآتية كحادثة بختنصر وقورش واسكندر وخلفائه وحوادث أرض أدوم ومصر ونينوى وبابل ويبعد كل البعد ان لا يخبر أحد منهم عن خروج محمد صلى الله عليه وسلم الذى كان وقت ظهوره كاصغر البقول ثم صار شجرة عظيمة تأوى طيور السماء فى أغصانها فكسر الجبابرة والاكاسرة وانتشر دينه شرقا وغربا وغلب الاديان وامتد دهرا بحيث مضى على ظهوره مدة طويلة الى هذا الحين ويمتد ان شاء الله الى آخر بقاء الدنيا وظهر فى أمته ألوف ألوف من العلماء الربانيين والحكماء المتقنين والاولياء العارفين ذوى الكرامات والمجاهدات والسلاطين العظام وغيرهم من مشاهير الانام وهذه الحادثة كانت أعظم الحوادث وما كانت أقل من حادثة أرض أدوم ونينوى وغيرهما فكيف يجوز العقل السليم انهم أخبروا عن الحوادث الضعيفة وتركوا الاخبار عن هذه الحادثة العظيمة التى انقلب بها العالم انقلابا عظيما لم يحصل قبلها ولا بعدها نظيره

﴿الامر الثانى﴾ ان النبى المتقدم اذا أخبر عن النبى المتأخر لا يشترط فى اخباره ان يخبر بالتفصيل التام بانه يخرج من القبيلة الفلانية فى السنة الفلانية فى البلد الفلانى وتكون صفته كيت وكيت بالتفصيل بل يكون هذا الاخبار فى غالب الاوقات مجملا عند العوام وأما عند الخواص فقد يصير

جليا بواسطة القرائن وقد يبقى خفيا عليهم أيضا لا يعرفون مصداقه الا بعد ادعاء النبي اللاحق ان النبي المتقدم أخبر عني وظهور صدق ادعائه بالمعجزات وعلامات النبوة وبعد الادعاء وظهور صدقه يصير جليا عندهم بلا ريب ولذلك يعاتبون كما عاتب المسيح عليه السلام علماء اليهود بقوله ويل لكم أيها الناموسيون لانكم أخذتم مفتاح المعرفة ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم ثم نقل الشيخ رحمة الله عن المحقق عبد الحكيم السيلكوتي فى حاشيته على البيضاوي انه قال قال العلماء ما انفك كتاب منزل من السماء من تضمن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لكن باشارات ولو كان منجليا للعوام لما عوتب علماؤهم في كتمانه ثم ازداد ذلك غموضا بنقله من لسان الى لسان من العبراني الى السرياني ومن السرياني الى العربي وقد ذكرت جملة الفاظ من التوراة والانجيل اذا اعتبرتها وجدتها دالة على صحة نبوته عليه الصلاة والسلام بتعريض هو عند الراسخين فى العلم جلي وعند العامة خفي انتهى كلام عبد الحكيم (الامر الثالث) ادعاء ان أهل الكتاب ما كانوا ينتظرون نبيا آخر غير المسيح وايلياء ادعاء باطل لا أصل له بل كانوا منتظرين لغيرهما أيضا فان علماء اليهود المعاصرين لعيسى عليه السلام سألوا يحيى عليه السلام أولا أنت المسيح ولما أنكر سألوه أنت ايليا ولما أنكر سألوه أنت النبي أي النبي المعهود الذي أخبر عنه موسى عليه السلام فى الباب الثامن عشر من سفر الاستثناء فعلم أن هذا النبي كان منتظرا مثل المسيح وايليا وكان مشهورا بحيث ما كان محتاجا الى ذكر الاسم بل الاشارة اليه كانت كافية (الامر الرابع) ادعاء ان المسيح خاتم النبيين ولا نبي بعده باطل لما عرفت انهم كانوا منتظرين للنبي المعهود الآخر الذي

يكون غير المسيح وايليا عليهم السلام ولما لم يثبت بالبرهان مجيئه قبل المسيح فهو بعده ولانهم يزعمون نبوة الحواريين وبولس بل نبوة غيرهم أيضا وقد يتمسكون لاثبات هذا الادعاء بقول المسيح فى انجيل متى احترزوا من الانبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة والتمسك به عجيب لان المسيح عليه السلام أمر بالاحتراز من الانبياء الكذبة لا الانبياء الصادقين ولذلك قيد بالكذبة ولم يقل احترزوا من كل نبي جاء بعدي وقد ظهر كثير من الانبياء الكذبة بعد صعوده عليه السلام في عهد الحواريين كما في رسالة يوحنا الاولى هكذا ايها الاحباب لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الارواح هل هي من الله لان الانبياء الكذبة كثيرون وقد خرجوا الى العالم فمقصود المسيح عليه السلام التحذير من هؤلاء الانبياء الكذبة لا من الانبياء الصادقين ولذلك قال بعد القول المذكور من ثمارهم تعرفونهم هل يجتنون من الشوك عنبا أو من الحسك تينا ومحمد صلى الله عليه وسلم من الانبياء الصادقين كما تدل عليه ثماره التي فاقت ثمار سائر النبيين وعم نفعها الخلق أجمعين ولا ينكره الا من زاغ عن الحق وعاند ولا اعتبار لمطاعن المنكرين المكابرين المعاندين وكل أحد يعلم أن اليهود ينكرون عيسى بن مريم عليهما السلام ويكذبونه وليس عندهم رجل أشر منه من ابتداء العالم الى زمان خروجه وكذا ألوف من الحكماء والعلماء الذين كانوا مسيحيين ثم خرجوا عن هذه الملة لاستقباحهم اياها وألفوا الكتب الكثيرة فى تزييفها والرد عليها وهم فى ازدياد كل يوم فى ديار اوروبا فكما ان انكار اليهود وهؤلاء في حق عيسى عليه السلام غير مقبول عندنا فكذا انكار أهل التثليث فى حق محمد

صلى الله عليه وسلم غير مقبول عندنا (الامر الخامس) الاخبارات التي نقلها المسيحيون فى حق عيسى عليه السلام لا تصدق عليه على تفاسير اليهود وتأويلاتهم ولذلك هم ينكرونه أشد الانكار والعلماء المسيحية لا يلتفتون فى هذا الباب الى تفاسيرهم وتأويلاتهم ويعتبرونها ويؤولونها بحيث تصدق فى زعمهم على عيسى عليه السلام فكما ان تاويلات اليهود لما ورد فى حق عيسى عليه السلام مردودة غير صحيحة عند المسيحيين كذلك تأويلات المسيحيين لما ورد في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مردودة غير صحيحة عندنا مع ان الاخبارات المنقولة فى حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هى اظهر صدقا من الاخبارات التى نقلها الانجيليون فى حق عيسى عليه السلام وكما ان اليهود حملوا الاخبارات فى حقه عليه السلام على انها واردة في حق مسيحهم المنتظر أو غيره والمسيحيون يدعون انها فى حق عيسى عليه السلام ولا يبالون بمخالفتهم فكذا نحن لا نبالى بمخالفة المسيحيين فى حق بعض الاخبارات الواردة في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اذا حملوها على عيسى عليه السلام فان صدقها فى حق سيدنا محمد أظهر وأحكم وأبعد عن التكلف وأسلم (الامر السادس) من راجع الاخبارات التى ذكرها علماؤهم ذووا الالهام بزعمهم فضلا عن غيرهم فى حق عيسى عليه السلام والاخبارات التى ذكرها علماء المسلمين فى حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يظهر له جليا ان الاخبارات والبشائر المذكورة في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صادقة عليه ومطابقة لاوصافه أكثر بكثير من صدق الاخبارات والبشائر التى ذكروها في حق سيدنا عيسى عليه السلام (الامر السابع) ان أهل الكتاب سلفا وخلفا عادتهم جارية بانهم يترجمون غالبا الاسماء

فى تراجمهم ويوردون بدلها معانيها وهذا خبط عظيم منشأ للفساد وانهم يزيدون تارة شيئا بطريق التفسير فى الكلام الذي هو كلام الله بزعمهم ولا يشيرون الى التمييز بين الكلامين وهذان الامران بمنزلة الامور العادية عندهم ومن تامل تراجمهم المتداولة بالسنة مختلفة وجد شواهد تلك الامور كثيرة ثم نقل الشيخ رحمة الله كثيرا من عباراتهم المشتملة على ما ذكر وقال فامثال هؤلاء لو بدلوا في البشارات المحمدية اسما من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم أو زادوا شيئا فلا استبعاد منهم لان هذا الامر يصدر عنهم بحسب عادتهم ثم قال في آخر تلك النقول فثبت مما ذكرنا ان ترجمة الاسماء أو تبديلها بالفاظ أخر وكذا الحاق التفسيرات من جانب أنفسهم من عاداتهم الجبلية سلفا وخلفا فلا بعد في أن ترجموا أسماء من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم أو بدلوها بلفظ آخر أو زادوا بطريق التفسير أو غير التفسير شيئا بحيث يخل الاستدلال بحسب الظاهر ولا شك ان اهتمامهم فى هذا الامر كان زائدا علي الاهتمام الذى كان لهم فى مقابلة فرقهم وماقصروا في التحريف فى مقابلتهم قال هورون كما نقله عنه فى الباب الثانى من اظهار الحق (ان هذا الامر أيضا محقق ان بعض التحريفات القصدية صدرت عن الذين كانوا من أهل الديانة والدين وكانت هذه التحريفات ترجح بعدهم لتؤيد بها مسالة مقبولة أو يدفع بها الاعتراض الوارد) ثم ذكر هورون لذلك أمثلة قال الشيخ رحمة الله فاذا كانت خصلة أهل الدين والديانة عند النصارى ماعرفت فما ظنك بغير أهل الديانة بل الحق ان التحريف القصدى بالتبديل والزيادة والنقصان من خصائلهم كلهم أجمعين فبعض الاخبارات والبشائر بالنبى صلى الله عليه وسلم التى نقلها العلماء الاسلاف

من أهل الاسلام مثل الامام القرطبي وغيره ولا نجدها موافقة فى بعض الالفاظ للتراجم المشهورة الآن فسببه غالبا هذا التغيير لان هؤلاء العلماء من أهل الاسلام نقلوا عن الترجمة العربية التي كانت رائجة فى عهدهم وبعد زمانهم وقع الاصلاح فى تلك الترجمة والزيادة والنقص على حسب عادتهم الجارية الى الآن (الامر الثامن) ان الاخبارات والبشائر فى حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم توجد كثيرة الى الآن أيضاً مع وقوع التحريفات فى هذه الكتب ومن عرف أولاً طريق أخبار النبى المتقدم عن النبي المتأخر على ماعرفت في الامر الثانى ثم نظر ثانيا بنظر الانصاف الى هذه الاخبارات وقابلها بالاخبارات التى نقلها الانجيليون فى حق عيسى عليه السلام جزم بان الاخبارات المحمدية فى غاية القوة ثم نقل ثمانى عشرة بشارة بالنبى صلى الله عليه وسلم من الكتب المعتبرة عند النصارى هي موجودة فيها الى الآن وأنا اقتصر منها هنا على سبع بشائر (البشارة الاولى) فى الباب الثامن عشر من سفر الاستثناء أى من التوراة هكذا (فقال الرب لى نعم جميع ماقالوا وسوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين اخوتهم واجعل كلامى فى فمه ويكلمهم بكل شئ آمره به ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم به باسمى فانا أكون المنتقم من ذلك فاما النبى الذى يجترئ بالكبرياء ويتكلم في اسمى ما لم آمره بانه يقوله أم باسم آلهة غيرى فليقتل فان أجبت وقلت فى قلبك كيف أستطيع أن أميز الكلام الذى يتكلم به الرب فهذه تكون لك آية ان ماقاله ذلك النبى فى اسم الرب ولم يحدث فالرب لم يكن تكلم به بل ذلك النبي صوره فى تعظم نفسه ولذلك لاتخشاه)وهذه البشارة ليست ليوشع عليه السلام كما يزعم اليهود ولا لعيسى عليه السلام كما يزعم النصارى بل

هي لمحمد صلى الله عليه وسلم لعشرة وجوه (الوجه الاول) ان اليهود المعاصرين لعيسى عليه السلام كانوا ينتظرون نبيا آخر مبشرا به فهو عندهم ليس عيسى ولا يوشع (الوجه الثانى) ان فى هذه البشارة لفظ مثلك وعيسى ويوشع ليسا كذلك لانهما من بني اسرائيل ولا يجوز ان يقوم منهم أحد مثل موسى كما تدل عليه آية التوراة « ولم يقم بعد ذلك نبي فى بنى اسرائيل مثل موسى يعرفه الرب وجها لوجه » (الوجه الثالث) ان في هذه البشارة لفظ من بين اخوتهم ويوشع وعيسى عليهما السلام كانا من بنى اسرائيل لامن اخوته (الوجه الرابع) ان فى هذه البشارة لفظ سوف أقيم ويوشع كان حاضرا عند موسى عليهما السلام (الوجه الخامس) ان فى هذه البشارة لفظ أجعل كلامى فى فمه وهو اشارة الى أن ذلك النبي ينزل عليه الكتاب والى أنه يكون أميا حافظا للكلام وهذا لايصدق على يوشع لانتفاء الامرين عنه (الوجه السادس) ان في هذه البشارة لفظ ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم به فانا أكون المنتقم من ذلك فيظهر منه ان هذا النبى يكون مأموراً من جانب الله بالانتقام من منكره فلا يصدق على عيسى عليه السلام لان شريعته خالية من أحكام الحدود والقصاص والتعزيز والجهاد فان المراد بالانتقام الانتقام التشريعى لان الانتقام من المنكر بالعذاب الاخروى والمحن الدنيوية لا يختص به نبي دون نبي (الوجه السابع) ان فى هذا الباب الثالث من كتاب الاعمال ان موسى قال ان الرب الهكم يقيم لكم نبيا من اخوتكم مثلى له تسمعون فى كل ما يكلمكم به ويكون كل نفس لاتسمع ذلك النبي تهلك في الشعب وهذه الوجوه السبعة تصدق فى حق محمد صلى الله عليه وسلم على أكمل صدق وهو مثل موسى فى أمور كثيرة وهو من اخوة بنى

اسرائيل لانه من بنى اسماعيل وانزل عليه الكتاب وكان أمياً جعل كلام الله فى فمه وكان ينطق بالوحى كما قال الله تعالى (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى) وكان مأموراً بالجهاد وقد انتقم الله من أجله من صناديد قريش والاكاسرة والقياصرة وغيرهم (الوجه الثامن) انه صرح فى هذه البشارة بان النبى الذى ينسب الى الله مالم يأمره يقتل فلو لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم نبيا حقا لكان يقتل وما قتل بل قال الله في حقه (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) وأوفى وعده ولم يقدر على قتله أحد حتي لحق بالرفيق الاعلى صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام على زعم أهل الكتاب قتل وصلب فليست هذه البشارة في حقه (الوجه التاسع) ان الله بين علامة النبى الكاذب ان اخباره عن الغيب المستقبل لا يخرج صادقا ومحمد صلى الله عليه وسلم أخبر عن الامور الكثيرة المستقبلة وظهر صدقه فيها فيكون نبيا صادقا (الوجه العاشر) ان علماء اليهود سلموا كونه مبشرا به فى التوراة لكن بعضهم أسلم وبعضهم بقى فى الكفر عنادا ومن أحبارهم فى زمنه صلى الله عليه وسلم مخيريق وكان حبرا عالما كثير المال من النخل وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته وغلبت عليه ألفة دينه فلم يزل على ذلك حتى كان يوم أحد وكان يوم السبت فقال يا معشر اليهود والله انكم لتعلمون ان نصر محمد عليكم لحق قالوا فان اليوم يوم السبت قال لاسبت ثم أخذ سلاحه وخرج حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم باحد وعهد الى من وراءه من قومه ان قتلت هذا اليوم فمالى لمحمد يصنع فيه ماأراده الله تعالى فقاتل حتى قتل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مخيريق خير يهود وقبض رسول الله صلى

الله عليه وسلم أمواله فعامة صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منها * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس فقال اخرجوا الى أعلمكم فقالوا عبد الله بن صوريا فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فناشده بدينه وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المن والسلوي وظللهم من الغمام أتعلم اني رسول الله قال اللهم نعم وان القوم يعرفون ما اعرف وان صفتك ونعتك لمبين فى التوراة ولكن حسدوك قال فما يمنعك أنت قال أكره خلاف قومى عسى أن يتبعوك ويسلموا فاسلم * وعن صفية بنت حيي أم المؤمنين رضى الله عنها قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل قباء غدا عليه أبى حيي بن أخطب وعمى أبو ياسر مغلسين فلم يرجعا حتى كان غروب الشمس فاتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا فهششت اليهما فما التفت الى أحد منهما مع ما بهما من الهم فسمعت عمى أبا ياسر يقول لابى أهو هو أى المبشر به فى التوراة قال نعم والله قال اتثبته وتعرفه قال نعم قال فما فى نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت أبدا (البشارة الثانية) وهي الثالثة في اظهار الحق فى الباب الثالث والثلاثين من سفر الاستثناء هكذا (وقال جاء الرب من سينا وأشرق لنا من ساعير واستعلن من جبل فاران ومعه ألوف الاطهار فى يمينه سنة من نار) فمجيئه من سينا اعطاؤه التوراة لموسى عليه السلام واشراقه من ساعير اعطاؤه الانجيل لعيسى عليه السلام واستعلانه من جبل فاران انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم لان فاران جبل من جبال مكة بدليل قوله في الباب الحادى والعشرين من سفر التكوين فى حال اسماعيل عليه السلام هكذا (وسكن برية فاران) ولا شك ان اسماعيل عليه السلام كانت سكناه بمكة (البشارة الثالثة) وهى الخامسة

في اظهار الحق الآية العاشرة من الباب التاسع والاربعين من سفر التكوين هكذا (فلايزول القضيب من يهوذا والمدبر من فخذه حتى يجيء الذي له الكل واياه تنتظر الامم) وترجمة أخرى (فلايزول القضيب من يهوذا والرسم من تحت أمره الى ان يجيء الذي هوله واليه تجتمع الشعوب) وفي هذه الآية دلالة على ان المراد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه ما اجتمعت الشعوب الا اليه (البشارة الرابعة) وهي السادسة في اظهار الحق الزبور الخامس والاربعون هكذا (فاض قلبي كلمة صالحة أنا أقول أعمالي للملك لساني قلم كاتب سريع الكتابة بهي في الحسن أفضل من بني البشر انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله الى الدهر تقلد سيفك على فخذك أيها القوي بحسنك وجمالك استله وانجح واملك من أجل الحق والدعة والصدق وتهديك بالعجب يمينك نبلك مسنونة أيها القوي في قلب أعداء الملك الشعوب تحتك يسقطون كرسيك ياالله الى دهر الداهرين عصا الاستقامة عصا ملكك أحببت البر وأبغضت الاثم لذلك مسحك الله الهك بدهن الفرح أفضل من أصحابك المر والميعة والسليخة من ثيابك من منازلك الشريفة العاج التي أبهجتك بنات الملوك في كرامتك قامت الملكة من عن يمينك مشتملة بثوب مذهب موشى اسمعي يابنت وانظري وانصتي باذنيك وانسي شعبك وبنت أبيك فيشتهي الملك حسنك لانه هو الرب الهك وله تسجدين بنات صور يأتينك بالهدايا لوجهك يصلي كل أغنياء الشعب كل مجد ابنة الملك من داخل مشتملة بلباس الذهب الموشى يبلغن الى الملك عذارى في أثرها قريباتها اليك يقدمن يبلغن بفرح وابتهاج يدخلن الى هيكل الملك ويكون بنوك عوضا من آبائك وتقيمهم رؤساء على سائر الارض سأذكر اسمك في كل جيل وجيل من أجل ذلك

تعترف لك الشعوب الى الدهر والى دهر الداهرين) ومسلم عند أهل الكتاب ان داود عليه السلام يبشر في هذا الزبور بنبي يكون ظهوره بعد زمان ولم يظهر الى هذا الحين عند اليهود نبي يكون موصوفا بالصفات المذكورة في هذا الزبور ويدعي علماء النصارى ان هذا النبي عيسى عليه السلام وقال أهل الاسلام سلفا وخلفا ان هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقد ذكر في هذا الزبور من صفات النبي المبشر هذه الصفات كونه حسنا وكونه أفضل البشر وكون النعمة منسكبة على شفتيه وكونه مباركا وكونه متقلدا بالسيف وكونه قويا وكونه ذاحق ودعة وصدق وكونه هداية يمينه بالعجب وكون نبله مسنونة وسقوط الشعوب تحته وكونه محبا للبر ومبغضا للاثم وخدمة بنات الملوك اياه واتيان الهدايا اليه وانقياد كل أغنياء الشعب له وكون أبنائه رؤساء الارض بدل آبائهم وكون اسمه مذكورا جيلا بعد جيل ومدح الشعوب اياه الى دهر الداهرين وهذه الاوصاف كلها وجدت في محمد صلى الله عليه وسلم على أكمل وجه فتعين ان يكون هو النبي المبشر به في هذا الزبور ولا يصدق هذا الخبر في حق عيسى عليه السلام كما لا يخفى (البشارة الخامسة) وهي الثامنة في اظهار الحق في الباب الثاني والاربعين من كتاب أشعيا هكذا (وأنا مخبر أيضا باحداث قبل ان تحدث وأسمعكم اياها * سبحوا للرب تسبيحة جديدة حمده من أقاصي الارض راكبين في البحر ومائه الجزائر وسكانهن * يرتفع البرية ومدنها في البيوت تحل قيدار سبحوا يا سكان الكهف من رؤوس الجبال يصيحون * يجعلون للرب كرامة وحمده يخبرون به في الجزائر * الرب كجبار يخرج مثل رجل مقاتل يهوش الغيرة يصوت ويصيح على أعدائه يتقوى * سكتُّ دائما صمت صبرت صبرا فاتكلم مثل الطالقة أبدد وأبتلع معا أخرب الجبال والآكام وكل

نباتهن أجفف وأجعل الانهار جزائر والبحيرات أجففهن * وأقيد العمى في طريق لم يعرفوها والسبل لم يعلموا أسيرهم فيها أصير أمامهم الظلمة نورا والصعب سهلا هذا الكلام صنعته لهم ولا أخذلهم * اذ بروا الى ورائهم المتكلمون على المنحوتة القائلون للمسبوكة انكم آلهتنا ليخزون خزيا) والتسبيحة الجديدة عبارة عن العبادة على النهج الجديد التي هي فى الشريعة المحمديه وتعميمها على سكان الارض وأهل الجزائر وأهل المدن والبرارى اشارة الى عموم نبوته صلى الله عليه وسلم ولفظ قيدار أقوى اشارة اليه لان محمدا صلى الله عليه وسلم من أولاد قيدار بن اسماعيل وقوله من رؤس الجبال يصيحون اشارة الى العبادة المخصوصة التي تؤدى فى أيام الحج يصيح ألوف ألوف من الناس لبيك اللهم لبيك وقوله حمده يخبرون به في الجزائر اشارة الى الاذان يخبر به ألوف ألوف في أقطار العالم من الأوقات الخمسة بالجهر وقوله الرب كجبار يخرج مثل رجل مقاتل يهوش الغيرة يشير الى مضمون الجهاد اشارة حسنة الى أن جهاده وجهاد تابعيه يكون لله وبامره خاليا عن حظوظ الهوى النفسانية ولذلك عبر الله عن خروج هذا النبي وخروج تابعيه بخروجه هو تعالى وبين فى الآية الرابعة عشرة وهى التى أولها سكت دائما سبب مشروعية الجهاد وأشار فى الآية السادسة عشرة التى أولها اقيد العمى الى حال العرب لانهم كانوا غير واقفين على أحكام الله وكانوا يعبدون الاصنام وكانوا مبتلين بانواع الرسوم القبيحة الجاهلية كما قال تعالى فى حقهم (وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) وقد وفي الله بما وعد فان مشركى العرب وهرقل عظيم الروم وكسرى فارس ما قصروا فى ارادة اطفاء النور الاحمدى لكنهم ما حصل لهم سوي الخزى التام وعاقبة الامر لم يبق أثر الشرك فى اقليم العرب وزالت

دولة كسري مطلقا وزالت حكومة هرقل من الشام مطلقا وأما فى الاقاليم الاخرى فمن بعضها انمحى أثره مطلقا كبخارى وكابل وغيرهما ومن بعضها قل كالهند والسند وغيرهما وانتشر التوحيد شرقا وغربا

(البشارة السادسة) وهى التاسعة فى اظهار الحق فى الباب الرابع والخمسين من كتاب أشعيا هكذا (سبحى أيتها العاقر التى لست تلدين انشدى بالحمد وهللى التى لم تلدى من أجل ان الكثيرين من بنى الوحشة أفضل من بنى ذات رجل يقول الرب * أوسعى موضع خيمتك وسرادق مضاربك ابسطى لا تشفقى طولي حبالك وثبتى أوتادك لانك تنفذين يمنة ويسرة وزرعك يرث الامم ويعمر المدن الخربة * لاتخافى لانك لاتخزين ولا تخجلين فانك لاتستحيين من أجل انك خزى صباك تنسين وعار ترملك لاتذكرين أيضا * فانه يتولى عليك الذى صنعك رب الجنود اسمه وفاديك قدوس اسرائيل اله جميع الارض يدعى * انما الرب دعاك مثل الامرأة المطلقة والحزينة الروح وزوجة منذ الصبا مرذولة قال الهك * لساعة فى قليل تركتك وبرحمات عظيمة أجمعك فى ساعة الغضب أخفيت قليلا وجهى عنك وبالرحمة الابدية رحمتك قال فاديك الرب * مثلما فى أيام نوح لى هذا الذى حلفت له أن لا أصب مياه نوح على الارض هكذا حلفت أن لا أغضب عليك وأن لا أوبخك * فان الجبال ترتجف والتلال تتزلزل ورحمتى لاتزول عنك وعهد سلامى لايتحرك قال رحيمك الرب * فقيرة مستاصلة بعاصف بلا تعزية ها أنا ذا أبلط بالرتبة حجارتك وأسسك بالسفير * وأجعل يشبا محاطك وأبوابك حجارة منقوشة وجميع حدودك لاحجار مشتهية * جميع بنيك متعلمين من الرب وكثرة السلام لبنيك * وبالبر تؤسسين

فابتعدي من الظلم لانك لاتخافين ومن الهيبة لانها لاتقرب منك * ها ياتي الجار الذي لم يكن معي والذي قدكان قريبا يقترب اليك * ها أنا ذا خلقت صائغا الذي ينفخ في النار جمرا ويخرج اناء لعمله وأنا خلقت قتولا للاهلاك * كل اناء مجبول ضدك لاينجح وكل لسان يخاصمك في القضاء تحكمين عليه هذا هو ميراث عبيد الرب وعدلهم عندي يقول الرب) المراد بالعاقر في الآية الاولى مكة المعظمة لانها لم يظهر منها نبي بعد اسماعيل عليه السلام ولم ينزل فيها وحي بخلاف اورشليم لانها ظهر فيها الانبياء الكثيرون وكثر فيها نزول الوحي وبنى الوحشة عبارة عن أولاد هاجر لانها كانت بمنزلة المطلقة المخرجة عن البيت ساكنة في البر وبنو ذات رجل عبارة عن أولاد سارة فخاطب الله مكة آمرا لها بالتسبيح والتهليل وانشار الشكر لاجل ان كثيرين من أولاد هاجر صاروا أفضل من أولاد سارة فحصلت الفضيلة لها بسبب حصول الفضيلة لاهلها ووفى تعالى بما وعد بان بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا أفضل البشر خاتم النبيين من أهلها في أولاد هاجر وهو المراد بالصائغ الذي ينفخ في النار جمرا وهو القتول الذي خلق لاهلاك المشركين وحصل لها السعة بواسطة هذا النبي وما حصل لغيرها من المعابد في الدنيا اذ لا يوجد في الدنيا معبد مثل الكعبة من ظهور محمد صلى الله عليه وسلم الى هذا الحين والتعظيم الذي يحصل لها من القادمين في كل سنة من عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى الآن لم يحصل لبيت المقدس الا مرتين مرة في عهد سليمان عليه السلام لما فرغ من بنائه ومرة في السنة الثامنة عشر من سلطنة يوشيا ويبقى هذا التعظيم لمكة الى آخر الدهر ان شاء الله كما وعد الله بقوله لاتخافي لانك لاتخزين ولا تخجلين لانك لاتستحين وبقوله برحمات

عظيمة أجمعك وبالرحمة الابدية رحمتك وبقوله حلفت أن لا أغضب عليك وان لاأوبخك وبقوله رحمتي لاتزول عنك وعهد سلامي لايتحرك وملكوا زرعها شرقا وغربا وورثوا الامم وعمروا المدن في مدة قليلة لاتجاوز اثنتين وعشرين سنة من الهجرة ومثل هذه الغلبة في مثل هذه المدة القليلة لم يسمع من عهد آدم عليه السلام الى زمن محمد صلى الله عليه وسلم لمن يدعو الى دين جديد وهذا مفاد قول الله وزرعك يرث الامم ويعمر المدن الخربة وسلاطين الاسلام سلفا وخلفا اجتهدوا اجتهاداً تاما في بناء الكعبة والمسجد الحرام وتزيينهما وحفر الآبار والبرك والعيون في مكة ونواحيها ومن المدة الممتدة هذه الخدمة الجليلة متعلقة بسلاطين آل عثمان رحمهم الله تعالى ووسع مملكتهم في الجهات ووفقهم للعدل والحسنات فهم خدموا ويخدمون الحرمين المعظمين أدام الله شرفهما الى هذا الحين حتى صار لقب خادم الحرمين الشريفين عندهم أشرف الالقاب وأعزها والغرباء يحبون مجاورتها من ظهور الاسلام الى هذا الحين سيما في هذا الزمان وألوف من الناس يحجون اليها في كل سنة من أقاليم مختلفة وديار بعيدة ووفى سبحانه بما وعد بقوله كل اناء مجبول بضدك لاينجح لان كل شخص من المخالفين قام بضدها أذله الله كما وقع باصحاب الفيل وبحسب الوعد المذكور لا يدخل الاعور الدجال مكة ويرجع خائبا كما جاء في الاحاديث الصحيحة (البشارة السابعة) وهي البشارة الثامنة عشر في اظهار الحق في الباب الرابع عشر من انجيل يوحنا هكذا (ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي * وأنا أطلب من الاب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم الى الابد * روح الحق الذي لن يطيق العالم أن يقبله لانه ليس يراه ولا يعرفه وأنتم تعرفونه لانه مقيم عندكم وهو

ثابت فيكم * والفارقليط روح القدس الذى يرسله الاب باسمى هو يعلمكم كل شئ وهو يذكركم كل ما قلته لكم * والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى اذا كان تؤمنون) * وفى الباب الخامس عشر من انجيل يوحنا هكذا (فاما اذا جاء الفارقليط الذى أرسله أنا اليكم من الاب روح الحق الذى من الاب ينبثق هو يشهد لاجلى * وأنتم تشهدون لانكم معى من الابتداء) وفي الباب السادس عشر من انجيل يوحنا هكذا (لكنى أقول لكم الحق انه خير لكم ان أنطلق لانى ان لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط فاما ان انطلقت أرسلته اليكم * فاذا جاء ذاك فهو يوبخ العالم على خطيئته وعلى بر وعلى حكم * اما على الخطيئة فلانهم لم يؤمنوا بى * واما على البر فلانى منطلق الى الاب ولستم تروننى بعد واما على الحكم فانى ارى كون هذا العالم قد دين * وان لى كلاما كثيرا أقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن * واذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سيأتى * وهو يمجدنى لانه يأخذ مما هو لى ويخبركم * جميع ما هو للاب فهو لى فمن أجل هذا قلت ان مما هو لى يأخذ ويخبركم) ولفظ فارقليط هو يونانى ترجمة عن اللفظ العبرانى الذى قاله عيسى عليه السلام وهو مفقود قال الشيخ رحمة الله اترك البحث عن الاصل واتكلم على هذا اللفظ اليونانى فاقول ان كان اللفظ اليونانى أصله بيرفلوطوس فالامر ظاهر وتكون بشارة المسيح فى حق محمد صلى الله عليه وسلم بلفظ هو قريب من محمد وأحمد وان كان اللفظ اليونانى أصله بارا كليطوس كما يدعون فهذا لاينافى الاستدلال أيضا لان معناه المعز والمعين والوكيل والشافع على ما بينوه وهذه المعانى كلها تصدق على محمد صلى الله عليه وسلم ثم بين

رحمه الله ان جميع الاوصاف التى وصف بها عيسى عليه السلام هذا الفارقليط المبشر به منطبقة على نبينا صلى الله عليه وسلم كمال المطابقة ولا ينطبق شىء منها على الروح النازل على تلاميذ عيسى فى زمنه يوم الدار الذى يزعم علماؤهم انه هو المراد بلفظ فارقليط وفصل ذلك تفصيلا حسنا وأوضح الرد عليهم من وجوه عديدة بينها مفصلة فمن أرادها فليرجع اليه قلت وهذه البشائر نقلها غير صاحب اظهار الحق من العلماء الثقاة عن كتب أهل الكتاب بعبارات متقاربة وانما وقع بعض الاختلاف فى بعض ألفاظها للاختلاف فى التراجم من اللغة العبرانية واليونانية الى العربية وقد اخترت نقل هذه من اظهار الحق لانه نقلها عن كتبهم الموجودة الآن فى أيديهم وذكرتها جميعها فى كتابى حجة الله على العالمين وزدت عليها ستا وعشرين بشارة فصارت جملتها أربعا وأربعين بشارة ونقلت الزوائد عن الامام الماوردى وغيره وهم نقلوها عن كتب أنبياء بنى اسرائيل شعيا ويوبال بن يوئل وعوبديا وميخا وحبقوق وحزقيال وصعيا وزكريا بن يوحنا ودانيال وأرميا بن برخيا وداود وشمعون فان شئتها فراجعها هناك والله يتولى هداك

(ومن ذلك مناظرة الامام شمس الدين بن القيم الحنبلى مع بعض علماء النصارى) قال رحمه الله تعالى فى كتابه زاد المعاد فى هدى خير العباد دار بينى وبين بعض علماء أهل الكتاب مناظرة فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له فى أثناء الكلام لايتم لكم القدح فى نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم الا بالطعن فى الرب تبارك وتعالى والقدح فيه سبحانه ونسبته الى أعظم الظلم والسفه والفساد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقال كيف يلزمنا ذلك قلت بل أبلغ من ذلك لايتم لكم الا بجحوده وانكار وجوده تعالى وبيان ذلك انه ان كان محمد صلى الله عليه وسلم عندكم ليس نبى

صادق وهو بزعمكم ملك ظالم فقد تهيأ له أن يفترى على الله ويتقول عليه مالم يقله ثم يتم له ذلك و يستمر حتى يحرم ويحلل ويفرض الفرائض ويشرع الشرائع وينسخ الملل ويضرب الرقاب ويقتل اتباع الرسل وهم أهل الحق ويسبى نساءهم ويغنم أولادهم وذراريهم ويتم له ذلك حتى فتح الارض ونسب ذلك كله الى الله وانه تعالى أمره به والرب تعالى يشاهده وما يفعل باهل الحق واتباع الرسل وهو مستمر في الافتراء عليه ثلاثا وعشرين سنة وهو مع ذلك كله يؤيده وينصره ويعلى أمره ويمكن له من أسباب النصر الخارجة عن عادة البشر وابلغ من ذلك انه يجيب دعوته ويهلك أعداءه من غير فعل منه نفسه بل تارة بدعائه وتارة يستأصلهم سبحانه من غير دعاء منه صلى الله عليه وسلم ومع ذلك يقضى له كل حاجة سأله اياها ويعده كل وعد جميل ثم ينجز له وعده على أتم الوجوه وأهنئها وأكملها هذا وهو عندكم فى غاية الكذب والافتراء والظلم فانه لا أكذب ممن كذب على الله واستمر على ذلك ولا أظلم ممن أبطل شرائع أنبيائه ورسله وسعى فى رفعها من الارض وتبديلها بما يريده هو وقتل أولياءه وحزبه واتباع رسله واستمرت نصرته عليهم دائما والله تعالى فى ذلك كله يعزه ولا يأخذ منه باليمين ولا يقطع منه الوتين وهو يخبر عن ربه تعالى انه أوحى اليه انه لا أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي الىّ ولم يوح اليه بشىء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله فيلزمكم معاشر من كذبه أحد أمرين لابد لكم منهما اما ان تقولوا لا صانع للعالم ولا مدبر ولو كان للعالم صانع مدبر قدير حكيم لأخذ على يديه وقابله أعظم مقابلة وجعله نكالا للصالحين اذ لا يليق بالملوك غير هذا فكيف بملك الارض والسماوات وأحكم الحاكمين الثانى نسبة الرب تعالى الى ما لا يليق به من الجور

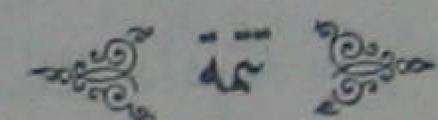
والسفه والظلم واضلال الخلق دائما أبد الآباد ونصرة الكاذب والتمكين له فى الارض واجابة دعواته وقيام أمره من بعده واعلاء كلماته دائما واظهار دعوته والشهادة له بالنبوة قرنا بعد قرن على رؤس الاشهاد فى كل مجمع وناد فاين هذا من فعل أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين فلقد قد حتم فى رب العالمين أعظم قدح وطعنتم فيه أشد طعن وأنكرتموه بالكلية ونحن لا ننكر ان كثيرا من الكذابين قام في الوجود وظهرت له شوكة ولكن لم يتم له أمر ولم تطل مدته بل يسلط الله عليه رسله واتباعه فيمحقون أثره ويقطعون دابره ويستأصلون شافته هذه سنة الله فى عباده منذ قامت الدنيا والى ان يرث الله الارض ومن عليها قال فلما سمع منى هذا الكلام قال معاذ الله ان نقول انه ظالم أو كاذب بل كل منصف من أهل الكتاب يقر بأن من سلك طريقه واقتفى أثره فهو من أهل النجاة والسعادة فى الاخرى قال قلت له فكيف يكون سالك طريق الكذاب بزعمكم ومقتفى أثره من أهل النجاة والسعادة فلم يجد بدا من الاعتراف برسالته ولكن لم يرسل اليه قلت فقد لزمك تصديقه ولابد وهو قد تواتر عنه الاخبار بانه رسول رب العالمين الى الناس أجمعين كتابيهم وأميهم ودعا أهل الكتاب الى دينه وقاتل من لم يدخل فى دينه منهم حتى أقر بالصغار والجزية قال فبهت الكافر ونهض من فوره

﴿ومن ذلك مناظرة الامام محمد بن الطيب التافلانى المغربى المالكى ثم الحنفى مفتى القدس الشريف مع بعض علماء النصارى﴾ قال خليل أفندى المرازى مفتي الشام فى تاريخه سلك الدرر في أعيان القرن الثانى عشر ان الشيخ محمد التافلانى المذكور أسره الفرنج وذهبوا به الى مالطة مركز الكفر ثم نجاه الله تعالى بعد سنتين وأيام وناظرته رهبان النصاري

مناظرة واسعة وكان فيهم راهب له دراية بالمسائل المنطقية والعربية ويزعم
ان همته بارعة وكانت مدة المناظرة نحو ثمانية أيام فاخرسهم الله واكبتهم
ووقعوا في حيص بيص وألجموا بلجام الالزام فمن جملة مناظرتهم معه
في ألوهية عيسى ان قال كبيرهم يامحمدى ان حقيقة عيسى امتزجت مع
حقيقة الاله فصارتا حقيقة واحدة قال فقلت له لا يخلو الامر فيهما
قبل امتزاجهما اما ان تكونا قديمتين أو حادثتين أو احداهما قديمة
والأخرى حادثة وكل الاحتمالات باطلة فالامتزاج على كل الاحتمالات
باطل أما على الاول فان الامتزاج مقتض للحدوث قطعا لانه تركيب بعد
افراد وكل تركيب كذلك لامحالة حادث والحادث لايصلح للألوهية
وأما الثانى فظاهر البطلان وأما الثالث بوجهيه فباطل أيضاً لان القديمة
منهما بعد الامتزاج يلزم حدوثها والحادثة منهما بعده يلزم قدمها فيؤدى
الى قلب الحقائق وقلبها محال ويلزم أيضاً اجتماع الضدين وهو باطل
باتفاق العقول ولما سقط فى أيديهم ورأوا انهم قد ضلوا فى هذا الطريق
قال لى كبيرهم عقولنا لاتصل لهذا الامر الدقيق فقلت له هذا عندنا
من علوم أهل البداية لامن علوم أهل النهاية فبهت الذى كفر وعبس
واكفهر ثم قلت لكبيرهم بالله عليك أعيسى كان يعبد الصليب قال لا
وانما ظهر الصليب بعد قتله على زعمهم ونحن نعبد شبيه الاله فقلت له
بالله عليك أللّه شبيه قال لا فقلت له يجب عليكم حرق هذه الصلبان بالزفت
والقطران فاستشاط غيظا وقال لى كنت أوقعك في المهالك وأجعلك
عبرة لكن الله أمرنا بحب الاعداء فقلت له لكن أمرنا الله ببغض الاعداء
فقال لى اذا شريعتنا كاملة فقلت له على طريقة الاستهزاء شريعتكم كاملة
لانها تعبد الاصنام والصلبان وشريعتنا ناقصة لانها تعبد الله وحده

لاشريك له فاشتد غضبه حتى كاد أن يبطش بى ولكن الله سلم لمزيد
اللطف بى ثم ان كبيرهم قال لى يامحمدى انى رأيت في كتبكم الحديثية
ان نبيكم انشق له القمر نصفين فدخل نصفه من كم ونصفه من الكم
الآخر وخرج تاما من جيب صدره ومساحة البدر مثل الدنيا ثلاث
مرات وثلث وهى ثلاثمائة وثلاث وثلاثون سنة وثلث فماهذه الخرافات
فقلت له أما ورد ان ابليس جاء لسيدنا ادريس وهو يخيط بالابرة
وبيده قشرة بيضة وقال له أيقدر ربك أن يجعل الدنيا فى قشرة هذه
البيضة فقال لى نعم ورد ذلك فقلت له كيف يقدر فقال اماأن يكبر القشرة
أو يصغر الدنيا فقلت له سبحان الله تحلونه عاما وتحرمونه عاما واذا سلمت
هذا فلم لا تسلمه لنبينا فغص بريقه واصفر وعبس وتولى فقتل كيف قدّر
وهذا الجواب منى من باب ارخاء العنان للالزام والا فدخول نصفى
البدر فى الكمين باطل عند جميع المحدثين الاعلام لكن كبيرهم لايعرف
اصطلاح علمائنا ذوى المقام العالى فلو أجبته ببطلانه لقال لى رأيته فى
كتبكم فلا يصغى لمقالى فلذلك دافعته بالبرهان القطعى العقلى لانه لايمتثل
بعد مارآه للدليل النقلى ثم ان كبيرهم في ميدان البحث أنكر نبوة نبينا
السيد الكامل وقال انه عندنا ملك عادل فقلت له ما المانع من نبوته فقال
نحن لانقول بها وانما نقول بشدة صولته فقلت له أليس النبي الذى أتى
بالمعجزات وأخبر بالمغيبات فقال كبيرهم أى معجزة أتى بها وأى مغيبات
أخبر بها فسردت له بعض المعجزات وأعظمها القرآن وذكرت له
بعض المغيبات فقال رأيت البخارى من علمائكم ذكر بعضها ثم قال لى
انما علمه ذلك الغلام يشير لقوله تعالى انما يعلمه بشر فقلت له بالله عليك
لسان ذلك الغلام ماذا قال أعجمى فقلت له بالله عليك لسان نبينا ماذا

قال عربي قلت له بالله عليك نبينا يقرأ ويكتب أم أمى قال أمى لايقرأ ولا يكتب فقلت له بالله عليك هل سمعت عربيا يتعلم من عجمى قال لا فافحم فى الجواب وانقطع عن الخطاب ثم قال لى كيف يقول قرآنكم ياأخت هارون و بينه و بينها ألف من السنين فقلت له أنت أعجمى لاتعرف لغة العرب كيف مبناها فقال لى وكيف ذلك فقلت له يطلق الاخ فى لغتهم على الاخ النسبى وعلى الاخ الوصفى والمراد هنا الثانى ومعنى الآية ياأيتها المتصفة عندنا بالعفة والديانة والعبودية مثل هارون الموصوف بتلك الصفات الكاملة وهذا المعنى فى لسان العرب شائع وفى مجاراتهم ومجارى أساليبهم ذائع فوقف حمار الشيخ فى الطين ولما رآنى صغيرالسن وكان سنى اذ ذاك نحو تسع عشرة سنة قال لى تصلح أن تكون مثل ولد ولدى فمن أين جاءتك هذه المعرفة التامة فقلت له جميع ماسألتنى عنه هو من علوم البداية ولو خضت معى فى مقام النهاية لاسمعتك مايصم أذنيك وفى هذا القدر كفاية



تتمة

يقول جامعها الفقير يوسف النبهانى عفا الله عنه اعلم ان كل أحد وهبه الله تعالى أدنى فهم وأنار بصيرته باقل نور لايعجز عن اقامة أدلة كثيرة على اثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فانها عند أولى الالباب * أظهر من الشمس الطالعة ليس دونها حجاب * والشمس لايعجز أحد عن أن يقيم الدليل على ظهورها * واقناع من كان بصيرا بطلوعها وسفورها * وليس له فى ذلك فضل عليها ولا بها حاجة اليه اذ هى فى نفسها واضحة الاسفار كثيرة الانوار لاتحتاج فى اثبات ظهورها وكثرة نورها الى البرهان * وان حجب عن رؤيتها العميان * ونبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

هى والله الذى لااله الا هو أظهر من الشمس عند من هداه الله وملأ قلبه بنور الايمان فهو اذا كان كذلك لا يحتاج الى دليل وبرهان * والحمد لله الذى منّ علينا بالايمان * بهذا النبى الكريم * وهدانا به صراط دينه المستقيم * صراط الذين أنعم الله عليهم من المؤمنين غير المغضوب عليهم ولا الضالين * وقد ذكرت فى كتابى خلاصة الكلام فى ترجيح دين الاسلام من أدلة نبوته وصحة دينه صلى الله عليه وسلم وترجيحه على ماسواه من الاديان ما ان اطلع عليه من عنده أدنى ادراك وأقل انصاف يجزم جزما لاشك فيه ان الدين الحق عند الله هو دين الاسلام وكذلك بسطت الكلام فى أول الباب الآتى على اثبات نبوته صلى الله عليه وسلم وذكرت فيه من الحجج القاطعة والدلائل العقلية والنقلية ما ان اطلع عليه أحد فيه أدنى عقل وانصاف لايبقى عنده أدنى شك فى صحة نبوته صلى الله عليه وسلم ومع كل هذا الظهور قد حجب عن رؤيتها أمثال هذا المعترض الكفور انها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور



(الباب الرابع من القسم الاول فى الجواب عن الاعتراضات المتفرقة التى اعترض بها فى أثناء كتابه على بعض شؤن النبي صلى الله عليه وسلم ولم أذكرها على ترتيبه ولكن نبهت على أعـداد صفحاتها من كتابه غالبا وقد أقمت مع ذلك الحجج القاطعة والبراهين الساطعة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وهو وان كان مستغنى عنه بما تقدم من الدلائل والمعجزات والبراهين والآيات الا انى أكدت ذلك بأساليب أخرى بديعة مقنعة لكل من جعل الله فى قلبه أدنى شىء من نور هدايته سبحانه وتعالى) *اعلم انه كان يجب على هذا المعترض الاعمى القلب لو كان مراده طلب الحق ومعرفة الصواب ان يسعى أولا بالوسائل التى تزيل حجاب الضلال عن بصيرته وتكشف غشاوة الكفر عن قلبه حتى يري شمس نبوة هذا النبى الكريم والرسول العظيم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم وحينئذ يرى الحق حقا والباطل باطلا فتزول جميع تلك الاعتراضات التى زعمها ويظهر له رفض ما يجب رفضه منها وتأويل ما يلزم تأويله اذ هي لاتخلو ان يكون بعضها غير وارد أصلا وبعضها غير صحيح النقل وبعضها مؤولا فيسهل عليه حينئذ تمييزها واتباع علماء المسلمين الذين استشكلوا ما يستشكل منها وأولوه وما عداه نبذوه ورفضوه فالاصل الاصيل والاساس المتين هو النظر أولا فى ان المعجزات ودلائل النبوة الواردة في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هل هي كافية لاثبات نبوته أولا وها أنا اساعده على ذلك ان كان يطلب الحق ويحب معرفته ويرغب فى اتباعه فأقول لاشك انه صلى الله عليه وسلم قد وقع له من المعجزات وخوارق العادات ودلائل النبوة شىء كثير لم يقع لاحد من الانبياء

قدره وهذا أمر ظاهر جلى لا يستطيع انكاره أحد فان الكتب الصحيحة الموثوق بها جمعت منه مالا يحصى ولا يعد وهو صلى الله عليه وسلم ادعى النبوة واقام تلك المعجزات والدلائل حججاً وبراهين على ثبوت دعواه وكذلك كل نبى من الانبياء السابقين حيث ادعى النبوة اثبت دعواه بالمعجزات كثرت او قلت لانه لاطريق له فى اثبات نبوته غيرها فانها هى التي تميز بينه وبين باقى الناس فالله تعالى متى نبأه وأرسله الى خلقه يجرى على يده تلك الخوارق التي لايقدر على الاتيان بها من تلقاء نفسه وبذلك يصدقه ويؤمن به من يؤمن لعلمهم بعجز الناس عن الاتيان بمثل ما أتى به وما ذكره المعترض فى صفحة (٢٢٨) من ان المسيح عليه السلام ورسله حذروا المؤمنين من الانبياء الكذبة الذين يأتونهم بالحيل والمكايد وذكر أسماء بعض من ادعوا النبوة كاذبين وان المضلين يدعون بعمل آيات كاذبة كما فعل سحرة المصريين هو كلام صحيح وهو حجة عليه فى اثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فانهم لما حذروا من الانبياء الكاذبين جعلوا لهم علامات منها قول الله تعالى فى التوراة فى سفر الاستثناء كما تقدم فى البشائر هكذا فاما النبى الذى يجترئ بالكبرياء ويتكلم باسمى مالم آمره بأنه يقوله أم باسم آلهة غيرى فليقتل فان أجبت وقلت فى قلبك كيف أستطيع ان أميز الكلام الذى لم يتكلم به الرب فهذه تكون لك آية ان ماقاله ذلك النبى باسم الرب ولم يحدث فالرب لم يكن تكلم به بل ذلك النبى صوره فى تعظم نفسه ولذلك لاتخشاه اه و يؤيده قوله في سفر الاستثناء أيضا ان الانبياء الذين لم يرسلهم الرب فبالسيف والجوع يهلكون اه وذكر من انجيله قول المسيح عليه السلام هكذا كل غرس لم يغرسه ابى السماوى يقلع ونقل أيضا عن

المسيح عليه السلام قوله احترزوا من الانبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة من ثمارهم تعرفونهم هل يجتنون من الشوك عنبا أومن الحسك تينا هكذا كل شجرة جيدة تضع أثمارا جيدة وأما الشجرة الرديئة فتضع أثمارا رديئة لاتقدر شجرة جيدة ان تضع أثمارا رديئة ولاشجرة رديئة ان تضع أثمارا جيدة كل شجرة لاتضع ثمرا جيدا تقطع وتلقى فى النار فاذن من ثمارهم تعرفونهم اه وقال فى الاصحاح الاول من المزامير لاتقوم الاشرار في الدين ولا الخطاة فى جماعة الرب لان الرب يعلم طريق الابرار أما طريق الاشرار فتهلك وقال فى الاصحاح الخامس منه ويهلك كل الذين يتكلمون بالكذب وقال في الاصحاح الرابع والثلاثين منه سواعد الاشرار تنكسر والرب يعضد الصديقين الرب عارف أيامهم وميراثهم الى الابد يكون لا يخزون فى أيام السوء في أيام الجوع يشبعون لان الاشرار يهلكون وأعداء الرب جميعا يبيدون وكالدخان يفنون اه وذكر في الاصحاح الخامس من كتاب أعمال الرسل قول عمانوئيل معلم اليهود فى حق الحواريين مخاطبا قومه يا أيها الرجال الاسرائيليون احترزوا لانفسكم من جهة هؤلاء الناس فيما أنتم مزمعون ان تفعلوا لانه قبل هذه الايام قام ثوداس قائلا عن نفسه انه شيء الذى التصق به عدد من الرجال نحو أربعمائة الذى قتل وجميع الذين انقادوا اليه تبددوا وصاروا لا شيء وبعد هذا قام يهوذا الجليلي في أيام الاكتتاب وأزاغ وراءه شعبا غفيرا فذاك أيضا هلك وجميع الذين انقادوا اليه تشتتوا والآن أقول لكم تنحوا عن هؤلاء الناس واتركوهم لانه ان كان هذا الرأى وهذا العمل من الناس فسوف ينتقض وان كان من الله فلا تقدرون ان تنقضوه لئلا توجدوا

محاربين الله أيضا اه وقال بولص فى بعض رسائله انه لاتبقى دعوة كاذبة فى الدين أكثر من ثلاثين سنة قال الامام ابن حزم في كتاب الملل والنحل بعد نقل عبارة بولص هذه هو عندهم أصدق من موسى بن عمران عليه السلام فان كان صادقا فما يحتاج معهم الى برهان فى صحة دين الاسلام ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم سوى هذا فان لهذه الدعوة أربعمائة عام ونيفا وخمسين عاما (وهى الى الآن ١٣٢٢ عاما) ظاهرة والحمد لله رب العالمين فيلزمهم ان يرجعوا الى الحق أو يكذبوا بولص بشيرهم انتهى كلام ابن حزم قال جامع هذا الكتاب الفقير يوسف النبهانى عفا الله عنه فهذه النصوص الواردة فى التوراة والانجيل والزبور وغيرها مصرحة بان من يدعى النبوة كاذبا يقتل ويهلك ويفنى ولا يبقى لدعوته أثر وأخباره بالمغيبات لاتخرج كما أخبر وثماره تكون رديئة وبعكس ذلك من يدعى النبوة صادقا وهذا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يقتل مع كثرة أعدائه والاسباب الكثيرة التى تقتضى قتله لو لم يكن صادقا بدعوى النبوة ومعصوما من الله تعالى وأما أخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات فهى على كثرتها جدا عما مضى ويأتى في حياته وبعد مماته صلى الله عليه وسلم لم يتخلف منها خبر واحد قط بل كلها ظهرت طبق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم وأما ثماره صلى الله عليه وسلم يعنى فوائده التى ترتبت على نبوته ورسالته وبعثته الى الناس فهى لم يوجد ثمار قبله ولا بعده مثلها بشهادة الاعداء فضلا عن الاصدقاء اذ لايمكن انكارها بعد ان طبقت الارض وانتشرت في الاقطار واستمرت فى سائر الاعصار وهى كل ما نفع الناس كالتوحيد والعلم والعدل ومكارم الاخلاق وغيرها من أنواع العبادات لله تعالى وحسن المعاملات مع الناس بحيث ان كل

أحد يعلم يقينا ان الاصلاح الذى وقع فى الكون ببعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يقع ببعثة نبى من الانبياء الصادقين وان كان كلهم حصل ببعثتهم خير عظيم للناس صلوات الله عليهم أجمعين فكيف يسوغ لعاقل منصف مع ذلك ومع ما وقع على يده صلى الله عليه وسلم من المعجزات التى لاتعد ولاتحصى ان لايؤمن به ويصدقه فيما جاءبه ويدع للشيطان عليه سبيلا فيشككه في صدقه مع ان صدقه أظهر من الشمس وهذه المعجزات لايمكن لاعقلا ولا نقلا ان تقع على يد كاذب فى دعوى النبوة أما السحرة والمشعوذون فانهم لايدعون النبوة منعا من الله لهم عن دعواها ولو ادعوها لايوجد الحق على أيديهم شيئا خارقا للعادة وهكذا جرت عادة الله تعالى منذ القديم لتبقى قاعدة النبوة والرسالة محفوظة من التخييل والتزوير ومن ان يدعيها غير أهلها لما يترتب على ذلك من الفساد العظيم بل الذين يدعونها كذبا لا يقدرهم الله تعالى على الاتيان بشىء من خوارق العادات ويسلط عليهم من يقتلهم واذا أخبروا بشىء من المغيبات لايكون كما قالوا بنص التوراة والانجيل وغيرهما كما تقدم ولولا ذلك لما تميزت الانبياء من السحرة وخلافهم من المشعوذين وهذا المعنى متفق عليه عند المسلمين والنصارى واليهود أيضا ونحن نراك أيها المعترض أنت وسائر أهل ملتك تعتقدون بكثير من أنبياء الله تعالى ومن المعلوم ان نبوتهم لم تعلم عند من صدقهم و آمن بهم الا بعد ان جرى على أيديهم شىء من المعجزات أثبتوا به دعواهم النبوة أوان يكون بشر بأحدهم قبله نبى أوفى زمانه فيكون ذلك النبى المبشر صدر على يده معجزات ثبتت بها نبوته فالمعجزات اذا هى الاصل الاصيل التى تثبت بها النبوات وهى كثيرة الانواع منها احياء الموتى وشفاء الاسقام والاخبار بالمغيبات واستجابة

الدعوات وهذه كلها مع معجزات أخرى وقعت لسيدنا عيسى عليه السلام ومنها قلب العصاحية وجعل اليد بيضاء مشرقة من غير علة وانفلاق البحر وتفجر الماء من الصخر بضرب العصا وكل هذه مع معجزات أخري وقعت لسيدنا موسى وهكذا سائر الانبياء فكل نبى لابد ان يكون له نصيب من ذلك قل أو كثر فاذا المعجزات هى الطريق الوحيد للتفريق بين النبى وغيره ولاشك ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ادعى النبوة مثل الانبياء السابقين وأقام على صحتها دلائل من المعجزات وخوارق العادات ونجح فى ذلك نجاحا عظيما لم ينجحه نبى قبله فانه قد صح انه لم يمت صلى الله عليه وسلم حتى آمن به ودخل فى دينه وطاعته أهل جزيرة العرب على الاطلاق وبعض من غيرهم فحج حجة الوداع وهي حجته الاخيرة ومعه من المؤمنين به صلى الله عليه وسلم مائة وعشرون ألفا سوى من لم يحضرها من النساء والرجال وهذا لم يتفق لنبى قبله نعم بنو اسرائيل حين خرج بهم موسى عليه السلام من مصر كانوا أكثر من هذا العدد ولكنهم لم يكونوا مطيعين له تمام الطاعة حتى امتنعوا عليه من قتال أهل اريحاء وقالوا له ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فانظر هذه المخالفة العجيبة وقلة الادب منهم فى حق موسى وفى حق ربه تعالى ولذلك أضلهم سبحانه وتعالى فى التيه أربعين سنة وبعكسهم ماوقع من تمام الادب وكمال الطاعة والانقياد فى حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من أصحابه اذ قالوا له لانقول لك كما قال قوم موسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون نحن عن يمينك وشمالك وامامك وخلفك والله

لو أمرتنا بقطع البحر اقطعناه فقد آمنا بك وصدقناك يارسول الله وكان ذلك فى غزوة بدر وقد كان الكفار أضعافهم فنصرهم الله عليهم أما كثرة المعجزات وخوارق العادات التى صدرت من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فكل من له أدنى المام بسير الانبياء وسيرته عليه الصلاة والسلام يعلم يقينا ان معجزاتهم جميعا صلوات الله عليه وعليهم لواجتمعت كلها لاتجىء عشر معجزاته وحده صلى الله عليه وسلم والحكمة فى ذلك والله أعلم انه خاتم الانبياء وانه بعث فى عصر جاهلية وقومه العرب لاعهد لهم بالنبوات والشرك قد استولى عليهم وعبادة الاصنام غلبت على قلوبهم واستمرت اعصرا يتوارثها الابناء عن الآباء فاقتضى ذلك كثرة المعجزات لاقناعهم وقد آمن منهم جماعة بمجرد اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وسماع كلامه وآمن بعضهم بمجرد سماع القرآن وآمن بعضهم بمشاهدة معجزات أخري وامتنع بعضهم عناداً فشرع الجهاد بعد قوة المسلمين وكثرتهم فنصرهم الله وكانت العاقبة لهم والحمد لله فقد ظهر ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ادعى النبوة وأقام على اثباتها من المعجزات الكثيرة أضعاف ما أقامه الانبياء السابقون على اثبات نبواتهم وان الله تعالى أيده ونصره وجمع له كلمة العرب وطاعتهم ووفقهم للايمان به مع توغلهم فى الشرك والجهل والجاهلية وشراسة طباعهم وابايتهم على الانقياد الى أحد حتى كانوا فرقا وجماعات لاملك لهم يتفقون على طاعته هذا مع ما كان صلى الله عليه وسلم متصفا به من مكارم الاخلاق ومحاسن الصفات التى لم تجتمع فى رجل قبله وشهدوا له مع شدة عداوتهم انه نشأ على أكمل الخصال وأفضل الاحوال ومع ما أتى به فى قرآنه وغيره من العلوم التى لاعهد للعرب بها وتلقاها أصحابه عنه ثم بعده فتحوا الفتوحات

الكثيرة ونصرهم الله على كل من خالفهم وأيد الله دينه غاية التأييد ونشرهم فى سائر أقطار الارض فى مدة قليلة وسخر قوما من أمته لحفظه وخدمته والاشتغال الدائم به ونشره فى سائر الجهات بحيث لم يخدم دين على الاطلاق مثل ما خدم ولم يزل علماء أمته كذلك طبقة بعد طبقة كل طبقة تبذل أقصى ما في وسعها لخدمته والمثابرة على نشره وذب ماعساه يتطرق اليه من أهل الزيغ والكفر والالحاد اعداء الحق فى كل عصر ولم يزل الامر كذلك حتي وصلنا والحمد لله وهو في غاية السلامة من جميع الشوائب كأنه في عصر النبى صلى الله عليه وسلم من غير تبديل ولا تغيير مع زيادة الشروح التى أوضحت لنا من المعانى مالانقدر على فهمه بأفهامنا القاصرة وذلك كله فى المعنى يعد من قسم المعجزات والدلائل التى تثبت صحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وانه رسول الله حقا فانه تعالى هو الذى ايده بنصره وحفظ دينه فى حياته وبعد مماته العصور الكثيرة المتطاولة فهل يتفق هذا كله لكاذب يكذب على الله تعالى ويدعى انه نبيه وان هذا الدين دينه حاشا وكلا لاسيما وقد صرح تعالى فى التوراة كما تقدم بان النبى الكاذب يقتل وان مايقوله من تلقاء نفسه لايكون ولا يوجد فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يقتل مع تعرضه لاسباب القتل الكثيرة في مواقع الحروب وغيرها وكثرة اعدائه الذين كانوا كالوحوش الضارية وقصدوا قتله غيلة مرارا كثيرة وهجموا عليه في بيته فى مكة ولحقوه فى طريق المدينة حينما هاجر اليها وجعلوا الاموال الكثيرة مكافأة لمن يقتله ومع كل ذلك لم يتمكن احد من قتله لقول الله تعالى له فى قرآنه ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ وكان صلى الله عليه وسلم قبل نزول هذه الآية يحرسه بعض أصحابه فحينما نزلت وكان

الوقت ليلا أخرج رأسه الشريف وقال لهم انصرفوا فقد عصمني الله تعالى ثم بعدها كان ينفرد عن أصحابه وينام فى البرية وحده حتي قصد بعض فتاك العرب من أعدائه قتله وهو نائم فلم يستطيع وجمدت يده على السيف الى ان انتبه النبي صلى الله عليه وسلم من منامه وعفا عنه واذا انكر المعترض وامثاله عنادا مثل هذا الحديث فلا يمكنهم ان ينكروا انه صلى الله عليه وسلم حارب اعداءه فى وقائع كثيرة ودخل الحرب بنفسه حتى انه كان فى غزوة حنين وهي أشد الغزوات حربا واكثرها اعداء وضربا راكبا على بغلته وفر اصحابه وبقي مع نحو العشرة منهم والاعداء الوف كثيرة ثم عاد اصحابه وحصل النصر والحمد لله ومع ذلك كله ماقدر احد من اعدائه على قتله وذلك من عصمة الله تعالى وحفظه له من القتل صلى الله عليه وسلم مع ان عبارة التوراة لم تشترط فى قتل النبي الكاذب ان يتعرض للحروب واسباب القتل بل ذكرت انه يقتل وذلك يكون بأن يسلط الله عليه من شاء من خلقه ولو كان فى وسط بيته فيقتله وليس معنى عبارة التوراة ان قتل كل من يدعى النبوة علامة على انه كاذب كلا فان الله تعالى لم يقل ان النبي الصادق لايقتل بل الصادق يبقى على جواز القتل وعدمه وقد قتل اليهود بعض الانبياء الصادقين كما ورد فى القرآن وغيره مثل زكريا ويحيي عليهما السلام مع انهم لم يتعرضوا لاسباب القتل ولم يخوضوا وقائع الحروب كنبينا صلى الله عليه وسلم ولكن الله تعالى سلط عليهم بعض اشرار خلقه فقتلوهم زيادة فى شقاوة القاتلين وسعادة المقتولين ورفع درجاتهم والانبياء صلوات الله عليهم اكثر الناس بلايا واصبرهم عليها لزيادة الامتحان حتى يخلصوا جوهرهم من كل شائبة فيلقوا الله تعالى وهم في

غاية الطهارة والصفاء كالذهب مثلا فانه بعرضه على النار تخرج منه الاجزاء الاجنبية عنه ويصير ذهبا خالصا وهكذا الانبياء وهذا هو اعتقادنا فيهم صلوات الله عليهم ولكن نقول للمعترض وامثاله لزيادة الزامهم واقامة الحجة عليهم واظهار تعنتهم وتعصبهم ومكابرتهم ورفضهم الحق الباهر واصرارهم على الباطل الظاهر نراكم تعتقدون نبوة من قتل من الانبياء ومنهم زعمكم عيسى عليه السلام وليس عندكم فيها شك مع انه وجد فيهم علامة النبي الكاذب وهو القتل الذى صرحت به التوراة حالة كونهم لم يتعرضوا لوقائع الحروب ولم يلقوا انفسهم فى الاخطار التى تقتضى قتلهم ولكن الله تعالى سلط عليهم خلقه فقتلوهم وهذا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ادعى النبوة مثل ما ادعوا واقام عليها من الدلائل والمعجزات اكثر مما اقاموا ولم يقتل كما قتلوا مع انه باشر الحروب بنفسه وألقى نفسه فى مظان القتل مرارا كثيرة وقصد بالفتك أيضا مرارا كثيرة ولم يقتل بل عصمه الله تعالى حتى صار لايبالى اين يتوجه واين ينام وحده او معه احد مع كثرة اعدائه وقوتهم وتكالبهم على قتله من اليهود والعرب قريش وغيرهم ولو كان ملكا لايجوز له العقل وحسن التدبير ذلك كما انه لايجوز له العقل أن يؤلف آية وهي قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ من تلقاء نفسه ويقول لحراسه اذهبوا أيها الناس فقد عصمني الله هذا ضد العقل وهو كان أعقل الناس بالاتفاق فاذا كان من الملوك كيف سوغ له عقله هذا العمل الذى لا يصدر الا من كل ملك أحمق أخرق ومع ذلك كله نراك أيها المعترض أنت وقومك تؤمنون بأن المقتولين من الانبياء وهم قد وجدت فيهم علامة النبي الكاذب وهي القتل مع وجودهم فى مظان السلامة منه أى لم يعرضوا أنفسهم

للحروب ونحوها ولا تؤمنون بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع انه
لم توجد فيه علامة النبى الكاذب وهى القتل مع وجوده فى مظانه من
الحروب وغيرها وقلة معجزاتهم وكثرة معجزاته وقلة ماورد عنهم
من العلوم الربانية والمعارف الالهية وكثرة ماورد عنه من ذلك
فهل اذا عرضنا هذا الامر على أحد من عقلاء الدنيا يكون خالى
الغرض يحكم لكم أو عليكم وهل أنتم أنفسكم اذا نظرتم أدنى نظرة
صحيحة بافكاركم السليمة لا تدركون انكم على خطأ فاحش
وضلال مبين في هذا الامر الذى لم يحسنه لكم وهو في غاية القبح الا
الشيطان الرجيم وكونكم ولدتم ونشأتم عليه من الصغر ووجدتم
عليه الآباء والاجداد والا فاين عقولكم التى تدركون بها دقائق أمور
الدنيا وكثيرا من العلوم الغامضة أليس من العجيب ان تلك العقول
الذكية لايستبين لها هذا الخطأ الواضح والضلال الفاضح الذى يستحى
العاقل ان ينسب اليه ولكن أين الحياء وأين من يستحى وأين من
يذوق وأين من يستطعم نعوذ بالله من الضلال والتباس الامور انها
لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ومن لم يجعل الله
له نورا فما له من نور وأيضا أنت أيها المعترض وأمثالك لا تكذبون
بذلك سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فقط بل تكذبون الله تعالى
تكذيبا صريحا لايحتمل التأويل فان آية التوراة المذكورة لاتشكون
بانها من كلام الله تعالى وقد وعد الله تعالى فيها بقتل النبي الكاذب
ووعد بأن مايقوله من عند نفسه من الاخبار عن الغيوب لايكون ولايوجد
وهذا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يقتل وجميع ماأخبر به من الغيوب
وجد كما أخبر فكيف ترضون ذلك لانفسكم هذا فضلا عن ان الانبياء

الذين تؤمنون بنبوتهم لم يتفق لكثير منهم الا النذر اليسير من المعجزات
وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم تؤمنوا به مع ان معجزاته طبقت
بكثرتها الارضين والسماوات أهذا شأن العقلاء المنصفين الذين يردون
دين الله الحق أينما وجد وعند من كان كلا والله بل ذلك شأن أهل
المكابرة والعناد والبهتان الذين لايستحون من الله ولا من الخلق ولا
يبالون بنصرة الباطل ورفض الحق ولا شك انك أيها المعترض وأمثالك
ممن آمنوا بالانبياء السابقين وكفروا بسيدنا محمد سيد المرسلين صلى الله
عليه وسلم لم ينزل الله عليكم ملائكة يخبرونكم بلاواسطة بصدق أولئك
الانبياء الذين صدقتموهم وآمنتم بهم وانما بلغتكم معجزاتهم التى عرفتم
بها صدقهم بواسطة بشر مثلكم فصدقتموهم وآمنتم بهم وكذلك بلغتكم
معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل صدقه بواسطة بشر مثلكم
ومع ذلك لم تؤمنوا به ولم تصدقوه صلى الله عليه وسلم مع ان الذين بلغوكم
معجزاته صلى الله عليه وسلم هم أكثر وأوثق بكثير من أولئك الذين
بلغوكم معجزات الانبياء السابقين والمدة بينكم وبينه صلى الله عليه وسلم
أقرب من المدة التى بينكم وبين سائر النبيين وأنتم لاتشكون بانه صدرت
على يده صلى الله عليه وسلم تلك المعجزات ولكن الشيطان يغويكم
ويزين لكم حملها على محامل أخرى لتبقوا من حزب هذا اللعين
وتستمروا على ضلالكم المبين والا فما هو الذى يصرف هذه المعجزات
الكثيرة والدلائل القوية عن ظاهرها وهل يمكن ان يأتي بها من قبل
نفسه ويجريها الله على يده وهو يدعى انه نبيه وانه جاء بهذا الدين من
عنده ويفترى على الله الكذب هذا مما لايمكن ولايتصوره عقل مع ان معجزاته
أكثر وأبهر من معجزات سائر النبيين فان معجزاتهم كلها لو اجتمعت

لاتجئ مقدار معجزاته وحده صلى الله عليه وسلم ولو أتوا بمعجزات غير ما نقل عنهم لنقلت أيضا وذكرتها الكتب التوراة والانجيل وغيرهما ولكن لم يصدر منهم الا ما روى عنهم وذلك قليل جدا بالنسبة الى ماصدر من نبينا صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن من معجزاته صلى الله عليه وسلم الا القرآن وحده لكان كافيا وافيا بل لو لم تكن الا سورة منه لكانت كافية فان الله تعالى قال ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ فلم يستطيعوا ومع ذلك فقد اشتمل على نحو ستين ألف معجزة كما ذكره السيوطى والقاضي عياض وتفصيل ذلك فى باب القرآن من هذا الكتاب وكذلك لو لم يكن له معجزة صلى الله عليه وسلم الا انشقاق القمر لكانت كافية فى اثبات نبوته وبيان صدقه عليه الصلاة والسلام وقد اتفق المسلمون من عصره صلى الله عليه وسلم الى الآن على وقوع هذه المعجزة الباهرة والآية القاهرة التى هى بعد القرآن أعظم معجزاته وأكبر آياته صلى الله عليه وسلم قال الامام الخطابى انشقاق القمر آية عظيمة لايكاد يعدلها شىء من آيات الانبياء وذلك انه ظهر فى ملكوت السماوات خارجا عن جملة طباع مافى هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع فى الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر وقال ابن عبدالبر روى حديث انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الجم الغفير الى ان انتهى الينا وتأيد بالآية الكريمة ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ وقال ابن السبكى في شرح مختصر ابن الحاجب والصحيح عندى ان انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن مروى فى الصحيحين وغيرهما وله طرق شتي بحيث لايمترى فى تواتره انتهى وهذه المعجزة مهما كانت عظيمة فقدرة الله تعالى أعظم منها بما لايقدر فان عقيدتنا وعقيدة النصارى واليهود

أيضا ان الله تعالى قادر على كل شىء وانه لو قال للسموات والارضين وما فيهما كونى عدما لعدمت فى الحال فكيف يستعظم على قدرته تعالى وقوع انشقاق القمر اجابة لدعوة نبيه الذى أرسله وأقام له هذه المعجزة وغيرها من خوارق العادات دلائل على صدق نبوته وصحة رسالته وهو سبحانه وتعالي لافرق عنده بين فعل المعجزة الصغيرة والكبيرة كما انه لافرق عند قدرته الباهرة التي تعجز عقول الخلائق عن تصور عظمتها بين خلق النملة مثلا وخلق العرش بما فيه من السموات والارضين قال تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وبهذا يعلم ان استعظام من استعظم معجزة انشقاق القمر انما هو لقصور عقله وسقامة فهمه لانها ليست فعل النبى صلى الله عليه وسلم حتي يستعظم وقوعها منه وانما هى فعل الله تعالى القادر على كل شىء وهى لولاها فى غاية العظم ولا يمكن ان يأتى بمثلها البشر من عند أنفسهم لما كلفه صلى الله عليه وسلم المشركون بها فانهم كانوا شاهدوا منه المعجزات ولم يؤمنوا به عنادا وتصلبا فى شركهم وضلالهم فقصدوا بهذا التكليف تعجيزه لانهم علموا انهم مهما كلفوه به من المعجزات الارضية يأتيهم به لتكرر ذلك منه ومشاهدتهم اياه فتصوروا انه مهما كان عنده من المقدرة على الاتيان بالامور الخارقة للعادة لا يمكنه ان يتصرف باجرام السماء فكلفوه بذلك متيقنين انهم يعجزونه به وذلك لقصور عقولهم وشدة تعنتهم فى كفرهم فان فاعل المعجزات التى صدرت على يده صلى الله عليه وسلم وشاهدوها وتيقنوا انهم عاجزون عن مثلها هو الله تعالى وهو عز وجل لافرق عنده بين الامور الجزئية والكلية الارضية والسماوية ولا بين الارض والسماء فانهما في تصرفه وقبضته يفعل فيهما وفى جميع الخلق مايشاء والذى يدل على انهم لم

يقصدوا الا التعنت والتعجيز لا طلب الدليل على نبوته صلى الله عليه وسلم ليؤمنوا به انهم كانوا شاهدوا منه قبل ذلك معجزات كثيرة وعرفوا من دلائل النبوة وعلامتها الصادقة عليه مما شاهدوه بانفسهم وسمعوه من أهل الكتاب وغيرهم شيئا كثيرا ومع ذلك لم يؤمنوا لانهم كانوا أكابر الناس ورؤساءهم فلم تطب نفوسهم ان يكونوا تابعين بعد ان يكونوا متبوعين ولذلك استمروا على كفرهم وشركهم بعد مشاهدتهم انشقاق القمر ومعجزات كثيرة بعده وقبله الى ان قتلهم الله على يده صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر وكانوا أكثر من أصحابه صلى الله عليه وسلم بكثير عددا وعددا وقبل وقوع الحرب مشى صلى الله عليه وسلم فى محل المعركة وعين مصرع كل واحد منهم أى المكان الذى يصرع ويقتل فيه فقال لاصحابه هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان الى آخرهم كابى جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف ونحوهم من صناديد قريش أعداء الله ورسوله قال الصحابة فى الحديث الصحيح حديث البخاري فوالله ما تجاوز واحد منهم المكان الذى عينه له رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شك انك أيها المعترض وأمثالك ممن أضلهم الله على علم أشد عداوة لله ورسوله من أولئك الكفرة المشركين وأعظم تعنتا وتعصبا فى رفض الحق الصريح والتمسك بالباطل القبيح والدليل على ذلك من وجوه (الوجه الاول) انهم كانوا كما تقدم رؤساء قومهم ولم تسمح نفوسهم بأن يكونوا تابعين بعد ان كانوا متبوعين (الوجه الثانى) انهم كانوا فى عصر جاهلية وأنتم فى عصر علم فانتم أولى بمعرفة الحق واتباعه منهم (الوجه الثالث) انهم عبدة أوثان وأنتم من أهل الكتاب فانتم كذلك أولى منهم باتباع الحق فانتم اطلعتم على كتب الله تعالى ورأيتم وصف نبى يجئ بعد عيسى عليه السلام ولم يجيء

الى الآن نبى فى الدنيا بالآيات والمعجزات قد أيد الله دينه وعممه فى جميع الجهات غير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكل العلامات التى وردت فى التبشير بذلك النبى المذكورة فى الكتب القديمة هى موجودة فيه صلى الله عليه وسلم ولو فرضنا انها محتملة له ولغيره عند من فسروها قبل وجوده صلى الله عليه وسلم فبعد وجوده وصدور ما صدر منه عليه الصلاة والسلام من الآيات والمعجزات ونصر الله تعالى له على اعدائه وحفظه من القتل مع كثرة اسبابه ونشر دينه ودوامه تبين لكل من عنده ادنى بصيرة وانصاف انه هو النبي المبشر به بلا شك ولا ريب وفي التسليم بذلك مع فضيلة الايمان به صلى الله عليه وسلم ظهور صدق الله تعالى فى أخباره بكتبه القديمة بهذا النبي وظهور صدق اولئك الانبياء باخبارهم ان الله تعالى اخبرهم بذلك ولا يخفى ما فى هذا من الفضل العظيم فرفض التصديق به صلى الله عليه وسلم كما ان فيه تكذيب نبى كريم عظيم من اجل أنبياء الله تعالى وهو هو صلى الله عليه وسلم فيه ايضاً تكذيب الله تعالى بكون ما اخبر به في تلك الكتب عن مجيء هذا النبي لم يصح وتكذيب ذلك النبي المخبر فى كتابه بان الله أخبره بذلك ولا يخفى ما في هذا من الضلال والوبال أما التأويلات التى أوّلوها فهى بعد ظهور النبى صلى الله عليه وسلم ظاهرة البطلان لا يقول بها أحد من أهل الانصاف والعرفان وانما يصر عليها أهل المكابرة والبهتان (الوجه الرابع) انه مما يبين انك أيها المعترض وأمثالك أشد كفراً وعناداً من أولئك المشركين من اهل الجاهلية انهم وان شاهدوا معجزات النبى صلى الله عليه وسلم الا أنهم لم يكونوا يظنون ان امره صلى الله عليه وسلم يظهر هذا الظهور العظيم الذى لم يظهره احد من خلق

الله تعالى ويستمر له ذلك وتكون له هذه الامة العظيمة و يؤيده الله كل هذا التأييد الذى لم يحصل لاحد من الانبياء السابقين وأنتم قد شاهدتم تأييد الله تعالى له ولامته وبقاء دينه وانتشاره غاية الانتشار اما بانفسكم واما بالنقل عن الكتب الصحيحة والتواريخ المعتمدة حتى كانكم ناظرون حاضرون من عهده صلى الله عليه وسلم الى الآن ومع مشاهدتكم ذلك ومعرفتكم بما هنالك لم تؤمنوا به ولم تصدقوه فمن أضل سبيلا ومن أقبح اعتقاداً وقيلا أ أنتم أم أولئك المشركون الجاهلون والظاهر انهم لو عرفوا ماعرفتم وشاهدوا ماشاهدتم لم يتأخروا عن الايمان به صلى الله عليه وسلم ولم يحاربوه فانهم ماأقدموا على حربه الا وهم يعتقدون انهم يغلبونه وتذهب دولته ويضمحل شأنه وتبقى لهم الرياسة فى قومهم وبلادهم ولو تأخروا قليلا حتى شاهدوا ماشاهده من تأخر منهم فاسلم لاسلموا أيضاً ولكن سبقت لهم الشقاوة وغلبت عليهم الضلالة فذهبوا الى النار وبئس القرار وأما أنت أيها المعترض وأمثالك فانك مع ظهور صحة نبوته صلى الله عليه وسلم ودينه كل هذا الظهور الذي هو أظهر وأبهر من ظهور الشمس والبدور ولا رياسة لك يزاحمك عليها كاولئك القوم الاشرار رؤساء الكفار تعاديه أشد العداوة وتبدى فى حقه صلى الله عليه وسلم من السفاهة والوقاحة والكفر والضلال والجراءة على الله تعالى وقرآنه ورسوله الاعظم صلى الله عليه وسلم مالم يصدر من أولئك المشركين ولا من غيرهم فانهم كانوا مع معاداتهم له عليه الصلاة والسلام أشد العداوة لاينكرون فضله ويشهدون له بالصدق والامانة والصيانة وسائر أوصاف الكمال ولكنهم مع ذلك حافظوا على أديانهم التي ورثوها عن آبائهم ولم تدعهم انفة الرياسة وكبرياؤها وعظمة نفوسهم الابية

وحميتهم الجاهلية يتبعونه صلى الله عليه وسلم على دينه الجديد الذى هدم دين آبائهم ولو أطاعهم على عدم ذكر دينهم بالسوء والتصريح بتضليلهم وتضليل آبائهم لما عارضوه ولا حاربوه فبهذا يعلم انك أيها المعترض أشد منهم كفراً وعناداً وأعظم منهم تعنتا وضلالا وفسادا فاتق الله في نفسك فانها ضعيفة مسكينة لاقدرة لها على معاداة الله ورسوله وليس فعلك هذا من شأن العقلاء ولكن الله يهدى من يشاء ويضل من يشاء فقد ثبت وظهر ظهور الشمس والبدور لمن فى قلبه أدنى نور ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم هو عبد الله ورسوله بلا شك ولا ريب ولا يرتاب فى ذلك بعد الاطلاع على سيرته ومعجزاته وأحواله الشريفة وآياته الا أحد رجلين اما ان يكون فاقد العقل بالكلية ليس له ادراك يفرق به بين الحق والباطل واما ان لايكون كذلك ولكن الله تعالى سلب لبه واعمى قلبه وطمس عين بصيرته فلا يرى الحق حقاً ولا الباطل باطلا قال تعالى ﴿ إِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ والدليل على ذلك انا نرى ذلك الرجل نفسه الذى اطلع على أخبار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلم آياته الظاهرة ومعجزاته الباهرة ولم يؤمن به مع كون الراوى لها أمة عظيمة هي أصدق الامم وأكثرها اعتناء فى شؤن الدين فهى لاتتفق على الكذب والضلال بيقين نراه يؤمن باشياء محالات في جانب الله تعالى لايؤيدها عقل سليم صحيح ولا نقل عن أنبياء الله الله صريح واذا ثبت كونه صلى الله عليه وسلم نبي الله ورسوله وانه لاينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى فلا شك حينئذ ولا شبهة ان كل ماورد عنه صلى الله عليه وسلم حق وصدق يجب الايمان به والتسليم لان ذلك كله شرع الله تعالى شرعه لنا بواسطة هذا النبي الاعظم صلى

الله عليه وسلم فأقواله وأفعاله وأحواله وتقريراته كلها مصادر للاحكام الشرعية كما يعلم ذلك كل من له أدنى المام في شريعته صلى الله عليه وسلم وكون ذلك المعترض النصرانى هولايؤمن بذلك ويحملها على الاغراض البشرية والاهواء النفسية هو تابع لعدم ايمانه به صلى الله عليه وسلم اذ لايعتقد صدقه وأمانته ونزاهته عن الاغراض والاهواء الا بعد أن يعتقد صحة نبوته صلى الله عليه وسلم ونحن لا حيلة لنا في اقناعه بذلك وسوق قلبه اليه بعد ان رزقه الله ادراكا وفهما وأفنى عمره فى قراءة كتب المسلمين والاطلاع على معجزات سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ولم يفده ذلك الا بعداً وطرداً وعداوة لله ولرسوله ولدينه ولامته فهذا لادواء له الا أن يهديه الله تعالى اذا شاء ويريه الحق حقاً والباطل باطلا والا فلا فائدة معه من كثرة الكلام واقامة البراهين قال تعالى لسيد الانبياء صلى الله عليه وسلم ﴿ اِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلٰكِنَّ اَللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ ونحن نحب له ولكل الناس أن يؤمنوا بالله ورسوله سيد المرسلين وأن يكونوا من أمته الناجية وحزبه المفلحين ولكن ذلك ليس بارادتنا ولهذا ليس قصدى من اطالة الكلام اقناعي اياه لانى أعلم انه لا يقنع بذلك الا اذا هداه الله تعالى واذا هداه لايحتاج الى عشر معشار ماذكرته وقد اطلع هو الى الآن من الفضائل المحمدية والمعجزات المصطفوية على شئ كثير ولم تفده شيئا بل زادته بعداً عن الحق وبغضاً في سيد الخلق لانه لما قدر الله شقاوته وحرمه هدايته لم ينظر الى تلك الدلائل والمعجزات بعين المحب الطالب الخير لنفسه وانما نظرها بعين المبغض المنتقد فزاد ضلاله وعظم وباله وساءت أقواله وأفعاله فقد زادته ضلالا أسباب الاهتداء والله يفعل فى خلقه مايشاء وانما قصدى

المحافظة على عقائد بعض العوام من أهل الاسلام الذين ربما اطلعوا على كتابه هداية الشيطان فيتوهمون ان ماأتى به من الايهامات والسفاهات تحته كبير أمر فيحصل لهم من تشويش الافكار مالا يحمد السكوت عليه لانه أخذ ينقل بعض الآيات والاحاديث وعبارات علماء المسلمين ويوهم انها متناقضة يخالف بعضها بعضا وكيف يمكن أن تؤثر التخييلات والاوهام فى دين الاسلام وهودين الله الملك العلام ووحيه الى خاتم أنبيائه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وقدخدمه ألوف ألوف من العلماء الاعلام أبعد هذا الاتقان يشكك فيه الشيطان ويؤثر فيه البهتان حاشا وكلا فنحن فى راحة من هذا القبيل وان تصدى لمعاداته أئمة الكفر جيلا بعد جيل وهو مع قوة عماده ورسوخ أوتاده ونشر الله تعالي له فى بلاده وعباده يقيض له سبحانه وتعالى فى كل عصر كثيرا من عبيده المؤمنين يدحضون مايأتى به أعداؤه من الاضاليل مع ان الواحد من أهل الحق يقاوم ألوفا من أهل الاباطيل لان الحق فى نفسه قوى شريف والباطل فى نفسه خسيس ضعيف والمبطل فى الغالب يكون لسانه مشغولا بنصرة باطله وقلبه معترف بالحق ولا يمنعه من اتباعه الا العناد والحياء وسابقة الضلال والشقاء اذا علمت ذلك تعلم ان الاساس انما هو اعتقاد نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فكان يجب على ذلك المعترض البحث فيها والنظر فى كون الدلائل والمعجزات الواردة عنه صلى الله عليه وسلم هل هى كافية لثبوتها أولا واذا كان له أدنى عقل يرى فيها بل بجزء من ألف جزء منها بل في أقل من ذلك الكفاية وحينئذ يثبت صدقه وأمانته وان كل ماأخبر به صلى الله عليه وسلم حق وصدق وان القرآن كلام الله الذى لايجوز عليه الزيادة ولا النقص كما قال تعالى ﴿ اِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ

وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) وكل مالم يفهم من القرآن والحديث مما يشكل عليه ظاهره فليرجع الى العلماء أو الكتب ان كان له اقتدار على فهمها فان علماء الامة لم يتركوا شيئا الا وبينوه وكثيرا ما كان بعض الصحابة يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن معانى القرآن وما يشتبه عليهم منه فيشرحه لهم ويسأل بعضهم بعضا عن ذلك وعن بعض مالم يفهموه من كلام الله وسنته صلى الله عليه وسلم فى حياته وبعد مماته عملا بقوله تعالى (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) فيفيد المسؤل للسائل ماعنده من العلم فى ذلك وربما كانوا يستشكلون بعض أفعاله صلى الله عليه وسلم مما يخالف ظاهره المصلحة ولم يفهموا حكمته فيسألونه عنه أو يسأل بعضهم بعضاً ثم تظهر لهم الحكمة ويعلمون ان الصواب مافعله وان المصلحة فيه وان الخير كل الخير في التسليم له صلى الله عليه وسلم وانظر الى قصة الحديبية حينما صالح صلى الله عليه وسلم كفار مكة على شروط ظاهرها يخالف مصلحة المسلمين فاستشكل عمر ذلك عند أبي بكر رضى الله عنهما فاجابه بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفعل الا ما فيه المصلحة ويجب التسليم له فانه رسول الله حقا فظهرت المصلحة بعد ذلك ودخل منهم فى دين الله جماعة كثيرة بلا حرب بسبب اختلاطهم بالمسلمين وسماعهم منهم القرآن ومعرفتهم أحكام دين الاسلام ثم وقع الفتح الاعظم فتح مكة على أثر ذلك قبل تمام مدة ذلك الصلح والمدار انما هو على الايمان به صلى الله عليه وسلم وحينئذ يسهل على المؤمن حل كل شئ أشكل عليه وأقل مايجيب به الشيطان اذا لبَّس عليه وأراد أن يشككه في دينه بان جهز له أحد أعوانه كهذا المعترض الخبيث أن يقول أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وان جميع ماجاء به صلى الله عليه وسلم

حق وصدق كله من عند الله تعالى وان كل شئ يخالف ماجاء به عليه الصلاة والسلام فهو باطل مردود ويقنع نفسه بعد عقيدته هذه الصحيحة بانه لايلزمه أن يفهم كل دقائق الشريعة وحل مشكلاتها لان ذلك له أرباب علماء اتقياء أقامهم الله تعالى لخدمة وشريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم افنوا أعمارهم فى خدمة شرعه الشريف ودينه المبين ولا يخلو كل عصر من جماعة منهم جعلهم الله أنصاراً له وأعداء لاعدائه المعتدين ولا تتعجب من ضلال هذا المعترض وأمثاله مع علمهم كثيراً مما صدر على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباهرات والدلائل الظاهرات والآيات البينات فان ضلالهم الذي نشؤا عليه قد امتزج منهم باللحم والدم وسرى فى أبدانهم وأرواحهم سريان الماء فى العود فكيف مع ذلك تفيدهم كثرة الادلة وقوة البراهين وظهور الحجج على صحة رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد ان طمس الله على بصائرهم وأعمى قلوبهم أما من سبقت السعادة فى الازل له منهم وألقى الله فى قلبه نور الهدي فانه يقنع بايسر شئ بسبب ذلك النور المودع فى بصيرته كما انك لو عبرت بجميع العبارات ونوعت أساليب الكلام على ان تفهم الاعمى الذى خلقه الله أعمى هذه الالوان والاوصاف الكونية المختص ادراكها بالبصراء لايمكن ان تصل الى ذلك أما من خلقه الله بصيرا أو كشف عن بصره كبيراً أو صغيراً فانك تقدر أن تفهمه ذلك بايسر العبارات ولا يخفاك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى عصره كثير من اهل الشرك والضلال الذين شاهدوا معجزاته واطلعوا علي اوصافه الجميلة وفضائله الكثيرة الجليلة التى لم تجتمع فى احد سواه ومع ذلك أصروا على عبادة الاوثان والاصنام ولم يؤمنوا بسيدنا محمد

سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام بل بذلوا أقصى وسعهم في معاكسته ومحاربته حتي أهلك الله كلا منهم على كفره وضلالته وهناك قوم آخرون آمنوا به صلى الله عليه وسلم من غير سماع دليل ولا اقامة حجة كابي بكر الصديق رضي الله عنه فانه آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم بمجرد سماع دعوته من دون حاجة الى اظهار معجزة لما يعلمه من صدقه وأمانته منذ صغره ونشأته بحيث انه رأى الكذب عليه محالا عادة لما كان مشتهرا به من مكارم الاخلاق وجميل الصفات وجليل المناقب والفضائل فاغناه ذلك عن اقامة البراهين والدلائل وكعبد الله بن سلام رضى الله عنه وكان أعظم أحبار اليهود فآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم بمجرد وقوع بصره عليه صلى الله عليه وسلم قال فلما رأيته عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب وأعانه على ذلك ما كان يعلمه من أوصافه صلى الله عليه وسلم الواردة فى التوراة وكتب الله تعالى طبقها على أوصافه الذاتية صلى الله عليه وسلم فانتجت صحة نبوته عنده فلما رآه حصل له اليقين فآمن به صلى الله عليه وسلم ومنهم من آمن بمجرد سماع كلامه صلى الله عليه وسلم كضمار الازدى فقد آمن بمجرد سماعه من النبى صلى الله عليه وسلم قوله الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادى له وأشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فقال سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ولقد بلغن قاموس البحر هات يدك أبايعك على الاسلام فبايعه رواه مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما وبعضهم بمجرد سماع القرآن و بعضهم احتاج الى رؤية معجزات أخري كثيرة أو قليلة بحسب ماقدره الله له من قوة نور بصيرته وضعفه وكثرته وقلته وبمقتضى ذلك كان

يصير الاسراع والبطء عنه وهذا كله لمن أودع الله في قلوبهم شيئا من نور الهدى كثيرا أم قليلا فاهتدوا بذلك النور الى السعادة الابدية بالايمان به صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من دين التوحيد وعبادة الله تعالى الحميد المجيد وأما الذين فقدوا النور بالكلية وامتلأت قلوبهم من الظلام فانهم بمقتضى عماهم لم يشاهدوا شمس نبوته عليه الصلاة والسلام وهؤلاء لو ملأنا لهم الدنيا من اقامة الحجج وترتيب البراهين لايمكن ان نقنعهم بصحة نبوة سيدنا محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والحكمة فى ذلك ان الرسالة والنبوة هى أعظم الانوار التى أودعها الله فى البشر والايمان أيضا هو نور من الله تعالى يقذفه فى قلب من شاء من عباده فاذا بلغ ذلك النبى والرسول رسالة ربه الى من يوجد نور الايمان فى قلبه يجيبه حالا لقوة المناسبة النورانية فيجذبه جذبا لايقدر على مخالفته كما ان المغناطيس يجذب الحديد لمناسبته واذا لم يكن شيء من ذلك النور بل كان القلب مملوأ بالظلام فحينئذ لا يؤثر فيه نور النبوة لعدم المناسبة كما ان المغناطيس لا يؤثر بالحجر ونحوه مما لا مناسبة بينه وبينه اذا علمت ذلك فلا تتعجب ممن يري لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الوفا كثيرة من الدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة على صحة نبوته عليه الصلاة والسلام ولا يؤمن به ومع ذلك هو يؤمن بما نشأ عليه من الضلال بلا دليل ولا برهان بل يؤمن بذلك مع قيام أقوى البراهين واوضح الدلائل على ان ما هو عليه من اضل الضلال وابطل الباطل وهذا ليس من بلادته بل من ضلالته كما أن اتباع الحق لمن اتبعه ليس من نباهته بل من هدايته والافنحن نرى من الكفرة كل واحد يدبر الدنيا بسديد رأيه ويدرك دقائقها بثاقب فكره ومع ذلك هو كافر بالله تعالى غير معتبر بما أودعه فى أرضه

وسمائه وغير مؤمن برسوله محمد صلى الله عليه وسلم وسائر أنبيائه وبعضهم يؤمن بوجود الله تعالى ولكنه يصفه بأوصاف لايرضاها لنفسه أحد المخلوقين فضلاً عن رب العالمين سبحانه وتعالى فيقول انه عز وجل وتعالى عما يقوله الكافرون والظالمون علواً كبيراً دخل في جوف امرأة وتصور انسانا وخرج طفلاً ثم كبر ثم أهانه أعداؤه غاية الاهانة حتى صلبوه وحملوه صليبه على كتفه ثم قبر ثم قام ثم ارتفع الى السماء بعد ان مرت عليه هذه الاهوال وأعطى جماعته خبزاً وخمراً وقال لهم هذا جسدى فكلوه وهذا دمى فاشربوه فهم يعتقدون انهم يأكلون نفس جسده من غير تأويل ويشربون نفس دمه من غير تشبيه ولا تمثيل في كل يوم يفعلون فيه ذلك وهم ملايين كثيرة لايكاد يحصرها عد ولا يبلغها حد فياليت شعرى ما هذا الدم وما هذا الجسد وهل فى ذلك كرامة لهذا الاله أو اهانة ويا ليت شعرى كيف نحكم على هذه العقول التى تعتقد هذه الاعتقادات المحالة الغريبة الوضع العجيبة الصنع وتسميها اعتقادات وديانات وتقابلها بالطاعة والسمع ثم لاتؤمن بعبد الله ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد ما جاء به من الآيات البينات والمعجزات الباهرات ونزه الله تعالى عن جميع أوصاف النقص ووصفه بجميع الكمالات وأتى مما يوافق مصالح الدنيا والآخرة بما لم يأت به أحد من سائر المخلوقات وقامت على صدقه الحجج القطعية والدلائل القويات فبالله عليك أيها القارئ المنصف من أى دين كنت هل يستحق أن يطلق عليه لفظ عاقل من يعتقد بتلك المحالات ولا يؤمن بهذه الآيات البينات حاشا وكلا ولو فرضنا ان معجزاته صلى الله عليه وسلم يعارض بعضها شبهات تضعفها فكثرتها وقوتها وتعدد أنواعها لاتبقى معها أدنى شبهة

عند العاقل فانه لو اعتقد انسان نبى شئ من الاشياء وقام له على اثباته دليل واحد لصدق به واعتقد نبوته فاذا عارض ذلك الدليل شبهة أضعفته يحتاج لتأييده الى دليل آخر ولو أضعف الثانى شبهة أخرى احتاج لتأييدهما الى دليل ثالث وهكذا فاذا انضمت الادلة الثلاثة تقوى على الاثبات غالبا وان لم تكف للاثبات وانضم اليها رابع وخامس وسادس وهكذا فهى ولو كان كل واحد منها معارضاً بشبهة تضعفه يقوى بعضها بعضا فيحصل بمجموعها من اثبات المطلوب مالا يحصل بكل واحد منها وهذا اذا فرضناها عشرة أدلة مثلاً أو عشرين أو نحو ذلك فكيف اذا كانت الادلة مئات وألوفا كلها أو جلها قوى وانضم بعضها الى بعض أيوجد عاقل فى الدنيا لا يقول بانها اذا كانت كذلك لايحصل بها اثبات المطلوب حاشا وكلا ونبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لاشك انه قد قام على صحتها من الادلة ألوف كثيرة كل واحد منها دليل قوى كاف وحده لاثباتها فكيف اذا اجتمعت فهل يمكن ان يكذب بها والحالة هذه الامكابر جاحد أو مجنون أو معاند ولاتظن ان قولى هذا هو من قبيل المبالغة فى دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم فان القرآن وحده أقل سورة منه معجزة للبشر فهى دليل قطعى على ان النبى صلى الله عليه وسلم نبى الله حقا وذلك اذا قسم بمقدار أقصر سورة منه وهى (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) يبلغ أكثر من سبعة آلاف معجزة فضلا عما فيه من المعجزات الاخرى كالاخبار بالمغيبات وكذلك يوجد فى الاقل ألف معجزة وردت بها الاحاديث الصحيحة التى تفيد اليقين بوقوعها هذا فضلا عما ورد من ذلك في الاحاديث الضعيفة التى هى أيضا تقوى وتفيد العلم بوقوع مضمونها باجتماعها وانضمام بعضها الى بعض وينضم الى ذلك

تأييد دينه صلى الله عليه وسلم بما لم يؤيد به دين من الاديان وكرامات أولياء أمته من عصره الى الآن وهى لايمكن احصاؤها بوجه من الوجوه وكل واحدة منها معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم دالة على صدقه وصحة نبوته لدلالتها على صحة دين متبوع ذلك الولى الذى صدرت على يده تلك الكرامة وهو النبى صلى الله عليه وسلم ولو حسبنا جميع معجزاته مع كرامات أولياء أمته التى هى معجزات له أيضا صلى الله عليه وسلم لاتبلغ معجزات جميع الرسل والانبياء جزأ من مائة ألف جزء منها بدون مبالغة بل الامر أعظم من ذلك وأنا أوضح لك هذا فاقول لو جمعنا مابلغنا عنهم جميعهم من المعجزات صلوات الله عليهم لايتجاوز مائة معجزة ولاشك ان كرامات أولياء أمته صلى الله عليه وسلم فى سائر أقطار الارض لو كانت فى كل يوم مائة كرامة فقط وهى بلاشك لاتقل عن ذلك يجتمع منها فى السنة ستة وثلاثون ألفاً فانظر كم يجتمع من ذلك من عهد النبى صلى الله عليه وسلم الى الآن فمهما فرضت معجزاتهم صلوات الله عليهم تكون قليلة جدا بالنسبة الى معجزاته صلى الله عليه وسلم وما أحسن ماقلته فى خطبة كتابي حجة الله على العالمين لايخفى على من له أدنى اطلاع على اخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام ان سيدهم وسيد جميع خلق الله محمدا صلى الله عليه وسلم هو أكثرهم معجزات ودلائل واظهرهم فضائل وفواضل وأبهرهم محاسن وشمائل وأشهرهم في الكتب السماوية علامات وبشائر وأصدقهم شواهد وردت عن الاوائل والاواخر وأقواهم براهين وأوضحهم آيات بينات وأرفعهم مقامات وأشرفهم حالات وأفضلهم فى جميع الصفات من كل الجهات وانما كان صلى الله عليه وسلم كذلك لانه أكثرهم أمة وأشملهم دعوة وأكملهم شريعة وخاتمهم نبوة وآخرهم رسالة ولهذا كان

العالم أجمع محتاجا الى رسالته ونبوتها أكثر من احتياجه الى رسالات سائر النبيين لان كل رسول كان يأتى بعده رسول يقرر ما أتى به الاول أو يتممه أو يأتى بشرع جديد حتى بعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وختم به نبوة الانبياء ورسالة الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام فنسخ شرعه تلك الشرائع وأغرق بحره هاتيك الجداول وأخفت شمسه تلك الكواكب فكان هو صلى الله عليه وسلم نبى الانبياء والمرسلين ورسول الخلائق أجمعين وشرعه البحر المحيط الذى لم يخرج عنه شىء من الشرائع السابقة الا مانسخه بسواه وقد زاد عنها باضعاف لاتحصى من أحكام وأنوار وأسرار لايعلمها الا الله ومن علمه الله ولذلك كانت معجزاته ودلائل نبوته صلى الله عليه وسلم أكثر وأعظم وأظهر وأدوم من سائر معجزات النبيين ودلائل نبواتهم بل لو اجتمع جميع ماظهر على أيديهم من ذلك مضاعفا اضعافا كثيرة لما عادل معجزة واحدة له صلى الله عليه وسلم وهى القرآن كما ان جميع فضائلهم صلوات الله عليه وعليهم لو اجتمعت لما عادلت فضيلة واحدة له صلى الله عليه وسلم وهى المعراج وما حصل له فيه من الانوار والاسرار والحب والقرب فى تلك الليلة المباركة فمابالك ومعجزاته وفضائله صلى الله عليه وسلم لاتحصى عددا ولا تنقطع فى حياته وبعد وفاته مددا ولم يرد لاحد منهم صلوات الله عليهم معجزة الاورد له صلى الله عليه وسلم ماهو أعظم منها أو مثلها وقد انقضت معجزاتهم بانقضائهم وله صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباقية مالايحص ولايعد فمن ذلك بل أعظم ماهنالك كلام الله القديم وقرآنه الكريم فانه يشتمل على آلاف كثيرة من المعجزات والدلائل والكمالات والفضائل والبراهين القاطعة والآيات الساطعة وشمس

آياته مستمرة الطلوع على جميع الآفاق سافرة الانوار باهرة الابصار دائمة الاشراق ومن ذلك ما أخبر به صلى الله عليه وسلم فى حياته بانه سيقع بعد وفاته من أشياء كثيرة لا تدخل تحت الحصر ومن جملتها اشراط الساعة وعلاماتها وقد وقع كثير من تلك الاشياء في الاعصر السابقة طبق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم والوقوع مستمر فى كل زمان ومكان ولا ريب ان ما لم يقع منها الى الآن سيقع فى مستقبل الزمان كاشراط الساعة الكبرى فانه لو أخبر انسان بالف خبر مثلا وتبين صدقه بتسعمائة وتسعة وتسعين منها فلا يشك أحد بأن الخبر الباقي يستبين صدقه فيه أيضا وهذا مثل تقريبي والا فامر النبى صلى الله عليه وسلم أعظم من ذلك وصدقه محقق أكثر من هذا المخبر المفروض بما لا يقبل النسبة لان هذا المخبر يحتمل خبره الكذب احتمالا ضعيفا بنسبة الواحد الى الالف وأما النبي صلى الله عليه وسلم فانه بالنظر الى كثرة البشائر به قبل وجوده من الكتب السماوية والاحبار والرهبان والجن والكهان وكثرة معجزاته المتنوعة وتحقق صدقه فى جميع ما ظهر فى حياته وبعد مماته مما أخبر به من الغيوب المتنوعة أنواعا كثيرة مع كمال شمائله وغزارة فضائله واشتهاره قبل النبوة وبعدها عند قومه بالصدق والامانة حتى كانوا يدعونه الامين ولم تؤثر عنه كذبة قط قبل النبوة وبعدها فحينئذ لا يحتمل خبره الكذب قطعا ولا يشك فى صدقه الا من عميت منهم البصائر ولم تبلغهم المعجزات والبشائر التى هى عبارة حجة لله على العالمين فكيف بعد هذا كله يمكن لعاقل منصف ان يقول ان جميع ذلك غير كاف لثبوت نبوته صلى الله عليه وسلم هذا لا يقوله الا مجنون أو مفتون ومع هذا كله نرى هذا المعترض المكابر المخذول يجحدها وهى فى هذه الحالة من الوضوح

والظهور ويكذب بتكذيبه بصحتها أيضاً ألوف ألوف من علماء الملة الاسلامية من عهده صلى الله عليه وسلم الى الآن لا يمكن بوجه من الوجوه اتفاقهم على الباطل مع ما هو معلوم عند كل من عرفهم واطلع على كتبهم وأحوالهم من كثرة فضلهم وتدقيقهم فى أمر الدين الى الغاية القصوى التي ما بعدها غاية بدون محاباة لاحد من الخلق ولكن اذا انصفناه لا نلومه لانه أعمى القلب فلا يرى الفرق بين الباطل والحق والكذب والصدق فهو بذلك معذور ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور

﴿ فصل ﴾ اعترض فى صفحة ٢٦ على شرك أبوى النبى صلى الله عليه وسلم وتكرر ذلك منه وهو لا يفيده شيئا فانه بفرض صحته لا يمنع من صحة نبوة النبى صلى الله عليه وسلم عندنا معاشر المسلمين مع انا نقول بعصمة الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم فما بالك بالنصارى الذين لا يقولون بعصمتهم بل زعموا ان بعضهم سجد للاصنام وهذا هو الشرك بعينه فهم لا يمنعون من وقوع الشرك من الانبياء أنفسهم فكيف يعترض هذا المعترض بشرك أبويه صلى الله عليه وسلم على فرض صحته ونحن نقول انهما كانا من أهل الفترة ولم تبلغهما دعوة نبي وكفرا به حتى يكونا مؤاخذين وقد ماتا والنبى صلى الله عليه وسلم صغير وأمه بنت ثماني عشرة سنة وابوه ابن عشرين فهم بذلك يكونان ناجيين ان شاء الله تعالى وقد ورد ان الله تعالى أحياهما اكراما له صلى الله عليه وسلم وآمنا به ثم ماتا ولا يستبعد ذلك على قدرة الله تعالى فالنصارى أنفسهم يعتقدون ان احياء الميت جائز وقد حصل ذلك لسيدنا عيسى عليه السلام وعلى كل حال لا يوجد شئ من شأنهما يخل بصحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم

فالاعتراض بذلك في غير محله لاسيما ممن يجوز وقوع الشرك فضلا عن المعاصى من الانبياء حاشا هم من ذلك

﴿ فصل ﴾ زعمه في صفحة ١١٣ ان يونس أفضل من النبى صلى الله عليه وسلم لقوله لاتفضلونى على يونس زعم فاسد لان الحديث الذى ذكره انما يدل ظاهره على عدم تفضيله صلى الله عليه وسلم على يونس عليه السلام لا على تفضيل يونس عليه فيصدق بالمساواة بينهما وهو غير مراد ظاهره فقد صح حديث أنا سيد الناس يوم القيامة مع ان ذلك لايفيد المعترض شيئا لانه ليس الخلاف بينه وبيننا معاشر المسلمين فى الافضلية فقط بل هو كافر بالله ورسوله جملة واحدة ونحن نقنع منه اذا اعتقد نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ثم لايفضله على يونس عليه السلام ولكنه هو جاحد الاساس فلا معنى لاعتراضه هذا الامجرد المشاغبة على عادته والجواب عن هذا الحديث ونحوه من الاحاديث التى يشكل ظاهرها على تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر النبيين كقوله عليه الصلاة والسلام ما من مولود الا يطعنه الشيطان عند ولادته الا عيسى ابن مريم وكقوله صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا هم بمعصية أو عملها الا يحيى بن زكريا ان ذلك مخصوص بغير نبينا صلى الله عليه وسلم فان الامة المحمدية قد أجمعت على ان نبينا صلى الله عليه وسلم هو أفضل من جميع النبيين والمرسلين على الاطلاق وقد ألف الامام عز الدين بن عبد السلام في ذلك رسالة سماها بداية السول فى تفضيل الرسول ذكرتها برمتها فى كتابى حجة الله على العالمين وأدلة ذلك كثيرة منها قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ وما ورد عنه صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح أنا سيد الناس يوم القيامة الى آخر حديث شفاعته العظمى صلى

الله عليه وسلم حينما يأتى الناس أكابر الرسل آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى يطلبون منهم الشفاعة فيمتنعون من ذلك ويحيل كل واحد منهم على من بعده الى أن تصل النوبة عيسى عليه السلام فيحيل على سيدنا محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فيقول أنالها أنالها ويخر لله ساجداً فيحمد الله بمحامد يلهمه اياها ويقول له ارفع رأسك واشفع تشفع فيشفع شفاعته العظمى صلى الله عليه وسلم قال القاضى عياض فى الشفاء فان قلت اذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الأثر واجماع الامة كونه صلى الله عليه وسلم أكرم البشر وأفضل الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن ابن عباس ماينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى ثم قال فاعلم ان للعلماء في هذه الاحاديث أى الناهية عن التفضيل بين الانبياء تأويلات (أحدها) ان نهيه عن التفضيل كان قبل أن يعلم انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب أى فلما أعلمه الله صلى الله عليه وسلم بأنه سيد ولد آدم صرح بذلك (الوجه الثانى) انه قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع (الوجه الثالث) ان لايفضل بينهم تفضيلا يؤدى الى تنقيص بعضهم أو الغض منه لاسيما فى جهة يونس عليه السلام اذ أخبر الله عنه بما أخبر لئلا يقع فى نفس من لايعلم منه بذلك غضاضة من رتبته الرفيعة اذ قال تعالى عنه ﴿ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا * اذ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ فربما يخيل لمن لاعلم عنده حطيطته بذلك الى آخر ماقال رحمه الله تعالى ومن شاء لاطلاع على زيادة التفصيل والتطويل فليراجعه

﴿ فصل ﴾ قال المعترض فى صفحة ٢٢٦ (يلزم أن تكون المعجزة

ظاهرة امام العيان كمعجزات المسيح عليه السلام وان تكون نافعة ومفيدة قال فمثل كلام الجمادات وكلام الحصى وأسكفة الباب وحيطان البيت وكلام الشجر وشهادة الذئب لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة وكلام الظبية ليست بمعجزة فانه لافائدة للانسان منها ثم قال ويلزم فى المعجزة الاجماع والتواتر وهذه القصص غير متواترة) فقوله يلزم أن تكون المعجزة ظاهرة امام العيان فكل معجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كذلك لانها جرت بين جماهير أصحابه رضى الله عنهم ونقلوها الى من بعدهم حتي وصلت الينا متواترة اما افرادا واما اجمالا ولكن هو يجهل معنى التواتر ولذلك يعذر فى انكاره في معجزات النبى صلى الله عليه وسلم وادعائه اياه فى نقل كتبهم كالتوراة والانجيل وغيرهما مع انها لم يصح نقلها آحادا واحدا عن واحد فضلاأن تكون متواترة ومعنى تواتر الحديث أن ينقله جمع يؤمن تواطؤهم أى اتفاقهم على الكذب وقدرهم بعضهم بمائة أو أقل أو أكثر عن جمع مثلهم يؤمن تواطؤهم على الكذب وهكذا كل جمع يرويه عن جمع الى الاول فهذا المعنى لم يصح حقيقة الا فى القرآن وبعض أحاديث فى المعجزات وغيرها كانشقاق القمر والتبريك بالماء والطعام فى وقائع كثيرة جرت منه صلى الله عليه وسلم امام جماهير أصحابه الذين يزيدون تارة عن المئات وتارة عن ألوف بل كانوا فى غزوة تبوك ثلاثين ألفا وفى غزوة حديبية أربع عشرة مائة وكلهم أو جلهم شاهد منه صلى الله عليه وسلم تلك المعجزات فاى تواتر يكون فوق هذا ولكن هذا الرجل أعمى القلب من وجوه من جهة جهله ومن جهة ضلاله ومن جهة تعنته ومكابرته وقلة حيائه فهو ينطق بالبهتان من غير تدبر ولا تبصر شأن الجاهل الضال الحيران

وأما ما أشار اليه من الاسراء الى البيت المقدس والمعراج الى السموات فهذه ليست هى المعجزة التى ثبتت بها نبوته صلى الله عليه وسلم وانما ثبتت نبوته بالمعجزات الاخرى القرآن وغيره وحينئذ صدقناه باخباره صلى الله عليه وسلم بذلك فهو الصادق المصدوق المستحيل عليه الكذب لثبوت نبوته بالدلائل القطعية والاسراء قد نص عليه القرآن وجرت منه صلى الله عليه وسلم على أثر رجوعه صباحا بعد الاسراء والعروج به معجزات ظهرت للعيان امام الناس دلت أيضاً على صدقه بما أخبر به من ذلك عليه الصلاة والسلام فانه برجوعه صادف فى الطريق قبل وصوله الى مكة عيرا أى قافلة لقريش مر بها وهم نائمون فشرب من قدح عندهم ونفر جمل فكسر فاخبرهم بذلك وبان العير المذكورة تصلهم فى يوم كذا عين لهم يوما مخصوصاً فانتظروا ذلك اليوم حتي قدمت العير فيه كما أخبر صلى الله عليه وسلم ورأوا ذلك الجمل بالوصف الذى وصفه وأخبروهم بفقدهم الماء الذى شربه صلى الله عليه وسلم وهم كلهم مشركون لم يكن بينه وبينهم اجتماع ولا مواطأة ولم يكن أحد منهم آمن به صلى الله عليه وسلم اذذاك وسألته قريش أيضاً عن أوصاف مسجد بيت المقدس وهم يعلمون يقينا انه لم يره قط فلم يستحضر صلى الله عليه وسلم أوصافه لانه انما رآه ليلاً فكرب لذلك فأتى به جبريل امامه وصار يصفه لهم عن مشاهدة وعيان فكلما سألوه سؤالا عن صفة من صفاته وعدد أبوابه ونحو ذلك يجيبهم عنه عن مشاهدة فتعجبوا من ذلك

*وأما قول هذا المعترض يلزم أن تكون المعجزة نافعة ومفيدة فمثل كلام الجمادات وكلام الحصى وأسكفة الباب وحيطان البيت وكلام الشجرة وشهادة الذئب لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة وكلام الظبية ليست

بمعجزة فهذا لو كان يستحى أو يعقل ما نطق به لانه من أقبح أنواع
المكابرة وأرذل أنواع التعنت وأشد أنواع الضلال وأسمج أنواع الجهل
وأشنع أنواع المناظرة بل لايمكن أن يصدر مثله من مناظر ولو كان من
أجهل الجاهلين لان هذه المعجزات التى سلم وقوعها لايمترى ولا يشك
ولا يرتاب أحد من الخلق عنده أدنى فهم وعقل بانها من أعظم
المعجزات وأبهر الآيات الدالة على صدق من صدرت على يده وهو
سيدنا محمد سيد السادات صلى الله عليه وسلم وانما استفدنا من عبارة
هذا المكابر انه قد بلغ به الجهل الى درجة لايعلم فيها معنى لفظ المعجزة
ونحن نفيده اياه قال الامام الماوردى فى أعلام النبوة واذا كانت حجج
الانبياء على أممهم هو المعجز الدال على صدقهم فالمعجز ماخرق عادة
البشر من خصال لاتستطاع الا بقدرة الهية تدل على ان الله تعالى خصه
بها تصديقاً على اختصاصه برسالته فيصير دليلا على صدقه فى ادعاء نبوته
ثم جعل لذلك عشرة اقسام سردها واحداً واحداً وقال القسم السابع
انطاق حيوان او حركة جماد وقال الامام الشعرانى فى المبحث التاسع
والعشرين من كتاب اليواقيت والجواهر وقد حد جمهور الاصوليين
المعجزة بانها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى على عدم المعارضة
من المرسل اليهم بان لايظهر منهم ذلك الخارق والمراد بالتحدى هو الدعوى
للرسالة ثم قال ورأيت فى كتاب سراج العقول للشيخ ابى طاهر القزوينى
رحمه الله ما نصه اعلم ان البرهان القاطع على ثبوت نبوة الانبياء هو
المعجزات وهي فعل يخلقه الله خارقا للعادة على يد مدعى النبوة معترفا
بدعواه وذلك الفعل يقوم مقام قول الله عز وجل له انت رسولى تصديقاً
لما ادعاه ثم ذكر مثالا لذلك وذكر الفرق بين معجزة النبى وكرامة الولى

وبين المعجزة والسحر والشعوذة والكهانة * وقال الامام القسطلانى
فى المواهب اللدنية اعلم ان المعجزة هي الامر الخارق للعادة المقرون
بالتحدى الدال على صدق الانبياء عليهم الصلاة والسلام وسميت معجزة
لعجز البشر عن الاتيان بمثلها فشرطها ان تكون خارقة للعادة كانشقاق
القمر للمصطفى وانفجار الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم ثم ذكر
الفرق بين المعجزة وغيرها من خوارق العادات وفوائد أخرى فى هذا
الشان * وقال شيخ مشايخى العلامة الشيخ ابراهيم الباجورى فى حاشيته
على الجوهرة عند قول المصنف بالمعجزات أيدوا تكرما اعلم ان المعجزة
لغة مأخوذة من العجز وهو ضد القدرة وعرفا أمر خارق للعادة مقرون
بالتحدى الذى هو دعوى الرسالة أو النبوة مع عدم المعارضة قال وقال
السعد هي أمر يظهر بخلاف العادة على يد مدعى النبوة عند تحدى
المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الاتيان بمثله ثم ذكر شروطها
وقيودها والفرق بينها وبين باقى خوارق العادات وقد ذكرت عبارات
هؤلاء الائمة بطولها فى شأن المعجزة فى مقدمة كتابى حجة الله على
العالمين واكتفيت هنا بهذا القدر لاظهار جهل ذلك المعترض بمعنى المعجزة
و ياليت شعري اذا لم يكن معجزة كلام الجمادات ونطق الحصى واسكفة
الباب وحيطان البيت وكلام الشجرة والظبية وشهادة الذئب بنبوة سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم فكيف تكون المعجزة وهو عاقل يقول ان هذه
الخوارق العجيبة ليست معجزات و يلزم من يقول انها ليست معجزة
ان يأتى بمثلها لانه اذا أنكر اعجازها فهو يدعى على انه قادر على الاتيان
بمثلها فليأتنا به ان كان من الصادقين والا فلعنة الله على الكاذبين وأما
زعم هذا المعترض المكابر الذى لايستحي من الله ولا من الخلق ولا

يبالي بالمكابرة بالباطل ومصادمة الحق انه لم يرد له صلى الله عليه وسلم معجزات يحصل منها نفع وفائدة فهذا ان كان قاله عن جهل فوالله انه لمن أجهل الجاهلين وان كان قاله عن مكابرة وتعنت فوالله انه لمن أقبح المكابرين وأوقح المتعنتين والا فمعجزاته صلى الله عليه وسلم المتعلقة باستجابة الدعاء وشفاء الاسقام ونبع الماء من بين أصابعه ونزول الغيث بدعوته وتكثير الماء فى الآبار والعيون والاوعية ببركته حتى كفى الالوف الكثيرة بعد ان كان لا يكفى العشرة أشخاص وكذلك التبريك بالطعام مراراً كثيرة حتى كفت الكسرات والتمرات القليلة مئات وألوفا من الناس وكفاية قدح اللبن للكثيرين وادرار العنز الحائل التى لم يطرقها الفحل وحلبه منها ما كفى الجماعة وكذلك العنز العجفاء الضعيفة حلب منها ما كفى الرهط ورميه بالحصا جيش العدو فانهزم وغير ذلك من المعجزات التى لا يمكن حصرها وقد ذكرت منها في كتابى حجة الله شيئا كثيرا ومنها مقادير وافرة فى الشفاء والمواهب وغيرهما من كتب العلم وقد تقدم منها شئ كثير في هذا الكتاب وهى شائعة مشهورة بين الناس حتى لا يوجد أحد من عوام المسلمين الا وله علم بشئ منها وفي البخارى ومسلم وسائر كتب الحديث منها شئ كثير وردت به الاحاديث الصحيحة وكثير منها حصل له معنى التواتر الذى يفيد اليقين ولا يمترى فيه أحد عنده أدنى علم وانصاف من غير المسلمين فضلا عن المسلمين فى هذا العصر فضلا عن العصور السابقة القريبة من زمن سيد المرسلين ولا سيما فى زمنه المبارك صلى الله عليه وسلم وبهذا يعلم ان زعم هذا المكابر عدم ورودها دليل على انه رجل بلغ أقصى درجات الوقاحة والضلال لا يبالى بما لحقه من العار والشنار فانا لا نقدر ان نقول ان ذلك مبنى على جهله بل هو

مبنى على شدة مكابرته وكفره وهب انه كما زعم من انه لم تبلغه أو لم تحصل بالكلية تلك المعجزات المترتب عليها النفع والفائدة من شفاء الاسقام ونزول الغيث وتكثير الماء والطعام ونبع الماء من بين أصابعه واستجابة الدعاء والنصر على الاعداء وغير ذلك من المعجزات الكثيرة التى تكاد ان لا تحصى أما فى هذه المعجزات التى بلغته وأقر بها وهى كلام الجمادات والحيوانات وشهادتها كفاية لاثبات نبوة سيدنا محمد سيد المرسلين الصادق الامين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وكل من صدق به واتبع دينه الى يوم الدين بلى والله ان واحدة منها فيها الكفاية لكل عاقل منصف ولكن أين العقل وأين الانصاف ومن أين تعلم هذا المعترض الجاهل أن المعجزة لابد ان يكون فيها نفع هذا زعم باطل لا صحة له فان المعجزة قد تكون نافعة ومفيدة كالتبريك بالشراب والطعام وشفاء الاسقام وتارة تكون لمجرد اثبات النبوة بحصول خارق العادة الذى لا يقدر عليه الا الله تعالى ككلام الجمادات والحيوانات وشهادتها وأى دليل أعظم من هذا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم ومعجزات الانبياء كلهم تشتمل على القسمين هذا سيدنا موسى عليه السلام من أعظم معجزاته انقلاب عصاه ثعبانا فتلقفت حبال السحرة التى خيلوها حيات وأى نفع من ذلك للناس غير خرق العادة بل بالعكس حصل للناس منها الخوف الشديد وهربوا ومن معجزاته عليه السلام جعل يده بيضاء من غير سوء وأى نفع من ذلك للناس سوى خرق العادة وقد جرى على يده معجزات أخرى فيها نفع وفائدة للناس منها انفلاق البحر حتى مر فيه قومه بنو اسرائيل وسلموا من عدوهم ومنها ضربه الحجر فنبع منه الماء فشربوا وكذلك سيدنا عيسى عليه

السلام أعظم معجزاته احياء الميت وهو بعد ان أحياه مات فما هي الفائدة التى حصلت من حياته سوى خرق العادة وكان يخبرهم بما يأكلون ويدخرون فى بيوتهم وأى نفع فى ذلك سوى خرق العادة باطلاعه على الغيب وقد جرى على يده معجزات أخرى فيها نفع وفائدة منها ابراء الاكمه والابرص وشفاء الاسقام فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم معجزاته هكذا فيها القسمان وفي الحقيقة ليس المقصود من المعجزة النفع والفائدة لان النفع يحصل بالمعجزة وبغير المعجزة كما اذا لم يحصل الشفاء بدعاء النبى مثلا يمكن حصوله بمعالجة الطبيب وانما المقصود من المعجزة خرق العادة الذى لا يقدر عليه الناس فذلك هو المعجزة الدالة على صدق النبي بقوله ان الله أرسلني اليكم فالله تعالى يجرى على يده ذلك الشيء الخارق للعادة تصديقا له ولو كان كاذبا لا يمكن ان يجرى على يديه ذلك اذا ادعى النبوة ولا يؤيده الله تعالى اذا علمت ذلك تعلم ان ما ليس فيه نفع وفائدة من خوارق العادات لا يمنعه ذلك من أن يكون من المعجزات الدالة على صدق من وقعت على يديه من الانبياء بل تعلم ان ما فيه نفع وفائدة من المعجزات ليس هو معجزة من حيث النفع والفائدة بل هو معجزة من حيث خرق العادة التي يعجز عنها البشر فمعنى خرق العادة الذى حصل به التعجيز هو مشترك بين ما فيه فائدة وما لا فائدة فيه من المعجزات والمعنى الزائد وهو النفع والفائدة ليس داخلا فى معنى المعجزة لان ذلك لم يحصل به التعجيز وانما هو فائدة زائدة على خرق العادة التى تم به المعجزة وقد أطلت الكلام فى هذا المرام ونوعت الاساليب والعبارات ليظهر لكل أحد ان هذا المعترض هو في غاية الجهل وسقامة الفهم أو انه من أرذل الارذال متصف بغاية الوقاحة والمكابرة والضلال والصحيح انه متصف

بكل هذه الاوصاف ولولا ذلك لما خالف في هذه الامور التى ليس فيها أدنى سبب يحمل عليه الخلاف وأما قوله بعد ذلك ويلزم فى المعجزة الاجماع والتواتر وهذه القصص غير متواترة فهو أيضا دليل على جهله فقد تقدم تفسير معنى التواتر وانها متواترة افرادا أو اجمالا ولم يشترط أحد التواتر في كل فرد فرد منها ولم يتكلموا بلفظ الاجماع في شأنها لان الانسان اذا بلغه خبر هذه المعجزات متواترا بحيث يفيده اليقين بحصولها يجب عليه الايمان بالنبى الذى حصلت على يده وان لم يقم على ذلك اجماع على ان جميع الامة المحمدية من السلف والخلف مجمعون اجماعا تاما على حصول المعجزات الكثيرة له صلى الله عليه وسلم لم يخالف فى ذلك أحد بل المنصفون من غير المسلمين أيضاً لا يخالفون فى وقوع معجزات وخوارق عادات كثيرة على يده صلى الله عليه وسلم ولكن الهداية هداية الله فمن شاء أضله ومن شاء هداه سبحانه وتعالى

﴿فصل﴾ قال هذا المعترض فى صفحة ٢٤٧ و٢٤٨ ما تضحك منه الثكلى من الكلام الغث البارد المتناقض المضطرب المعنى الظاهر الفساد الذى لا ينطق به عاقل لمخالفته الحقائق مخالفة بديهية ومباينته المعقول والمنقول مباينة حسية ولا يروج على الاطفال فضلا عن عقلاء الرجال وهو قوله نقلا عن انجيل متى (ان يهوذا كان قال لليهود الذى أقبله هو المسيح فامسكوه فتقدم وقال السلام عليك ياسيدى وقبله فامسكوه ثم قال ولما قبله قال لهم المسيح من تطلبون فوقعت هيبته الالهية هيبة القداسة والحق والعدالة في أفئدتهم واعتراهم الرعب من قوته الالهية وسقطوا على الارض سقوط الخيانة والغدر والنذالة) وثانياً أنه قال لهم أنا هو لئلا يمسوا تلاميذه بضرر فانه هو الحافظ والواقى وشتان بين هذه الشهامة وبين ما أظهره نبيهم فقد روى أنه لما كان ابو بكر متوجها

مع محمد صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل طوراً يمشى أمامه وطورا يمشى خلفه، وطورا عن يمينه وطورا عن شماله خوفاً عليه من قومه ولما دخل الغار منعه ابو بكر ودخل الغار قبله لئلا مخافة ان يكون فيه شئ يؤذي محمداً صلى الله عليه وسلم وكثيرا ما كانت الصحابة تدافع عنه بخلاف المسيح لانه قادر على حمايتهم وهو الراعى الصالح انتهى فالعبارة الاولى عبارة تاريخية يحتمل أن تكون صحيحة والممنوع عندنا معاشر المسلمين انما هو الصلب فان الله تعالى قد أخبرنا بأنه شبه لهم يعنى انه سبحانه وتعالى ألقى شبهه على آخر فصلبوا الشبيه به ورفع الله سيدنا عيسى عليه السلام هذا الذى نعتقده وندين الله به ومن لا يعتقد ذلك فهو كافر مكذب بنص القرآن وأما وقوع اهانة من اليهود على سيدنا عيسى فهذا لا مانع منه فانهم قتلوا كثيرا من الانبياء وقصدوا قتله صلوات الله على نبينا وعليه واستعملوا معه أنواع الاذى ولذلك لا مانع من صحة ما نقله المعترض عن انجيل متى من قصة دلالة يهوذا لليهود على سيدنا عيسى على الوجه المذكور ولكن العجب كل العجب من كتابة مثل هذه العبارة في الكتب وهي قوله فوقعت هيبته الالهية هيبة القداسة والحق والعدالة فى أفئدتهم واعتراهم الرعب من قوته الالهية وسقطوا على الارض سقوط الخيانة والغدر والنذالة فانه ينافى هذا كل المنافاة حقيقة الحال الظاهرة التى لا تحتمل التأويل وما كان عليه صلوات الله عليه من حالة العبودية المحضة والذل التام والاهانة الكاملة والبلاء العظيم والكرب الشديد والخوف على حياته ولم تكن حالة فخر يفتخر بها كما تضمنته هذه العبارة الفاسدة وأين كانت الالوهية التى تزعمها هذه العبارة وهل يستحسن عاقل التعبير بهذه الكلمات المحشوة بالفخر والدعاوي الكاذبة فى تلك الحالة

الشديدة التى ظفر فيها أعداؤه به وساقوه للقتل والصلب ولا مجيب له ولا مجير ولا معين ولا نصير وهو يستغيث فلا يغاث ويقول بزعمهم (أين أنت يا أبى تركتني) وغير ذلك من عباراته وأفعاله وأقواله وما جرى له فى ذلك المقام مما دل على كمال عجزه وأنه من جملة عبيد الله تعالى الذى سلط عليه أعداءه لحكم منها والله أعلم أن يكون ذلك عبرة للعقلاء فيما بعد حتى لا يدعوا فيه الالوهية وقد ادعاها فيه كثير من الامم رغما عن هذه الحقائق والله يهدى من يشاء ويضل من يشاء سبحانه وتعالى وقد اشبهت قصته من بعض الوجوه قصة سيدنا على بن ابى طالب رضى الله عنه فقد ادعى فيه بعض الطوائف كالنصيرية وبعض غلاة الروافض الالوهية مع أنه قد ظهر عجزه أيام خلافته عن قهر أعدائه ولو كان الها لاصلحهم أو أهلكهم وكذلك يقال فى سيدنا عيسى عليه السلام ثم قال وثانيا أنه قال لهم أنا هو لئلا يمسوا تلاميذه بضرر فانه هو الحافظ الواقي فانظر لهذا الكلام الفاسد الذى لا معنى له وكيف يكون هو الحافظ والواقي ولا يحفظ نفسه مع أنه بزعمهم ظهر عليه الانزعاج التام واضطرب كثيراً واستغاث فلم يجد له من يغيثه فأى عقل بعد هذا يقنع بأنه هو الحافظ الواقى ثم بعد هذا كله لم يكتف هذا المعترض المكابر بزعم ان ذلك الذل هو عين العز وذلك الضعف هو عين القوة ومخالفة الحقائق على خط مستقيم حتى قلب الحقيقة بقوله وشتان بين هذه الشهامة وبين ما أظهره نبيهم يعنى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فقد روى أنه لما كان ابو بكر متوجها معه صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل طورا يمشى أمامه وطورا يمشى خلفه الخ فذلك كله من شدة شفقة سيدنا ابى بكر ومحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنه أراد أن يفديه

بنفسه من المكروه فهو منقبة عظيمة لابي بكر رضى الله عنه ولم يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم أدنى لفظ أو حركة تدل على خوفه كما صدر ذلك من سيدنا عيسى عليه السلام بل قال صلى الله عليه وسلم لابي بكر حينما رأى انزعاجه ما بالك باثنين الله ثالثهما وورد ذلك فى القرآن في قوله تعالى (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) وقول المعترض وكثيرا ما كانت الصحابة تدافع عنه صلى الله عليه وسلم فهذا فخر للصحابة وشرف عظيم وكيف لا يدافعون عن سيدهم وسيد الخلق أجمعين نعم كانوا يدافعون عنه ويفدونه بأرواحهم وأولادهم وأموالهم لا كبعض أصحاب سيدنا عيسى الذين أنكروه ودلوا أعداءه عليه فمن يا ترى خير من الآخر ومع كل ذلك فقد كان صلى الله عليه وسلم أشجعهم وأثبتهم جاشاً وأكثرهم اقداماً فى الحروب وهم كانوا يحتمون به صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك فى الاحاديث الصحيحة ولم يستح هذا المعترض المكابر من قلبه هذه الحقائق حتى قال فى آخر عبارته وهذا بخلاف المسيح لانه قادر على حمايتهم وهو الراعى الصالح أما كونه راعياً صالحا فهذا مما لا شك فيه وأما كونه قادرا على حمايتهم فهذا كذب صريح لانه كان ضعيفاً مستضعفاً ذليلا محتقرا عاجزا عن دفع أعدائه عن نفسه فضلا عن غيره وهذا المعنى من الظهور والوضوح فى درجة لا يمكن أن ينكرها الا كل من لا يستحى من انكار الحق الظاهر الباهر مثل هذا المعترض الفاجر المكابر

(المفاضلة بين سيدنا محمد وسيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام)

وها أنا أذكر اجمالا الفرق بين سيدنا محمد وسيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام الذى لا يختلف فيه أحد من المؤرخين المسلمين وغير المسلمين وأترك الحكم فى التفضيل بينهما الى المنصفين فأقول لا شك انهما رسولان

كريمان لله تعالى كل واحد منهما عبد الله ورسوله فالله سبحانه وتعالى هو الملك الحق وهما عبداه المقربان لديه من خلاصة الخلق وقد كان كل منهما في أول أمره ضعيفا أما سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فان ربه عز وجل قواه وأعزه ونصره على أعدائه وأمره بحربهم وعصمه من ضررهم ولم يزل يرفع شأنه شيئاً فشيئاً الى أن مات وجميع بلاد العرب طائعة له داخلة في دينه منقادة لحكمه وسائر الملوك الذين سمعوا به ملوك الروم والفرس والقبط والحبشة خافوا سطوته وبعضهم آمن به وبعضهم أرسل اليه الهدايا اتقاء بطشه وما مات حتى اجتمع له مائة وعشرون ألف مقاتل من أصحابه الذين كل واحد منهم كان يفديه بنفسه وأهله وماله وله صلى الله عليه وسلم الفضل فى قبول ذلك وادواته التي بلغه الله بها هذا الشرف العظيم هي المعجزات وخوارق العادات التى أجراها سبحانه وتعالى على يده وأعظمها القرآن وما كان من عصمته له ممن يريد أذيته ونصره في الحروب والقاء الرعب فى قلوب أعدائه ولو قبل الحرب بمجرد السماع ولولا ذلك لما انقادت له تلك الامة العظيمة التى كانت فى غاية الجهل والتوحش منعكفة على عبادة الاوثان غارقة فى بحار الضلال والطغيان حتى ان نفس قومه الذين كان يجب عليهم نصرته والاسراع الى الانقياد اليه كانوا أعظم أعدائه وبذلوا أقصى مافى وسعهم فى محاربته وأذيته وتنفير الناس منه وتألبوا على قتله وهو بينهم ضعيف مستضعف وكلما زادوا فى أذاه زاد في اقدامه على تبليغ رسالة الله ودعائهم الى عبادته تعالى وحده وترك ما كانوا عليه من الشرك والضلال ثم لما شاهدوا كثيراً من معجزاته وسمعوا القرآن وعرفوا انه لابد من ظهوره عليهم ولم تسمح أنفسهم بترك دين آبائهم عرضوا عليه أن

يجعلوه ملكا عليهم بشرط أن لا يتعرض لدينهم فلم يقبل وأصر على اقدامه على تبليغ رسالة ربه فاصروا على أذاه ولم يزل الامر يشتد عليه صلى الله عليه وسلم منهم الى أن خلصه الله تعالى من بينهم سالما بعد أن صمموا على قتله وهجموا على داره ليلا فلم يجدوه فيها وجاءه جبريل عليه السلام فاخبره باجتماعهم لقتله وأمره بالهجرة فهاجر الى المدينة المنوّرة التي جعل الله له فيها أنصارا وهاجر اليها من كان أسلم من أهل مكة المشرفة ثم لم يزل أمره يعلو وربه ينصره ويؤيده الى أن اتسع نطاق الاسلام وكان من ظهوره صلى الله عليه وسلم وظهور دينه ما كان وانفرد فى بلاد العرب على الاطلاق في العز والمجد والشرف ونفوذ الكلمة بحيث لا يساويه ولا يدانيه في ذلك أحد وثبت عند الناس أجمعين انه رسول الله حقا لكثرة ماشاهدوه من المعجزات المتنوعة أنواعا كثيرة بحيث لا يمكن حصولها ولا حصول بعضها الا من نبي صادق مرسل من عند الله الى خلقه وقد رزقه أصحابا هم من خيار خلق الله تعالى عقلا وفضلا وكمالا وقوة واقتدارا وشجاعة وعلما وعدلا ووقارا وغير ذلك من أوصافهم الجميلة المعلومة من التواريخ التى يشهد لهم بصحتها أعداؤهم فضلاً عن أحبابهم فحفظ الله بهم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم دينه وقرآنه من التغيير والتبديل ونشروه فى أقطار الارض وفتحوا الفتوحات العظيمة ووسعوا نطاق الاسلام فى أقرب وقت سعة عظيمة لا يمكن أن تكون بمجرد الصدفة والاتفاق ولكن بتأييد من الملك الخلاق ثم لم يزل الله تعالى يقيض الائمة والعلماء فى كل الاعصار والامصار الى خدمة دينه صلي الله عليه وسلم ونشره والمحافظة على شريعته وعقائده من ضلالات الضالين وشبهات الملحدين وتعديات الكافرين الى أن

وصلنا ذلك الى هذا الزمان الذى نحن فيه محفوظ من كل سوء ومع كل ماحصل له صلى الله عليه وسلم من الجاه العظيم بين الخلق وما اختصه الله به من المعجزات الباهرات والآيات البينات ومالا يحصى من خوارق العادات لم يوجد أحد على وجه الارض من عصره الى الآن زعم فيه الالوهية مع اعتقاد جميع المسلمين انه صلى الله عليه وسلم بلغ أقصى غايات الكمال من كل الوجوه التى تمكن لمخلوق وهم مجمعون متفقون على انه عبد الله تعالى ورسوله حماية من الله تعالى له من ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم حريصا جداً على هذه الحالة فانه مع بلوغه مابلغ من غاية الشرف والمجد الذى لم يحصل لاحد قبله ولا بعده كان يلهج كثيرا بنحو قوله انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ونحو قوله اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني فى زمرة المساكين ونحو قوله لامرأة ارتعدت من هيبته هوني عليك فانما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد وغير ذلك مما هو مذكور فى كتب الحديث كل ذلك اظهاراً لعبوديته لله تعالى وشفقة على أمته أن يدعوا فيه الالوهية فيضلوا كما ضلت النصارى بدعوى الالوهية فى سيدنا عيسى عليه السلام وقد ضل بعض الفرق فى دعواها بسيدنا على وغيره هذا حال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاجمال وأما سيدنا عيسى عليه السلام فهو أيضاً قد نشأ مثل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ضعيفا مستضعفا الا أن الله تعالى لم يقدر له من العز والمجد والشرف والقوة والاقتدار ونفوذ الكلمة وطاعة الناس ونشر الدين قبل رفعه الى السماء بعض ما قدره لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بل عامله الله تعالى بعكس ما عامل سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ولله فى ذلك حكم وهو يفعل فى خلقه مايشاء ولا اعتراض

عليه سبحانه وتعالى فى كل أحكامه فقد أضعف سيدنا عيسى عن مقاومة أعدائه وأضعف أولياءه المؤمنين به مع قلتهم وذلتهم وقوى أعداءه الكافرين به مع كثرتهم وعزهم وسلطهم عليه حتى أهانوه بانواع الاهانات المشروحة في أناجيل أحبابه وهم كلهم يعترفون بها ولكنهم يخرجون من الضعف قوة ومن الذل عزاً ومن التحقير تعظيما وتبجيلا والحاصل انهم يعكسون الحقائق ويعتقدون الاشياء على خلاف ما هى عليها ولم يزل أعداؤه اليهود مسلطين عليه بانواع الاذى والاهانات حتى جعل الله له فرجا ومخرجا فرفعه الى السماء وألقى شبهه على من دلهم عليه جزاء له فصلبوا ذلك الشبيه والنصارى تعتقد انه هو المصلوب وانه ابن الله لاعبده ورسوله فهذا أيضاً يكون أبلغ باقامة الحجة لان الله تعالى يكون قد أكرم سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم باعزازه ونصره وتأييده الى أقصى درجة تمكن وفعل عكس ذلك بسيدنا عيسى عليه السلام فانه اهانه غاية الاهانة الى أقصى درجة تمكن بتسليط أعدائه عليه وتخليه عن نصرته بالكلية حتى فعلوا فيه تلك الافعال التى تقشعر منها الجلود وتضطرب لها النفوس وأما مايذكرونه لذلك من الاسباب الموهومة الملفقة التى لايقبلها عقل ولا يؤيدها نقل فهى مجرد أوهام لا تروج على من عنده من التميز بين الحق والباطل أدنى المام اذا علمت ذلك تعلم ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل عند الله تعالى من سيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام وانه لا يمكن أن يحكم بخلاف ذلك أحد من المنصفين ذوى الاحلام وان جميع ما أتى به هذا المعترض الفاجر المكابر دليل على انه من الطغام اللئام المحرومين من نعمة الهداية والسلام

﴿ فصل ﴾ اعترض فى صفحة ٢٦٢ على قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ قَالُوا

إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ قال البيضاوى وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم لان أكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء فى ذلك *وقال الشهاب الخفاجى فى حاشيته نقل عن السدى ان هذا الشرط جاء فى التوراة هكذا من جاء يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار الا المسيح ومحمدا عليهما الصلاة والسلام وكانت هذه العادة جارية الى مبعث المسيح صلى الله عليه وسلم انتهى *وذكر العارف الصاوى فى حاشية الجلالين القولين المذكورين فقال قيل ان تلك المقالة لم تقع أصلا فهى كذب محض وقيل انها موجودة في التوراة الا فى حق المسيح ومحمد وأماهما فمعجزاتهما غير ذلك فهم أى اليهود قد كذبوا على التوراة على كل حال اذا علمت ذلك تعلم ان سيدنا عيسى لم يأتهم من جملة معجزاته بقربان تأكله النار فهو فى ذلك مساو لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كلاهما لم يكن من معجزاته الاتيان بقربان تأكله النار كما طلب اليهود وقول هذا المعترض أما المسيح ففعل أمامهم المعجزات الباهرة من احياء الموتى وشفاء الابرص والاعمى ومع ذلك رفضوه فهو صحيح وكذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جرى على يده أمامهم وأمام غيرهم المعجزات الكثيرة التى لم تبلغ معجزات المسيح عليه السلام عشر معشارها فآمن به بعض أحبارهم كعبدالله بن سلام ومخيريق وغيرهما أما سيدنا عيسى فلم يؤمن به أحد من اليهود فيما أظن مع كون سيدنا عيسى هو اسرائيلى منهم فمن هذا يظهر ان معجزات ودلائل سيدنا محمد كانت مقنعة وملزمة لهم أكثر من معجزات ودلائل سيدنا

عيسى وحينئذ فالتبجح الفارغ الذى أبداه المعترض والتفيهق البارد الذى لامعنى له هو واقع فى غير محله فان قلت لم يجبهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الى مطلوبهم ويأتيهم بقربان تأكله النار قلت ان الله تعالى هو حاكم غير محكوم عليه وقد أجرى عز وجل من المعجزات على يد كل نبى ما فيه الكفاية لاثبات نبوته والتصديق به لهداية من قدر الله هدايتهم واقامة الحجة على من لم يؤمنوا وذلك باظهار خوارق عادات على أيدى الانبياء يعجز عن مثلها البشر وأما اختيار أصناف تلك المعجزات وخوارق العادات فهو راجع لله تعالى لا للناس واذا طلبوا معجزة بعينها قد يجريها الله تعالى على يد الرسول وقد لا يجريها على حسب ارادته سبحانه وتعالى والظاهر والله أعلم ان عدم اجراء معجزة القربان على يد النبى صلى الله عليه وسلم لعلمه تعالى بتعنتهم وانهم انما يطلبون ذلك تعجيزا للنبي صلى الله عليه وسلم لا بقصد الايمان لكون هذه المعجزة بعينها جرت بطلب أسلافهم اليهود من بعض الانبياء هي وغيرها من الآيات البينات فلم يؤمنوا والدليل على ذلك ان ماشاهدوه من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم كثير من عدم تأثير السم الذى سمته به اليهودية وعدم تأثير السحر الذى سحروه به واخباره اياهم عن المغيبات مرارا وذكره لهم ما فى التوراة وقد أنكروه فاقروا بعد اخباره وامتحانهم اياه صلى الله عليه وسلم بمسائل لا يعلمها الا نبى فاتاه جبريل عليه السلام باجوبتها وما شاهدوه في التوراة من علاماته الصادقة وأقر بها كثير من أحبارهم وآمنوا به صلى الله عليه وسلم وغير ذلك فلو كان مرادهم الايمان به لكفاهم بعد ماشاهدوه منه لاثبات صدقه صلى الله عليه وسلم فبذلك يعلم ان طلبهم معجزة القربان انما هو لمجرد التعجيز والتحكم فهو

من قبيل التلاعب بامر الدين فلا يستحقون عليه الاجابة ولا ينسب بذلك الى الله عجز لانه سبحانه وتعالى أجرى مثل ذلك على يد الانبياء السابقين ويدل على هذا ان معجزة شق القمر هي أعظم من معجزة القربان بكثير وقد طلبها قريش منه صلى الله عليه وسلم فدعا الله تعالى فانشق بالحال نصفين وشاهدوه جميعا ومع ذلك لم يؤمنوا ولكن لم يسبق نظير هذه المعجزة على يد أحد من الانبياء السابقين ولذلك أجراها الله تعالى على يده صلى الله عليه وسلم لئلا ينسبوا له العجز ومع هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم هو عبد الله ورسوله فما شاءه تعالى من المعجزات أجراه على يده ومالم يشأ لا يجريه فالله سبحانه وتعالى يفعل مايشاء ويحكم مايريد وليس لاحد عليه حكم لا من الانبياء ولا من غيرهم وانظر الى قوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ قال البيضاوى قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم أو تنزيها لله من ان يتحكم عليه أو يشاركه أحد فى القدرة هل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على مايلائم حال قومهم ولم يكن أمر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى يتخيروها اه وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة فى سؤال الكفار النبى صلى الله عليه وسلم ان يعمل لهم أعمالا عجيبة يعجز عن مثلها البشر لمجرد التعنت والتحكم والتعجيز فلم يستحقوا عليها الجواب أما الذين

كانوا يسألونه غير متعنتين فكان يجيبهم لما طلبوه ولا سيما المؤمنين الذين كانوا يسألونه تكثير الطعام والشراب والماء في وقت الحاجة وشفاء الاسقام والاخبار بالمغيبات وكان يجيبهم الى مطلوبهم كثيرا كما يعلم ذلك كل من له اطلاع على سيرته وأخباره صلى الله عليه وسلم ولم يقل عاقل ان الرسول يجب عليه ان يأتي بكل ما يطلبه الكفار منه من المعجزات وخوارق العادات وانه اذا صدرت على يده المعجزات والخوارق بدون طلبهم أو بعضها بطلبهم وبعضها بدون طلبهم لاتكون كافية لاثبات نبوته الا اذا أجابهم بكل ماطلبوه هذا لم يشرطه أحد لا من المسلمين ولا من غيرهم وانما الشرط في اثبات نبوته ان يدعى النبوة ويصدر على يده المعجزة ولو معجزة واحدة بشرط ان يتحداهم بها أي يطلب معارضتهم لها فيعجزون عن ذلك فتثبت نبوته بهذا القدر وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد أتى من المعجزات الجامعة للشروط بما لم يأت به أحد من الانبياء والمرسلين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين

(فصل) اعترض في هامش صفحة ١٢٠ وكرره في صفحة ١٤٦ على كثرة الانبياء عند المسلمين وانهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قال وقيل انهم ألف ألف وأكثر من ذلك وهو كاذب في هذا القيل فانه لم يقله أحد وذكر أن عدد الانبياء عند اليهود والنصارى لا يتجاوز خمسين وزعم ان ذلك من محسنات دين اليهود والنصارى كما أنه زعم أن كثرتهم من عجائب دين الاسلام حيث قال فانظر وتعجب وهذا لا يستغرب منه بعد أن تحققنا من كلامه المرة بعد المرة تحسين القبيح وتقبيح الحسن وما ذلك الا من شدة جهله وسقامة ذوقه ونقص عقله والا فما المانع عقلا أو شرعاً من كثرة الانبياء وهل على الله تعالى حجر في أن لا

يتخذ من الانبياء الا عددا قليلا ولا يجوز له التكثير منهم والظاهر ان هذا المعترض لا يفرق بين النبوة والرسالة وتوهم أن هذا العدد الكثير في الرسل لا لزوم له لان الرسل المقصود منهم تبليغ رسالات الله تعالى الى خلقه وذلك يحصل بأقل من تلك الاعداد الكثيرة فان كان مراده هذا نجيبه عنه بان الحديث قد ورد بكون الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً وأن الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أما الانبياء فهم مختصون بعبادته وطاعته وليس بينهم وبين الخلق علاقة فان النبوة بدون رسالة خاصة بأهلها وهذه لا مانع من كثرتها ولو ورد عنه صلى الله عليه وسلم أن لله من الانبياء ألوفا من الملايين واكثر من ذلك نصدقه صلى الله عليه وسلم ولا نرى في ذلك أدنى سبب للاشكال او الاعتراض فان الله تعالى يصطفى من خلقه من يشاء ولا حجر عليه في شيء من ذلك مع أن الحديث المذكور ليس من الاحاديث الصحيحة قال الشيخ عبد السلام اللقاني في شرح الجوهرة والاولى كما يفهم من المتن ان لا يتعرض لحصرهم في عدد معين لقوله تعالى (مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) ولانه لا يؤمن أن يدخل فيهم ما ليس منهم ويخرج بعضهم وحديث الانبياء مائة ألف وفي رواية مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر وفي رواية وأربعة عشر متكلم فيه مع كونه خبر آحاد اه قال الشيخ الامير في حاشيته قوله متكلم فيه أي في رجاله بالضعف وقوله خبر آحاد اي وهو ولو كان صحيحاً انما يفيد الظن والاعتقادات تبنى على اليقين اه ومع ذلك فاني اعتقد بان هذا الحديث وارد عن النبي صلى الله عليه وسلم بدليل ما ذكره سلطان العارفين سيدي محيي الدين ابن العربي في الفتوحات المكية ان

في كل عصر من الامة المحمدية مائة ألف ولي لله تعالى وأربعة وعشرين
ألفا عدد الانبياء اذا مات منهم واحد يخلفه آخر ونحن نصدق بهذا
أيضاً وان كذب به الجاحدون وانما جعل هذا العدد من الاولياء
في هذه الامة المحمدية لان النبوة ختمت بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
وكذلك الرسالة فاتخذ الله من أمته الاولياء في مقابلة الانبياء اذ كل ولي
منهم يكون على قدم أي صفة نبي من الانبياء وكلهم تابعون لسيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم عاملون بشريعته ونزيد هذا المعترض علما وان جحده
وهو أن جميع أولئك الانبياء هم مؤمنون به صلى الله عليه وسلم ومن
جملة سادات أمته التي هي من آدم الى يوم القيامة فهم نوابه صلى الله عليه
وسلم في أقوامهم تقدموه في الزمان كما يتقدم الامراء على السلطان
حتى جاءت نوبته صلى الله عليه وسلم فظهر في هذا العالم رسولا للخلائق
اجمعين كما قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) نص على ذلك
في فتوحاته سيدي محيي الدين ونحن به من المؤمنين المصدقين والحمد لله
رب العالمين (فصل) اعترض في صفحة ١٤٦ على كون القرآن نسب
الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب كتبا منزلة وقال ان اسماعيل
والاسباط لا يليق أن يكونوا أنبياء والجواب ان النبوة ليست راجعة الى
اختيار وانما هي اختصاص من الله تعالى لمن شاءه من عباده أما اسماعيل
عليه السلام فلم يرد في حقه شيء يكون سببا للاعتراض وأما الاسباط فهم
وان ورد في حقهم قضيتهم مع أخيهم يوسف عليه السلام فهو قد عفا
عنهم أخيراً وأحسن اليهم وأقروا على أنفسهم بالخطأ وتابوا مما اقترفوا
والله غفور رحيم ومهما كانت أفعالهم فهي ليست بأشنع ولا أفظع من
الافعال التي نسبتها التوراة الموجودة الآن الى الانبياء والرسل المتفق

على نبوتهم ورسالتهم من عبادة الاصنام والزنا بالمحارم والقرابات فضلاً
عن غيرهن ومع ذلك فهذه الافعال لم تمنع من نبوتهم عندهم فلم يبق
وجه بعد هذا للاعتراض على نبوة اسماعيل والاسباط عليهم السلام
ومع ذلك فنبوة الاسباط غير متفق عليها عند المسلمين قال الحافظ
السيوطي في كتابه دفع التعسف عن اخوة يوسف الذي عليه الاكثرون
سلفاً وخلفا انهم ليسوا بانبياء ثم قال قال ابن كثير اعلم انه لم يقم دليل
على نبوة اخوة يوسف وظاهر سياق القرآن يدل على خلاف ذلك ومن
الناس من يزعم انهم أوحى اليهم بعد ذلك وفي هذا نظر ويحتاج مدعي
ذلك الى دليل ولم يذكروا سوى قوله تعالى وما أنزل الى ابراهيم الى قوله
والاسباط وهذا فيه احتمال لان بطون بني اسرائيل يقال لهم الاسباط
كما يقال للعرب قبائل والعجم شعوب فذكر الله تعالى انه أوحى الى
الانبياء من أسباط بني اسرائيل فذكرهم اجمالا لانهم كثيرون ولكن
كل سبط نسل رجل من اخوة يوسف ولم يقم دليل على أعيان هؤلاء
انه أوحى اليهم ثم نقل نقولا كثيره تؤيد ذلك وقد اعتمد كثير من
العلماء منهم الامام ابن حجر في شرح الهمزية والعارف الصاوي في
حاشيته على الجلالين نبوتهم صلوات الله على نبينا وعليهم وهذا هو
الذي اعتقده أنا وقد خطر لي دليل يستأنس به لذلك وهو رؤيا يوسف
قال يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين
والكواكب منيرات وهم اخوة يوسف فقد حصل لهم النور بعد توبتهم
وهم انما سجدوا ليوسف بعدها فكانوا كواكب ولو كانوا عصاة لما صح
هذا والله أعلم وأما قوله ان القرآن نسب اليهم كتباً الهية فهو كذب صرف
لم ينسب لهم القرآن شيئا من ذلك كما انه لم ينسب كتباً الهية الى اسماعيل

واسحاق ويعقوب عليهم السلام وأما قوله في سورة البقرة ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ فقد فسر البيضاوى وغيره ما أنزل الى ابراهيم ومن بعده بالصحف قال وهي وان نزلت الى ابراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت أحكامها فهى أيضاً منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا اه نعم ان ابراهيم عليه السلام ورد القرآن بان له صحفاً وذلك ليس شيئاً يوجب الاعتراض فانه بالاتفاق من أجل الانبياء والرسل بل هو أجلهم بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأكثرهم من ذريته فمن أين يأتى الاعتراض بعد هذا على كونه ذا كتاب أنزله الله عليه وعدم وجوده فى أيدى الناس الآن لايقتضى عدمه بالكلية فان قدم العهد كثيراً ما يترتب عليه فقدان الكتاب ولاسيما اذا انضمت لذلك أسباب فان المؤمنين بسيدنا ابراهيم كانوا قليلين في ذلك العصر وأكثر الناس كانوا كفرة ثم طرأ على بنى اسرائيل من الانقلاب والاستعباد والتشتيت فى البلاد والبغى والطغيان وعبادة الاصنام والاوثان ما منعهم من الاهتمام بحفظ الكتب الدينية وتحريف التوراة انما نشأ من هذه الاسباب حتى انها فقدت بالكلية ولم يبق في بنى اسرائيل الا رجل واحد يحفظها وهو دانيال عليه السلام وهذا متفق عليه عند النصارى واليهود فكيف حينئذ يستبعد فقدان صحف ابراهيم وهي أقدم من التوراة بعصور كثيرة ولم يكن لها أهمية بعد وجود التوراة للاستغناء بها عنها فانه لما بعث سيدنا موسى عليه السلام وأنزل الله عليه التوراة اغنت عن غيرها فلم يبق عندهم بواعث قوية للاعتناء بغيرها كصحف ابراهيم عليه السلام واستمر ذلك الى ان فقدت ونحن بعد أن أخبرنا الله تعالى بكتابه العزيز بوجود صحف لابراهيم عليه السلام لا



نرتاب فيها وانما نتعجب من وقاحة من يعترض على ذلك مع كونه يعتقد برسالته عليه السلام وانه من أجل أنبياء الله تعالى ورسله أفكان بلا شرع بالكلية هذا لا يمكن لان شريعته محققة لا ريب فى وجودها وانها هى التى كان عليها مدار العمل من عهد سيدنا ابراهيم الى عهد سيدنا موسى فهل يمكن ان تكون هذه الشريعة بلا كتاب وما كان هذا المعترض المكابر يعترض بذلك لو كان من ذوى الالباب ولم يكفه أن يعترض باعتراض بسيط بعبارة مناسبة حتى تعجرف وتفيهق وصار يعبر بالعبارات الباردة الدالة على سماجته وسقامة ذوقه وغلاظة طبعه وسوء أدبه وقلة حيائه كقوله (ماذا نقول في القرآن الذى نسب الى ابراهيم واسماعيل واسحاق كتبا منزلة مع انه ليس لهم كتب) فانظر كيف أثبت مدعاه بهذه الحجة وهى قوله مع انه ليس لهم كتب قبحها الله من حجة ما أضعفها وقبح صاحبها الذى ينفى الحقايق بالاوهام ويشتغل بتقبيح المحاسن وتحسين المذام مع جهله وكذبه فان القرآن لم ينسب لاسماعيل واسحاق ويعقوب كتبا منزلة ولو نسب لهم كتبا ماذا يكون من ذلك فهم أنبياء وفيهم الاهلية وانما كانوا على شريعة أبيهم ابراهيم ولم يذكر لهم كتبا مستقلة ولو وردت من طريق صحيح لآمنا بها وانظر ما أسمج قوله (ولم يكتف القرآن بذلك بل نسب الي الاسباط كتبا الهية) وقد علمت ان القرآن لم ينسب الى الاسباط كتبا الهية أما صحف ابراهيم فهي لاشك فيها وعدم وجودها فى أيديهم الآن لايمنع من ذلك فقد فقدت كتب الهية كثيرة وهى من جملتها وعلماء النصارى يعترفون بانه قد فقد من كتب الانبياء وغيرهم كتب كثيرة لاوجود لها الآن بالكلية فقد نقل الشيخ رحمة الله فى اظهار الحق فى المقصد الثالث الذى

عقده لاثبات التحريف فى التوراة والانجيل بالنقصان عبارات كثيرة عن علمائهم صريحة بفقد ان بعض كتب الانبياء منها عبارة كريزاستم فى التفسير التاسع لانجيل متي وهى قوله انمحى كثير من كتب الانبياء لان اليهود ضيعوا كتبا لاجل غفلتهم بل لاجل عدم ديانتهم ومزقوا بعضها وأحرقوا بعضها اهو نقل هذا الكلام عن التفسير المذكور ممفرد كاتلك فى كتابه سؤالات السؤال المطبوع فى لندن سنة ١٨٤٣ وقال بعد نقله هذا هو الغالب جدا انهم مزقوا الكتب وحرقوها لانهم لما رأوا ان الحواريين يتمسكون بهذه الكتب فى اثبات مسائل الملة المسيحية فعلوا هذا الامر ويعلم هذا من اعدامهم كتبا نقل عنها متى قال وانظر والى جستن يقول فى المناظرة لطريفون اليهود قد أحرقوا كتبا كثيرة من العهد العتيق ليظهر ان العهد الجديد ليس له موافقة تامة بالعهد العتيق ويعلم من هذا ان الكتب الكثيرة انمحت انتهت عبارة كتاب سؤلات السؤال لمفرد كا تلك ونقل الشيخ رحمة الله أيضا عن علمائهم نقولا كثيرة من هذا القبيل وسمى كتبا كثيرة ليست أقل من عشرين كتابا هم معترفون بفقدها ولا حاجة الى ذكرها هنا لان المقصود انما هو اثبات ان علماء النصارى معترفون بانه قد فقدت كتب كثيرة من كتب الانبياء ومحيت بالكلية وقد حصل اقامة الحجة على المعترض بهذا القدر والحمد لله ومن أراد الاطلاع على أسماء تلك الكتب المفقودة فليراجع اظهار الحق فقد ثبت ان علماء النصارى متفقون على فقد ان كثير من كتب الانبياء بالكلية بحيث لم يبق لها وجود واذا كان الامر كذلك فكيف يستبعد هذا المعترض ان لسيدنا ابراهيم صحفا منزلة ويستدل على ذلك بعدم وجودها بين أيديهم فاستبعاده هذا فى غير محله لان

سيدنا ابراهيم هو أقدم من جميع الانبياء الذين فقدت كتبهم على رأى علماء النصارى فصحفه أولى بالفقدان لبعد العهد ولنسخ شريعته بشريعة التوراة ولو كان عاقلا منصفا لاستبعد عدم وجود صحف الهية لابراهيم حالة كونه من أجل رسل الله بل أجلهم بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وهو صاحب شريعة مستقلة استمر العمل بها الى أن جاءت شريعة موسى فكيف يمكن ان يكون مع هذا بدون كتاب سماوى هذا لا يقبله عقل ولا يؤيده نقل فاستبعاد هذا الجاهل المكابر لذلك دليل على قلة عقله وبعد كتابتى ما كتبته هنا رأيت في جرائد الاخبار قصة الاكتشاف الذى اكتشفه فى هذه الايام بعض علماء الافرنج فى خرابات بابل وهو عامود مكتوب عليه كثير من أحكام التوراة مع انه قبل سيدنا موسى بدهر طويل كتب في أيام أحد الملوك المذكورين فى التوراة وكان هذا الملك فى عهد سيدنا ابراهيم عليه السلام فاشاع ذلك الملحدون منهم معترضين به على كون التوراة كتابا الهيا زاعمين ان سيدنا موسى قد أخذ تلك الاحكام مما هو مكتوب على هذا العامود وهو زعم فاسد لان تلك الاحكام قد تكون من الاحكام التى أوحى الله بها الى سيدنا ابراهيم وبلغها الى أمته فبلغت هذا الملك فاستحسنها حتى كتبها على ذلك العامود لتخليدها ثم ان الله تعالى أوحي بها الى موسى في توراته كما أوحى بها الى ابراهيم في صحفه كما انه تعالى أوحى بكثير من الاحكام المذكورة وغيرها الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا مانع من أن يكون قد أوحي ببعض ما أوحى به اليه الى الانبياء السابقين كابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهذا كله صحيح وهو مما لا يعترض به منصف عاقل كما انه لا مانع من أن يلهم الله تعالى بعض الملوك والعقلاء ولو كانوا غير مؤمنين أحكاما موافقة لمصلحة الناس

ثم يوحى بتلك الاحكام الى بعض رسله ويكون من ذلك ماوجد من الاحكام على ذلك العامود بفرض انها ليست من صحف ابراهيم وان ذلك الملك كان كافرا فهذا أيضاً لامانع منه ولا يأباه العقل فلا يكون حجة للملحدين على الطعن فى سيدنا موسى عليه السلام وما جاء به فى توراته من تلك الاحكام ولنرجع الى الكلام على ماأتى به ذلك المعترض الرقيع من العبارات الباردة والالفاظ الساقطة والمعانى السافلة التى لاتجرى الا على فكر أحمق مجنون لايبالى بماجرى على قلمه من الكلام ولا يبالى بما لحقه من المذام فمن ذلك قوله (فعلى هذا لو كان القرآن فى يد النصارى المدققين لرفضوه رفضاً باتاً لان صاحبه ادعى نزول كتب سماوية على اناس لايليق ان يكونوا أنبياء كاسماعيل والاسباط) فمثل هذا مايكون جوابه مهما أجبناه يكون الجواب ضائعا لانه جاهل مكابر فاسد الذوق سقيم الفهم عنده العلم مجرد ترتيب العبارات والالفاظ المستهجنات المتضمنة لانواع السفاهات وان لم يكن تحتها معنى فكلامه هذا ليس هو موافقا لاصول المناظرة والجدال وانما هو مجرد أقوال لامعنى لها بحال من الاحوال فان من أهم قواعدهم التى لايجهلها أحد قولهم ان كنت ناقلا فالصحة وان كنت مدعيا فالدليل فدعاوى هذا معطلة عن الدليل وعن النقل فهو يقول ليس لابراهيم واسحاق كتب لانهم ليس لهم كتب ويقول ليس اسماعيل والاسباط أنبياء لانهم لايليق ان يكونوا أنبياء وقوله لوكان عند النصارى لرفضوه هو أيضا من الكذب البارد لان النصارى لم يرفضوا التوراة والانجيل الموجودين الآن وفيهما من الشنائع والفظائع التى تأباها العقول والافهام ويأنف منها ذوو الاحلام شىء كثير ومع ذلك لم يرفضوها فالقرآن ليس فيه نسبة أشرف الناس وأفضل البشر وهم أنبياء الله

تعالى الى مالا يليق بهم بل لايليق باتباعهم من الزنا والفواحش الشنيعة كما فعلت التوراة وليس فيه الاخبار بالفظائع التى جرت على عيسى عليه السلام مع اعتقادهم بانه الههم ومعبودهم كما فعل الانجيل ولكن من كانت هذه حالته من الجهل والوقاحة لايلام على مايصدر منه من الاباطيل والاوهام وقبيح العبارات وفاسد الكلام وأما وصفه النصارى بالمدققين فلا صحة له وهو ظاهر البطلان والكذب لان هذه المسألة دينية والنصارى من المعلوم البديهى عندهم فضلا عن غيرهم انهم لاتدقيق لهم فى أمور الدين بالكلية بل هم محجور عليهم بمقتضى دينهم الموضوع من علمائهم ان يدققوا في أمر الدين لانهم لو دققوا يظهر لهم عواره فهم مكلفون بأن يقبلوه ويتدينوا به على مافيه من العيوب التى ترفضها العقول وتخالف المعقول والمنقول حتى اذا بحث بعضهم مع رئيس دينه في مسألة مما يأباه عقله يقول له (اسكت لاتكفر الدين فوق العقل) ولولا انهم وضعوا لهم هذا السد لخرج أكثرهم عن دينهم ظاهرا كما هم خارجون عنه باطنا والا فكيف يمكن أن يسلم عاقل ذو فهم صائب وفكر ثاقب بأن انسانا مثله هو الله وانه لم يكتف بذلك حتى اعتقد انه وقع عليه من أنواع البلاء والدواهى والذل والمصائب ما لا يقبله على نفسه احقر الناس لو أمكنه دفعه فمن جهة هو اله ومن جهة هو اعجز الخلق وأضعفهم واذلهم وهذه المناقضة الغريبة العجيبة لا يمكن دفعها ولو اجتمع الخلق اجمعون بأفكارهم على ان يجدوا جوابا صحيحاً لها لما وجدوه وهم مع ذلك قبلوها وتدينوا بها وجعلوها أساس دينهم المبنى عليه نجاتهم ونجاحهم أفبعد هذا يقول ان النصارى مدققون فى أمر الدين الا من أعمى الله قلبه ولبه كهذا المعترض أما كثرة الانبياء وقلتهم وكون هذا يليق ان

يكون نبيا وذاك لا يليق فهذه امور مختصة بالله تعالى هو يصطفى من خلقه من يشاء وليس لاحد من خلقه ان يعترض عليه بشيء من ذلك سبحانه وتعالى على ان نبوة هؤلاء الذين أنكر نبوتهم وهم سيدنا اسماعيل والاسباط هى التي يقتضيها القياس ولا يعترض عليها أحد من عقلاء الناس لانهم ورثوها كابرا عن كابر فاسماعيل ابن ابراهيم والاسباط ابناء يعقوب نبى الله وجدهم اسحاق نبى الله وجد أبيهم ابراهيم نبى الله وجميع أنبياء بنى اسرائيل من ذريتهم فقد تبين ان آباءهم انبياء وابناءهم أنبياء فأى غرابة فى كونهم انبياء ولكن فاقد العقل والذوق السليم هو في حكم البهيم فلا يلام على ما يبد ومنه من قبيح العبارات الدالة على قلة حيائه وكثرة جهله وشقائه

﴿ فصل ﴾ ان هذا المعترض من شدة جهله وزلله وعظم خطئه وخطله اعترض في صفحة ٦٨ بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب السيدة عائشة رضى الله عنها وأن الناس تحدثوا بشأنها فى قصة الافك والجواب عنه انها رضى الله عنها قد برأها الله تعالى فى كتابه وأثنى عليها الثناء الجميل كما أثنى على السيدة مريم بكونها أحصنت فرجها فعلمنا بذلك براءتها من طعن اليهود فيها وفي ابنها عليهما السلام فالطريق الذى علمنا منه براءة السيدة مريم عليها السلام هو الطريق الذى علمنا منه براءة السيدة عائشة رضى الله عنها مع ان التهمة فى جانب السيدة مريم هي أعظم بكثير لانها حبلت وولدت سيدنا عيسى عليها وعليه السلام من دون أب وكان خطيبها يوسف النجار وهو الذى رمته اليهود بها افتراء يساكنها ويسافر معها قبل ولادتها وبعد ولادتها وهي لا زوج لها وقد ولدت سيدنا عيسى على خلاف قاعدة الطبيعة البشرية والنصارى تعترف بأن يوسف النجار

كان بمنزلة الوالد لسيدنا عيسى عليه السلام لهذا المعنى أما السيدة عائشة رضى الله عنها فانها لم يقع لها شيء من ذلك وأهل الافك فيهاهم أشخاص دون العشرة كبيرهم رأس المنافقين عبد الله بن سلول والحامل له على ذلك شدة عداوته للنبي صلى الله عليه وسلم فأين قصة السيدة مريم من قصة السيدة عائشة وحيث كانت براءتهما بنص القرآن فكل من لم يعتقدها فهو عندنا كافر معاشر المسلمين ومع كون قصة السيدة مريم على هذه الصورة وكون عقيدة النصارى ترمى بعض أكابر الانبياء ونسائهم وبناتهم بالزنا حاشاهم من ذلك يعترض على السيدة عائشة هذا الرجل بقصة الافك فانظر وتعجب من شدة مكابرته وقلة حيائه وعدم مبالاته بما يلحقه من العار والذم من كل من اطلع على كلامه حتى من أقوامه * وأما اعتراضه بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة رضى الله عنها فهو من عجائب تعصبه وجهله وقلة حيائه وعقله اذ لم يسمع ولم يعقل ان أحدا اعترض على من يحب زوجته ومحبته صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة انما كانت بحسب ما نعقل لثلاثة وجوه ﴿الاول﴾ جمال صورتها وسيرتها وانها لم يتزوج بكراً غيرها ﴿ الوجه الثانى ﴾ انها بنت صديقه الاعظم ووزيره الاكرم أبي بكر رضى الله عنه ﴿ الثالث ﴾ انها كانت أعلم نسائه صلى الله عليه وسلم وأحفظهن لشريعته حتى قال عليه الصلاة والسلام خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء أى حمراء اللون وكان الامر كذلك فاكثر الاحكام التى تتعلق بالنساء أخذت عنها وروت من أحاديثه صلى الله عليه وسلم شيئا كثيراً فهذه هي أسباب محبته صلى الله عليه وسلم لها وهل كان عند هذا المعترض الفاجر الخاسر من شرط الانبياء ان لا يحبوا زوجاتهم قبحه الله من سفيه فاقد الحياء يتصرف

في السفاهة كيف شاء غير مراع لقواعد الانصاف وآداب العلماء

﴿فصل﴾ وأما اعتراضه الفاسد وتعنته البارد في صفحة ٦٩ على ارسال النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه الى بعض أعدائه الالداء المحاربين له من اليهود وغيرهم الذين كانوا مشغولين باذيته وذمه وحمل الناس على مخالفته ومحاربته صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من أنواع الاذية التي يعلمها من اطلع على السيرة النبوية وعلم أخبار أولئك اليهود الملاعين اخوان الشياطين فهو اعتراض لا معنى له بالكلية أليس ذلك من جملة الجهاد المأمور به هو وأصحابه وأمته صلى الله عليه وسلم أليس ذلك من حسن التدبير في الحرب فان قتل الواحد من أولئك الملاعين كان يغني عن سوق جيش فان بقتلهم حصل ارهاب عظيم لامثالهم من الكفرة والمشركين المحاربين لله ورسوله ولولا مشروعية الجهاد في دينه صلى الله عليه وسلم لما انقادت له تلك الامة العربية التي كانت في غاية الجهالة والتوحش منعكفة على عبادة الاوثان غارقة في بحار الضلال والطغيان حتى ان نفس أقاربه الذين كان يجب عليهم نصرته كانوا أعظم أعدائه وبذلوا أقصى ما في وسعهم في محاربته وأذيته وتنفير الناس منه وتألبوا على قتله وهو بينهم ضعيف مستضعف وكلما زادوا في أذيته زاد في اقدامه على تبليغ رسالة ربه ودعائهم الى عبادة الله تعالى وحده وترك ما كانوا عليه من الشرك والضلال ثم لما شاهدوا كثيراً من معجزاته وسمعوا القرآن وعرفوا أنه لابد من ظهوره عليهم ولم تسمح أنفسهم بترك دين آبائهم عرضوا عليه أن يجعلوه ملكا عليهم بشرط أن لا يتعرض لاصنامهم فأبى صلى الله عليه وسلم الا الاقدام في تبليغ رسالة ربه وحده لا شريك له وازالة عبادة الاوثان فاستمروا على معاداته وأذيته ولم يزل الامر

يشتد عليه صلى الله عليه وسلم منهم الى أن خلصه الله من بينهم سالما بعد ان قرروا لزوم قتله وهجموا على داره ليلا فلم يجدوه فيها وكانت الهجرة فهاجر الى المدينة المنورة التي جعل الله له فيها أنصاراً وهاجر اليها من كان أسلم من أهل مكة فوجد من اليهود أعداء ألداء مثل الذين فارقهم في مكة من المشركين بل أشد عداوة منهم وأعظم مكرا وخديعة وحسداً له صلى الله عليه وسلم فصاروا ينفرون الناس منه ويبذلون جهدهم في معاكسته فهل يلام اذا أرسل الى من كان مشهوراً منهم بشدة عداوته وأذيته من يقتله وانما هذا المعترض متعنت متعسف لا يبالي بما يأتي به من الكلام مخالفاً للمعقول أو غير مخالف وذكره قصة سيدنا داود مع عدوه شاول وعفوه عنه وزعمه تفضيله بذلك على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث لم يعف عن أولئك الاعداء فهذا دليل على عدم معرفته بسيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشدة حلمه وعفوه عند الاقتدار فمن ذلك انه يوم فتح مكة وقع جميع أعدائه وأموالهم في يده وهم ألوف كثيرة وطالما حاربوه وآذوه وساقوا اليه الجيوش وقتلوا من أصحابه وألبوا العرب عليه ولم يتركوا شيئاً من أنواع العداوة الا فعلوه معه ثم بعد ان وقعوا في قبضته عفا عنهم أجمعين وزاد ان رؤساءهم حينما تبعوه الى غزوة حنين أعطاهم من الغنائم شيئاً كثيرا أدهشهم فعفو داود عليه السلام عن عدوه شاول يعد قليلا بالنظر الى عفوه صلى الله عليه وسلم عن أعدائه المذكورين وأما استشهاد هذا المعترض الفاجر على اعتراضه على فعل النبي صلى الله عليه وسلم باعدائه المذكورين من اليهود بقول المسيح (أحبوا أعداءكم أحسنوا الى مبغضيكم لاتقاوموا الشر) ونحو ذلك فهو استشهاد في غير محله وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من مكارم الاخلاق التي اتصف بها في ذاته وأمر بها أمته شيء كثير أضعاف ماورد

عن سيدنا عيسى عليه السلام وقد ذكرت من حلمه وعفوه ومكارم
أخلاقه صلى الله عليه وسلم فى هذا الكتاب وغيره مالم يجتمع فى غيره
من البشر وقد قال عليه الصلاة والسلام بعثت لأتمم مكارم الاخلاق
وهو يفيد أنها لم تتم لغيره من النبيين عليه وعليهم الصلاة والسلام وهو
كذلك ومن اطلع على سيرته وسيرهم يعلم ذلك يقينا ومع كون سيدنا
عيسى عليه السلام كان من أحلمهم وأكثرهم تواضعا ومكارم أخلاق
قال على مازعموه لبطرس ياشيطان وذكر ذلك هذا المعترض فى كتاب
غوايته المذكور المسمى بالهداية ولا يخفاك ان اشد كلمة يمكن ان يشتم
بها انسان هى لفظ شيطان وقد قالها سيدنا عيسى بزعمهم لرجل صالح
من أخص المؤمنين به وأنا لاأعتقد صحة ذلك ومع هذا فهو صلوات
الله على نبينا وعليه لم يؤمر بالجهاد ولا جاء بشرع جديد وانما كان
تابعا لشريعة سيدنا موسى شريعة التوراة واكثر كتابه مواعظ وحكم
كهذه فلا تكون حجة على نبى عظيم وهو سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم أرسله الله بشرع جديد ناسخ لما قبله من الشرائع ومن أهم أحكامه
وأجلها الامر بالجهاد فى سبيل الله تعالى فكيف يصح ان يقال له لاتقتل
أعداءك الذين يجتهدون فى اطفاء نورك وتعطيل أمرك وعدم تبليغك
رسالة ربك لقول سيدنا عيسى أحبوا أعداءكم الى آخر الكلمات التى
ذكرها أما فى وقت سلمه صلى الله عليه وسلم فهو كان أحلم الناس وأرحمهم
وأرأفهم كما هو معلوم من سيرته النبوية لكل أحد اطلع عليها حتى كان
الاعرابى الجلف يؤذيه أشد الاذى وهو يحلم عليه صلى الله عليه وسلم
ولا يقابله الا بالاكرام وينهى أصحابه عن التعرض لاذيته مع انه لو
شاء قتله لما كان منه مانع فالسلم له حكم والحرب له حكم ولولا انه صلى

الله عليه وسلم بعث بالجهاد لما أمكن ازالة تلك الجاهلية التى عمت
فيها عبادة الاوثان وفاضت بحار الشرك والعدوان فمع مشاهدتهم معجزاته
الباهرة وآياته الظاهرة كان كثير منهم يصر على عداوته وعدم الايمان
به صلى الله عليه وسلم نعم قد آمن به عليه الصلاة والسلام بمجرد سماع
القرآن ومشاهدة المعجزات جماعة كثيرون ولكن كان الذى بقى منهم
على شركهم اكثر ممن آمنوا بالله ورسوله اذا علمت هذا تعلم ان اعتراض
ذلك الخبيث فى هذا الشان هو من جملة تعنتاته الباردة وسفاهته القبيحة

﴿فصل﴾ ومن اعتراضات هذا الفاجر المكابر اعتراضه فى صفحة
٧٧ بأن رجلا من اليهود سحر النبى صلى الله عليه وسلم فنقول فى
جوابه انا لم نعتقد به صلى الله عليه وسلم الالوهية ولم يدعها هو نفسه
بل حماه الله من أن يعتقدها فيه أحد الى الآن مع انه ظهر على
يده من المعجزات وخوارق العادات مالم يظهر مثله قط من نبى من
الانبياء صلوات الله عليه وعليهم وكل أمته متفقون من عهده صلى الله
عليه وسلم الى هذا الوقت على انه عبد الله ورسوله وقد حصل
اعتقاد الالوهية فى بعض أمته كسيدنا على رضى الله عنه ومن جملة أحكام
البشرية ان يؤثر فيه مايؤثر فى البشر ومن ذلك السحر فهو اذا حصلت
أسبابه يؤثر لامحالة كالنوم مثلا والجوع والعطش والتعب والخوف
والغضب واضدادها وغيرها من العوارض التى تعرض على الانسان
كالموت والقتل وتسلط الاعداء كما وقع لكثير من الانبياء وهذا سيدنا
عيسى الذى يعتقده هذا المعترض الها قد سلط الله عليه أعداءه حتى
فعلوا فيه مافعلوا وذلك أبلغ من السحر باضعاف مضاعفة ولم يترتب على
سحره صلى الله عليه وسلم محذور فى الدين وانما حصل له مرض من

شدة السحر حتى أعلمه الله تعالى به ودله على موضعه فاستخرجه وشفى منه فهذه كانت معجزة له صلى الله عليه وسلم فهى من جملة معجزاته عليه الصلاة والسلام وأيضاً الحكمة فيه ان يظهر حفظ الله تعالى له من كل أنواع الاضرار التى حاول أعداؤه وقوعها به صلى الله عليه وسلم ليظهر جليا سر قوله تعالى (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) فقد حاول أعداؤه قتله بجميع الاسباب فلم يظفروا به فانهم جهزوا له الجيوش وجمعوا له الجموع وأرسلوا اليه من يفتك به غيلة ووضعوا له السم فى طعامه ولم يتركوا شيئا مما قدروا عليه الافعلوه فحفظه الله تعالى من شرهم انجازا لوعده وكان السحر من جملة الاضرار العظيمة التى تلحق بالمسحور ففعلوها أيضاً فلم ينجحوا فتحقق عند كثير من أعدائه فضلا عن غيرهم صحة نبوته وصدق رسالته صلى الله عليه وسلم وانه محفوظ لامحالة فكان ذلك زيادة برهان على صحة دعواه صلى الله عليه وسلم ومن حكمة وقوع السحر عليه صلى الله عليه وسلم والله أعلم ان المشركين قالوا انه صلى الله عليه وسلم ساحر كما ورد ان الوليد بن المغيرة جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب قادمة عليكم فأجمعوا فيه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم رأيا لايكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ماهو بكاهن ماهو بزمزمته ولاسجعه قالوا مجنون قال ماهو بمجنون ولابخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ماهو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ماهو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ماهو بساحر ولانفثه ولاعقده قالوا فماتقول أنت قال ماأنتم بقائلين من هذا شيئا الا وأنا أعرف انه باطل وان أقرب القول انه ساحر يفرق بين المرء وابنه والمرء وأخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته

فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس منه صلى الله عليه وسلم فاوقع الله سحره صلى الله عليه وسلم على يد اليهود ليظهر انه لو كان ساحرا لسحر اليهود وما مكنهم من أن يسحروه فهذه حكمة أخرى تزيد المؤمنين ايمانا به صلى الله عليه وسلم وقول المعترض ان سحرة المصريين لم يقدروا يقفوا أمام موسى فهذا صحيح لانه مؤيد من الله تعالى ومعجزته أقوى من سحرهم ولكن لم يرد قط انهم سحروه نفسه فلم يؤثر فيه سحرهم وانما الوارد ان فرعون لما رأى معجزات سيدنا موسى عليه السلام ظنه ساحرا فجمع له السحرة ليغلب سحرهم سحره فلما اجتمعوا غلبت معجزته سحرهم فآمنوا به على نبينا وعليه الصلاة والسلام وقول هذا المعترض الخبيث (خير للانسان ان يعيش فى هذه الدنيا بلا اله ولادين من ان يتبع شرع نبى يؤثر فيه السحر) فهذه فتواه موافقة لحاله لانه لايتبع نبيا بشرا وانما يتبع نبيا الها بزعمه والاله لايؤثر فيه السحر ولكن فليقل لنا كيف أثر بنبيه والهه الذى يزعمه ظلم اليهود حتى أذاقوه من أنواع الهوان والاضرار مالم يحصل لاحد غيره من الانبياء أما كان هذا مانعا له من الايمان بنبي يكون فى هذه الدرجة من العجز ومع ذلك يعتقد الوهيته وانما هو رب العالمين وخالق اليهود والنصارى والمسلمين أترى التدين عنده بهذا الدين خيرا من الايمان بسيدنا محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين أليست هذه الفتوى منه من الكفر العظيم والضلال المبين فنحن نشكر الله تعالى الذى لم يبتلنا مما ابتلاه به من البلاء والشقاء والسفاهة وقلة الحياء والحمد لله رب العالمين

(فصل) افترى المعترض فى صفحة ٥٧ على الخلفاء الراشدين ولكنه لم يخصصهم بذلك بل قال وتاريخ ذات الخلفاء هو كغيره من

تاريخ العالم مشحون بالمظالم والمكر والغدر والقتل والحامل له على ذلك شدة حسده لهم رضى الله عنهم على ماشتهروا به من العدل والانصاف واتفاق الكلمة على ذلك بلا خلاف عند المسلمين وغيرهم من المؤرخين المنصفين حتى مؤرخى الافرنج فانهم لايذكرون تاريخهم الا بالتعظيم والذكر الجميل ولاسيما عمر الذى يضرب بعدله المثل وليس لانه أعدل من أبى بكر بل لانه طالت مدته فاشتهرت عدالته وهو حسنة من حسنات أبى بكر وهكذا عثمان وعلى كان كل منهما فى الذروة العليا من العدل واتباع سبيل الحق ومع افتراء هذا المفترى عليهم اعتبره قد عظمهم بهذا الافتراء تعظيما كثيرا وذلك انه لما افترى على الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم بما افتراه ونقله عن كتبه وأيده بزعمه بمانقله من كتب الاسلام مماظاهره يدل على عدم عصمتهم من وقوع المعاصى أخذ يحقق ان النوع البشرى هو محل لوقوع الخطايا قائلا وبصرف النظر عما ذكر فالحوادث التاريخية والوقائع العمومية والخصوصية التى حصلت من أول الخليقة لغاية الآن شاهدة بانحراف الطبيعة البشرية عما خلقت عليه من الطهارة والقداسة فتلوثت بالشرور وتدنست بالفجور فتاريخ عالمنا مشحون من أوله الى آخره بالغدر والكفر واللؤم والخسة والطمع والجشع والفتك والبتك وسفك الدماء وأخذ يسرد من هذه الالفاظ التى رمى فيها العالم كله بأقبح المعايب والمثالب ولم يستثن منهم أحدا ليوهم على السامع بذلك صحة وقوع المعاصى والخطايا التى زعمها من الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم فلما فعل ذلك زعم ان الخلفاء الذين هم أشهر الناس بالعدل والانصاف هم أيضاً وقعت منهم المظالم كل ذلك ليؤيد مازعمه فى حق الانبياء فلم يقصد بذلك تحقير الخلفاء بل

يستنبط من كلامه تعظيمهم حيث اتخذ وقوع الظلم منهم بزعمه دليلا على صحة وقوع المعاصى من الانبياء وهو كاذب في الجهتين ومفتر على الفريقين ثم نقل لتأييد زعمه أيضاً عبارة أبى بكر الخوارزمى فى رسائله التي ذم فيها بعض الملوك من بني أمية وبنى العباس مع ان جميع عيوبهم لو صحت واجتمعت لماكانت تقابل ذنبا واحدا مما افتراه هذا المعترض على النبيين والمرسلين صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين فهذا الخوارزمى مع كونه رجلا رافضياً وقد اجتهد في ذمهم لكونهم من أهل السنة ويوجد فيهم الفسقة حقيقة وقد بالغ فى ذمهم غاية المبالغة باسفه العبارات وأشنع الالفاظ ومع ذلك لم يدع فى أحد منهم انه زنى بمحارمه أو بناته أوسجد للاصنام كما ادعى هذا المعترض الكذاب ذلك فى حق أنبياء الله تعالى ورسله الكرام عليهم الصلاة والسلام

﴿ الباب الخامس في الجواب عن الآيات الواردة فى شؤن النبى صلى الله عليه وسلم التى استدل بظاهرها من يقول بعدم عصمة الانبياء ﴾

نقل صاحب هداية الشيطان * المشحونة بالكفر والبهتان * آيات من القرآن الكريم وردت فى شؤن النبى صلى الله عليه وسلم قد استشكل ظاهرها العلماء * واعترض بها من يقول بعدم عصمة الانبياء * ونقل تلك الاعتراضات ائمة التفسير وغيرهم كصاحب الشفاء واجابوا عنها فعمد هذا الخائن ونقلها دون جواباتها ليؤيد بها اعتراضاته الكاسدة واغراضه الفاسدة ولو صح مازعمه من انها تدل على مايمس جانب النبى صلى الله عليه وسلم وهو عليه الصلاة والسلام على زعم هذا المفترى الكذاب قد ألف القرآن من تلقاء نفسه فكان لا يضع هذه الآيات التى تمس جانبه الشريف أو كان أصحابه بعده حينما جمعوا القرآن حذفوها كما

حذفوا على زعمه كثيراً من الآيات التى لا توافق اغراضهم والكافر لايلام على الافتراء والكذب فليس بعد الكفر ذنب وكيف يلام على ذلك من يقول فى حق خالقه مايقول من الفظائع والفضول ولا ينبغى أن يلام الاذو والاسلام وليس هذا الرجل منهم فان تناقض عباراته وتهافته في جميع اعتراضاته دليل على انه لاعقل له اذلو كان له عقل لزجره عن ذلك وأرشده الى اقوم المسالك واعتراضاته هذه لاتنطبق على العقل ولا يقبلها من عنده أدنى فهم وفضل لانه يعترض على النبى صلى الله عليه وسلم بانه ارتكب بعض الذنوب ومن جهة أخرى يرمى الانبياء باعظم الفظائع واشنع الشنائع واكبر الكبائر ويعتقد انها لاتنافى نبوتهم فما هذا الكلام الغث الساقط الذى يهدم بعضه بعضاً ولا يرضاه لنفسه من له ادنى فهم من الاطفال فضلا عن افاضل الرجال وكأنه جعل تلك الآيات اعتراضات على نبوته صلى الله عليه وسلم مع انها ليس شىء منها يدل على ارتكابه صلى الله عليه وسلم الذنوب الحقيقية وأكثرها آيات منّ الله تعالى بها عليه صلى الله عليه وسلم بعفوه عنه وهدايته له ونحو ذلك من العبارات اللاطفة الدالة على عظم قدره عند مولاه عز وجل كما سيأتى توضيحه ولو فرضناها ذنوبا واجتمعت كلها لاتوازى ذنبا واحداً مما نسبه فى عقيدته وكتابه التوراة الى بعض النبيين من كبائر الذنوب فضلا عن السجود للاصنام وذلك عنده غيرمانع من صحة النبوة فكيف يصح اعتراضه بهذه الآيات حينئذ مع ان الذين اعترضوا بها ونقلها من كلامهم هم من الفرق الاسلامية الذين لايقولون بعصمة الانبياء وهم مؤمنون بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع اعتقادهم ان ظواهر تلك الآيات تفيد وقوعه صلى الله عليه وسلم فى بعض الذنوب التى عفا الله عنها وعاتبه عليها

وما عدا أولئك من المسلمين القائلين بعصمة الانبياء أوّلوا تلك الآيات وحملوها على محامل تليق به صلى الله عليه وسلم وكذلك كل ماورد فى حق الانبياء مما يوهم ظاهره وقوع الذنب منهم صلوات الله على نبينا وعليهم وبذلك يعلم سقوط جميع الاعتراضات التي نقلها فى هذا الشان * وأضاف اليها ماهو أهل له من الافك والبهتان * والسفاهة والهذيان * وكثر بها فى كتابه السواد * وجانب بايرادها سبيل الرشاد * فبئس المعترض وبئس المناظر * وبئس الافاك الكذاب المكابر * قال الشيخ رحمة الله في اظهار الحق في الفصل الثانى من الباب السادس منه الذى عقده لدفع المطاعن اعلم أرشدك الله تعالى فى الدارين ان المسيحيين يدعون ان الانبياء انما يكونون معصومين فى تبليغ الوحى فقط تقريراً كان أو تحريراً وأما فى غير التبليغ فليسوا بمعصومين لاقبل النبوة ولا بعدها فيصدر عنهم بعدها جميع الذنوب قصداً فضلاً عن الخطأ والنسيان فيصدر عنهم الزنا بالمحارم فضلا عن الاجنبيات ويصدر عنهم عبادة الاوثان وبناء المعابد لها ولا يخرج عندهم نبى من ابراهيم الى يحيي عليهما السلام لايكون زانيا أو من أولاد الزناة حاشا هم من ذلك وأعاذنا الله من أمثال هذه العقائد الفاسدة فى حق الانبياء عليهم السلام وادعاؤهم العصمة فى التبليغ أيضاً ادعاء باطل لاأصل له على أصولهم ويصدر هذا الادعاء عنهم لتغليط العوام فمطاعنهم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى بعض الامور التى يفهمونها ذنوبا فى زعمهم الفاسد لاتقدح في نبوته على أصولهم قال وانى وان كنت أستكره أن أنقل الذنوب المنسوبة للانبياء والكفريات المفتريات عنهم ولو الزاما ولا أعتقد في حضرات الانبياء اتصافهم بهذه الذنوب والكفريات حاشا وكلا لكنى لما رأيت أن

علماء بروتستانت أطالوا ألسنتهم في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى الامور الخفيفة وجعلوا الخردلة جبلا لتغليط العوام الغيرواقفين على كتبهم وكان ذلك مظنة وقوع السذج في الاشتباه بتمويهاتهم الباطلة نقلت بعضها الزاما واتبرأ عن اعتقادها بالف لسان وليس نقلها الا كنقل كلمات الكفر ونقل الكفر ليس بكفر ثم نقل الشيخ رحمة الله من مفترياتهم على أنبياء الله ورسله وصفوة خلقه مما لايرضاه أحدهم لنفسه ولا لابيه وأمه وابنه وبنته وأخيه وأخته وسائر أقاربه وقراباته بل لايرضى نسبته الى خادمه وخادمته وعبده وأمته فانه لايرضى واحد منهم بان يقال له جاريتك زانية فضلا عمن هم أقرب اليه من الجارية فلو قال له قائل يازاني يا ابن الزانية وأبوك زان وبنتك زانية لاخذه المقيم المقعد ورفعه الى الحاكم لينتقم منه أشد الانتقام وليجازيه أشد الجزاء ان عجز عن الانتقام منه بنفسه وهو مع ذلك يتعبدالله تعالى باعتقاده ان أنبياءه وأصفياءه متصفون بهذه الاوصاف الشنيعة التى لم يرضها لنفسه وأقربائه ولا لأخس عبيده وامائه ويعتقد ان الله جل جلاله ابتلى بها خيرة خلقه وأوحى بها الى أنبيائه وذكرها فى كتبه المنزلة عليهم وصارت تقرأ فى المعابد هذه الاوصاف الشنيعة ويتقرب بقراءتها اليه سبحانه وتعالى فمن نظر الى ذلك بعين البصيرة ان كان ذا بصيرة أدنى نظر وتأمل فيه أدنى تأمل لايمكن أن لايعتقد ان هذه العقيدة هي شر العقائد ولا يسلم بها ويصدق بصحتها الا كل جاهل جاحد ذى فهم سقيم وعقل فاسد فالشكر لله الذى لم يبتلنا بما ابتلى به هؤلاء الضلال الغواة* والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وها أنا أذكر هنا جملة الآيات القرآنية التى نقلها ثم أنقل الجواب

عنها بعد ذلك واحدة واحدة وهى قوله تعالى (ووجدك ضالاً فهدى) وقوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) وقوله تعالى (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلاً ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً) وقوله تعالى (ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً) وقوله تعالى (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيماً) وقوله تعالى (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) وقوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين) وقوله تعالى (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً) وقوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم) وقوله تعالى (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق

لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله ان الله غفور رحيم ﴾ وقوله تعالى ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم ﴾ وقوله تعالى ﴿ عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى ﴾ وقوله تعالى ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ﴾ وقوله تعالى ﴿ وما من حسابك عليهم من شيء ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ﴾ وقوله تعالى ﴿ انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ وقوله تعالى ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ وقوله تعالى ﴿ انا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً واستغفر الله ان الله كان غفوراً رحيماً ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خواناً أثيماً ﴾
وقد ذكرها المعترض على هذا الترتيب لا على ترتيب القرآن وكلها كما تراها لوكانت ذنوبا حقيقة لما عادلت ذنبا واحدا مما نسبه الى بعض أكابر رسل الله وأنبيائه صلوات الله على نبينا وعليهم ولولا انى لا أحب ان ألوث قلمى وكتابى بذكر تلك الذنوب المفتريات على الانبياء على الوجه الذى ذكروه من الشناعة التى تقشعر منها الجلود وتضطرب منها القلوب لذكرت شيئا منها ليظهر الفرق بينها وبين الذنوب التى استشهد بهذه الآيات القرآنية على ارتكاب النبى صلى الله عليه وسلم اياها ومن

أراد الاطلاع عليها فليراجع كتبهم كالتوراة وكتاب المعترض هداية الشيطان أو يراجع كتاب اظهار الحق والسيف الصقيل فقد ذكرا لاقامة الحجة منها جملة مع اعتقادهما كجميع المسلمين براءة جميع الانبياء من تلك المفتريات والاكاذيب المختلقات فعلى من اختلقها ودسها فى كتب النبيين لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وها أنا أنقل الاجوبة عن الآيات المذكورة التى أوردها فى شؤن النبى صلى الله عليه وسلم

﴿ الفصل الاول ﴾ فى الجواب عن قوله تعالى ﴿ ووجدك ضالاً فهدى ﴾ قال القاضى عياض في الشفاء فان قلت فما معنى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى فاليس هو من الضلال الذى هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله الطبرى وقيل وجدك بين أهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم اليه ونحوه عن السدى وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك أى لا تعرفها فهداك اليها وذكر أقوالا أخرى ثم قال فان قلت فما معنى قوله تعالى ﴿ وان كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ فاعلم انه ليس بمعنى قوله تعالى ﴿ والذين هم عن آياتنا غافلون ﴾ بل ما حكى أبو عبيد الهروى ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم تعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث الذى يرويه عثمان بن أبي شيبة بسنده عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه أحدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الآخر كيف أقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث أنكره أحمد بن حنبل جدا وقال هو موضوع أو شبيه بالموضوع وقال الدارقطنى يقال ان عثمان وهم فى اسناده والحديث فى الجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف

عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند أهل العلم من قوله بغضت الى الاصنام وقوله فى الحديث الآخر الذى روته أم أيمن حين كلمه عمه فى حضور بعض أعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لى رجل أبيض طويل يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد لهم بعد عيدا وقوله فى قصة بحيرا حين استحلف النبى صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام فى سفرته مع عمه أبى طالب وهو صبى ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا تسألنى بهما فوالله ما أبغضت شيأ قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما أخبرتنى عما أسألك عنه فقال سل عما بدالك وكذلك المعروف من سيرته عليه الصلاة والسلام وتوفيق الله تعالى له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة فى الحج فكان يقف هو بعرفة لانه كان موقف ابراهيم عليه السلام اه كلام الشفاء وقال الخطيب قال الزمخشرى ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة فان أراد انه كان على خلوهم من العلوم السمعية فنعم وان أراد انه كان على كفرهم ودينهم فمعاذ الله والانبياء عليهم الصلاة والسلام يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وكفى بالنبى نقيصة عند الكفار ان يسبق له كفر انتهى

﴿ الفصل الثانى ﴾ فى الجواب عن قوله تعالى في سورة الحج (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

ذكر الامام الرازى فى تفسيره قصة الغرانيق وأبطلها بوجوه كثيرة اقتصر الخطيب في تفسيره على بعضها وهذه عبارة الخطيب قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظى وغيرهما من المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعراض قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباعدتهم لما جاءهم به تمنى فى نفسه ان يأتيهم من الله ما يقارب بينه وبين قومه وذلك لحرصه على ايمانهم فجلس ذات يوم فى ناد من أندية قريش كثير أهله وأحب يومئذ ان يأتيه من الله تعالى شيء لا ينفرون عنه وتمنى ذلك فانزل الله تعالى سورة (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى) وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءة السورة كلها وسجد فى آخرها وسجد المسلمون لسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد سوى الوليد بن المغيرة وأبى أحيحة سعيد بن العاص فانهما أخذا حفنة من البطحاء ورفعاها على جبهتهما وسجدا عليها لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر وقالوا قد عرفنا ان الله تعالى يحيى ويميت ويرزق ولكن هذه آلهتنا تشفع لنا عنده فاذا جعل لهم محمد نصيبا فنحن معه فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله عز وجل فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من الله تعالى خوفا شديدا فانزل الله تعالى هذه الآية تعزية له

﴿وَكَانَ بِهِ رَحِيماً﴾ وسمع بذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وبلغهم سجود قريش وقيل قد أسلمت أهل مكة فرجع أكثرهم الى عشائرهم وقالوا هم أحب الينا حتى اذا دنوا من مكة بلغهم ان الذى كانوا يتحدثون به من اسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل أحد منهم الا بجوار مستخفيا فلما نزلت هذه الآية قالت قريش ندم محمد على ماذكر من منزلة آلهتنا عند الله تعالى فغير ذلك قال الرازى هذه رواية عامة المفسرين الظاهرية * أما أهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا على البطلان بالقرآن والسنة والمعقول أما القرآن فبوجوه (أحدها) قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (ثانيها) قوله تعالى ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ (ثالثها) قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ وأما السنة فمنها ماروى عن محمد بن خزيمة انه سئل عن هذه القصة فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف فيه كتابا * وقال البيهقى هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل فقد روى البخارى فى صحيحه انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد فيها وسجد المسلمون والكفار والانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق * وأما المعقول فمن وجوه (أحدها) ان من جوز على النبى صلى الله عليه وسلم تعظيم الاوثان فقد كفر لانه من المعلوم بالضرورة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان معظم سعيه فى نفى الاوثان (ثانيها) قوله تعالى ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ وازالة ما يلقيه الشيطان عن الرسول صلى الله عليه وسلم أقوى من نسخ هذه الآيات التى تبقى الشبهة معها فاذا أراد الله تعالى احكام الآيات

لئلا يلتبس ماليس بقرآن قرآنا فبأن يمنع الشيطان من ذلك أصلا أولى (ثالثها) وهو اقوى الوجوه لو جوزنا ذلك ارتفع الايقان عن شرعه ولجوزنا فى كل واحد من الاحكام والشرائع ان يكون كذلك فيبطل قوله تعالى ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فانه لافرق في العقل بين النقصان من الوحي وبين الزيادة فيه وزاد الرازى ادلة اخرى على ذلك ثم قال وقد عرفنا ان هذه القصة موضوعة أكثر مافى الباب ان جمعاً من المفسرين ذكروها وهو خبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة انتهى قال الخطيب بعدما ذكر وهذا هو الذى يطمئن اليه القلب وان اطنب ابن حجر العسقلانى فى صحتها وقال وحينئذ فيتعين تأويل ماوقع فيها مما يستنكر وهو قوله ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق الى آخره انتهى كلام ابن حجر قال الخطيب وعلى القول بها قد سلك العلماء فى ذلك مسالك احسنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يرتل القرآن فارتصده الشيطان فى سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمته بحيث سمعه من دنا اليه فظنها من قوله واشاعها * وقال البيضاوى بعد ان ذكر بعض هذه القصة وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه انتهى قال ابن الاثير والغرانيق هنا الاصنام وهي في الاصل الذكور من طيور الماء واحدها غرنوق وغرنيق سمى به لبياضه قال وكانوا يزعمون ان الاصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التى تعلو الى السماء وترتفع وقيل تمنى اى قرأ كقول حسان فى حق عثمان بن عفان

تمنى كتاب الله أول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

اى على تأن وتمهل انتهت عبارة الخطيب وهى وان كانت كافية فى المقصود

الا انى اعززها بعبارة العلامة احمد بن المبارك صاحب الابريز الذى تلقاه من شيخه سيدى عبد العزيز الدباغ رضى الله عنهما قال فى الباب الثانى منه وسألته رضى الله عنه عن مسألة الغرانيق وقلت له هل الصواب مع عياض ومن تبعه فى نفيها او مع الحافظ ابن حجر فانه اثبتها ونص كلام الحافظ وأخرج ابن أبى حاتم والطبرى وابن المنذر من طرق عن شعبة عن ابى بشر عن سعيد بن جبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فالقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى فقال المشركون ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا ثم ذكر تخريج البزار للقصة وكلامه عليها وما يتبع ذلك الى ان قال وتجرأ ابو بكر بن العربى على عادته فقال ذكر الطبرى فى ذلك روايات كثيره لا أصل لها وهو اطلاق مردود عليه وكذا قول عياض هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سالم متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده وكذا قوله ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها الى صحابى واكثر الطرق فى ذلك عنهم ضعيفة قال وقد بين البزار انه لا يعرف من طريق يجوز رفعه الا طريق أبى بشر عن سعيد بن جبير مع الشك في ارساله وأما الكلبي فلا يجوز الرواية عنه لقوة ضعفه ثم دفعه من طريق النظر فقال لو دفع ذلك لارتد كثير ممن أسلم ولم ينقل ذلك اه قال ابن حجر وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد فان الطرق اذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على ان للقصة أصلا وقد ذكرنا ان ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهى مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من

لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض واذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر فذكر في ذلك ست تأويلات فانظرها فيه ولما ثبتت هذه القصة فسر بها قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية فنقل عن ابن عباس رضى الله عنهما انه يفسر تمنى بقرأ وأمنيته بقراءته قال يشير الي مسألة الغرانيق التي سبق ذكرها ونقل عن النحاس ان هذا أحسن تأويل قيل في الآية وأجله وأعلاه فقلت للشيخ رضى الله عنه فما هو الصحيح عندكم فى هذا وما الذى نأخذه عنكم في هذا الموضع الضيق فقال رضى الله عنه الصواب فى القصة مع ابن العربى وعياض ومن وافقهما لا مع ابن حجر وقط ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم شىء من مسألة الغرانيق واني لأعجب أحيانا من كلام بعض العلماء كهذا الكلام الصادر من ابن حجر ومن وافقه فانه لو وقع شىء من ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم لارتفعت الثقة بالشريعة وبطل حكم العصمة وصار الرسول كغيره من آحاد الناس حيث كان للشيطان سلاطة عليه وعلى كلامه حتى يزيد فيه مالا يريده الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يحبه ولا يرضاه فاى ثقة تبقى فى الرسالة مع هذا الامر العظيم ولا يغنى فى الجواب ان الله ينسخ مايلقى الشيطان ويحكم آياته لاحتمال أن يكون هذا الكلام من الشيطان أيضاً لانه كما جاز أن يتسلط على الوحي في مسألة الغرانيق بالزيادة كذلك يجوز أن يتسلط على الوحى بزيادة هذه الآية برمتها فيه وحينئذ فيتطرق الشك الى جميع آيات القرآن والواجب على المؤمن الاعراض عن مثل هذه الاحاديث الموجبة لمثل هذا الريب فى الدين وان يضربوا بوجهها عرض الحائط وأن يعتقدوا فى الرسول صلى الله عليه وسلم ما يجب له من كمال العصمة وارتفاع درجته

عليه الصلاة والسلام الى غاية ليس فوقها غايتــه ثم على ما ذكروه
فى تفسير قوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ الآية يقتضى
أن يكون للشيطان تسلط على وحى كل رسول رسول وكل نبى نبى زيادة على
تسلطه على القرآن العزيز لقوله تعالى من رسول ولا نبى الا اذا تمنى
ألقى الشيطان فى أمنيته فاقتضت الآية على تفسيرهم ان هذه عادة الشيطان
مع أنبياء الله وصفوته من خلقــه ولا ريب فى بطلان ذلك قلت ورضى
الله عن الشيخ ما أدق نظره مع كونه أمياً وقد قال ناصر الدين البيضاوى
رحمه الله تعالى قيل تمنى قرأ وأمنيته قراءته وألقى الشيطان فيها أى تكلم
بالغرانيق رافعاً صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبى صلى الله عليه
وسلم وقد رد بانه يخل بالوثوق ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقى الشيطان
ثم يحكم الله آياته لانها أيضاً تحتمله انتهى الغرض منه وقد بسطه الشيخ رضى
الله عنه في جوابه قال صاحب الابريز قلت وأيضاً فان الضمير فى تمنى يعود الى
ماقبله من الرسول العام والنبى ولا يمكن أن يلقى الشيطان فى أمنية كل منهم
مسألة الغرانيق وقد علمت رحمك الله ان العصمة من العقائد التى يطلب
فيها اليقين فالحديث الذى يفيد خرمها ونقضها لا يقبل على أى وجـه
جاء وقد عد الاصوليون الخبر الذى يكون على تلك الصـفة من الخبر
الذى يجب أن يقطع بكذبه وأما قول الحافظ ابن حجر رحـمه الله
والحديث حجة عند من يحتج بالمرسل وكذا عند من لا يحتج به لاعتضاده
بوروده من ثلاثة طرق صحاح فجوابه ان ذلك فيما يكفى فيه الظن من
الامور العملية الراجعة الى الحلال والحرام وأما الامور العلمية الاعتقادية
فلا يفيـد خبر الواحد في ثبوتها فكيف يفيد فى نفيها وهدمها فبان من
هـذا ان ما ذكره عياض غير مخالف للقواعد بل ما ذكره الحافظ

رحمه الله ورضى عنه هو المخالف لها لانه أراد أن يعمل بخبر الواحد
في هدم العقائد وذلك مخالف للقواعد وكذا قوله فى تفسير تمنى بقرأ
وأمنيته بقراءته وانه مروى عن ابن عباس وأن ذلك أحسن ما قيـل
فى الآية وأجـله واعلاه وجوابه ان الرواية فى ذلك عن بن عباس
ثبتت فى نسخة على بن أبى طلحة عن ابن عباس ورواها على بن أبى
صالح كاتب الليث وان المحققين على تضعيفه والله أعلم ثم قلت للشيخ رحمه
الله ونفعنا به ما الصحيح عندكم فى تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن
قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾
وما هو نور الآية الذى تشير اليه فقال رضى الله عنه نورها الذى تشير
اليه هو ان الله تعالى ما أرسل من رسول ولا بعث نبيا من الانبياء الى أمة
من الامم الا وذلك الرسول يتمنى الايمان لامته ويحبه لهم ويرغب فيه ويحرص
عليه غاية الحرص ويعالجهم عليه أشد المعالجة ومن جملتهم فى ذلك نبينا صلى
الله عليه وسلم الذى قال له الرب سبحانه وتعالى ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى
آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ وقال تعالى ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ
وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ وقال تعالى ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا
مُؤْمِنِينَ﴾ الى غير ذلك من الآيات المتضمنة لهذا المعنى ثم الامة تختلف
كما قال تعالى ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ فاما من
كفر فقد ألقى اليه الشيطان الوساوس القادحة فى الرسالة الموجبة لكفره
وكذا المؤمن أيضاً لا يخلو من وساوس لانها لازمة للايمان بالغيب فى
الغالب وان كانت تختلف فى الناس بالقلة والكثرة وبحسب المتعلقات اذا
تقرر هذا فمعنى تمنى انه يتمنى الايمان لامته ويحب لهم الخير والرشد والصلاح
والنجاح فهذه أمنية كل رسول ونبى والقاء الشيطان فيها يكون بما يلقيه

في قلوب أمة الدعوة من الوساوس الموجبة لكفر بعضهم ويرحم الله المؤمنين فينسخ ذلك من قلوبهم ويحكم فيها الآيات الدالة على الوحدانية والرسالة ويبقى ذلك عز وجل في قلوب المنافقين والكافرين ليفتنوا به فيخرج من هذا ان الوساوس تاتى أولا فى قلوب الفريقين معاً غير انها لاتدوم على المؤمنين وتدوم على الكافرين قال ابن المبارك قلت وهذا التفسير عندى من أبدع مايسمع وذلك لايتبين الا بجلب بعض التفاسير التى قيلت فى الآية ثم ينظر فيما بينها وبين تفسير الشيخ رضى الله عنه فالتفسير الاول ماسبق في رواية ابن أبي صالح كاتب الليث بن سعد وقد سبق مافيه من مخالفة العقيدة ومن مخالفته للعموم الذى في صدر الآية فانه فسرها بخصوص مسألة الغرانيق واللفظ عام فى كل رسول ونبى التفسير الثاني قال أبو محمد مكى قال الطبرى تمنى أى حدث نفسه فالقى الشيطان في حديثه على جهة الحيلة فيقول لو سألت الله أن يغنمك كذا ليتسع المسلمون والله يعلم الصلاح فى غير ذلك فيبطل الله مايلقى الشيطان وقد نقل الفراء والكسائى تمنى بمعنى حدث نفسه انتهى قال قلت ولا يخفى مافيه وكيف يصح ان يحيل الشيطان على النبى صلى الله عليه وسلم وهو صاحب البصيرة الصافية التى يستنير منها الكون كله ثم ماذكره لايناسب العموم الذى فى أول الآية ولا التعليل الذى فى آخرها كما لايخفى والله تعالى أعلم التفسير الثالث قال البيضاوى الا اذا تمنى اذا زور أي رتب فى نفسه مايهواه ألقى الشيطان فى أمنيته في تشهيه مايوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه الصلاة والسلام وانه ليغان على قلبى فاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة الى آخر ما ذكره مما لايناسب سياق الآية ولا تنزيه مقام الرسالة وبالجملة فالتفسير الصحيح للآية هوالذى يوفى بثلاثة أمور العموم

الذي في أولها والتعليل الذى فى آخرها ويعطى للرسالة حقها وليس ذلك بحسب ما وقفت عليه ألا فى تفسير الشيخ رضى الله عنه والله تعالى اعلم انتهت عبارة الابريز

(الفصل الثالث) فى الجواب عن قوله تعالى فى سورة بنى اسرائيل (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ) الآيات قال البيضاوى نزلت في ثقيف قالوا لاندخل فى أمرك حتى تعطينا خصالاً نفتخر بها على العرب لانُعشَر (١) ولا نُحشَر (٢) ولانُجبّي في صلاتنا (٣) وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله أمرنى وقيل نزلت فى قريش قالوا لاتمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان انهم قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك فى الفتنة بالاستنزال (عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) من الاحكام (لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ) غير ما أوحينا اليك (وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا) ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك ولياًلهم بريئاً من ولايتى (وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ) ولولا تثبيتنا اياك (لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا) لقاربت أن تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن أدركتك عصمتنا فمنعت أن تقرب من الركون فضلا عن أن تركن اليهم وهو صريح فى أنه عليه الصلاة والسلام ماهم باجابتهم مع قوة الداعى اليها ودليل على أن العصمة بتوفيق الله وحفظه انتهى كلام البيضاوى

(١) أى لايؤخذ منا العشر (٢) أى لانجمع للجهاد (٣) من التجبية وهي وضع اليدين على الركبتين كناية عن الركوع والسجود

وذكر الفخر الرازى سبب نزول هذه الآية بزيادة على ماتقدم عن البيضاوى ثم قال احتج الطاعنون فى عصمة الانبياء عليهم السلام بهذه الآية فقالوا هذه الآية تدل على صدور الذنب العظيم عنه من وجوه (الاول) ان الآية دلت على انه عليه الصلاة والسلام قرب من ان يفترى على الله والفرية على الله من أعظم الذنوب (والثانى) انها تدل على انه لولا ان الله تعالى ثبته وعصمه لقرب من ان يركن الى دينهم ويميل الى مذهبهم (والثالث) انه لولا سبق جرم وجناية والا فلا حاجة الى ذكر هذا الوعيد الشديد والجواب عن الاول ان كاد معناه المقاربة فكان معنى الآية انه قرب وقوعه فى الفتنة وهذا القدر لايدل على الوقوع فى تلك الفتنة فانا اذا قلنا كاد الامير ان يضرب فلانا لايفهم منه انه ضربه والجواب عن الثانى ان كلمة لولا تفيد انتفاء الشيء لثبوت غيره تقول لولا زيد لهلك عمرو معناه ان وجود زيد منع من حصول الهلاك لعمرو فكذلك ههنا وقوله (وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ) معناه انه حصل تثبيت الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فكان حصول ذلك التثبيت مانعا من حصول ذلك الركون والجواب عن الثالث ان ذلك التهديد على المعصية لايدل على الاقدام عليها والدليل عليه آيات منها قوله تعالى (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) ومنها قوله تعالى (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) ومنها قوله تعالى (وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ) والله أعلم قال واحتج أصحابنا يعنى أهل السنة على صحة قولهم بانه لاعصمة عن المعاصى الا بتوفيق الله تعالى بقوله (وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا) قالوا ان الله تعالى بين انه لولا تثبيت الله تعالى له لمال الى طريقة الكفار

ولاشك ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان أقوى من غيره فى قوة الدين وصفاء اليقين فلما بين الله تعالى ان بقاءه معصوما عن الكفر والضلال لم يحصل الا باعانة الله تعالى واغاثته كان حصول هذا المعنى فى حق غيره أولى اه (الفصل الرابع) فى الجواب عن قوله تعالى فى سورة بنى اسرائيل (وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا) قال البيضاوى الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته أو لكل أحد الاوقال الشهاب الخفاجي في حاشيته انما جعل المراد به أمته على حد قوله* اياك أعنى واسمعى ياجاره* أو المراد به العموم على حد قوله تعالى (وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ) وهو معنى ماقيل ان الخطاب للانسان لان مابعده ليس مما يصف به نبيه وحبيبه صلى الله عليه وسلم ولو على طريق الفرض والتقدير انتهى كلام البيضاوى* وقال الفخر الرازى فى تفسير هذه الآية قال المفسرون هذا فى الظاهر خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولكن فى المعنى عام لجميع المكلفين كقوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ) ويحتمل أيضاً ان يكون الخطاب للانسان كأنه قيل أيها الانسان لاتجعل مع الله الها آخر وهذا الاحتمال عندي أولى لانه تعالى عطف عليه قوله (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) الى قوله (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا) وهذا لايليق بالنبى صلى الله عليه وسلم لان أبويه مابلغا الكبر عنده فعلمنا ان المخاطب بهذا هو نوع الانسان قال رحمه الله تعالى ومعنى الآية ان من أشرك بالله تعالى كان مذموما مخذولا والذى يدل على ان الامر كذلك وجوه (الاول) ان المشرك كاذب والكاذب يستوجب الذم والخذلان (الثانى) انه لما ثبت بالدليل انه لااله ولا مدبر ولامقدر الا الواحد الاحد فعلى هذا التقدير تكون جميع النعم حاصلة

من الله تعالى فمن أشرك بالله فقد أضاف بعض تلك النعم الى غير الله تعالى مع ان الحق ان كلها من الله تعالى فحينئذ يستحق الذم لان الخالق تعالى استحق الشكر باعطاء تلك النعم فلما جحد كونها من الله فقد قابل احسان الله تعالى بالاساءة والجحود والكفران فاستوجب الذم وانما قلنا انه يستحق الخذلان لانه لما أثبت شريكا لله تعالى استحق ان يفوض أمره الى ذلك الشريك فلما كان ذلك الشريك معدوما بقى بلا ناصر ولا حافظ ولا معين وذلك عين الخذلان (الثالث) ان الكمال فى الوحدة والنقصان فى الكثرة فمن أثبت الشريك فقد وقع فى جانب النقصان واستوجب الذم والخذلان واعلم انه لما دل لفظ الآية على ان المشرك مذموم مخذول وجب بحكم الآية ان يكون الموحد محمودا منصورا والله أعلم انتهى (الفصل الخامس) فى الجواب عن قوله تعالى فى سورة الأحزاب (يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما) قال الامام الواحدى فى أسباب النزول نزلت فى أبى سفيان وعكرمة بن أبى جهل وأبى الاعور السلمى قدموا المدينة بعد قتال أحد فنزلوا على عبد الله بن أبى وقد أعطاهم النبى صلى الله عليه وسلم الامان على ان يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب أرفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومنات وقل ان لها شفاعة ومنفعة لمن عبدها وندعك وربك فشق على النبي صلى الله عليه وسلم قولهم فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ائذن لنا يارسول الله فى قتلهم فقال انى قد أعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا فى لعنة الله وغضبه فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخرجهم من المدينة فانزل الله عز

وجل هذه الآية * وقال فى الكشاف ترك نداءه باسمه كما قال تعالى (يا أيها النبى لم تحرم * يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك) ولم يسمه كما قال تعالى يا آدم يا موسى ياعيسى ياداود كرامة له صلى الله عليه وسلم وتشريفا وربأ بمحله وتنويها بفضله قال فان قلت ان لم يوقع اسمه فى النداء فقد أوقعه فى الاخبار في قوله تعالى (محمد رسول الله) (وما محمد الا رسول) قلت ذلك لتعلم الناس بأنه صلى الله عليه وسلم رسول الله وتلقين لهم ان يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والاخبار الا ترى الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره تعالى بنحو ما ذكره فى النداء (لقد جاءكم رسول من أنفسكم * وقال الرسول يا رب * لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة * والله ورسوله أحق أن يرضوه * النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم * ان الله وملائكته يصلون على النبى * ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى) (اتق الله) واظب على ما أنت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه وذلك لان التقوى باب لا يبلغ آخره (ولا تطع الكافرين والمنافقين) لا تساعدهم على شىء ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فانهم أعداء الله وأعداء المؤمنين لا يريدون الا المضارة والمضادة وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبنى قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا أتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت * وروى ان أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبى جهل وأبا الاعور السلمى قدموا عليه فى الموادعة التى كانت بينه وبينهم وقام

معهم عبد الله بن أبيّ ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت أى اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا اليك وروى ان أهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر أموالهم وان يزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقو المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت * وقال البيضاوى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ ناداه بالنبي وأمره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشأن التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهى عنه بقوله ﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ فيما يعود بوهن فى الدين ثم ذكر قصة أبي سفيان ومن معه * وقال الشهاب الخفاجي في حاشيته ناداه* بوصفه دون اسمه تعظيما له فان مواجهة العظماء بأسمائهم فى النداء لاتليق بخلاف الاخبار ثم قال وقيل ان النداء المذكور للاحتراس وجبر مايوهمه الامر والنهى كقوله تعالى ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ ﴾ *وقال الفخر الرازى ان النبي صلى الله عليه وسلم كل لحظة كان يزداد علمه ومرتبته حتى كان حاله فيما مضى بالنسبة الى ماهو فيه تركا للافضل فكان له فى كل ساعة تقوي محددة فقوله اتق الله على هذا أمر بما ليس فيه والى هذا أشار عليه الصلاة والسلام بقوله من استوى يوماه فهو مغبون ولانه طلب من ربه بأمر الله اياه به زيادة العلم حيث قال ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ وأيضا الى هذا وقعت الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة يعني يتجدد له مقام يقول فيه الذى أثبت به من الشكر والعبادة لم يكن شيئا اذا علم هذا فالنبي صلى الله

عليه وسلم بحكم ﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ كان قد وقع له خوف ما يسير من جهة ألسنة الكفار والمنافقين ومن أيديهم بدليل قوله تعالى ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ فامره الله بتقوى أخرى فوق مايتقيه بحيث تنسيه الخلق ولا يريد الا الحق وزاد الله به درجة فكان ذلك بشارة له صلى الله عليه وسلم أى ياأيها النبي أنت مابقيت فى الدرجة التي يقنع منك بتقوى مثل تقوى الآحاد بل لايقنع منك الا بتقوى تنسيك نفسك ألا ترى ان الانسان اذا كان يخاف فوت مال ان هجم عليه غاشم يقصد قتله يذهل عن المال ويهرب ويتركه فكذلك النبي عليه الصلاة والسلام أمر بمثل هذه التقوى ومع هذه التقوى لايبقى الخوف من أحد غير الله وخرج هذا المخرج قول القائل لمن يخاف زيدا وعمرا خف عمرا فان زيدا لا يقدر عليك اذا كان عمرو معك فلايكون ذلك أمرا بالخوف من عمرو فانه يخافه وانما يكون ذلك نهيا عن الخوف من زيد فى ضمن الامر بزيادة الخوف من عمرو حتى ينسيه زيدا انتهى * وقال الخطيب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ أى دم على التقوى كما يقول الرجل لغيره وهو قائم قم قائما أى اثبت قائما فسقط بذلك مايقال الامر بالشىء لايكون الا عند اشتغال المأمور بغير المأمور به اذ لايصح ان يقال للجالس اجلس وللساكت اسكت والنبى صلى الله عليه وسلم كان متقيا لان الامر بالمداومة يصح فى ذلك فيقال للجالس اجلس هنا حتى آتيك ويقال للساكت قد أحسنت فاسكت تسلم أى دم على ماأنت عليه اه

﴿ الفصل السادس ﴾ فى الجواب عن قوله تعالى فى سورة الزمر

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

وقال الفخر الرازى كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى ان رسله لايشركون ولا تحبط أعمالهم قال والجواب ان قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك قضية شرطية والقضية الشرطية لايلزم من صدقها صدق جزأيها ألا ترى ان قولك لو كانت الخمسة زوجا لكانت منقسمة بمتساويين قضية صادقة مع ان كل واحد من جزأيها غير صادق قال الله تعالى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) ولم يلزم من هذا صدق القول بان فيهما آلهة وبانهما قد فسدتا انتهى ونقله الخطيب ثم قال أو ان الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره كما قاله أكثر المفسرين أو ان ذلك على سبيل الفرض المحال ذكر ليكون ردعا للاتباع انتهى

(الفصل السابع) فى الجواب عن قوله تعالى فى سورة المائدة (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) قال الفخر الرازى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك أمر الرسول بان لا ينظر الى قلة المقتصدين وكثرة الفاسقين ولا يخشى مكروههم فقال بلغ أى اصبر على تبليغ ما أنزلته اليك من كشف أسرارهم وفضائح أفعالهم فان الله يعصمك من كيدهم ويصونك من مكرهم وروى الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثنى برسالة فضقت بها ذرعا وعرفت ان الناس يكذبونى واليهود والنصارى وقريش يخوفونى فلما أنزل الله هذه الآية زال الخوف بالكلية وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان أيام اقامته بمكة يجاهر ببعض القرآن ويخفى بعضه اشفاقا على نفسه من تسرع المشركين اليه والى أصحابه فلما أعز الله الاسلام وأيده بالمؤمنين قال له يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك أى

لاتراقبن أحداً ولا تترك شيئا مما أنزل اليك خوفا من أن ينالك مكروه ثم قال ذكر المفسرون فى سبب نزل الآية وجوها (الاول) انها نزلت فى قصة الرجم والقصاص على ماتقدم في قصة اليهود (الثانى) نزلت فى عيب اليهود واستهزائهم بالدين والنبى سكت عنهم فنزلت هذه الآية (الثالث) لما نزلت آية التخيير وهى قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ) فلم يعرضها عليهن خوفا من اختيارهن الدنيا فنزلت (الرابع) نزلت فى أمر زيد وزينب بنت جحش قالت عائشة رضى الله عنها من زعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من الوحى فقد أعظم الفرية على الله والله تعالى يقول يا أيها الرسول بلغ ولو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من الوحى لكتم قوله (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) (الخامس) نزلت فى الجهاد فان المنافقين كانوا يكرهونه فكان يمسك أحيانا عن حثهم على الجهاد (السادس) لما نزل قوله تعالى (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) سكت الرسول عن عيب آلهتهم فنزلت هذه الآية وقال بلغ يعنى معايب آلهتهم ولا تخفها عنهم والله يعصمك منهم (السابع) نزلت فى حقوق المسلمين وذلك لانه قال في حجة الوداع لما بين الشرائع والمناسك هل بلغت قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام اللهم فاشهد (الثامن) روى انه صلى الله عليه وسلم نزل تحت شجرة فى بعض أسفاره وعلق سيفه عليها فاتاه اعرابى وهو نائم فاخذ سيفه واخترطه وقال يا محمد من يمنعك منى فقال الله فرعدت يد الاعرابى وسقط السيف من يده وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه فانزل الله هذه الآية وبين انه يعصمه من الناس (التاسع) كان يهاب قريشا واليهود والنصارى فازال الله عن قلبه تلك الهيبة بهذه

الآية (العاشر) نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب رضى الله عنه ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فلقيه عمر رضى الله عنه فقال هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن على *واعلم ان هذه الروايات وان كثرت الا أن الاولى حمله على انه تعالى أمنه من مكر اليهود والنصارى وأمره باظهار التبليغ من غير مبالاة منه بهم وذلك لان ماقبل هذه الآية بكثير وما بعدها بكثير لما كان كلاما مع اليهود والنصارى امتنع القاء هذه الآية الواحدة فى البين على وجه تكون أجنبية عما قبلها وما بعدها وفى قوله تعالى والله يعصمك من الناس سؤال وهو انه كيف يجمع بين ذلك وبين ماروى انه عليه الصلاة والسلام شج وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته والجواب من وجهين (أحدها) ان المراد يعصمه من القتل وفيه التنبيه على انه يجب عليه أن يحتمل كل مادون النفس من أنواع البلاء فما اشد تكليف الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وثانيها) انها نزلت بعد يوم أحد واعلم ان المراد من الناس ههنا الكفار بدليل قوله تعالى (إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) ومعناه انه تعالى لايمكنهم مما يريدون وعن أنس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسه سعد وحذيفة حتى نزلت هذه الآية فاخرج رأسه من قبة أدم وقال انصرفوا أيها الناس فقد عصمنى الله من الناس انتهى كلام الفخر وفي سبب النزول للواحدى قالت عائشة رضى الله عنها سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقلت يارسول الله ماشأنك قال ألا رجل صالح يحرسنا الليلة فقالت بينما نحن في ذلك سمعت صوت

السلاح فقال من هذا قال سعد وحذيفه جئنا نحرسك فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعت غطيطه ونزلت هذه الآية فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من قبة أدم وقال انصرفوا ياأيها الناس فقد عصمنى الله * وروى بسنده الى ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس وكان يرسل معه أبو طالب رجالا من بنى هاشم يحرسونه حتى نزلت عليه هذه الآية يا أيها الرسول بلغ ماأنزل اليك الى قوله والله يعصمك من الناس قال فاراد عمه أن يرسل معه من يحرسه فقال ياعم ان الله قد عصمنى من الجن والانس

(الفصل الثامن) فى الجواب عن قوله تعالى فى سورة الاحزاب (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ) الآيات قال الملا فى شرح الشفاء الذى أنعم الله عليه فى هذه الآية هو زيد بن حارثة الكلبى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسم فى القرآن أحد من الصحابة باسمه الا زيد هذا قيل وسر ذلك انه عليه الصلاة والسلام كان تبناه وكان يدعى زيد بن محمد فلما نزل (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ) أى أعدل وأقوم قيل زيد بن حارثة فلما فاته شرافة عظيمة ونسبة وسيمة أبدله الله تعالى من ذلك ان سماه فى كتابه هذلك اشعاراً بانه سماه فى ازله فيصير رفعة لمحله حيث جعل اسمه فى كتابه المسطور المحفوظ فى الصدور وقد قتل فى غزوة مؤتة شهيداً بعد ان عاش مدة مديدة فى خدمته عليه الصلاة والسلام سعيداً وكان عليه الصلاة والسلام خطب زينب بنت جحش الاسدية بنت عمة النبى صلى الله عليه وسلم لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراه فى الجاهلية فاعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت

انه يخطبها لنفسه فلما علمت انه يخطبها لزيد أبت وقالت أنا ابنة عمتك يارسول الله فلا أرضاه لنفسى وكانت بيضاء جميلة فيها حدة وكذلك كره أخوها عبد الله بن جحش فنزل قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ فلما سمعا ذلك رضيا بما هنالك وجعلت أمرها بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك أخوها فانكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فدخل بها وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وازارا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر انتهى * وقال الفخر الرازى بعد قوله تعالى ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ أى اذا طلقوهن وانقضت عدتهن وفيه اشارة الى أن التزويج من النبى عليه الصلاة والسلام لم يكن لقضاء شهوته بل لبيان الشريعة بفعله فان الشرع يستفاد من فعل النبي صلى الله عليه وسلم * وقال في الكشاف فان قلت كيف عاتبه الله فى ستر ما استهجن التصريح به ولا يستهجن النبى صلى الله عليه وسلم التصريح بشىء الا والشىء فى نفسه مستهجن وقالة الناس لاتتعلق الا بما يستقبح فى العقول والعادات وماله لم يعاتبه فى نفس الامر ولم يأمره بقمع الشهوة وكف النفس عن أن تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه صلى الله عليه وسلم عن تعلق الهجنة به وما يعرضه للقالة قلت كم من شىء يتحفظ منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول فى ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم أثرها فى الدين ويجل

ثوابها ولو لم يتحفظ منه لاطلق كثير من الناس فيه ألسنتهم الا من أوتى فضلا وعلما ودينا ونظراً في حقائق الامور ولبوبها دون قشورها ألا ترى انهم كانوا اذا طعموا في بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوا مرتكزين فى مجالسهم لا يبرحون مستأنسين بالحديث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده أن يأمرهم بالانتشار حتى نزلت ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾ ولو أبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مكنون ضميره وأمرهم أن ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض المقالة فهذا من ذاك القبيل لان طموح قلب الانسان الى بعض مشتهياته من امرأة أو غيرها غير موصوف بالقبح فى العقل ولا فى الشرع لانه ليس بفعل الانسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعى ليس بقبيح أيضاً وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه وهو أقرب منه من زر قميصه ان يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم بأن نفس زيد لم تكن من التعلق بها فى شىء بل كانت تجفو عنها ونفس رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلقة بها ولم يكن متنكرا عندهم ان ينزل الرجل عن امرأته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها ان ينكحها الآخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شىء حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امرأتان نزل عن احداهما وأنكحها المهاجر واذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا بأحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها ان بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمنت الايمة والضيعة ونالت الشرف وعادت أما من أمهات المؤمنين الى ماذكر الله عز وجل من

المصلحة العامة فى قوله تعالى ﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً ﴾ فبالحرى ان يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ فى كتمه بقوله ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾ وان لا يرضى له الا اتحاد الضمير والظاهر والثبات في مواطن الحق حتى يقتدى به المؤمنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وان كان مرًّا انتهى كلام الزمخشرى * وقال الخطيب فى تفسيره ﴿ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ أى وحده ولا تجمع خشية الناس مع خشيته في أن تؤخر شيئاً أخبرك به حتى يأتيك فيه أمر قال عمر وابن مسعود وعائشة ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشد عليه من هذه وروى عن مسروق قال قالت عائشة لو كتم النبى صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحى اليه لكتم هذه الآية ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ ويؤيد ما مر ما روى سفيان بن عيينة عن على عن زيد بن جدعان قال سألنى على بن الحسين زين العابدين ما يقول الحسن فى قوله تعالى ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ قال قلت يقول لما جاء زيد الى النبى صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله انى أريد ان أطلقها فقال له أمسك عليك زوجك فقال على بن الحسين ليس كذلك كان الله تعالى قد أعلمه انها ستكون من أزواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد وقال انى أريد ان أطلقها قال له امسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك انها ستكون من أزواجك وهذا هو اللائق والاليق بحال الانبياء عليهم السلام وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى أعلم انه يبدى ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً ﴾ أى حاجة من زواجها

والدخول بها وذلك بانقضاء عدتها منه لان به يعرف انه لا حاجة له فيها وانه قد تقاصرت عنها همته والا راجعها ﴿ زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ أى ولم نحوجك الى ولى من الخلق يعقد لك عليها تشريفا لك ولها بما لنا من العظمة التى خرقنا بها عوائد الخلق حتى أذعن لذلك كل من علم به وسرت به جميع النفوس ولم يقدر منافق ولا غيره على الخوض فى ذلك ببنت شفة مما يوهنه ويؤثر فيه فلو كان الذى أضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها أو ارادة طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز ان يخبر انه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخفاء ما أعلمه الله تعالى من انها ستكون زوجة له وانما أخفاه استحياء ان يقول لزيد ان التى تحتك وفى نكاحك ستكون امرأتى قال البغوى وهذا هو الاولى والاليق وان كان الآخر وهو انه أخفى محبتها أو نكاحها لو طلقها لا يقدح فى حال الانبياء عليهم السلام لان العبد غير ملوم على ما يقع فى قلبه من مثل هذه الاشياء ما لم يقصد فيه المأثم لان الود وميل النفس من طبع البشر وقوله أمسك عليك زوجك واتق الله أمر بالمعروف وهو خشية الاثم فيه وقوله والله أحق ان تخشاه لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه الصلاة والسلام قال انا أخشاكم لله واتقاكم له ولكن المعنى الله أحق ان تخشاه وحده ولا تخشى أحدا معه فانت تخشاه وتخشى الناس أيضاً ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله أحق بالخشية فى عموم الاحوال وفى جميع الاشياء انتهى وذكر قضاء الوطر ليعلم ان زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها اذا طلقت وانقضت عدتها روى مسلم في صحيحه عن أنس رضى الله عنه قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب

فاذكرها على قال فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع ان أنظر اليها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهرى ونكصت على عقبى فقلت يازينب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربى فقامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن قال ولقد رأيتنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون فى البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يارسول الله كيف وجدت أهلك قال فما أدرى أنا اخبرته ان القوم خرجوا أو أخبرنى قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فالقى الستر بينى وبينه ونزل الحجاب وعن أنس رضى الله عنه قال ما أولم النبى صلى الله عليه وسلم على شىء من نسائه ما أولم على زينب أولم بشاة وفى رواية أكثر وأفضل ما أولم على زينب قال ثابت فما أولم قال أطعمهم خبزا ولحما حتى تركوه قال أنس رضى الله عنه كانت زينب تفخر على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن أهاليكن وزوجنى الله من فوق سبع سماوات وقال الشعبى كانت زينب تقول للنبى صلى الله عليه وسلم انى لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن جدى وجدك واحد وأنكحنيك الله فى السماء وان السفير لجبريل عليه السلام وقال فى الشفاء فان قلت فما معنى قوله تعالى فى قصة زيد (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ) فاعلم أكرمك الله ولا تسترب فى تنزيه النبى عليه الصلاة والسلام عن هذا الظاهر وان

يأمر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين وأصح ما فى هذا المعنى ما حكاه أهل التفسير عن على بن حسين ان الله تعالى كان أعلم نبيه عليه الصلاة والسلام ان زينب ستكون من أزواجه فلما شكاها اليه زيد قال له النبى صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق الله واخفى منه فى نفسه ما أعلمه الله به انه سيتزوجها والله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عن عمرو بن فائد عن الزهرى قال نزل جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله تعالى يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذى أخفى فى نفسه ويصحح هذا قول المفسرين فى قوله بعد هذا وكان أمر الله مفعولا أى لابد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله تعالى لم يبد من أمره معها غير زواجه لها فدل انه الذى اخفاه عليه الصلاة والسلام مما كان أعلمه به تعالى وقوله تعالى فى القصة (مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ) الآية فدل انه لم يكن عليه حرج فى الامر قال الطبرى ما كان الله ليؤثم نبيه فيما أحل مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله تعالى (سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) اى من النبيين فيما أحل لهم ولو كان على ماروى من حديث قتادة من وقوعها فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم عند ما أعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه أعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهى عنه من زهرة الحياة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذى لا يرضاه ولا يتسم به الاتقياء فكيف بسيد الانبياء عليهم السلام قال القشيرى رضى الله عنه وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبى صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فأعجبته وهى بنت عمته ولم يزل

يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه عليه الصلاة والسلام وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سببه كما قال تعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ وقال ﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ ﴾ ونحوه لابن فورك * وقال ابو الليث السمرقندى فان قيل فما الفائدة في أمر النبى صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله أعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها اذ لم تكن بينهما ألفة وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيد خشى قول الناس يتزوج امرأة ابنه فأمره الله بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى ﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ وقد قيل كان أمره لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه رآها فجأة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة الفجأة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وأمر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التى في القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه عن على بن حسين وحكاه السمرقندى وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضى القشيرى وعليه عول ابو بكر بن فورك وقال انه معنى ذلك عند المحققين من أهل التفسير قال والنبى صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق فى ذلك واظهار خلاف مافى نفسه وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ﴾ قال ومن ظن ذلك بالنبي فقد أخطأ خطأ بينا قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه الاستحياء بان يستحى منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشيته

عليه الصلاة والسلام من الناس كانت من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء فعتبه الله تعالى على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما أحله له كما عتبه على مراعاة رضى أزواجه فى سورة التحريم بقوله ﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ الآية وكذلك قوله هنا ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ وقد روى عن الحسن وعائشة رضى الله عنهما لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الآية لما فيها من عتبه وابداء ما أخفاه انتهى كلام الشفاء

(الفصل التاسع) في الجواب عن قوله تعالى فى سورة التحريم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ قال السيوطى فى الدر المنثور أخرج ابن سعد وعبد بن حميد والبخارى وابن المنذر وابن مردويه عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا فتواصيت أنا وحفصة ان أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل انى أجد منك ريح مغافير (١) اكلت مغافير فدخل على احداهما فقالت ذلك له فقال لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود فنزلت ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ثم قال فى الدر المنثور واخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قلت لعمر ابن الخطاب من المرأتان اللتان تظاهرتا قال عائشة وحفصة وكان بدء الحديث في شأن مارية أم ابراهيم القبطية

(١) المغافير جمع مغفور وهو شيء ينضحه شجر العرفط حلو كالناطف وله ريح كريهة منكرة كما فى نهاية ابن الاثير

أصابها النبي صلى الله عليه وسلم فى بيت حفصة في يومها فوجدت حفصة فقالت يا نبى الله لقد جئت الى شيئا ما جئته الى أحد من أزواجك فى يومي وفى دارى وعلى فراشي فقال ألا ترضين ان احرمها فلا أقربها قالت بلى فحرمها وقال لا تذكري ذلك لاحد فذكرته لعائشة فأظهره الله عليه فأنزل الله (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) الآيات كلها فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر عن يمينه وأصاب جاريته انتهي وروى غير ذلك فى سبب نزول هذه الآية كما ذكره الخطيب فى تفسيره فليراجعه من شاءه * وذكر الفخر الرازى فى هذه الآية مباحث (منها) قوله تعالى (لم تحرم ما أحل الله لك) يوهم ان هذا الخطاب بطريق العتاب وخطاب الوصف وهو النبى أى في قوله يا أيها النبى ينافي ذلك لما فيه من التشريف والتعظيم فكيف هو نقول الظاهر ان هذا الخطاب ليس بطريق العتاب بل بطريق التنبيه على ان ما صدر منه لم يكن كما ينبغى (ومنها) تحريم ما أحل الله تعالى غير ممكن لما أن الاحلال ترجيح جانب الحل والتحريم ترجيح جانب الحرمة ولا مجال للاجتماع بين الترجيحين فكيف يقال لم تحرم ما أحل الله نقول ان المراد من هذا التحريم هو الامتناع عن الانتفاع بالازواج لا اعتقاد كونه حراما بعد ما أحله الله تعالى فالنبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع معها مع اعتقاده بكونه حلالا ومن اعتقد أن هذا التحريم هو تحريم ما أحله الله تعالى بعينه فقد كفر فكيف يضاف الى الرسول صلى الله عليه وسلم مثل هذا انتهي

(الفصل العاشر) فى الجواب عن قوله تعالى فى سورة الانفال (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض

الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله إن الله غفور رحيم) قال الخطيب (حتى يثخن في الأرض) أى يكثر قتل الكفار ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولى أهله لان الملك والدولة انما تقوى وتشتد بالقتل قال الشاعر

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتي يراق على جوانبه الدم

* وقال الخازن تريدون (عرض الدنيا) الخطاب لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يعنى تريدون ايها المؤمنون عرض الدنيا بأخذكم الفداء من المشركين * وقال الفخر الرازى روى ان النبى صلي الله عليه وسلم أتى بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابى طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك فقام عمر وقال كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر وان الله أغناك عن الفداء فمكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكنى من فلان ينسب له فنضرب أعناقهم فقال عليه الصلاة والسلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال (فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم) ومثل عيسى فى قوله (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) ومثلك يا عمر مثل نوح قال (قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) ومثل موسى حيث قال (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم) ومال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قول أبى بكر روى انه قال لعمر

يا أباحفص وذلك أول ما كنا نه تأمرني أن أقتل العباس فجعل عمر يقول ويل لعمر ثكلته أمه وروي ان عبد الله بن رواحة أشار بان تضرم عليهم نار كثيرة الحطب فقال له العباس قطعت رحمك وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لاتخرجوا أحدامنهم الا بفداء أو بضرب العنق فقال ابن مسعود الا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد خوفى ثم قال من بعد الا سهيل بن بيضاء وعن عبيدة السلمانى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للقوم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين أوقية وفداء العباس أربعين أوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة أوقية والاوقية أربعون درهما أو ستة دنانير وروى انهم لما أخذوا الفداء نزلت هذه الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يارسول الله أخبرنى فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد تباكيت فقال ابك على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه ولو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ هذا هو الكلام فى سبب نزول هذه الآية ثم ذكر الفخر الرازى اعتراضات من تمسك بهذه الآية من الطاعنين في عصمة الانبياء عليهم السلام وأجاب عنها ولخص ذلك الشيخ علاء الدين المعروف بالخازن فى تفسيره فقال قد استدل بهذه الآية من يقدح فى عصمة الانبياء وبيانه من وجوه (الاول) ان قوله تعالى (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى) صريحة فى النهى عن أخذ الاسارى وقد وجد ذلك يوم بدر (الوجه الثانى) ان الله سبحانه وتعالى أمر النبي صلى

الله عليه وسلم وقومه بقتل المشركين يوم بدر فلما لم يقتلوهم بل أسروهم دل ذلك على صدور الذنب منهم (الوجه الثالث) ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم باخذ الفداء وهو محرم وذلك ذنب (الوجه الرابع) ان النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر قعدا يبكيان لاجل أخذ الفداء وخوف العذاب وقرب نزوله والجواب عن الوجه الاول ان قوله سبحانه وتعالى (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ) يدل على انه كان الاسر مشروعا ولكن بشرط الاثخان في الارض وقد حصل لان الصحابة رضى الله عنهم قتلوا يوم بدر سبعين رجلا من عظماء المشركين وصناديدهم وأسروا سبعين وليس من شرط الاثخان في الارض قتل جميع الناس فدلت الآية على جواز الاسر بعد الاثخان وقد حصل والجواب عن الوجه الثانى ان الامر بالقتل انما كان مختصاً بالصحابة لاجماع المسلمين ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بمباشرة قتال الكفار بنفسه واذا ثبت ان الامر بالقتل كان مختصاً بالصحابة كان الذنب صادراً منهم لامن النبى صلى الله عليه وسلم والجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم حكم باخذ الفداء وهو محرم فنقول لا نسلم ان أخذ الفداء كان محرماً وأما قوله سبحانه وتعالى (تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ) ففيه عتاب لطيف على أخذ الفداء من الاسارى والمبادرة اليه ولا يدل على تحريم الفداء اذ لو كان حراماً في علم الله لمنعهم من أخذه مطلقاً والجواب عن الوجه الرابع وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر قعدا يبكيان يحتمل ان يكون لاجل ان بعض الصحابة لما خالف الامر بالقتل واشتغل بالاسر استوجب بذلك الفعل العذاب فبكى النبى صلى الله عليه وسلم خوفا

واشفاقا من نزول العذاب عليهم بسبب ذلك الفعل وهو الاسر وأخذ
الفداء والله أعلم انتهى ومن أراد الاطلاع على بسط ذلك بأكثر من
هذا فليراجع تفسير الفخر الرازى * وانقل هنا عبارته أى عبارة الامام
الرازى فى كتابه عصمة الانبياء وهذا نصها تمسكوا أى القائلون بعدم
عصمة الانبياء بقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى
يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ والاستدلال من ثلاثة أوجه (الاول) قوله
تعالى ما كان لنبى أن يكون له اسرى وذلك يقتضى أن يكون الاسر
محرما (الثانى) قوله تعالى ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا ﴾ وذلك مذكور فى معرض
الذم (الثالث) قوله تعالى ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا
أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ الجواب الذى يدل على براءة منصب النبوة فى
هذه الواقعة عن كل مالا ينبغى وجوه (الاول) انه ان يكون قد أوحى
فى جواز الاسر وحظره اليه شئ أو ما أوحى اليه شئ فان كان قد
أوحى اليه شئ لم يجز للنبى عليه الصلاة والسلام ان يستشير أصحابه فيه
لان مع قيام النص وظهور الوحى لايجوز الاشتغال بالاستشارة وان لم يوح
اليه شئ البتة لم يتوجه عليه ذنب البتة (الثانى) ان ذلك الحكم لو كان خطأ
لامر الله تعالى بنقضه فكان يأمر بقتل الاسرى ويرد ما أخذ منهم فلما لم يكن
كذلك بل قال ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ علمنا انه لم يوجد الخطأ
فى ذلك الحكم البتة (الثالث) انه عليه الصلاة والسلام لم يشتغل بالاستغفار
والندم وذلك يدل على عدم الذنب على ما تقدم واذا بينا ذلك فنقول
كما يأتى العتاب على ترك الواجب فقد يأتى أيضا على ترك الاولى فلقد
كان الاولى فى ذلك الوقت الاثخان وترك الفداء قطعا للاطماع وحسما
للمواد ولولا ان ذلك من باب الاولى لما فوض النبى عليه الصلاة والسلام

ذلك الى رأى الاصحاب وهذا هو العذر عن قوله ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ
يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ﴾ فأما قوله ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا ﴾ فهو خطاب
فيصرف ذلك الى القوم الذين رغبوا فى المال وأما قوله ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ
اللَّهِ ﴾ فمعناه لولا ما سبق من تحليل الغنائم لعذبتم بسبب أخذكم
هذا الفداء وهذا غاية التقريع فى تخطئتهم فى أخذ الفداء من جهة
التدبير فان قلت فاذا كان ذلك محللا لهم فما هذا التقريع البالغ قلت
لان ذلك من باب الحروب وما كان فى ذلك الباب فقد يقع الخطأ فيه
من جهة التدبير ويقرع ذلك المخطئ وان كان غير مذنب انتهت عبارة
كتاب عصمة الانبياء * وقال الخازن قال ابن عباس كانت الغنائم محرمة
على الانبياء والامم فكانوا اذا أصابوا مغنما جعلوه للقربان فكانت النار
تنزل من السماء فتأكله فلما كان يوم بدر أسرع المؤمنون فى أخذ الغنائم
والفداء فانزل الله عز وجل ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ ﴾ يعنى لولا
قضاء من الله سبق فى اللوح المحفوظ بأنه يحل لكم الغنائم لمسكم فيما
أخذتم عذاب عظيم وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ
مِنَ اللَّهِ سَبَقَ ﴾ انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون لمسكم
يعنى لاصابكم بسبب ما أخذتم من الفداء قبل ان تؤمروا به عذاب عظيم قال
محمد بن اسحاق لم يكن من المؤمنين أحد ممن حضر بدرا الا أحب الغنائم الا
عمر بن الخطاب فانه أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى
وسعد بن معاذ فانه قال يا رسول الله كان الاثخان فى القتل أحب الى من استبقاء
الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء
مانجا منه غير عمر وسعد بن معاذ قال وقوله تعالى ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ
حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ يعنى فقد أحلت لكم الغنائم وأخذ الفداء فكلوا مما غنمتم

حلالا طيبا وروى انه لما نزلت الآية الاولى كف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيديهم عما أخذوا من الفداء فنزلت فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنائم بهذه الآية لهذه الامة وكانت قبل ذلك حراما على جميع الامم الماضية قال وقوله سبحانه وتعالى (وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يعنى وخافوا الله ان تعودوا وان تفعلوا شيئا من قبل أنفسكم قبل ان تؤمروا به انتهى كلام الخازن

* الفصل الحادى عشر * فى الجواب عن قوله تعالى فى سورة براءة (عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) قال الفخر الرازى احتج بعضهم بهذه الآية على صدور الذنب عن الرسول صلى الله عليه وسلم من وجهين (الاول) انه تعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعى سابقة الذنب (والثانى) انه تعالى قال لم أذنت لهم وهذا استفهام بمعنى الانكار فدل هذا على ان ذلك الاذن كان معصية وذنبا قال قتادة وعمرو بن ميمون اثنتان فعلهما الرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بشىء فيهما اذنه للمنافقين وأخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله كما تسمعون والجواب عن الاول لا نسلم ان قوله عفا الله عنك يوجب الذنب ولم لا يجوز ان يقال ان ذلك يدل على مبالغة الله تعالى فى تعظيمه وتوقيره كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما عنده عفا الله عنك ماصنعت في أمري ورضى الله عنك ما جوابك عن كلامى وعافاك الله ما عرفت حقى فلا يكون غرضه من هذا الكلام الا مزيد التبجيل والتعظيم وقال على بن الجهم فيما يخاطب به المتوكل وقد أمر بنفيه

عفا الله عنك الا حرمة * تعود بعفوك ان أبعدا

والجواب عن الثانى ان نقول لا يجوز ان يقال المراد بقوله لم أذنت لهم

الانكار لانا نقول اما ان يكون صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب فى هذه الواقعة أولم يصدر عنه ذنب فان قلنا انه ماصدر عنه ذنب امتنع على هذا التقدير ان يكون قوله لم أذنت لهم انكارا عليه وان قلنا انه كان قد صدر عنه ذنب فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو عنه وبعد حصول العفو عنه يستحيل ان يتوجه الانكار عليه فثبت انه على جميع التقادير يمتنع ان يقال ان قوله لم أذنت لهم يدل على كون الرسول صلى الله عليه وسلم مذنبا وهذا جواب شاف قاطع وعند هذا يحمل قوله لم أذنت لهم على ترك الاولى والاكمل لاسيما وهذه الواقعة كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا ثم قل قال قتادة عاتبه الله كما تسمعون فى هذه الآية ثم رخص له فى سورة النور فقال (فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ) انتهى * وقال في كتاب عصمة الانبياء ان العفو يقتضي ترك المؤاخذة وقوله لم أذنت لهم مؤاخذة فلو أجرينا قوله تعالى عفا الله عنك على ظاهره لزمت المناقضة فعلمنا انه ليس المراد ذلك انما المراد التلطف في المخاطبة كما يقال له أنت رحمك الله وغفر لك وان لم يكن هناك ذنب البتة انتهى * وقال الشهاب الخفاجى فى حاشية البيضاوى ولقد أحسن من قال في الآية ان من لطف الله بنبيه صلى الله عليه وسلم ان بدأه بالعفو قبل العتب قال السخاوندى هو تعليم لتعظيمه صلى الله عليه وسلم ولولا تصدير العفو فى الخطاب لما قام بصولة العتاب وهو يستعمل حيث لا ذنب كما تقول لمن تعظمه عفا الله عنك ما صنعت فى أمرى وفى الحديث عجبت من يوسف عليه الصلاة والسلام وصبره وكرمه والله يغفر له وفى الشفاء انه افتتاح كلام بمنزلة أصلحك الله وأعزك انتهى وقال الشهاب أيضا فى

شرح الشفاء قال ابن المنير فى تفسيره المسمى بالبحر عفا الله عنك دعامة فى الكلام يقصد المتكلم بها ملاطفة المخاطب وهو عادة العرب فى التلطف بتقديم الدعاء لاستدعاء الاصغاء أو خبر معناه لاعهدة عليك لانه تعالى غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهو تخصيص وتمييز لا ان الاذن ذنب متعلق به العفو لان تحمله ومسامحته لهم مع أذاهم حملا للمشقة على نفسه واسقاطا للحظوظ فهو عتب عليه بلطف لاملامة فيه أى قد بلغت فى الامتثال والاحتمال الغاية وزدت ما أجحف بك فى محبة الله وطاعته والرفق بالبر والفاجر وأين هذا من التخطئة والزمخشرى نزع به هنا عرق العجمة لاساءة الادب على النبى صلى الله عليه وسلم وأراد بعضهم ان يصلح ذلك فافسد فقال بدأ بالعفو قبل الذنب ولو عكس انقطع نياط قلبه وكله ذهول عن عتب الحبيب فى حيفه على نفسه وهو تخفيف لاتعنيف ومدح لا قدح وهذا كما قيل له اذ جهد وجد فى العبادة ﴿ طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * وَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ ﴾ والعفو وان كان يستدعى ذنبا كاستدعاء رضى الله تعالى عنك لغضب سابق فهو هنا تنبيه على انه أمر ان يرفق بنفسه فكأنه قيل له ان أبيت الا الحلم والاحتمال فانت غير مؤاخذ بل مثاب كمن يرخص له فى لذة وراحة فيعمل بالعزيمة فيقال له ما كان هذا بلازم لك فاذا احتملته فلاعهدة عليك ايجابا لحقه ورفعا لقدره بالعفو لالتزامه مالا يلزمه وذلك انهم ادعوا الطاعة وزاحموا المطيعين في رتبتهم فاستأذنوا ليكون قعودهم باذن لاينافى دعواهم ولو لم يؤذن لهم هتكوا حجاب الهيبة وخلعوا ربقة الطاعة وقامت الحجة عليهم فانهم ليسوا فى ورد ولا صدر فلما أذن لهم تمت مكيدتهم واليه الاشارة بقوله تعالى ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ ﴾ الى آخره وليس فى هذا مخالفة مصلحة مرضية

فان الله تعالى بين انه باذنه لهم طوى سر الكراهة فانه لامصلحة في خروجهم بل فيه مفسدة شوهاء وعاقبة شنعاء لانهم لو خرجوا كانوا مخذولين باعثين للفتنة يمشون بالنمائم ويثيرون غبار الضغائن مشتتين للشمل كالظربان فانهم ذباب يقعون على الدبر والقذر فكانت المصلحة العظمى فى قعودهم وان كان فيه سترة أمرهم واحتمالا لمكرهم وغاية الغائلة التباس أمرهم وقيام حجتهم وهو قد عرفهم وانكشفت له عورتهم ولكن لم يفضحهم حلما وكرما واتساع صدر وكم ضاق نطاق عمر رضى الله عنه عن ذلك وأشار بضرب أعناقهم فقال له صلى الله عليه وسلم لا يا عمر يتحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه فانه قد يخدش الصدور السليمة ويثير حصائد الالسنة فاشفق على العدو فاستبقاه وعلى الولى ان تزحزحه الشبه عن رتبة تقاه وحمل عبء ذلك نفسه فى ذات الله تعالى انتهى كلام ابن المنير قال الشهاب بعد ذلك أقول جزاه الله خيرا عما أهداه للعقول السليمة من أنفس التحف ودافع به عن حرم النبوة العالى الرتبة لمن عرف وأنت اذا تأملت مابعده من النظم تراه مصرحا بما أفاده ألم تسمع قوله تعالى ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾ فأى رأى أسد من الاذن فى تخلفهم وأى حلم أعظم من الستر عليهم فكيف يكون فى أول الكلام عتاب وآخره بيان لان ماوقع عين الصواب ولو كان هذا فى رسالة كاتب مزقها سلطانه فما ظنك بمالك الملك تعالى شانه انتهى

✻الفصل الثانى عشر✻ فى الجواب عن قوله تعالى في سورة عبس ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ حاصل ما قاله المفسرون فى هذه الآية ان هذا الاعمى هو ابن أم مكتوم واسمه عبد الله وذلك انه جاء النبى صلى الله عليه وسلم

وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلموا فيتأيد بهم الاسلام ويسلم باسلامهم اتباعهم فتعلو كلمة الله تعالى فقال يا رسول الله اقرئنى وعلمنى مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وقال فى نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتبعه العميان والعبيد والسفلة فعبس وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم فانزل الله تعالى هذه الآيات فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه واذا رآه قال مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويبسط له رداءه ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين فى غزوتين غزاهما قال أنس بن مالك رأيته يوم القادسية راكبا وعليه درع وله راية سوداء (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ) اى الاعمى (يَزَّكَّى) يتطهر من الذنوب بما يسمع منك وفى ذلك ايماء الى ان اعراضه كان لتزكية غيره (أَوْ يَذَّكَّرُ) يتعظ (فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى) أى العظة المسموعة منك (أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى) أى بالمال (فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى) أى تتعرض له بالاقبال عليه (وَمَا عَلَيْكَ) أي ليس عليك بأس (أَلَّا يَزَّكَّى) أى فى ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن أسلم ان عليك الا البلاغ (وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى) أى يسرع فى طلب الخير وهو ابن أم مكتوم (وَهُوَ يَخْشَى) أى يخاف الله (فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى) أى تتشاغل انتهى من تفسير الخطيب باختصار * وقال الخطيب وهو مأخوذ من كلام الفخر الرازى فان قيل ما فعله ابن أم مكتوم كان يستحق عليه التأديب والزجر فكيف عاتب الله

تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على تأديبه لانه وان كان أعمى فقد سمع مخاطبته صلى الله عليه وسلم لاولئك الكفار وكان باسماعه يعرف شدة اهتمام النبى صلى الله عليه وسلم بشأنهم فكان اقدامه على قطع كلامه صلى الله عليه وسلم لغرض نفسه قبل تمام كلام النبى صلى الله عليه وسلم معصية عظيمة وأيضا فان الاهم يقدم على المهم وكان قد أسلم وتعلم ما يحتاج من أمر الدين وأما أولئك الكفار فلم يكونوا أسلموا وكان اسلامهم سببا لاسلام غيرهم فكان كلام ابن أم مكتوم كالسبب فى قطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل وذلك يحرم وأيضا فان الله تعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات بمجرد ندائهم فهذا النداء الذى هو كالصارف للكفار عن الايمان أولى ان يكون ذنبا وأيضا فمع هذا الاعتناء كيف لقب بالاعمى وأيضا النبى صلى الله عليه وسلم له ان يؤدب أصحابه بما يراه مصلحة والتعبيس من ذلك القبيل أجيب بأن ما فعله ابن أم مكتوم كان من سوء الادب لو كان عالما بأن النبى صلى الله عليه وسلم مشغول بغيره وانه يرجوا اسلامهم ولكنه لم يعلم بذلك وأيضا الله سبحانه وتعالى انما عاتبه على ذلك حتى لا تنكسر قلوب الضعفاء أوليعلم ان المؤمن الفقير خير من الغنى الكافر وقال ابن زيد انما عبس النبى صلى الله عليه وسلم لابن أم مكتوم وأعرض عنه لانه أشار الى الذى كان يقوده ان يكفه فدفعه ابن أم مكتوم وأبى الا أن يتكلم مع النبى صلى الله عليه وسلم فكان فى هذا نوع جفاء منه ومع هذا نزل فى حقه ذلك وأما ذكره بلفظ الاعمى فليس للتحقير بل كان بسبب عماه يستحق أن يزيده تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد تأدب الناس بادب الله تعالى فى هذا تأدبا حسنا فقد روى عن سفيان الثورى رضى الله عنه

ان الفقراء كانوا بمجلسه أمراء، وأما كونه صلى الله عليه وسلم كان مأذونا له فى تأديب أصحابه فلان تقديمهم ربما يوهم ترجيح تقديم الاغنياء على الفقراء فلهذا السبب عوتب انتهى كلام الخطيب * وأطال الفخر الرازى فى تفسيره الكلام على هذه الآية وقال فى كتاب عصمة الانبياء تمسكوا بقوله تعالى (عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى) فعاتبه على اعراضه عن ابن أم مكتوم * جوابه لا نسلم ان هذا الخطاب متوجه الى النبى صلى الله عليه وسلم لا يقال ان أهل التفسير قالوا الخطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم لانا نقول هذه رواية الآحاد فلا تقبل فى هذه المسألة ثم انها معارضة بامور (الاول) انه وصفه بالعبوس وليس هذا من صفات النبي عليه الصلاة والسلام فى قرآن ولا خبر مع الاعداء والمعاندين فضلا عن المؤمنين المسترشدين (الثانى) وصفه بأنه يتصدى للاغنياء ويتلهى عن الفقراء وذلك غير لائق بأخلاقه صلى الله عليه وسلم (الثالث) انه لا يجوز ان يقال للنبى صلى الله عليه وسلم (وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى) فان هذا اغراء بترك الحرص على ايمان قومه فلا يليق لمن بعث للدعاء والارشاد سلمنا ان الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم لكن لا نسلم كونه ذنبا بيانه انه تعالى وصف نبيه صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق فقال (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ * وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) فلما ظهر منه صلى الله عليه وسلم فى بعض الاوقات النادرة ما يخالف ذلك عاتبه الله تعالى عليه وعرفه ان ذلك غير مرضى منه فيكون ذلك من باب ترك الاولى ثم السبب فى ذلك كما جاء في الخبر انه صلى الله عليه وسلم كان يتكلم مع بعض أشراف قريش ويستميله الى الاسلام رجاء ان يعز به الاسلام وقد كان من الحرص على اسلامهم

بحيث قال الله تعالى (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ) فحضر هذا الاعمى ولم يعرف كيفية الحال فسأل عن مسألة فى خلال مكالمة النبى صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل فاشتد ذلك عليه اذ كان ذلك قطعا للكلام وافسادا لما كان يحاوله من اسلام ذلك الرجل فاعرض عنه فنهاه الله عن ذلك وأمره بالاقبال على كل من أتاه من شريف ووضيع وغنى وفقير بأن لا يخص بدعوته شريفا دون دنى اذ الواجب عليه هو التبليغ الى الكل وليس عليه فى امتناع من امتنع عن قبول دعوته تبعة ولا عهدة انتهى

﴿الفصل الثالث عشر﴾ في الجواب عن قوله تعالى فى سورة الانعام (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) ذكر الحافظ السيوطى فى الدر المنثور عن تخريج ابن ماجه وغيره ان خباب بن الارت رضى الله عنه قال جاء الاقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى فوجدا النبى صلى الله عليه وسلم قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب فى اناس ضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حوله حقروهم فاتوه فخلوا به فقالوا انا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا العرب به فضلنا فان وفود العرب ستأتيك فنستحي ان ترانا العرب قعودا مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا فدعا بالصحيفة ودعا عليا ليكتب ونحن قعود فى ناحية اذ نزل جبريل بهذه الآية (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ) الى قوله تعالى (فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) فالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعانا فاتيناه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم

على نفسه الرحمة فكنا نقعد فاذا أراد أن يقوم قام وتركنا فانزل الله ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ الآية قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد فاذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم انتهت رواية الدر المنثور وفيه وفي أسباب النزول للواحدي روايات أخرى في ذلك فمن شاء فليراجعها

* وقال الخطيب لما هم بطرد الفقراء عن مجلسه لاجل اشراف قريش عاتبه الله تعالى به على ذلك ونهاه عن طردهم وذلك قدح في العصمة وقوله تعالى ﴿فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وأجيب بأنه صلى الله عليه وسلم ما طردهم ولاهم به لاجل استخفاف بهم وانما كان هذا الهم لمصلحة وهي التلطف بهؤلاء الاشراف في ادخالهم في الاسلام فكان ترجيح هذا الجانب أولى وهو اجتهاد منه صلى الله عليه وسلم فاعلمه الله تعالى ان تقريب هؤلاء الفقراء أولى من الهم بطردهم فقربهم منه وأدناهم والظلم في اللغة وضع الشيء في غير محله أي فلاتهم بطردهم عنك فتضع الشيء في غير موضعه فهو من باب ترك الافضل والاولى لامن باب ترك الواجبات

﴿الفصل الرابع عشر﴾ في الجواب عن قوله تعالى في سورة ألم نشرح ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ قال البيضاوي ألم نشرح لك صدرك ألم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق أو لم نفسحه بما أودعنا فيه من الحكم وأزلنا عنه ضيق الجهل أو بما يسرنا لك تلقي الوحي بعد ما كان يشق عليك ثم قال ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ عبأك الثقيل ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ الذي حمله على النقض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل انتهى

* وقال الخطيب ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ قال الحسن ومجاهد حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية وهو قوله تعالى ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ وقيل ذنوب أمتك ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أي أثقل قال أبو عبيدة خففنا عنك أعباء النبوة والقيام بها حتى لا تثقل عليك وقيل كان في الابتداء يثقل عليه الوحي حتى يكاد يرمي نفسه من شاهق الى ان جاءه جبريل عليه السلام وأزال عنه ما كان يخاف من تغير العقل وقيل عصمناك من احتمال الوزر وحفظناك قبل النبوة في الاربعين من الادناس حتى نزل عليك الوحي وأنت مطهر

﴿الفصل الخامس عشر﴾ في الجواب عن قوله تعالى في سورة الفتح ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ قال الخطيب قال الرازي المغفرة المعتبرة لها درجات كما ان الذنوب لها درجات حسنات الابرار سيئات المقربين وقال عطاء الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك وما تأخر ذنوب أمتك بدعوتك

* وقال سفيان الثوري ما تقدم ما عملت في الجاهلية وما تأخر كل شيء لم تعمله قال البغوي ويذكر مثل ذلك على سبيل التأكيد كما يقال أعطى من رآه ومن لم يره وذكر أقوالا أخرى * وقال البيضاوي ما تقدم من ذنبك وما تأخر جميع ما فرط منك مما يصح ان يعاتب عليه قال الشهاب في حاشيته يجعل المتقدم والمتأخر للاحاطة كناية عن الكل وقوله مما يصح الى آخره اشارة الى انه ليس بذنب حقيقي بل من قبيل حسنات الابرار سيئات المقربين لعصمة الانبياء اه

﴿الفصل السادس عشر﴾ في الجواب عن قوله تعالى في سورة محمد ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ قال البيضاوي

فاثبت على ماأنت عليـه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح أحوالها وأفعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك ﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على مايستدعى غفرانهم * وقال الشهاب فى حاشيته قوله فاثبت الى آخره اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم عالم بوحدانيته فأمره مؤول بالثبات وهو أيضا معلوم لكنه تذكيرله بما انعم الله عليـه وتوطئة لما بعـده وجعل الامر بالاستغفار كناية عما يلزمه من التواضـع وهضم النفس والاعتراف بالتقصير لانه معصوم اومغفور لا مصر ذاهل عن الاستغفار والتحقيق انه توطئة لمابعده من الاستغفار لذنوب المؤمنين فتأمل * وقال الخطيب في تفسيره ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ أمر بذلك مع عصمته لتستن به أمتـه وقد فعـله قال صـلى الله عليه وسـلم انى لاسـتغفر الله فى اليوم مائة مرة وقيـل معنى قوله لذنبك اى لذنب أهل بيتك ﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ الذين من أمتك ليسوا بأهل بيتك وقيل المراد النبي والذنب هو ترك الافضل الذى هو بالنسبة اليه ذنب وحسناتنا دون ذلك قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي وانى لاستغفرالله فى كل يوم مائة مرة وقيل هو كل مقام عال ارتفع منه الى أعلى منه انتهي كلام الخطيب * وعبارة ابي السعود بعد قوله تعالى ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ هو الذى ربما يصدر عنه عليه الصلاة والسلام من ترك الاولى عبر عنه بالذنب نظرا الى منصبه الجليل كيف لاوحسنات الابرار سيئات المقربين وارشادا له عليه الصلاة والسلام الى التواضع وهضم النفس واستقصار العمل اه

﴿ الفصل السابع عشر ﴾ فى الجواب عن قوله تعالى فى سورة النساء ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ

وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ انها نزلت فى طعمة بن ابيرق احد بنى ظفر من الانصار قال العارف بالله سيدى الشيخ احمد الصاوى فى حاشيته على الجلالين سرق طعـمة المذكور من دار جاره قتادة درعا وكانت فى جراب فيـه دقيق فصار الدقيق يتناثر فاتهـم طعمة بها فحلف كاذبا انه ماأخذها وما له بها علم وكان أودعها عند يهودى يقال له زيد بن السمين فقال اصحاب الدرع تتبع أثر الدقيق فتبعوه حتى وصلوا الى دار اليهودى فأخبر أنه أودعه عنـده طعمة وشهد به قومه فقال قوم طعمة نذهب الى رسول الله صـلى الله عليه وسلم نشهد ان اليهودي هو السارق فذهبوا وشهدوا زورا ولم يظهر له صلى الله عليـه وسلم قادح فيهـم فهم بقطع اليهودى فنزلت الآية فاراد ان يقطع طعمة فهـرب الى مكة وارتد فنقب حائطا ليسرق متاع أهله فوقع عليـه فمات مرتدا وقوله تعالى واستغفر الله أى مما هممت به يعـنى من القضاء على اليهودى فانه ذنب صـورة من باب حسنات الابرار سيآت المقربين والذين يختانون أنفسهم هم طعمة وقومه المعينون له فانهم شركاء فى الاثم وقد وقعت منهم خيانات كثيرة السرقة ثم اتهام اليهودى ثم الحلف كاذبا ثم الشهادة زورا * تمت الاجوبة عن الاعتراضات الواردة ممن لايقول بعصمة الانبياء التى انتحلها لنفسه ذلك المعترض الخاسر وأوردها على المسـلمين وترك الجوابات عنها وهى على كل حال لاتصلح حجة له على نفى نبوة سيد المرسلين وحبيب رب العالمين سيدنا محمد صلى الله عليـه وسلم لانه لايقول هو وأهـل ملته بعصمة الانبياء و وجوب خلوهم من الذنوب بحيث ان من أذنب لايكون نبيا بل قد اجتهد هـذا

الخائن وبذل أقصى ما فى وسعه فى كتاب غوايته التى سماها الهداية لاثبات
وقوع أفحش المعاصى من الانبياء صلوات الله عليهم وافتتحه بذلك
ونقل النقول الكثيرة التى لاتخلو اما ان تكون كاذبة أو مؤولة حتى كاد
يخيل للجاهلين ان وقوع المعصية شرط للنبوة ومع كون عقيدته وفعله
كذلك وكون جميع الاشياء التى استدل بالآيات القرآنية المذكورة
على كونها ذنوبا وقعت من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد نبوته
هي كلها لو اجتمعت وكانت حقيقة ذنوبا بدون تأويل لاتعادل ذنبا واحدا
مما نسبه الى بعض الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم فكيف يعتقد
وقوع أعظم المعاصى من الانبياء ويقيم الادلة بحسب زعمه على ثبوتها
وانها لاتنافى نبوتهم ويستدل من جهة أخرى على نفى نبوة سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم بوقوع تلك الذنوب الخفيفة بفرض انها ذنوب فهذا
الفعل المتناقض المتضارب المتعارض لايدل على تعنته وتهافته فقط بل
يدل على كمال غباوته وكثرة جهله وشدة كفره واعتسافه وقلة
حيائه ومن أعجب ماوقع لهذا المتعنت السفيه الضال المضل من الضلال
المبين وان كان كل ما أتى به فى هذا الشان هوكذلك انه لما ذكر
الاعتراض على تزوج النبى صلى الله عليه وسلم بالسيدة زينب أم المؤمنين
رضى الله عنها بعد ان طلقها زيد رضى الله عنه قال ذلك الخبيث (نعم
ان داود وقع فى خطيئة الزنا ولكن يوجد فرق جسيم بين الامرين)
ومع كونى اعتقد براءته عليه السلام من ذلك نقلت عبارة ذلك الفاجر
بحروفها ليعلم الناس ماعنده من شدة المكابرة الظاهرة والتعنت القبيح
والتناقض البارد فانظر أيها المنصف من الاسلام أو النصارى هل يوجد
أحد فيه أدني عقل ودين وحياء يقول ان الزنا خير من أن يتزوج

الرجل بامرأة طلقها زوجها مهما كان من أمر طلاقها نعم يقول بذلك
هذا الخائن وأمثاله من الزنادقة الزناة الذين لايفرقون بين الطيب
والخبيث وليس عندهم حلال ولا حرام اذ هم كالانعام بل أضل من
الانعام وهكذا أكثر اعتراضات هذا الخبيث خالية عن الانصاف
والادب والاحتشام لايرضى بها ذو عقل وحياء من النصارى فضلا
عن الاسلام فقدجعل السفاهة دثاره والوقاحة شعاره قبحه الله وقبح
أعوانه وأنصاره لانه فعل لم يفعله أحد من الكفرة اللئام فعلى أهل الهدى
والانصاف لاعليه السلام

﴿الباب السادس من القسم الاول فى عصمة سائر النبيين والجواب
عما نقله المعترض من كتب علماء المسلمين مما يدل بظاهره على عدم
عصمتهم صلوات الله على نبينا وعليهم﴾ اعلم ان المعترض لم يقصد
بذلك الاعتراض وانما قصد تأييد عقيدته النصرانية وهي عدم عصمة
الانبياء من الذنوب فنقل اعتراضاته من الكتب الاسلامية ولا سيما
الشفاء المصرح فيه بالاجوبة عنها ولكنه لم ينقل الاجوبة لانه أراد ان
يثبت بذلك عدم عصمتهم عند المسلمين أيضا وها أنا أنقل مافيه الكفاية
مما قاله العلماء فى ذلك غير متقيد في الجواب عن الاعتراضات التي
ذكرها المعترض المذكور فاقول قد ألف الفخر الرازى كتابا
مخصوصا سماه عصمة الانبياء كل ماأنقله فى ذلك ولم أعزه فقد أخذته
منه قال فيه بعد البسملة والحمدلة أما بعد فهذه رسالة عملناها فى النضح
عن رسل الله وأنبيائه والذب عن خلاصة خلقه وأتقيائه ثم ذكر مذاهب
العلماء في هذه المسألة فقال اعلم ان الاختلاف في هذه المسألة واقع
فى أربعة مواضع (الاول) ما يتعلق بالاعتقاد واجتمعت الامة على

ان الانبياء معصومون عن الكفر والبدعة (الثانى) مايتعلق بتبليغ الشرائع والاحكام من الله تعالى وأجمعوا على انه لايجوز عليهم التحريف والخيانة فى هذا الباب لابالعمد ولا بالسهو والا لم يبق الاعتماد على شيء من الشرائع (الثالث) مايتعلق بالفتوى وأجمعوا على انه لايجوز تعمد الخطا فاما على سبيل السهو فقد اختلفوا فيه (الرابع) مايتعلق بأفعالهم وأحوالهم وقد اختلفوا فيه على خمسة مذاهب (الاول) قول الحشوية وهو انه لايجوز عليهم الاقدام على الكبائر والصغائر (الثانى) انه لايجوز منهم تعمد الكبيرة البتة وأما تعمد الصغيرة فهو جائز بشرط ان لايكون منفرا فاما ان كان تعمد الصغيرة منفرا فذلك لايجوز عليهم مثل التطفيف بمادون الحبة وهو قول أكثر المعتزلة (الثالث) انه لايجوز عليهم تعمد الكبيرة والصغيرة ولكن يجوز صدور الذنب منهم على سبيل الخطأ فى التأويل وهذا قول أبي على الجبائي (الرابع) انه لايجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة لابالعمد ولا بالتأويل والخطأ أما السهو والنسيان فجائز ثم انهم يعاتبون على ذلك السهو والنسيان لما أن علومهم أكمل فكان الواجب عليهم المبالغة فى التيقظ والتحفظ وهو قول أبى اسحاق ابراهيم بن سيار النظام (الخامس) انه لاتجوز الكبيرة ولا الصغيرة لا بالعمد ولا بالتأويل ولا بالسهو والنسيان وهذا مذهب الشيعة واختلفوا أيضاً فى وقت وجوب هذه العصمة قال بعضهم انها من أول الولادة الى آخر العمر وقال الاكثرون هذه العصمة انما تجب في زمان النبوة فاما قبلها فهى غير واجبة وهو قول أكثر أصحابنا رحمهم الله تعالي والذى نقول ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون فى زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد أما على سبيل السهو فهو جائز ويدل على وجوب العصمة خمس

عشرة حجة (الحجة الاولى) لو صدر الذنب عنهم لكان حالهم في استحقاق الذم عاجلا والعقاب آجلا أشد من حال عصاة الامة وهذا باطل فصدور الذنب أيضا باطل بيان الملازمة ان أعظم نعم الله على العباد اعطاء نعمة الرسالة والنبوة وكل من كان نعم الله عليه أكثر كان صدور الذنب عنه أفحش وصريح العقل يدل عليه ثم يؤكده من النقل وجوه ثلاثة (الاول) قوله تعالى (يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ) وقال (يَانِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ) (الثانى) ان المحصن يرجم وغيره يجلد (الثالث) ان العبد يحد نصف حد الحر فثبت بما ذكرنا انه لو صدر الذنب عنهم لكان حالهم فى استحقاق الذم العاجل والعقاب الآجل فوق حال جميع عصاة الامة الا ان هذا باطل بالاجماع فان أحدا لايجوز ان يقول ان الرسل أخس حالا عندالله وأقل منزلة من كل أحد وهذا يدل على عدم صدور الذنب عنهم (الحجة الثانية) لو صدر الذنب عنهم لما كانوا مقبولى الشهادة لقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا) أمر بالتثبت والتوقف في قبول شهادة الفاسق الا ان هذا باطل فان من لم تقبل شهادته في حال الدنيا فكيف تقبل شهادته في الاديان الباقية الى يوم القيامة وأيضا انه تعالى شهد بأن محمدا عليه الصلاة والسلام شهيد على الكل يوم القيامة قال (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) ومن كان شهيدا لجميع الرسل يوم القيامة كيف يكون بحال لاتقبل شهادته (الحجة الثالثة) لو صدر الذنب عنهم لوجب زجرهم لان الدلائل دالة على وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لكن زجر الانبياء عليهم الصلاة والسلام غير جائز لقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ

اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ فكان صدور الذنب عنهم ممتنعا ﴿ الحجة الرابعة ﴾ لو صدر الفسق عن محمد عليه الصلاة والسلام لكنا اما أن نكون مأمورين بالاقتداء به وهذا لايجوز أولا نكون مأمورين بالاقتداء به وهذا أيضاً باطل لقوله تعالى ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ ولقوله فاتبعوه ولما كان صدور الفسق عنه يفضى الى هذين القسمين الباطلين كان صدور الفسق عنه محالا ﴿ الحجة الخامسة ﴾ لو صدرت المعصية عن الانبياء عليهم السلام لوجب أن يكونوا موعودين بعذاب جهنم لقوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ الآية ولكانوا ملعونين لقوله تعالى ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ و باجماع الامة هذا باطل فكان صدور المعصية عنهم باطلا ﴿ الحجة السادسة ﴾ انهم كانوا يأمرون بالطاعات وترك المعاصى ولو تركوا الطاعة وفعلوا المعصية لدخلوا تحت قوله تعالى ﴿ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ وتحت قوله ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ومعلوم ان هذا فى غاية القبح وأيضاً أخبر الله تعالى عن رسوله يعنى شعيباً عليه السلام انه برأ نفسه عن ذلك فقال ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ ﴿ الحجة السابعة ﴾ قال الله تعالى فى صفة ابراهيم واسحاق ويعقوب ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ والالف واللام في صيغة الجمع يفيد العموم فدخل تحت لفظ الخيرات فعل كل ماينبغى وترك كل مالا ينبغى وذلك يدل على انهم كانوا فاعلين لكل الطاعات وتاركين لكل المعاصي ﴿ الحجة الثامنة ﴾ قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ وهو ان اللفظين أعنى قوله المصطفين وقوله الاخيار يتناولان جملة الافعال والتروك بدليل جواز الاستثناء يقال فلان من

المصطفين الاخيار الا في كذا والاستثناء يخرج من الكلام مالولاه لدخل فدلت هذه الآية على انهم كانوا من المصطفين الاخيار فى كل الامور وهذا ينافى صدور الذنب عنهم ونظيره قوله تعالى ﴿ اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ وقوله ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ وقال فى حق ابراهيم ﴿ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ وقال فى حق موسى ﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾ وقال تعالى ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾ لايقال الاصطفاء لايمنع من فعل الذنب بدليل قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ الآية فقسم المصطفين الى الظالم والمقتصد والسابق بالخيرات لانا نقول الضمير فى قوله فمنهم عائد الى قوله من عبادنا لا الى قوله الذين اصطفينا لان عود الضمير الى أقرب المذكورين واجب ﴿ الحجة التاسعة ﴾ قوله تعالى حكاية عن ابليس ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ استثنى المخلصين فى اغوائه واضلاله ثم انه تعالى شهد لابراهيم واسحاق ويعقوب انهم من المخلصين حيث قال ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ﴾ وقال فى حق يوسف عليه السلام ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ فلما أقر ابليس انه لايغوى المخلصين وشهد الله بان هؤلاء من المخلصين ثبت ان اغواء ابليس ووسوسته ماوصلا اليهم وذلك يوجب القطع بعدم صدور المعصية عنهم ﴿ الحجة العاشرة ﴾ قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فهؤلاء الذين لم يتبعوا ابليس اما أن يقال انهم الانبياء أو غيرهم فان كانوا غيرهم

لزم أن يكونوا أفضل من الانبياء لقوله تعالى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ وتفضيل غير النبي على النبي باطل بالاجماع فوجب القطع بان أولئك الذين لم يتبعوا ابليس هم الانبياء عليهم السلام وكل من أذنب فقد اتبع ابليس فدل هذا على ان الانبياء صلوات الله عليهم ماأذنبوا ﴿ الحجة الحادية عشر ﴾ انه تعالى قسم المكلفين الى قسمين حزب الشيطان كما قال ﴿ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ وحزب الله كما قال ﴿ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ولا شك ان حزب الشيطان هو الذى يفعل ما يريده الشيطان ويأمره به فلو صدرت الذنوب عن الانبياء لصدق عليهم انهم من حزب الشيطان ويصدق عليهم قوله ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ولصدق على الزهاد من آحاد الامة قوله تعالى ألا ان حزب الله هم المفلحون وحينئذ يلزم أن يكون كل واحد من آحاد الامة أفضل بكثير من الانبياء ولا شك فى بطلانه ﴿ الحجة الثانية عشر ﴾ ان أصحابنا رحمهم الله بينوا ان الانبياء أفضل من الملائكة وسنقيم الادلة على ان الملائكة ماأقاموا على شىء من الذنوب فلو صدرت الذنوب عن الانبياء لامتنع أن يكونوا زائدين فى الفضل على الملائكة لقوله تعالى ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ ﴿ الحجة الثالثة عشر ﴾ قال الله تعالى فى حق ابراهيم عليه السلام ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ والامام هو الذى يقتدى به فلو صدر الذنب عن ابراهيم لكان اقتداء الخلق في ذلك الذنب واجباً وانه باطل ﴿ الحجة الرابعة عشر ﴾ قوله تعالى ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ فكل من أقدم على الذنب كان ظالماً لنفسه لقوله تعالى ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ

لِنَفْسِهِ ﴾ اذا عرفت هذا فنقول ذلك العهد الذى حكم الله بانه لا يصل الى الظالمين اما أن يكون هو عهد النبوة أو عهد الامامة فان كان الاول فهو المقصود وان كان الثانى فالمقصود أظهر لان عهد الامامة اقل درجة من عهد النبوة فاذا لم يصل عهد الامامة الى المذنب العاصى فبان لا يصل عهد النبوة اليه أولى ﴿ الحجة الخامسة عشر ﴾ روى ان خزيمة ابن ثابت الانصارى رضى الله عنه شهد على وفق دعوى النبى عليه الصلاة والسلام مع انه ما كان عالماً بتلك الواقعة فقال خزيمة انى أصدقك فيما تخبر عنه من أحوال السماء أفلا أصدقك فى هذا القدر فلما ذكر ذلك صدقه النبى عليه الصلاة والسلام فيه ولقبه بذى الشهادتين ولو كان الذنب جائزاً على الانبياء لكانت شهادة خزيمة غير جائزة انتهى كلام الفخر الرازى * وقال الامام الشعرانى في المبحث الحادى والثلاثين من اليواقيت والجواهر قال أئمة الاصول الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم معصومون لا يصدر عنهم ذنب ولو صغيرة سهواً ولا يجوز عليهم الخطأ في دين الله قطعاً وفاقا للاستاذ أبى اسحاق الاسفرايني وأبي الفتح الشهرستانى والقاضى عياض والشيخ تقى الدين السبكى وغيرهم وقال جماعة لا ينبغى اجراء الخلاف فى الانبياء المرسلين أبداً وانما الخلاف فى الانبياء الذين لم يرسلوا وهو كلام محشو أدباً وذلك لتوقف اقامة الحجة على القول بالعصمة وأيضاً فان الرسول مشرع لنا بجميع أقواله وأفعاله وتقريراته فلو انه صدق عليه الوقوع فى معصية ما لصدق عليه تشريع المعاصى ولا قائل بذلك أبدا * وعبارة الشيخ محيي الدين فى الفتوحات ويشترط فى حق الرسول العصمة فى جميع ما يبلغه عن الله عز وجل فان عصم في غير ما يبلغه فمن مقام آخر كأن يخاطب بالتأسى

به فيصير ذلك التأسى أصلاً لايجوز عليه فيه فعل حرام قطعا ولا فعل مكروه الا لبيان الجواز انتهى * وكان امام الحرمين رحمه الله يقول من جوز وقوع الصغيرة من الانبياء سهوا قيدها بغير الدالة على الخسة كسرقة لقمة والتطفيف فى الكيل والوزن بتمرة مثلا ثم لابد أن ينبهوا عليها على الفور وأما استغفاره صلى الله عليه وسلم أكثر من سبعين مرة كما ورد فكان لاجل الترقى فى المقامات فكان يستغفر من كل مقام ترقى عنه وثم مقام رفيع وأرفع * وكان الامام الجنيد يقول في حديث انه ليغان على قلبى فاستغفر الله تعالى فى اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة ان المراد انه ليغان على قلبى مما اطلعت عليه مما يقع لأمتى بعدى من المخالفات فاستغفر الله لهم أكثر من سبعين مرة * وقال جماعة من علماء الاصول الانبياء الذين لم يرسلوا معصومون قطعا من غير خلاف ومن قال فيهم غير ذلك فعليه الخروج من عهدته بين يدى الله عز وجل وبين يديهم فان بداية النبوة تؤخذ من بعد انتهاء الولاية فمن أين يتعقل الواحد منا اسم ذنوب الانبياء وقد قالوا حسنات الابرار سيئات المقربين فافهم والزم الادب وأجب عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام جهدك كل من كان فى حجاب عن مقامهم وأى فائدة لتجريح من عدله الله تعالى هل يثاب أحد على ذلك لا والله بل ذلك الى الاثم أقرب * وقال الشيخ أبو طاهر القزوينى فى الباب الخامس والثلاثين من كتاب سراج العقول يجب تنزيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن كل مايتبادر الى أفهامنا من ذكر خطاياهم فان خطاياهم لاذوق لنا فيها وان الله تعالى لما اصطفى الانبياء فى سابق علمه للنبوة واداء الرسالة رشحهم لذلك فى مبادى أمورهم وحماهم من مكايد الشيطان وصفى سرائرهم من الكدورات وشرح صدورهم بنوره

وزينهم بالاخلاق الجميلة وطهرهم عن الرجس والرذائل كما روى في الصحيح ان جبريل أتى الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الصبيان فاخذه وصرعه وشق عن قلبه فاستخرج منه شبه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طست من ذهب من ماء زمزم ثم لأمه وعاد كما كان فى مكانه قال وصورة الشق ليست مثل شق الذبح بالسكين وانما المراد به كشف باطنه بيد جبريل من غير ألم يصيبه أو دم يصبه وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك قال وهذا قريب من اخراج الله الذرية من ظهر آدم عليه السلام بمسح اليد كما يليق بجلاله وسبب توقف العقول الضعيفة ووقوع الاشتباه فى مثل ذلك تعسر الخروج عن المألوفات ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ فلم يكن فيه بعد ذلك للهوى منفذ ولا للشيطان عليه سبيل وأطال فى ذلك وقال الشيخ العارف بالله تعالى الجامع بين الطريقين سيدى عبد العزيز الديرينى رضى الله عنه لايجوز قطعا نسبة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى الذنوب على حد ما نتعقله نحن وانما سماها الله تعالى فى حقهم معصية وخطيئة وذلك لان مقامهم الارفع لاذوق لولى فيه ولو ارتفعت درجته فضلا عن غيره من أمثالنا وذلك لأنهم معصومون من الوقوع فى ذنوبنا وغاية خطاياهم انما هي مثل نظرهم الى مباح أو لفظة رائحتها رعونة ومكروه وباطنها علم وصلاح مثل قول ابراهيم عليه السلام فى معرض اقامة الحجة على قومه بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم وكما وقع له من قوله انى سقيم حتى لايخرج مع قومه الى مادعوه اليه من اللهو واللعب أى حالى الى السقم ونحو ذلك انتهى * وقال الشيخ فى الباب الثانى والسبعين وثلاثمائة من الفتوحات المكية يجب قطعا تنزيه الانبياء مما

نسبه اليهم بعض المفسرين من الطامات الكبرى مما لم يجيء فى كتاب ولا سنة صحيحة وهم يزعمون انهم قد فسروا قصصهم التى قصها الله تعالى علينا وكذبوا والله فى ذلك وجاؤا فيه بأكبر الكبائر وذلك كمسألة ابراهيم الخليل عليه السلام وما نسبوه اليه من وقوع الشك بحسب مايتبادر الى الاذهان وما نظروا فى قوله صلى الله عليه وسلم نحن أولى بالشك من ابراهيم وذلك ان ابراهيم عليه السلام لم يشك في احياء الله الموتي معاذ الله ان يشك نبى فى مثل ذلك وانما كان يعلم ان لاحياء الله تعالى الموتى طرقا و وجوها متعددة لم يدر بأى وجه منها يكون احياء الله تعالى للموتى وهو مجبول على طلب الزيادة من العلم فعين الله تعالى له وجها من تلك الوجوه فسكن ما كان عنده وعلم حينئذ كيف يحيي الله تعالى الموتى فما كان السؤال الا عن معرفة الكيف لاغير وكذلك القول فى قصة سليمان وما نسبوه الى الملكين ببابل هاروت وماروت كل ذلك لم يرد فى كتاب ولا سنة وانما ذلك نقل عن اليهود فاستحلوا أعراض الانبياء والملائكة بما ذكروا لهم من تجريحهم أنبياء الله تعالى وملؤا تفاسيرهم للقرآن من ذلك فالله تعالى يحفظنا واخواننا من غلطات الافكار والافعال والاقوال آمين انتهى * وقال أيضا فى الباب الرابع والخمسين ومائة ينبغى للواعظ ان يراقب الله تعالى فى أنبيائه وملائكته ويستحي من الله عزوجل و يجتنب الطامات فى وعظه كالقول في ذات الله بالكفر والكلام على مقامات الانبياء عليهم السلام من غير ان يكون وارثالهم فلا يتكلم قط على زلاتهم بحسب ما يتبادر الى أذهان الناس بالقياس على غيرهم فان الله تعالى قد أثنى على الانبياء أحسن الثناء بعد ان اصطفاهم من جميع خلقه فكيف يستحل أعراضهم

بما ذكره المؤرخون عن اليهود قال ثم ان الداهية العظمى جعلهم ذلك تفسيرا لكلام الله تعالى و يقولون فى تفسيرهم قال المفسرون فى قصة داود انه نظر الى امرأة أوريا فاعجبته فارسله فى غزاة ليموت فيأخذها وكقولهم فى قصة يوسف عليه السلام انه هم بالمعصية وان الانبياء لم يعصموا عن مثل ذلك كقولهم في قصة قوم لوط لو ان لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد العجز والتجرى ونحو ذلك و يعتمدون على تاويلات فاسدة وأحاديث واهية نقلت عن قوم قالوا في الله ما قالوا من البهتان والزور فمن أورد مثل ذلك في مجلسه من الوعاظ مقته الله والانبياء والملائكة لكونه جعل ذلك دهليزا ومهادا لمن فى قلبه زيغ يدخل منه الى ارتكاب المعاصى و يحتج بما سمعه منه فى حق الانبياء و يقول اذا كان الانبياء وقعوا فى مثل ذلك فمن أكون انا وحاشا الانبياء كلهم عن ذلك الذى فهمه هذا الواعظ فوالله لقد أفسد هذا الواعظ الامة وعليه وزر كل من كان سببا لاستهانته بما وقع فيه من المعاصى ولكن قد ورد انه لا تقوم الساعة حتى يصعد الشيطان على كرسى الوعظ و يعظ الناس وهؤلاء من جنوده الذين يتقدمونه انتهت عبارة الجواهر واليواقيت للامام الشعرانى * وقال الامام ابن حجر المكى فى شرح الهمزية عند قول الامام الابوصيرى فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم

رحمة كله وحزم وعزم * ووقار وعصمة وحياء

عصمة كله أى حفظ يستحيل عليه صلى الله عليه وسلم شرعا وقوع خلافه من سائر الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوة وبعدها فى سائر حركاته وسكناته في باطنه وظاهره سره وعلانيته جده ومزحه ورضاه وغضبه والخلاف فى بعض ذلك لا يعول عليه كيف وقد

أجمع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على اتباعه صلى الله عليه وسلم والتأسى به في كل مايفعله من قليل وكثير صغير وكبير لم يكن عندهم في ذلك توقف حتى أعماله صلى الله عليه وسلم فى السر والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها علم بهم صلى الله عليه وسلم أو لم يعلم ومن تأمل أحوالهم ... استحيا من الله كما قاله الامام المجتهد التقى السبكى ان يخطر له تشكك فى أنه معصوم فى كل ماذكرناه وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم معصومون كما ذكر وحكى فى عصمتهم قبل النبوة خلاف ومحله في غير الجهل بالله تعالى وصفاته أما هذا فهم معصومون منه اجماعا بل لاينشؤن الا على أكمل الاحوال من الايمان بالله تعالى ومعرفته كما ينبغى وحكى فى عصمتهم من الصغائر بعد النبوة خلاف أيضا وهو فى غاية الضعف بل ألزم قائلوه بخرق الاجماع وما لايقول به مسلم ومحله فى غير صغائر الخسة كسرقة لقمة وفي غيرها مما يتعلق بطرق التبليغ أما هذه فهم معصومون منها اجماعا اه كلام ابن حجر * وقال الامام علاء الدين الخازن فى تفسيره بعد ان ذكر الخلاف فى ذلك وأجوبة أهل السنة في تفسير سورة طه فان قلت اذا نفيت عنهم الذنوب والمعاصى فما معنى قوله تعالى ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ وما تكرر في القرآن والحديث من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم واشفاقهم وبكائهم على ماسلف منهم وهل يتوب ويستغفر من لاشئ عليه قلت ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله تعالى وسنته فى عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لايؤاخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولم يؤمروا بها وأتوها على وجه التأويل والسهو وتزيدوا

من أمور الدنيا المباحة أوخذوا عليها وعوتبوا بسببها أو حذروا من المؤاخذة بها فهم خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لانها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاصيهم لان هذا أدنى أفعالهم وأسوأ مايجرى من أحوالهم كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين أى يرونها بالاضافة الى علو أحوالهم كالسيئات اه كلام الخازن وهاأنا أذكر مانسب من ذلك الى بعض الانبياء مع الاجوبة عنهم صلوات الله على نبينا وعليهم (آدم عليه السلام) قال الامام الشعرانى اعلم ان آدم عليه الصلاة والسلام أول فاتح لباب التوبة حين وقع على يديه ماوقع من أكل الشجرة بعد النهى عنها فكانت معصيته صورية ليعرف بنيه كيف يفعلون اذا وقعوا في المنهى عنه وقال فخر الدين الرازى الاولى عندى فى هذا الباب أن يقال هذه الواقعة كانت قبل النبوة * وقال القاضى عياض أما قصة آدم وقوله ﴿عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ أى أخطأ فقد أخبر الله تعالى بعذره فى قوله ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ أى نسى عداوة ابليس له وما عهد الله اليه وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنه اغتر بحلف ابليس له ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ وتوهم ان أحدا لايحلف بالله كاذبا وقيل نسى ولم ينو المخالفه فلذلك قال تعالى ولم نجد له عزما أى قصدا للمخالفة وقيل بل أكل من الشجرة متأولا وهو لايعلم أنها الشجرة التى نهى عنها لانه تأول نهى الله تعالى عن شجرة مخصوصة لاعلى الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لامن المخالفة وقيل تأول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهى تحريم ذكر جميع ذلك الامام علاء الدين الخازن فى تفسير سورة طه * قال الفخر الرازى وتمسكوا يعنى القائلين بعدم عصمة الانبياء بقوله تعالى

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قالوا لاشك ان النفس الواحدة هي آدم وزوجها المخلوق منها هي حواء فهذه الكنايات أى الضمائر عائدة اليهما فقوله تعالى جعلاله شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عمايشركون يقتضى صدور الشرك عنهما ثم قالوا روى ان ابليس لما ان حملت حواء عرض لها فقال ان أحببت أن يعيش ولدك فسميه بعبدالحارث وكان ابليس يسمى الحارث فلما ولدت سمت بهذه التسمية فلهذا قال الله تعالى جعلاله شركاء فيما آتاهما قال الرازى والجواب الصحيح انا لانسلم ان النفس الواحدة المذكورة في هذه الآية هي آدم عليه السلام وليس في الآية مايدل على ذلك بل نقول الخطاب لقريش وهم آل قصى والمعنى خلقكم من نفس قصى وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ماطلبا من الولد الصالح السوى سميا أولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصى وعبد الدار والضمير فى يشركون لهما ولأعقابهما وذكروا وجوها أخرى غير ماذكرنا فمن شاءها فليراجعها فى التفاسير قال وأما الرواية التى ذكروها يعنى من تسمية حواء ابنها عبد الحارث ليعيش فهى ضعيفة لوجوه ثلاثة (الاول) انها من باب الآحاد فلا تكون مقبولة فى العمليات (الثانى) انه اما أن يقال بان آدم وحواء اعتقدا ان الولد من خلق ابليس أو لم يعتقدا ذلك ولكنهما سميا ولدهما بعبد الحارث مع ان الحارث كان اسم ابليس فان كان الاول لزم أن يكون آدم وحواء قد اعتقدا الهية ابليس وذلك مما لايذهب اليه عاقل وان كان الثانى

لم يلزم منه الكفر والشرك لان الاعلام تفيد التسمية فتسميتها بذلك انما تفيد تسمية الولد بعبد الحارث ولا تفيد كونه عبداً للحارث فان الاعلام قائمة مقام الاشارات فقط ولا يلزم منه الكفر والفسق أصلا (الثالث) ان العداوة الشديدة التى كانت بين آدم وابليس من أول الامر الى وقت ذلك الحمل مانعة لآدم من الاغترار وهب ان آدم عليه السلام لم يكن نبيا ولم يكن مسلما أما كان عاقلا فثبت ان هذه الرواية الخبيثة لايجوز أن يقبلها عاقل فضلا عن مسلم انتهى كلام الفخر الرازى

﴿نوح عليه السلام﴾ قال تعالى ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ الآية قال الامام الرازى اختلف المفسرون فى هذا الابن على ثلاثة أقوال (الاول) وعليه الاكثرون انه كان ابنا لصلبه وهو الاقوى وقوله ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أى ليس من أهل دينك وهو قول ابن عباس وجماعة (الثانى) انه كان ابن امرأته وهو قول آخرين (الثالث) انه ولد على فراشه لغير رشدة وهذان القولان ضعيفان والثالث أضعف لانه يجب تنزيه منصب الانبياء عن مثل هذه الفضيحة قال ولا نسلم انه دعا لابنه مطلقا بل بشرط الايمان لايقال فلم قال الله تعالى ﴿لاَ تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ وقال ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ وقال نوح ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ لانا نقول ليس يمتنع أن يكون نوح عليه السلام نهى عن ذلك وان لم يقع ذلك منه فاما قوله تعالى انى أعظك أن تكون من الجاهلين فمعناه أن لاتكون منهم ولا شك ان وعظه تعالى هو الذى صرف نوحا عليه السلام عن الجهل وأما قول نوح انى أعوذ بك أن أسألك ماليس لى به علم فلا دلالة فيه على انه فعل ذلك انتهى

(ابراهيم عليه السلام) قال القاضي عياض في الشفاء في باب عصمة نبينا وسائر الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين * اعلم ان ما تعلق منه أى من قلب النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التوحيد والعلم بالله تعالى وصفاته والايمان به وبما أوحي اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك أو الشك أو الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة أن يكون في عقود الانبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول ابراهيم عليه السلام (قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) اذ لم يشك ابراهيم في اخبار الله تعالى له باحياء الموتى ولكن أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة بمشاهدة الاحياء فحصل له العلم الاول بوقوعه وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته (الوجه الثاني) ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام انما أراد اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله تعالى (أَوَلَمْ تُؤْمِنْ) أى تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك (الوجه الثالث) انه سأل زيادة يقين وقوة طمأنينة وان لم يكن في الاول شك اذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان الشك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات فاراد الانتقال من النظر أو الخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله (الوجه الرابع) انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا (الوجه الخامس) قال بعضهم هو سؤال على طريق الادب المراد أقدرني على احياء الموتى وقوله ليطمئن

قلبي أى عن هذه الامنية (الوجه السادس) انه أرى من نفسه الشك وما شك ولكن ليجاوب فيزداد قربه وقول نبينا عليه الصلاة والسلام نحن أحق بالشك من ابراهيم نفي لان يكون ابراهيم شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان يظن هذا بابراهيم أى نحن موقنون بالبعث واحياء الله الموتى فلو شك ابراهيم لكنا أولى بالشك منه اما على طريق الادب أو ان يريد أمته الذين يجوز عليهم الشك أو على طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابراهيم على اختبار حاله أو زيادة يقينه ثم قال ولا يشبه عليك بقول ابراهيم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذق من العلماء والمفسرين الى أنه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد أفهذا ربي وقال الزجاج قوله هذا ربي أى على قولكم ويدل على انه أى ابراهيم لم يعبد شيئا من ذلك ولا أشرك بالله تعالى قط طرفة عين قول الله تعالى عنه (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ) ثم قال (أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ) وقوله تعالى (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) اه

(يعقوب عليه السلام) قالوا لم رجح يعقوب عليه السلام يوسف على اخوته في التقريب والمحبة مع علمه بافضاء ذلك الترجيح الى الحسد والمفاسد العظيمة قال الفخر الرازي الجواب عن ذلك من وجهين (الاول) لا نسلم انه رجح يوسف على اخوته في الاكرام بل كان راجحا في المحبة وميل الطبع وذلك غير مقدور له فلا يكون مكلفا بتركه (الثاني) هب انه عليه السلام رجحه عليهم في الاكرام لكنا لا نسلم علمه باداء

ذلك الترجيح الى المفسدة ثم قال ان اخوة يوسف وصفوا آباهم بالضلال بقولهم ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ والجواب ليس المراد به الضلال عن الدين بالاجماع بل المراد العدول عن الصواب فان قلت لما وصفوه بذلك فقد قدحوا في عصمته واعتقدوا انه غير مصيب في أحكامه ومن اعتقد فى الرسل ذلك كفر فيلزم القول بكفر اخوة يوسف قلت الحكم بالاسلام والكفر أمر شرعى فلعل ذلك لم يكن كفرا في دينهم أو يقال مرادهم وصف يعقوب بالغلو فى الحب وذلك غير مقدور له فلم يكن وصفهم أباهم بذلك قدحا فى عصمته ثم قال لم أسرف يعقوب في الحزن والبكاء حتى ابيضت عيناه ومن شأن الأنبياء التجلد والتصبر والجواب التجلد على المصائب وكظم الحزن مندوب وليس بواجب وترك المندوب ليس بمعصية على ان يعقوب انما أبدى من حزنه اليسير من الكثير وكان ماتصبر عليه أكثر وأوسع مما أظهره ﴿ يوسف عليه السلام ﴾ قالوا انه صبر على الرق ولم يبين الحال فيه وذلك معصية وأجاب الفخر الرازى بأنه لعله لم يكن نبيا فى تلك الحالة أو انه لما خاف على نفسه القتل جاز ان يصبر على الرق أو انه أخبرهم بذلك الا أنهم لم يلتفتوا اليه وقد تمسكوا بقوله تعالى حاكيا عن يوسف وامرأة العزيز ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾ والجواب قال الفخر الرازى قال القاضى أبو طاهر الطوسى شهد ببراءة يوسف عليه السلام من الذنب كل من له تعلق بتلك الواقعة من زوج وحاكم ونسوة وملك وادعى يوسف ذلك واعترف له خصمه بصدق ما قاله له مرتين وشهد له بذلك رب العالمين الذى هو أصدق القائلين واعترف بمثل ذلك ابليس فكيف

يلتفت الى قول هؤلاء الحشوية أما شهادة الزوج فقوله تعالى ﴿ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ وأما شهادة الحاكم فقوله ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ ﴾ وأما شهادة النسوة فقولهن ﴿ حَاشَا لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾ وأما شهادة الملك فقوله ﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ وأما ادعاء يوسف ذلك فقوله ﴿ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ وقوله ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ وقوله ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ ولو قصد المعصية لكان قد خانه بالغيب وأما اعتراف الخصم فقولها للنسوة ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ وقولها ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ وقوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ﴾ فان كان صادقا وجب ان لا يكون هم يوسف بالسوء والفحشاء وأما اعتراف ابليس فقوله تعالى حكاية عنه ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ فبين انه يغوى الكل الا المخلصين ويوسف من المخلصين لقوله تعالى ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ فأية شبهة تبقى مع هذه الشهادات فى براءته عن الذنوب وهؤلاء الطاعنون في يوسف عليه السلام ان كانوا من حزب الله فليقبلوا قوله وان كانوا من حزب ابليس فيجب ان يصدقوا قوله لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين ثم ذكر معنى الآية انها همت بالمعصية والفاحشة وهم هو بدفعها عن نفسه وذكر لذلك شواهد قال ولقد همت به وهم بدفعها لولا ان رأى برهان ربه لفعل ذلك والجواب محذوف مضمر أو يحمل الهم على العزم والكلام على التقديم والتأخير والتقدير ولقد همت به ولولا ان رأي برهان ربه لهم ويجرى ذلك مجرى قولك قد كنت هلكت لولا ان تداركتك قال فان قلت فاى فائدة في قوله وهم

بها لولا ان رأى برهان ربه اذا لم يكن هناك هم قلت الفائدة فيه الاخبار على ان ترك الهم بها واجابتها الى ماتمسها لم يكن من حيث كان غير راغب فى النساء لعجز لكنه ترك ذلك لله وفى الله طلبا لثوابه وهربا من أليم عقابه وفسروا برهان ربه بوجوه منها انه حجة الله فى تحريم الزنا والعلم بما على الزنى من العقاب ﴿ الاسباط اخوة يوسف عليهم السلام ﴾ ذهب كثيرون الى انهم غير أنبياء وحينئذ لا اشكال فيما صدر منهم فى حق يوسف عليه السلام وأما على القول بأنهم أنبياء فقد قال الامام ابن حجر في شرح الهمزية عند قول المصنف

وسمعتم بكيد أبناء يعقو * ب أخاهم وكلهم صلحاء

عدل اليه أى التعبير بصلحاء عن أنبياء لانه الامر المتفق عليه كما تقرر أو لقوة الخلاف عنده أى عند الامام الابوصيرى فى عدم نبوتهم بخلاف يوسف عليه السلام فانه لا خلاف فى نبوته لكن الحق انه ظاهر الآية أو صريحها وهي قوله تعالى ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ اذ الاسباط هم أولاد يعقوب وقد ذكرت الآية انه أنزل عليهم شيء يجب الايمان به غير ما أنزل على آبائهم وذلك الشيء هو الوحى كما هو المتبادر بل صرحت به آية ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ وحينئذ فنفى نبوتهم المستلزم لنفى الوحى اليهم مناقض لصريح الآية فتأمله ولا ينافى نبوتهم ماحكى عنهم فى تلك القصة لانه انما صدر منهم عن تأويلات تراها شريعتهم ومما يقرب ذلك ان العلماء اتفقوا على صلاحهم وان تلك الامور التى جرت منهم لم تؤثر فى صلاحهم فكذا فى نبوتهم على ان فى عصمة الانبياء قبل النبوة خلافا محل بسطه كتب

الاصول انتهى كلام ابن حجر وقال محشيه العارف بالله سيدي محمد الحفنى قال شيخ الاسلام زكريا في فتح الرحمن بكشف مايلتبس من القرآن لم يكونوا أنبياء على الصحيح اه وألف في ذلك الحافظ السيوطى رسالة نقل فيها عن كثير من العلماء القول بعدم نبوتهم وكذلك ابن تيمية ألف فى اثبات عدم نبوتهم مؤلفا مخصوصا وفسروا الاسباط فى الآية بقبائل بنى اسرائيل لا بنفس أولاد يعقوب بل بما تناسل منهم من القبائل وقد جاء منهم أنبياء كثيرون فهم المراد من الاسباط فى الآية الا ان الامام ابن حجر كما رأيت قد اعتمد نبوتهم ومثله كثير من العلماء من جملتهم سيدى العارف بالله الشيخ أحمد الصاوى وعبارته فى حاشية الجلالين عند قوله تعالى في سورة البقرة ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ يؤخذ من الآية ان الاسباط أنبياء وهو المعتمد كما ذكره ابن حجر فى شرحه على الهمزية ان قلت حيث كانوا أنبياء فهم معصومون من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها فكيف ذلك مع ما يأتى فى سورة يوسف من رميه فى الجب واتيانهم على قميصه بدم كذب وغير ذلك من الامور المنافية للنبوة أجيب بانهم غير مشرعين بل هم أنبياء فقط فلا يلزمهم اجراء فعلهم على مقتضى الظاهر بل على سر القدر فالمدار على خلوصهم فى الباطن على حد ماقيل في أفعال الخضر مع موسى وقد شهد الله له بانه مافعله عن أمره فيكون ماجرى من الاسباط فى حق يوسف كما جرى من الخضر أو أولى اه ثم قال ابن حجر فى شرح البيت الذى بعده قد يستشكل ما وقع منهم فى هذه القصة من الامور الكثيرة التى ظواهرها يجب تنزيه الانبياء عنها بناء على الاصح بل الصوب ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام جميعهم الرسل وغيرهم معصومون

قبل النبوة وبعدها من صغائر المعاصى وكبائرها سهوها وعمدها ويجاب
بان ذلك يتأتى على مذهب كثيرين بل نقل عن الاكثرين ان العصمة
انما هى بعد النبوة لاقبلها والاولى أن يجاب بان هذه الامور انما تستشكل
على قواعد شرعنا أما على شرعهم فنحن لاندريه وبفرض انه يوافق
شرعنا فى ذلك فيحتمل ان لهم تأويلا سوغ لهم ارتكاب مافعلوه وتعبير
كثيرين كالناظم ببغضهم وحسدهم ونحو هذا من العبارات التى ظاهرها
لايليق بهم انما هو بناء على عدم نبوتهم كما هو قول فيهم وأخرج ابن
جرير وابن المنذر ان أبا عمرو قيل له كيف تقرأ نرتع ونلعب بالنون
وهم أنبياء فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء والحاصل انه يجب علينا الايمان
بنزاهتهم وبراءتهم من كل مالا يليق بهم انتهى كلام ابن حجر

(أيوب عليه السلام) حكى الله تعالى عنه انه قال (إِنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ
بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) والعذاب لايكون الاجزاء كالعقاب فدل على كونه مذنبا
قال الفخر الرازي جوابه لانسلم ان العذاب لايكون الاجزاء ولهذا
يقال للظالم المبتدى بالظلم انه يعذب الناس فاما اضافة ذلك الى الشيطان
فنقول انه عليه السلام ما أضاف المرض الى الشيطان وانما أضاف اليه
ماكان يستفزه به من وسوسته وتذكيره له ماكان فيه من النعمة والعافية
ودعائه له الى الضجر ولانه كان يوسوس الى قومه بان يستقذروه
لما كان عليه من الامراض البشعة المنظر وأيضا فان الله تعالى مدحه
فى آخر الآية بقوله (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)
فلو كان أول الآية دالا على كونه مذنبا لكان مدحه عقيب ذلك موهما انه
مدحه على ذنبه وهو غير جائز والله الموفق اهـ وقال الامام الشعرانى واما
الجواب عن السيد أيوب عليه السلام في جمعه الذهب فى ثوبه لما أمطر

الله تعالى عليه رجلا من جراد من ذهب وقال له ربه ألم أكن
أغنيتك عن هذا فقال بلى يارب ولكن لاغنى لى عن خيرك وبركتك
فالجواب ان أكابر الاولياء فضلا عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام
لاينقص كمالهم أخذ الدنيا وامساكها ثم قال قال الشيخ محيى الدين فى
الباب الرابع والتسعين يعنى من الفتوحات المكية اعلم ان الانبياء عليهم
الصلاة والسلام وكمل الاولياء ما أمسكوا الدنيا الا باطلاع عرفانى
انتج لهم ماعشقهم فى الامساك من نفع الانفس بالاقوات التى قدرالله تعالى
وصولها لاصحابها فى أوقات مخصوصة فما أمسكوا الدنيا عن بخل ولا ضعف
يقين حاشاهم من ذلك قال وانظر الى أيوب عليه السلام كيف أعطته
المعرفة المذكورة انه صار يحثو فى ثوبه من الذهب لما أمطر عليه وهو
يقول لاغنى لى عن بركتك اهـ

(شعيب عليه السلام) قال الله تعالى حكاية عن قومه (لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا) الى آخر الآيتين
قال الفخر الرازى اعترف شعيب بانه تعالى نجاه من ملتهم التى هي الكفر
ولا يعود فيها والعائد الى الشىء من كان فيه فيرجع اليه بعد مفارقته
وكذلك سبيل النجاة يعنى ان من ينجو من الشىء يكون داخلا فيه قبل
ذلك وجوابه ان العود الى الشىء قد يستعمل فيما لم يكن فيه قط فان الله
سمى القيامة معادا وان لم يكن فيها عود وكذلك النجاة قد تستعمل فيما
لم يكن فيه قبل ذلك فان السالم مما ابتلى به غيره قد يقول الحمد لله
الذى نجانا مما ابتلى به فلانا وجواب آخر وهو ان الضمير فى قوله
بعد اذ نجانا الله منها يرجع الى الملة ويجوز ان يكون شعيب قبل الوحى
اليه مكلفا بتلك الملة ثم صارت منسوخة فدعوه اليها مرة أخرى فاجابهم

بانه ليس له ان يعود اليها بعد نسخهااه

(موسى عليه السلام) تمسكوا بقوله تعالى (فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ) أى مات فان ذلك القبطى اما أن يكون مستحقاً للقتل أو لا فان كان الاول فلم قال موسى عليه السلام (هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ وَرَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) الآية (وَفَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) وان كان الثانى كان عاصيا بقتله قال الفخر الرازى وجوابه يحتمل أن يقال انه لكفره كان مستحق القتل أو انه لم يكن لكن موسى قتله خطأ وانه لم يقصد الا تخليص الذى من شيعته من ذلك القبطى فادى به ذلك الى القتل من غير قصد أما الآيات المذكورة فمن جوز الصغيرة على الانبياء حملها على ذلك فان الاستغفار والتوبة تجب من الصغيرة كما تجب من الكبيرة ومن لم يجوز الصغيرة على الانبياء قال معناه ان الله تعالى ندبه الى تأخير قتل أولئك الكفار الى حال القدرة فلما قتله قبل ذلك فقد ترك المندوب فقوله هذا من عمل الشيطان معناه اقدامى على ترك المندوب من عمل الشيطان وذكر الفخر غير ذلك على أن قتل القبطى كان قبل النبوة

(داود عليه السلام) قال الفخر الرازى فى قوله تعالى (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ) الى آخر الآيات المتعلقة فى داود عليه السلام اعلم ان الذى أقطع به عدم دلالة هذه الآية على صدور الكبيرة من داود عليه السلام وبيانه من وجوه (الاول) ان الذى حكى عن داود عليه السلام وهو انه عشق امرأة أوريا فاحتال حتى قتل زوجها فتزوجها مما لا يليق بالانبياء بل لو وصف به أفسق الملوك لكان منكراً (الثانى) ان الدخول فى دم أوريا أعظم من التزوج بامرأته فكيف ترك الله الذنب الاعظم واقتصر على ذكر الاخف (الثالث) ان السورة من أولها الى آخرها فى محاجة

منكرى النبوة فكيف يلائمها القدح في بعض أكابر الانبياء بهذا الفسق القبيح (الرابع) ان الله تعالى وصف داود عليه السلام فى ابتداء القصة باوصاف حميدة وذلك ينافي ما ذكروه من الحكاية فقد قال تعالى فى وصفه ذو الايد والايد القوة ولا شك ان المراد منه القوة فى الدين لان القوة لا فى الدين كانت موجودة فى الملوك الكفار وما استحقوا بها مدحا انما المستحق للمدح هو القوة فى الدين ولما ثبت كونه موصوفا بالقوة فى الدين ولا معنى للقوة فى الدين الا العزم الشديد على اداء الواجبات واجتناب المحظورات ولما وصفه بالقوة فاى قوة لمن لم يملك نفسه عن الفجور والقتل ووصفه تعالى بغير ذلك من أوصاف الكمال وقال وآتيناه الحكمة والحكمة اسم جامع لكل ما ينبغي علماً وعملاً فكيف يجوز أن يقول الله آتيناه الحكمة مع اصراره على ما يستنكف أخبث الشياطين منه من مزاحمة أفضل أصحابه وأحبائه فى زوجته فبان انه تعالى لما وصفه بهذه الصفة كان القول بما ذكروه من الفاحشة باطلا اذ ما قبل تلك القصة هذه الممادح وما بعدها قوله (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) وهذا أيضا من أجل الممادح فلو توسطهما ما يدل على أخس المقابح لجرى ذلك مجرى قول من يقول فلان عظيم الدرجة فى الدين على الرتبة فى طاعة الله تعالى وهو يقتل و يزنى وقد جعله الله خليفة لنفسه فكما ان هذا الكلام لا يليق بعاقل فكذا ههنا وقوله تعالى بعد تمام القصة جعلناك خليفة فى الارض ترتيب للحكم على الوصف وهو مشعر بكون الوصف علة لذلك الحكم فعلى ما ذكروه يلزم أن يكون تفويض خلافة الارض بسبب اقدامه على القتل والفسق وذلك مما لا يقول به عاقل وكذلك قوله تعالى (وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ) لا يلائم العشق

والقتل فثبت بذلك براءة نبي الله داود عليه السلام عما نسبه اليه الجهال
قال الفخر فان قلت ان كثيرا من المحدثين روى هذه الحكاية قلت هذه
الدلائل الباهرة لما ابطلت قولهم وجب القطع بفسادها فالعجب ان اتفاق
الناس على ان خبر الواحد لايفيد الا الظن والظن انما ينتفع به فى العمليات
وهذه المسألة ليست من العمليات فصارت روايتهم ساقطة العبرة من كل
الوجوه وعن سعيد بن المسيب ان علياً رضى الله عنه قال من حدثكم
بحديث داود عليه السلام على مايرويه القصاص جلدته بمائة وستين وهو
حد الفرية على الانبياء ثم قال قال كثير من أهل الحق وقوله تعالى (وَهَلْ
أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ) أخبره عن جماعة تسوروا قصر داود قاصدين
قتله والاساءة اليه فدخلوا قصره فى وقت ظنوا انه غافل فيه فلما
رآهم داود خافهم فلما رأوه مستيقظا انتقض عليهم التدبير فاخترع
بعضهم عند فزعه خصومة لاأصل لها زاعما انهم قصدوه لاجلها
قالوا خصمان بغى بعضنا على بعض ثم ادعى أحدهما على الآخر مالا
فقال ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة الآية فقال داود لقد ظلمك
الآية ثم قال الله تعالى فظن داود انما فتناه أي امتحناه لكنه لم يعمل
على ظاهر الحال ولم ينتقم منهم مع كونه ذاقوة وسلطان وقدرة بل صار
مستغفرا للقوم الذين قصدوه وطالبا من الله العفو عنهم وما قال الله تعالى
انه أذنب ولا انه استغفر لنفسه وقوله تعالى (فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ) أى غفرنا
لاجل حرمة داود لاولئك الذين آذوه وقبلنا استغفاره وشفاعته فى
التجاوز عنهم قال الفخر فهذا الذى قلناه مماينطبق عليه لفظ الكتاب العزيز
ولا يحتاج فيه الى المجاز من حمل الخصمين على الملكين وادعائهما
الخصومة على التمثيل لاعلى التحقيق وحمل النعجة على المرأة ويناسبه

أمر رسولنا عليه الصلاة والسلام بالاقتداء به فى قوله تعالى (وَاصْبِرْ كَمَا
صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) وداود منهم فقد تأدب بذلك عليه
الصلاة والسلام يوم أحد لما هشمت ثناياه فقال اللهم اهد قومي فانهم
لا يعلمون كما فعل داود مع أولئك الاشخاص الذين تسوروا قصره لاذيته
ويناسبه ماحصل عقبيه من المنصب العظيم وهو خلافة الله فى الارض
ووجه آخر وهو لعل الاستغفار انما كان لان القوم لما تسوروا ظن داود
بهم انهم يقصدون قتله فلما لم يظهر الامر كما ظن ندم على ذلك الظن
فكان الاستغفار لاجله فهذا قول من يقول لادلالة فى الآية على شىء
من الزلات والقول الثانى وهو قول من سلم دلالتها على الصغيرة فلهم
فيه وجوه خمسة (الاول) انه عليه السلام كان عالما بحسن امرأة أوريا
فلما سمع انه قتل قل غمه لميل طبعه الى نكاح زوجته فعوتب عليه
بنزول الملكين (الثانى) ان أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل
بعضهم بعضا ان ينزل عن امرأته فيتزوجها اذا أعجبته وكان ذلك
جائزا فيما بينهم فاتفق ان عين داود عليه السلام وقعت على امرأة أوريا
فاحبها فسأله النزول عنها فاستحى ان يرده ففعل فتزوجها وهي أم سليمان
عليه السلام فقيل له انك مع ارتفاع قدرك وكثرة نسائك لم يكن ينبغى
لك ان تسأل رجلا ليست له الا امرأة واحدة النزول عنها بل كان الواجب
قهر نفسك (الثالث) ان أوريا خطبها ثم خطبها داود فآثره أهلها
فكان ذنبه ان خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه (الرابع)
ان داود عليه السلام كان مشتغلا بعبادته فأتاه رجل وامرأة يتحاكمان
فنظر الى امرأة ليعرفها بعينها ليحكم لها أو عليها وذلك نظر مباح فمالت
نفسه اليها ميل الخلقة ففصل بينهما وعاد الى عبادته فشغله الفكر فى

أمرها عن بعض نوافله فعوتب (الخامس) ان الصغيرة منه انما كانت بالعجلة فى الحكم قبل التثبت وكان يجب عليه لما سمع الدعوى من أحد الخصمين ان يسأل الآخر عما عنده فيها ولا يقضى عليه قبل المسألة والمجيب بهذا الجواب قال ان الفزع من دخولهما عليه فى غير وقت العادة أنساه التثبت والتحفظ والقائلون بهذا القول حملوا التحاكم على ضرب المثال والا فيلزم اقدام الملك على الكذب وحملوا النعاج على النسوة وكل ذلك عدول عن الظاهر من غير دليل اه ﴿سليمان عليه السلام﴾ زعمت الحشوية انه عليه السلام غزا أهل دمشق فاصاب ألف فرس فقعد يوما بعد ما صلى الاولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه فغفل عن صلاة العصر أو عن ورد كان له من الذكر وقت العشى حتى غربت الشمس قالوا وهو المراد من قوله تعالى ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ ثم استرد الخيل وهو المراد بقوله ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ ثم عقرها تقربا الى الله تعالى وهو المراد بقوله ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ قال الامام الرازى واعلم ان هذه الحكاية لا دلالة فى الآية عليها البتة بل فيها ما ينافيها من وجوه خمسة وذكرها ثم قال ان هذه السورة انما وردت فى مناظرة الكفار والمقصود من هذه القصص أمر النبى عليه السلام بالصبر على مشاق التكاليف ومتاعب الطاعات وذلك لا يليق به شرح ان الانبياء كانوا تاركين للصلاة ومتهالكين في حب الدنيا بل التفسير الحق الذي ينطبق عليه اللفظ ان رباط الخيل مندوب اليه فى دينهم كما انه كذلك فى ديننا ثم ان سليمان عليه السلام جلس لتعرض عليه الخيل ثم بين ان ذلك لم يكن لحب الدنيا بل لان الله أمره على ما قال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى ثم مر بركضها حتى توارت بالحجاب أى حتي غابت عن بصره

ثم أمر بردها فطفق يمسح سوقها وأعناقها تشريفا لها وابانة لعزتها لكونها من أعظم الاعوان فى دفع العدو أولانه أراد ان ينبئ عن نفسه انه في السياسة وحفظ الدين والدنيا بحيث لا يخفى عليه شيء من مصالحه أو لانه كان أعلم بأحوال الخيل من غيره يتفحصها ويمسحها ليعلم حالها فى الصحة والسقم فهذا الذى ذكرناه كلام ينطبق عليه اللفظ ويلايمه ما قبل الآية وما بعدها وفيه تعظيم الانبياء فكان أولى مما يكون بالضد منه فان قلت فكيف تعمل باطباق الاكثرين على تلك الحكاية قلت الكلام فى تفسير كتاب الله غير وفي حكاية منفصلة عن كتاب الله تعالى غير ومقصودنا الآن هو الاول وقد بينا انه لا دلالة فى الآية على تلك الحكاية البتة بل ظاهرها ينافيها من وجوه كثيرة فاذا لم يبق الا ان يقال انها حكاية منفصلة عن كتاب الله فما قولك فيها فنقول الدلائل الباهرة من المعقول والمنقول لما دلت على وجوب عصمة الانبياء فاتباعها أولى من اتباع حكايات لا ندرى انها من رئيس الملاحدة أو من موضوعات اليهود وبالله التوفيق انتهى كلام الرازى * ويؤيده ما قاله الامام الشعرانى فى اليواقيت والجواهر وعبارته وأما الجواب عن السيد سليمان عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ فهو ان تعلم يا أخى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يوصفون بفعل سفه ولا اتلاف مال لكمالهم وانما المراد انه لما أحب الخير الذى هو المال عن ذكر ربه لا عن حكم الطبع طفق يمسح بيده على اعراف الخيل وسوقها فرحا واعجابا بخير ربه ولعلمه عليه الصلاة والسلام بأن الله تعالى يحب من عباده حب الخير وذلك الحب للخير اما ان يراد به حب الله اياه أو حب الخير من حيث وصف الخير بالحب ومعلوم ان الخير لا يحب

الا للاخيار فانهم محل وجود عينه فلذلك قال سليمان عليه الصلاة
والسلام نى أحببت حب الخير عن ذكر ربى أى انا فى الخير من حيث
المحبة كالخير فى حبه ولهذا لما توارت بالحجاب يعنى الصافنات الجياد اشتاق
اليها فقال ردوها على لانه فقد المحل الذى أوجب له هذه الصفة الملذوذة
فانها كانت محلا له *وقال الشيخ يعنى سيدى محيي الدين بن العربي في
الباب الرابع والعشرين ومائة من الفتوحات وليس للمفسرين الذين جعلوا
التوارى للشمس دليل لان الشمس ليس لها ههنا ذكر ولا الصلاة التى يزعمون
وسياق الآية لا يدل على ما قالوه فى ذلك بوجه ظاهر البتة اه قال الفخر الرازى
وتمسكوا بقوله تعالى (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا)
الآية وجوابه ان معنى فتنا سليمان امتحناه وأما قوله والقينا على كرسيه
جسدا فقد اختلفوا فيه أما الذى تقوله المحققون فاحد أمور ثلاثة
(الاول) ان النبى عليه الصلاة والسلام قال ان سليمان قال أطوف
الليلة على مائة امرأة فتلد كل منها غلاما يقاتل فى سبيل الله ولم يقل ان
شاء الله فطاف فلم تحبل الا واحدة فولدت نصف غلام فجاءت به القابلة
وألقته على كرسيه بين يديه ولو قال ان شاء الله لكان كما قال فكان
الابتلاء لاجل ترك الاستثناء (الثانى) ان الله تعالى امتحنه بمرض
شديد فصار جسد الاحراك به مشرفا على الموت كما يقال جسد بلا روح
على معنى شدة الضعف والتقدير والقينا جسده على كرسيه فحذف الهاء
للاختصار (الثالث) ولد لسليمان ولد فاحتال الشياطين في قتله وقالوا
نخاف ان يعذبنا كما يعذبنا أبوه فأمر السحاب فحملته وأمر الريح
فأخذته خوفا من الشياطين فمات الولد فألقى ميتا على سريره ابتلاء
حين خاف الشياطين واما الذى يذكره الاكثرون من القصاص من

حديث الخاتم و آصف فتلك الحكاية باطلة لم يدل على صحتها شيء فلا
يجوز الالتفات اليها

(يونس عليه السلام) قال الفخر الرازى تمسكوا بقوله تعالى (وَذَا
النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) الآية من
ثلاثة أوجه (الاول) انه ذهب مغاضبا وذلك كان محظورا ألا ترى
ان الله تعالى قال (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ)
فذلك يقتضى ان ذلك الفعل من يونس عليه السلام كان محظورا (الثانى)
قوله فظن أن لن نقدر عليه وذلك يقتضى كونه شاكا فى قدرة الله تعالى
(الثالث) قوله (إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) الجواب عن الاول ان
الآية دلت على انه ذهب مغاضبا ولم تدل على انه غاضب الله وكيف
ومغاضبة الله تعالى لا تجوز على أحد من المسلمين فكيف على النبى فلعله
انما خرج مغاضبا لقومه فلم قلتم ان ذلك معصية أما قوله ولا تكن
كصاحب الحوت فليس المراد انه ثقل عليه أعباء النبوة لضيق خلقه بل
المراد انه لم يقو على الصبر على تلك المحنة التى ابتلاه الله بها ولو صبر
لكان أفضل فاراد الله بمحمد عليه الصلاة والسلام أفضل المنازل وأعلاها
وعن الثاني ان الشك فى قدرة الله تعالى كفر ولا نزاع انه لا يجوز
اتصاف الانبياء به بل المراد ان لا نضيق الامر عليه قال الله تعالى
(وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ) وقال تعالى (يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) أى يوسع ويضيق وقال (وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ
عَلَيْهِ رِزْقَهُ) أى ضيقه وعن الثالث فالجواب عنه انه محمول على ترك الاولى فانه
يعد ظلما لانه لما كان متمكنا من فعل الاولى حتى يستحق به الثواب
العظيم وتركه من غير موجب فقد ترك حظ نفسه ومثل هذا يجوزان

يسمى ظالماً لنفسه لان حقيقة الظلم وضع الشيء في غير موضعه وههنا كذلك

(لوط عليه السلام) تمسكوا بقوله تعالى اخباراً عنه ﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ عرض بالفاحشة مع بناته وذلك كبيرة دالة على سقوط النفس وجوابه ان مراده عقد النكاح بدليل قوله ﴿ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ ولا طهارة في الزنا فان قيل كيف يجوز تزويج المسلمة من الكافر فالجواب إن ذلك مما يختلف باختلاف الشرائع فقد يكون جائزاً في شريعتهم أو انه عليه السلام أراد مدافعتهم وتسويفهم لان الرسل كانوا أخبروه بهلاكهم عند الصبح أو ان المراد ببناته بنات أمته فهم في حكم بناته لان الرسول كالاب لامته

(زكريا عليه السلام) تمسكوا بقوله تعالى ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ قالوا فقد شك في قدرة الله تعالى والجواب عن ذلك كما ذكره الفخر الرازي في تفسير سورة مريم ان المقصود من قوله أنى يكون لي غلام هو التعجب من انه تعالى يجعلهما شابين ثم يرزقهما الولد أو يتركهما شيخين ويرزقهما الولد مع الشيخوخة بطريق الاستعلام والاستفهام لا بطريق التعجب والدليل عليه قوله تعالى ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ وما هذا الاصلاح الا أنه أعاد قوة الولادة ويجاب أيضاً بان قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيي ليس نصا في كون ذلك الغلام ولدا له بل يحتمل ان زكريا عليه السلام راعى الادب

ولم يقل هذا الغلام هل يكون لي ولدا أم لا بل ذكر اسباب تعذر حصول الولد في العادة منه ومن امرأته حتى ان تلك البشارة ان كانت لولد منه فالله تعالى يزيل الايهام ويجعل الكلام صريحا فلما ذكر ذلك صرح الله تعالى بكون ذلك الولد منه فكان الغرض من كلام زكريا هذا لا أنه كان شاكا في قدرة الله تعالى عليه وذكر أجوبة أخرى وفي هذا القدر كفاية

(عيسى عليه السلام) قوله تعالى عنه ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ قالوا كيف جاز لعيسى عليه السلام أن يقول وان تغفر لهم والله لا يغفر الشرك والجواب كما قال الفخر الرازي في تفسيره في آخر سورة المائدة انه يجوز على مذهبنا من الله تعالى أن يدخل الكفار الجنة وان يدخل الزهاد والعباد النار لان الملك ملكه ولا اعتراض لاحد عليه فذكر عيسى عليه السلام هذا الكلام ومقصوده منه تفويض الامور كلها الى الله تعالى وترك التعرض والاعتراض بالكلية ولذلك ختم الكلام بقوله فانك أنت العزيز الحكيم يعني أنت قادر على ما تريد حكيم في كل ما تفعل لا اعتراض لاحد عليك فمن أنا والخوض في أحوال الربوبية قال وقوله ان الله لا يغفر الشرك نقول في جوابه ان غفرانه جائز عندنا وعند جمهور البصريين من المعتزلة قالوا بان العقاب حق الله على المذنب وفي اسقاطه منفعة للمذنب وليس في اسقاطه على الله مضرة فوجب أن يكون حسنا ولكن دل الدليل السمعي في شرعنا على انه لا يقع فلعل هذا الدليل السمعي ما كان موجودا في شرع عيسى عليه السلام وأجاب باجوبة أخرى وفي هذا كفاية

الباب السابع من القسم الاول فى الجواب عن الاحاديث

(التى زعم المعترض وجود مناقضات فيها)

اعلم ان الاحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم لها مراتب فمنها الصحيح ومنها الحسن ومنها الضعيف وكل منها درجات في القوة والضعف والاتصال والانقطاع وغير ذلك من الاوصاف المبينة فى علم مصطلح الحديث ومنها الخاص ومنها العام ومنها المتقدم تاريخ صدوره من النبى صلى الله عليه وسلم ومنها المتأخر فالقوى لايعارضه الضعيف والمتصل لا يعارضه المنقطع والعام يحمل على الخاص والمتأخر ينسخ المتقدم اذا لم يمكن العمل بهما معاً واذا اتحدا في القوة والاتصال ولم يتبين المتقدم من المتأخر فلها محامل وتأويلات أخر نبهوا عليها فى كتب الاصول والفقه وشروح الحديث وذكروا أسباب ترجيح العمل باحدهما على الآخر وكل من له المام فى علم الشريعة المحمدية يعلم ذلك وعقد له فى جمع الجوامع كتاباً مستقلا فقال الكتاب السادس في التعادل والتراجيح فارجع اليه انشئت ومماقاله فيه ان العمل بالمتعارضين ولو من وجه أولى من الغاء أحدهما قال شارحه الامام المحلى مثاله حديث الترمذى وغيره أيما اهاب دبغ فقد طهر مع حديث أبي داود والترمذى وغيرهما لاتنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب الشامل للاهاب المدبوغ وغيره فحملناه على غيره جمعا بين الدليلين اه فهذامن جملة التناقضات التى ذكرها المعترض وكلها أوجلها مذكور مع أجوبته فى كتاب منتقى الاخبار وشرحه نيل الاوطار للامام الشوكانى والظاهر ان هذا المعترض نقلها منه ولكنه قدم وأخر ليلبس الامر ويخفى ماأتى به من الكيد والمكر وزعم انه حذف أسانيدها للاختصار موهما انه أخذها من البخارى ومسلم وغيرهما من كتب

الاحاديث المسندة للائمة الكبار وهاأناأذكر اعتراضاته على الترتيب واتبع كل اعتراض بجوابه وقد لخصت جميع ذلك من منتقى الاخبار للامام عبد السلام ابن تيمية جد الامام تقى الدين وشرحه نيل الاوطار للامام محمد ابن على الشوكانى رحمهما الله تعالى ماعدا أربعة عشر جواباً وهي أجوبة الاعتراض (١ و ٣ و٤ و٢٨ و٢٩ و ٣٠ و٣٧ و٤٤ و٤٩ و٦٢ و ٦٨ و٧٦ و٧٧ و٧٨) فقد أخذت اكثرهذه الاربعة عشر من كشف الغمة للامام الشعرانى رضى الله عنه وعزوت ذلك اليه في مواضعه والله ولى التوفيق وهو الهادى الى أوضح سبيل واقوم طريق وها أنا اشرع فى ذلك فاقول (١) حديث أنس الماء طهور لاينجسه شيء ذكره الامام الشعرانى فى كشف الغمة قال وزاد فى رواية أخرى الاماغلب على طعمه ولونه وريحه فرواية الزيادة مخصصة لعموم الرواية الاخرى وقال أيضاً كان الصحابة لايرون التطهر بما عدا الماء من سائر المائعات عملا بقوله صلى الله عليه وسلم الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو الى عشر سنين فاذا وجدت الماء فأمسه بجلدك فانه خير قال وكان ابن مسعود يقول قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن مافى اداوتك قلت نبيذ قال تمرة طيبة وماء طهور فتوضأ منه قال وحمل هذا العلماء على غير المتغير بقرينة قوله وماء طهور وبقرينة قوله فى الحديث المتقدم الا ماغلب على طعمه ولونه وريحه فان الماء اذا خرج من طبعه واسمه خرج عن اسم الماء انتهي كلام الشعراني فنسخه المعترض ومسخه وزعم ان فيه تناقضاً ولا صحة لقوله قالوا ان الحديثين الاولين مخففان والحديثين الآخرين مشددان فان هذه العبارة يستعملها الامام الشعراني في الميزان وبعض كتبه في شأن مذاهب الفقهاء لافى الاحاديث (٢) حديث الترمذى أيما اهاب دبغ

فقد طهر لايناقضه حديثه مع أبى داود وغيره لاتنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب لان هذا محمول على غير المدبوغ جمعا بين الدليلين (٣) حديث أم سلمة عند البيهقى قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لابأس بمسك الميتة أى جلدها اذا دبغ ولا بصوفها وشعرها اذا غسل بالماء أخذ به بعض الائمة فقالوا بطهارة الشعر بالدباغ والامر بدفن شعرها فى الحديث الآخر محمول على ما اذا كان قبل الدباغ (٤) الاحاديث الواردة فى نجاسة العاج وهو عظم الفيل أخذ بها بعض الائمة كالشافعى ولم تصح عنده الاحاديث الواردة فى طهارة العاج مع انها صحت عند بعض الائمة كأبى حنيفة فقال بطهارته (٥) الاحاديث الدالة على طهارة المشركين وآنيتهم هي التي أخذ بها الجماهير من السلف والخلف ولا يعارضها حديث أبى ثعلبة المتفق عليه المأمور فيه بغسلها لان الغسل لتلوثها بالخمر ولحم الخنزير كما ثبت فى رواية أحمد وأبى داود عنه انهم يأكلون لحم الخنزير ويشربون الخمر قال فى نيل الاوطار وقد ذهب بعض أهل العلم الى المنع من استعمال آنية الكفار حتى تغسل اذا كانوا ممن لاتباح ذبيحته وكذلك من كان من النصارى بموضع متظاهر فيه بأكل لحم الخنزير أو يذبح بالسن والظفر ونحو ذلك وانه لابأس بآنية من سواهم جمعا بذلك بين الاحاديث واستحب بعضهم غسل الكل لحديث دع مايريبك الى مالا يريبك (٦) حديث ابن عمر مرفوعا من توضأ وذكر اسم الله عليه كان طهورا لجميع بدنه ومن توضأ ولم يذكر اسم الله عليه كان طهورا لاعضائه أخرجه الدارقطنى والبيهقى لايعارضه حديث أبى هريرة عند أحمد وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم لاوضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه لان هذا محمول على الكمال قال في نيل الاوطار وصرح ابن سيد الناس في شرح الترمذي بانه قد روى

فى بعض الروايات لاوضوء كاملا وقد استدل به الرافعى (٧) حديث مسح الاذنين بماء جديد خلاف الماء الذى مسح به رأسه رواه الحاكم وغيره عن ابن وهب لم يصح عند الآخذين بحديث ابن عباس الذى رواه الترمذى وصححه أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح برأسه وأذنيه ولم يذكر فيه للاذنين ماء جديدا (٨) حديث المهاجر بن قنفذ الذى رواه أحمد وغيره انه سلم على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه فرد عليه وقال انه لم يمنعنى ان أرد عليك الا انى كرهت ان أذكر الله الا على طهارة لايعارضه حديث عائشة المتفق عليه انه كان صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه لانه يمكن الجمع بأن هذا الحديث خاص فيخص به ذلك العموم ويمكن حمل الكراهة على كراهة التنزيه (٩) حديث عائشة المتفق عليه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبل قائما لاينفى اثبات من اثبت وقوع البول منه صلى الله عليه وسلم حال القيام كما رواه حذيفة لان الغالب من فعله هو القعود والظاهر ان بوله قائما لبيان الجواز (١٠) حديث عائشة الذى رواه أبو داود ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقبل بعض أزواجه ثم يصلى لم يصح وان صح فهو محمول على ما كان عليه الامر قبل نزول الوضوء من اللمس أى على ان لامستم النساء فى الآية بمعنى لمستم وهو مادون الجماع (١١) حديث بسرة بنت صفوان المتفق عليه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من مس ذكره فلا يصل حتى يتوضأ لايعارضه حديث طلق بن على عند الترمذى وغيره بلفظ الرجل يمس ذكره أعليه وضوء فقال صلى الله عليه وسلم انما هو بضعة منك لان الاول أرجح عند القائلين بنقض الوضوء لكثرة طرقه وصحتها وكثرة من صححه من الأئمة وحديث طلق بن على

أصح منه عند القائلين بعدم النقض فلا معارضة بينهما (١٢) حديث أنس عند الدارقطني احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضا ولم يزد على غسل محاجمه لايعارضه حديث عائشة عند ابن ماجه والدارقطني قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابه قيء أو رعاف أو قلس أو مذى فلينصرف فليتوضأ ثم ليبن على صلاته وهو فى ذلك لايتكلم لان هذا لم يثبت عند الائمة الذين أخذوا بحديث أنس فقالوا ان خروج الدم لاينقض الوضوء (١٣) روى مسلم من حديث بريدة كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ عند كل صلاة فلما كان يوم الفتح صلى الصلوات بوضوء واحد فقال له عمر انك فعلت شيئا لم تكن تفعله فقال عمدا فعلته أى لبيان الجواز واستدل الدارمي فى مسنده على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم لاوضوء الامن حدث (١٤) قال الامام الشعرانى في كشف الغمة وكان صلى الله عليه وسلم لايترك المضمضة والاستنشاق في أكثر اغتسالاته فقوله فى أكثر اغتسالاته دليل على سنية المضمضة والاستنشاق وعدم وجوبهما وهومذهب الشافعى فقوله من ترك المضمضة والاستنشاق في غسل الجنابة أعاد الصلاة غير صحيح (١٥) حديث الشيخين ان عائشة قالت كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من اناء واحد تختلف أيدينا فيه من الجنابة لايعارضه حديث الحكم بن عمرو الغفارى الذى رواه الترمذى وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يتوضأ الرجل بفضل طهور المرأة لانه ليس بصحيح كما قال البخارى وبفرض صحته هو محمول على الماء الذى يتساقط من أعضاء الوضوء لكونه قد صار مستعملا والجواز على مابقى من الماء وجمع الحافظ ابن حجر فى الفتح بحمل النهي على التنزيه بقرينة أحاديث

الجواز (١٦) حديث عائشة الذى رواه الجماعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضأ وضوءه للصلاة لايعارضه حديث عائشة أيضا الذى رواه أبو داود والترمذى انه صلى الله عليه وسلم كان ينام وهو جنب ولا يمس ماء لان المراد بالماء ماء الغسل ومع ذلك فهذا الحديث قال الامام أحمد انه ليس بصحيح وقال أبو داود هو وهم وقال يزيد بن هارون هو خطأ (١٧) حديث عائشة انها استعارت من أسماء قلادة فهلكت فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا في طلبها فوجدوها فادركتهم الصلاة وليس معهم ماء فصلوا بغير وضوء فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا ذلك اليه فانزل الله عز وجل آية التيمم رواه جماعة الاالترمذى لايعارضه حديث البيهقى لايقبل الله صلاة بغير طهور لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يأمرهم بذلك وانما كانوا مجتهدين لئلا تفوتهم الصلاة ولذلك شكوا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فاين المعارضة (١٨) حديث لايؤم المتيمم المتوضئين المذكور فى نيل الاوطار لايعارضه صلاة ابن عباس بجماعة وهو متيمم لانه مجتهد فى ذلك وقد يكون لم يبلغه ذلك الحديث (١٩) ان صح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه اغتسل فرأى لمعة على منكبه لم يصبها الماء فاخذ خصلة من شعر رأسه فعصرها على منكبه ثم مسح بيديه ذلك المكان يحمل على مابعد الغسلة الاولى فان ماءها مستعمل برفع الجنابة وأما ماء الغسلة الثانية والثالثة فلا استعمال فيه (٢٠) حديث أبى هريرة اذا شرب الكلب فى اناء أحدكم فليغسله سبعا متفق عليه وقول المعترض وفى حديث آخر فاغسلوه ثلاثا أو خمسا أو سبعا ليس بصحيح وانما روى الطحاوى والدارقطنى موقوفا على أبى هريرة انه يغسل

من ولوغه ثلاث مرات فهو من قول أبي هريرة ولا يعارض الحديث اذ لاحجة فى قول أحد مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان أبا هريرة أفتي بذلك لاعتقاده ندبية السبع لاوجوبها (٢١) حديث الشيخين وغيرهما عن كبشة بنت كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى الهرة انها ليست بنجس لا يعارضه حديث أبي هريرة الذى رواه أحمد وغيره ان السنور سبع المقتضى نجاسة سؤرها لان الاول مصرح بانها ليست بنجس فيخصص به عموم حديث السباع بعد تسليم ورود مايقضى بنجاسة السباع وما ذكره المعترض من ورود حديث بغسل الاناء من الهر كما يغسل من الكلب الخ فليس بصحيح (٢٢) حديث أنس المتفق عليه ان رهطا من عكل أو عرينة قدموا فاجتووا المدينة أى استوخموها فامر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بلقاح أى نوق ذات لبن وأمرهم أن يخرجوا فيشربوا من أبوالها والبانها لايعارض الاحاديث التي فيها نجاسة البول لان هذا لضرورة التداوى (٢٣) حديث أبي بكرة ان النبى صلى الله عليه وسلم رخص للمسافر ثلاثة أيام ولياليهن وللمقيم يوما وليلة اذا تطهر فلبس خفية ان يمسح عليهما رواه الشافعي وغيره وصححوه لايعارضه حديث ترخيصه صلى الله عليه وسلم سبعاً فى رواية فقد قال البخاري وغيره ان اسناده ليس بالقوى وانه لم يثبت (٢٤) حديث أبي سعيد المتفق عليه غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم والسواك وان يمس من الطيب مايقدر عليه لايعارض حديث سمرة بن جندب المتفق عليه أيضا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من توضأ للجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فذلك أفضل لانه أراد بلفظ الوجوب تأكيدا استحبابه كما تقول حقك على واجب

والعدة دين بدليل انه قرنه بما ليس بواجب بالاجماع وهو السواك والطيب (٢٥) حديث أنس الذى رواه الجماعة الا البخارى في شأن الحائض اصنعوا كل شيء الا النكاح وفى لفظ الا الجماع لايعارضه حديث عائشة كانت احدانا اذا كانت حائضا فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يباشرها امرها ان تأتزر بازار فى فور حيضتها ثم يباشرها متفق عليه فان معنى يباشرها هنا التقاء البشرتين لا الجماع بدليل حديث حزام ابن حكيم عن عمه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم مايحل لى من امرأتي وهي حائض قال لك ما فوق الازار رواه أبو داود (٢٦) نقل فى نيل الاوطار عن الامام النووى انه روى عن عائشة انها قالت المستحاضة تغتسل كل يوم غسلا واحدا وعن ابن المسيب والحسن قالا تغتسل من صلاة الظهر الى صلاة الظهر وذهب الجمهور الى أنه لايجب عليها الاغتسال لشيء من الصلوات ولا فى وقت من الاوقات الا مرة واحدة فى وقت انقطاع حيضها قال النووى وبهذا قال جمهور العلماء قال وأما الاحاديث الواردة بامرها بالغسل لكل صلاة فليس فيها شيء ثابت وانما تتوضأ لكل صلاة للاحاديث الواردة فى ذلك وقد ذهب اليه الشافعى وغيره (٢٧) حديث جبريل الذى رواه الترمذى وفيه انه صلى بالنبى صلى الله عليه وسلم العشاء حين غاب الشفق ثم جاءه فصلى به العشاء حين ذهب نصف الليل أو قال ثلث الليل وكذلك صلى به سائر الفرائض في وقتين ثم قال له الوقت فيما بين هذين الوقتين لايعارض الحديث الدال على ان وقت العشاء يمتد الى طلوع الفجر لان حديث جبريل فيه بيان وقت الاختيار والثانى فيه بيان وقت الجواز وهو ما رواه مسلم عن أبي قتادة ليس فى النوم تفريط انما التفريط على من لم يصل الصلاة

حتى يجيء وقت الصلاة الاخرى وهو ظاهر فى امتداد وقت كل صلاة الى دخول وقت الصلاة الاخرى الا صلاة الفجر فانها مخصوصة من هذا العموم بالاجماع (٢٨) قال الامام الشعرانى فى كشف الغمة وكان أبو هريرة يقول لا يؤذن المؤذن الا متوضأ وكان وائل بن حجر يقول حق وسنة مسنونة أن لا يؤذن المؤذن الا وهو طاهر قائم اهـ فالوضوء فى الأذان سنة لا فرض فلا معارضة بين ذلك وبين قول ابراهيم النخعى كانوا لا يرون بأسا أن يؤذن الرجل عن غير وضوء وقول المعترض وردت اختلافات كثيرة في الأذان مع اقامة الصلاة ليست هي من الاختلاف الممنوع وانما وردت كيفيات للآذان والاقامة أخذ بعض الائمة بهذه وبعض الائمة بهذه (٢٩) قال الشعرانى كانت عائشة رضى الله تعالى عنها تؤذن للنساء وتؤمهن وتنهى عن أذان المرأة للرجال اهـ ولو صح عنها انها كانت تارة تجمع بين الاذان والاقامة وتارة تصلى بغير اقامة لا يكون في ذلك تناقض لان الاقامة للصلاة هى سنة لا فرض وكذلك الاذان (٣٠) الاذان فى السفر للصبح دون غيرها تارة والاذان لجميع الفرائض تارة أخرى لا تناقض بينهما لان الاذان هو ليس من اركان الصلاة حتى يترتب على تركه فى بعض الفرائض ان صح ذلك محذور (٣١) حديث أنس عند الجماعة أمر صلى الله عليه وسلم بلالا ان يشفع الاذان ويوتر الاقامة وغيره من أحاديث افراد الاقامة لا يعارضها أحاديث تثنيتها لان أحاديث الافراد أصح لكثرة طرقها وكونها فى الصحيحين وذهب بعض الائمة الى ان أحاديث افرادها منسوخة باحاديث تثنيتها التأخر تاريخها (٣٢) حديث وائل بن حجر الذى رواه ابن خزيمة وصححه قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده اليمنى على يده

اليسرى على صدره لا يعارضه قول على رضى الله عنه ان من السنة في الصلاة وضع الكف على الكف تحت السرة رواه أحمد وأبو داود لان الاول أصح وقد صحح الثانى عند بعض الائمة فاخذ به (٣٣) حديث عبادة بن الصامت ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب رواه الجماعة لا يعارضه حديث أقرأ ما تيسر معك من القرآن لانهم حملوه على ان المتيسر كان هو الفاتحة وقد فسر بعض الائمة ما تيسر بمطلق القرآن وقالوا انه ناسخ لحديث الفاتحة (٣٤) زيادة لفظ فصاعدا على قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب أعلها البخارى فلا معارضة حينئذ بين الروايتين لان رواية عدم الزيادة صحيحة وقد رواها الجماعة (٣٥) أحاديث الجهر بالبسملة أخذ بها بعض الائمة وأحاديث الاسرار بها أخذ بها بعضهم وأطال فى نيل الاوطار الكلام فى ذلك فراجعه ان شئت (٣٦) حديث ابن عمر المتفق عليه كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة رفع يديه حتى يكونا بحذو منكبيه ثم يكبر فاذا أراد أن يركع رفعهما مثل ذلك واذا رفع رأسه من الركوع رفعهما كذلك أيضا وقال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد لا يعارضه حديث ابن مسعود عند أبي داود والترمذى انه قال لأصلين لكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى فلم يرفع يديه الا مرة واحدة لان الاول أصح وقد أخذ بالثانى بعض الائمة (٣٧) حديث أبى هريرة المتفق عليه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة يكبر حين يقوم ثم يكبر حين يركع ثم يقول سمع الله لمن حمده حين يرفع صلبه من الركعة ثم يقول وهو قائم ربنا ولك الحمد الحديث لا يعارضه حديث أبى هريرة

أيضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما جعل الامام ليؤتم به وفيه واذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا لك الحمد أخرجه الشيخان لان أمر المؤتم بالتحميد في الحديث الثاني لاينافي مشروعيته للامام في الحديث الاول (٣٨) حديث وائل بن حجر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه واذا نهض رفع يديه قبل ركبتيه رواه الشيخان وغيرهما يدل على مشروعية وضع الركبتين قبل اليدين ورفعها عند النهوض قبل رفع الركبتين والى ذلك ذهب جمهور العلماء وهو ناسخ لحديث أبي هريرة القائل بوضع اليدين قبل الركبتين وبعضهم أخذ بحديث أبي هريرة ولم يقل بالنسخ وروى عن مالك جواز الامرين (٣٩) حديث أنس قال كنا نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شدة الحر فاذا لم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته من الارض بسط ثوبه فسجد عليه رواه الجماعة لايعارضه حديث خباب ابن الارت الذي رواه الحاكم والبيهقي بلفظ شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرمضاء في جباهنا واكفنا فلم يشكنا لانه يجمع بين الحديثين بان الشكاية كانت لاجل تأخير الصلاة حتى يبرد الحر لا لاجل السجود على الحائل اذ لو كان كذلك لاذن لهم بالحائل المنفصل فقد كان صلى الله عليه وسلم يصلي على الخمرة وهي كالسجادة ولايعارضه ماورد في السجود على الثياب المتصلة لان جميعه محمول على وجود العذر من نحو الحر والطين وقد أخذ بكل جماعة من الائمة (٤٠) حديث وائل ابن حجر انه قال في صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قعد فافترش رجله اليسرى ووضع كفه اليسرى على فخذه وركبته اليسرى وجعل حد مرفقه الايمن على فخذه اليمنى ثم قبض ثنتين من أصابعه

وحلق حلقة ثم رفع أصبعه فرأيتها يحركها يدعو بها رواه أحمد والنسائي وأبو داود قال البيهقي يحتمل أن يكون مراده بالتحريك الاشارة بها لاتكرير تحريكها حتى لايعارض حديث ابن الزبير عند أحمد وغيره وصححه ابن حبان بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بالسبابة ولا يحركها ولا يجاوز بصره اشارته وروى عن ابن عباس في الاشارة انه قال هي الاخلاص وقال مجاهد مقمعة الشيطان ولم يذكر هذا حديثاً وقد قال بتكرار تحريكها بعض الائمة (٤١) حديث ابن مسعود في التشهد التحيات لله الى آخره رواه الجماعة لايعارضه حديث زيد بن علي بسم الله وبالله الى آخره لان الاول أصح قال النووي واتفق العلماء على جواز التشهدات كلها الثابتة من وجه صحيح (٤٢) حديث الفخذ عورة رواه مالك وأحمد وأبو داود والترمذي وحسنه لايعارضه حسر النبي صلى الله عليه وسلم الازار عن فخذه لان هذا خاص به ومع ذلك فانه أخذ به بعض الائمة فقال ان الفخذ ليس بعورة ولكن الجمهور على الاول (٤٣) حديث أبي هريرة ان سائلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في ثوب واحد فقال أو لكلكم ثوبان رواه الجماعة لايعارضه قول ابن مسعود انما كانت الصلاة في الثوب الواحد غير مكروهة وفي الأثواب قلة لان هذا مذهب له انفرد به (٤٤) حديث الرجل يجد في الصلاة شيئاً لاينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً لايعارضه انه اذا قاء في صلاته ينصرف ويتوضأ لان هذا غير ذاك والقيء أمر محقق وخروج شيء كالفساء موهوم فلا يخرج حتى يتحققه بصوت أو ريح (٤٥) حديث ابن مسعود المتفق عليه كنا نسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة فيرد علينا فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا فقلنا يارسول

الله كنا نسلم عليك فى الصلاة فترد علينا فقال ان في الصلاة لشغلا وفى رواية لاحمد والنسائى فقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحدث من أمره ما يشاء وانه قد أحدث من أمره ان لا تتكلم فى الصلاة لا يعارضه شىء من الاحاديث وانما هو ناسخ ومنسوخ (٤٦) حديث عائشة الذى رواه الجماعة الا الترمذى قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاته من الليل وانا معترضة بينه وبين القبلة اعتراض الجنازة فاذا أراد أن يوتر أيقظنى فأوترت وغيره من الاحاديث الدالة على عدم قطع الصلاة بمرور شىء امام المصلى لا يعارضها حديث أبي هريرة عند مسلم وأحمد وابن ماجه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يقطع الصلاة المرأة والكلب والحمار وغيره من الاحاديث الواردة في هذا المعنى لان الآخذين بالاول فى عدم قطع الصلاة بذلك وهم جمهور العلماء من السلف والخلف تأولوا الاحاديث الاخرى على ان المراد بالقطع نقص الصلاة لشغل القلب بهذه الاشياء وليس المراد ابطالها ومنهم من يدعى النسخ بالحديث الآخر لا يقطع الصلاة شىء (٤٧) حديث محجن بن الادرع قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد فحضرت الصلاة فصلى يعنى ولم أصل فقال لي ألا صليت قلت يارسول الله انى قد صليت فى الرحل ثم أتيتك قال فاذا جئت فصل معهم واجعلها نافلة رواه أحمد وهو مخصوص من عموم حديث ابن عمر الذى رواه أحمد وغيره وهو قوله انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تصلوا صلاة فى يوم مرتين فلا تعارض بينهما قال فى نيل الاوطار قال في الاستذكار اتفق احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه على ان معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا تصلوا صلاة فى يوم مرتين ان ذلك ان يصلى الرجل صلاة مكتوبة عليه ثم يقوم بعد الفراغ منها فيعيدها

على جهة الفرض أيضاً وأما من صلى الثمانية مع الجماعة على انها نافلة اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم فى أمره بذلك فليس ذلك من اعادة الصلاة فى يوم مرتين لان الاولى فريضة والثانية نافلة فلا اعادة حينئذ (٤٨) حديث البراء بن عازب ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقنت فى صلاة المغرب والفجر حديث صحيح رواه مسلم وغيره ثم أجمعوا على نسخه فى المغرب واختلفوا في الفجر ولا تعارض فى شىء من ذلك (٤٩) الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم في الصلاة فرض عند بعض الائمة كالشافعى وسنة عند بعضهم ولا يناقض مذهب مجتهد مذهب مجتهد آخر (٥٠) حديث عبادة بن الصامت ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب رواه الجماعة يشهد له ما أخرجه البيهقى عن على رضى الله عنه مرفوعاً بلفظ كل صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج والخداج الناقصة ماذكره المعترض من ان بعضهم قال لعلى انى صليت فلم أقرأ قال أتممت الركوع والسجود قال نعم قال تمت صلاتك لا يعارض حديثه الاول الموافق لما رواه الجماعة لان ذلك أصح (٥١) حديث أبي سعيد الذى رواه احمد وأبو داود ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى فخلع نعليه فخلع الناس نعالهم فلما انصرف قال لهم لم خلعتم قالوا رأيناك خلعت فخلعنا فقال ان جبريل أتانى فأخبرنى ان بهما خبثاً فاذا جاء أحدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما فان رأى خبثاً فليمسحها بالارض ثم ليصل فيهما قال في نيل الاوطار وفي رواية أبى داود قذرا قال جمهور العلماء ان المراد بالقذر هو الشىء المستقذر كالمخاط والبصاق ونحوهما ولا يلزم من القذر ان يكون نجساً انتهى وفي كشف الغمة عن ابن عمر انه صلى مرة فوجد فى ثوبه دما فوضعه ومضى فى صلاته اهـ

فيحمل على ان ذلك الدم من القليل المعفو عنه الذى لا يبطل الصلاة وانما وضعه
تنزهاعنه (٥٢) حديث أبي هريرة عند أبي داود ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا وطىء أحدكم بنعله الاذى فان التراب له طهور ونحوه
من الاحاديث الدالة على هذا المعنى الظاهر انها لم تصح عند الشافعى
القائل بوجوب غسل النجاسة (٥٣) حديث عائشة قالت لقد رأيتنى أفرك
المنى من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يذهب فيصلى فيه رواه
الجماعة الا البخارى ولاحمد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلت
المنى من ثوبه بعرق الاذخر ثم يصلى فيه ويحته من ثوبه يابسا ثم يصلى
فيه وفى لفظ متفق عليه كنت أغسله من ثوب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم يخرج الى الصلاة وأثر الغسل في ثوبه بقع الماء وللدارقطنى عنها
كنت أفرك المنى من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يابسا
وأغسله اذا كان رطبا قال ابن تيمية صاحب منتقى الاخبار فقد بان من
مجموع النصوص جواز الامرين (٥٤) حديث أبي هريرة قال قام
اعرابي فبال فى المسجد فقام اليه الناس ليقعوا به فقال النبي صلى الله
عليه وسلم دعوه وأريقوا على بوله سجلا من ماء أو ذنوبا من ماء فانما
بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين رواه الجماعة الا مسلما لا يعارضه
حديث زكاة الارض يبسها لانه لا أصل له في المرفوع (٥٥) حديث
ابن عباس عند ابن ماجه وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من
سمع النداء فلم يأت الصلاة فلا صلاة له الا من عذر لا ينافيه ما ورد في
جواز الصلاة فى البيت لان هذا محمول على الافضلية (٥٦) حديث
ابن عباس لا يؤم الغلام حتى يحتلم رواه الاثرم فى سننه حمله بعض الائمة
على الفرائض وحمل الاحاديث الواردة فى جواز امامة الصبى على النوافل

كصلاة التراويح (٥٧) حديث على بن شيبان ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأى رجلا يصلى خلف الصف فوقف حتى انصرف الرجل فقال
له استقبل صلاتك فلا صلاة لمنفرد خلف الصف رواه أحمد وابن ماجه
لا يعارض حديث أبي بكرة عند البخارى وغيره انه انتهى الى النبى صلى
الله عليه وسلم وهو راكع فركع قبل أن يصل الى الصف فذكر ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم فقال زادك الله حرصا ولا تعد لان الاول محمول
على ندب الاعادة (٥٨) حديث ابن مسعود عند الدارقطنى قال نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوم الامام فوق شيء والناس خلفه
يعنى أسفل منه لا يعارضه حديث أبي هريرة انه صلى على ظهر المسجد
بصلاة الامام رواه سعيد بن منصور فى سننه لان الاول محمول على
الكراهة والثانى على الجواز (٥٩) أحاديث العدد في صلاة الجمعة لم
يصح منها شيء عند بعض العلماء وصح بعضها عند بعضهم فاختلفوا
فى العدد الذى تجوز به ولكل مستند يستند اليه ففى المسألة اختلاف
مذاهب لا مناقضة أحاديث وفصل ذلك فى نيل الاوطار فراجعه ان
شئت (٦٠) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبى صلى
الله عليه وسلم كبر فى عيد ثنتى عشرة تكبيرة سبعا فى الاولى وخمسا فى
الآخرة رواه أحمد وابن ماجه لا يعارضه حديث أبي موسى كان يكبر
أربعا تكبيره على الجنازة فقد اختلف فى رفعه الى النبى صلى الله عليه
وسلم والمشهور انهم اسندوه الى ابن مسعود فافتاهم بذلك قال فى نيل
الاوطار وقد اختلف العلماء فى عدد التكبيرات في صلاة العيد فى الركعتين
وفى موضع التكبير على عشرة أقوال ثم ذكرها فهي اختلاف مذاهب
ولكل مستند لا مناقضة أحاديث كما يزعمه المعترض (٦١) وورد لصلاة

الكسوف عدة كيفيات عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد أخذ بكل بعض الائمة فكلها جائزة ولا تناقض في شيء منها فذهب مالك والشافعي وأحمد والجمهور الى أنها ركعتان فى كل ركعة ركوعان وهي الصفة التى وردت بها الاحاديث الصحيحة ومذهب العترة انها ركعتان في كل ركعة خمسة ركوعات لحديث أبى الوارد فى ذلك وقال أبو حنيفة والثورى والنخعى انها ركعتان كسائر النوافل فى كل ركعة ركوع واحد لحديث النعمان وسمرة فى ذلك وقال حذيفة فى كل ركعة ثلاث ركوعات لحديث جابر وابن عباس وعائشة فى ذلك وجمع بعضهم بين الاحاديث بتعدد الواقعة وان الكسوف وقع مراراً فيكون كل من هذه الاوجه جائزاً والى ذلك ذهب اسحاق قال بعض ائمة الشافعية ويجوز العمل بجميع ما ثبت من ذلك وهو من الاختلاف المباح (٦٢) قال الامام الشعرانى في كشف الغمة كانت الصحابة رضى الله عنهم لا يصلون لمثل الزلازل وكان عمر يخطب للزلزلة ولا يصلى وكان ابن عباس يصلى للزلزلة ركعتين فى كل ركعة ركوعان ثم يقول هكذا صلاة الآيات فهى مذاهب للصحابة وليست من الاحاديث وليس بين المذاهب تناقض اذ لكل واحد منهم دليل غير دليل الآخر (٦٣) حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرجل و بين الكفر ترك الصلاة رواه الجماعة الا البخارى والنسائي يدل على ان ترك الصلاة من موجبات الكفر وهو محمول على من تركها مستحلا ومنكراً لوجوبها الا أن يكون قريب عهد بالاسلام أو لم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة ولا خلاف في كفر هذا بين المسلمين أما من تركها تكاسلا مع اعتقاده بوجوبها كما هو حال كثير من الناس فهو فاسق فان تاب والا قتل حدا لا كفرا وهو مذهب

الشافعى ومالك والجماهير من السلف والخلف وذهب أبو حنيفة الى أنه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلى وذهب جماعة من السلف الى أنه يكفر يعنى من تركها كسلا وهو مروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو احدى الروايتين عن أحمد بن حنبل وبه قال عبد الله بن المبارك واسحاق بن راهويه وهو وجه لبعض أصحاب الشافعى ذكر ذلك فى نيل الاوطار ثم ذكر أدلة كل منهم (٦٤) حديث جابر عند البخارى وغيره ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر بدفن قتلى أحد فى دمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم لا يعارضه ما ورد من رواية الصلاة عليهم فان أسانيدها لم تثبت عند بعض الائمة كالشافعى فقال بعدم الصلاة على الشهيد وثبتت عند بعض الائمة كأبى حنيفة فقالوا يصلى عليه (٦٥) حديث ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الجنازة فقوموا لها حتى تخلفكم أو توضع رواه الجماعة وغيره من الاحاديث الواردة فى القيام للجنازة هى كما قاله الشافعى وأبو حنيفة ومالك منسوخة بحديث على بن أبى طالب رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بالقيام فى الجنازة ثم جلس بعد ذلك وأمرنا بالجلوس رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وقال النووى المختار ان القيام مستحب أى فيكون في الحديث الاول للندب وحديث على لبيان الجواز لا ناسخا (٦٦) حديث جابر المتفق عليه ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى على أصحمة النجاشى فكبر عليه أربعا هو دليل على مشروعية الصلاة على الغائب عن البلد قال فى الفتح وبذلك قال الشافعى وأحمد وجمهور السلف وذهبت الحنفية والمالكية الى أنها لا تشرع الصلاة على الغائب مطلقا وأطال الكلام فى الاستدلال على مشروعيتها فى نيل الاوطار

أما من جهة عدد التكبيرات فروى ابن عبد البر في الاستذكار من طريق أبى بكر بن سليمان بن أبى حثمة عن أبيه كان النبى صلى الله عليه وسلم يكبر على الجنائز أربعا وخمسا وسبعا وثمانيا حتى جاء موت النجاشي فخرج فكبر أربعا ثم ثبت النبى صلى الله عليه وسلم على أربع حتى توفاه الله تعالى وقال القاضى عياض اختلفت الصحابة في ذلك من ثلاث تكبيرات الى تسع قال ابن عبد البر وانعقد الاجماع بعد ذلك على أربع وأجمع الفقهاء وأهل الفتوى بالامصار على أربع على ماجاء فى الاحاديث الصحاح وما سوى ذلك عندهم شذوذ ولا يلتفت اليه وأطال الاستدلال لذلك فى نيل الاوطار (٦٧) حديث جواز الدفن ليلا الذى رواه البخارى عن ابن عباس وغيره من الاحاديث الواردة فى هذا المعنى أخذ بها الجمهور وقالوا بجواز الدفن في الليل لايعارضها حديث قتادة عند مسلم وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوما فذكر رجلا من أصحابه قبض فكفن في كفن غير طائل وقبر ليلا فزجر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقبر الرجل ليلا حتي يصلى عليه الا أن يضطر انسان الى ذلك لانهم جعلوا علة الزجر فى هذا الحديث انما هي لكون الدفن بالليل مظنة اساءة الكفن فاذا لم يقع تقصير فى الصلاة على الميت وتكفينه فلا بأس بالدفن ليلا على ان الحديث استثنى حالة الضرورة وقال النووى انما نهى عن القبر ليلا لان الدفن نهارا يحضره كثيرون من الناس ويصلون عليه ولا يحضره فى الليل الا افراد (٦٨) قال الامام الشعرانى فى كشف الغمة وكان صلى الله عليه وسلم يسلم مرتين أى فى صلاة الجنازة وكثيرا مايسلم واحدة يرفع بها صوته حتى يسمع من يليه وكثيرا ماكان صلى الله عليه وسلم يسلم سرا اه فهى كيفيات كان يفعلها صلى الله عليه وسلم

فى السلام من صلاة الجنازة لبيان مشروعيتها جميعها فلاتناقض فى شيء من ذلك (٦٩) أحاديث جواز البكاء على الميت محمولة على ما اذا كانت بعد الموت وبلا رفع صوت وأحاديث النهى محمولة على ماذا كان البكاء بعد الموت وكان برفع صوت فلا تعارض بين الاحاديث (٧٠) وردت الاحاديث فى النهى عن زيارة النساء للقبور واتباعهن الجنائز ووردت أحاديث بنسخ ذلك كحديث بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فقد أذن لمحمد فى زيارة قبر أمه فزوروها فانها تذكر الآخرة رواه الترمذى وصححه وكحديث عائشة الذى رواه الاثرم في سننه قالت كان نهى صلى الله عليه وسلم عن زيارة القبور ثم أمر بزيارتها وفى رواية الحاكم وابن ماجه عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم رخص فى زيارة القبور وأما اتباعهن الجنازة فقد روي الشيخان عن أم عطية قالت نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا قال فى نيل الاوطار وقد ذهب الى كراهة الزيارة للنساء جماعة من أهل العلم وتمسكوا باحاديث الباب واختلفوا فى الكراهة هل هي كراهة تحريم أو تنزيه وذهب الاكثر الى الجواز اذا أمنت الفتنة (٧١) حديث معاذ وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم له فى شأن الزكاة حينما بعثه الى اليمن خذ الحب من الحب والشاة من الغنم والبعير من الابل والبقرة من البقر رواه أبو داود وابن ماجه لايعارضه قول معاذ ائتونى بكل خميص ولبيس لانه فعل صحابي لا يعارض قول النبى صلى الله عليه وسلم ومع ذلك ففيه انقطاع وارسال أى لم يتصل سندروايته عن معاذ ومراده بالخميص واللبيس الثياب أى انه يقبلها من الزكاة وذلك اجتهاد منه قصد به التيسير (٧٢) حديث ليس فى الخيل والرقيق

زكاة الا زكاة الفطر رواه أبو داود عن أبي هريرة لايعارضه ما أخرجه الدارقطني والبيهقي والخطيب من حديث جابر عنه صلى الله عليه وسلم في كل فرس سائمة دينار أو عشرة دراهم فان هذا الحديث كما قال في نيل الاوطار مما لاتقوم به حجة لانه قد ضعفه الدارقطني والبيهقي فلا يقوى على معارضة حديث الباب الصحيح وهو الحديث الاول (٧٣) حديث أبي موسى ومعاذ حين بعثهما النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن يعلمان الناس أمر دينهم فقال لاتأخذوا الصدقة الا من هذه الاربعة الشعير والحنطة والزبيب والتمر أخرجه الحاكم والبيهقي والطبراني قال البيهقي رواته ثقاة وهو متصل وهو يدل على عدم وجوب الزكاة في الخضروات والى ذلك ذهب مالك والشافعي وقالا انما تجب الزكاة فيما يكال ويدخر للاقتيات وذكر في نيل الاوطار مذاهب أخرى فيما تؤخذ فيه الزكاة وما استدلوا به ولم يذكر حديثا في شأن الزيتون ولا ان أحدا ذهب الى أن فيه الزكاة (٧٤) حديث سعد بن أبي ذئاب عند البيهقي ان النبي صلى الله عليه وسلم استعمله على قومه وانه قال لهم ادوا العشر في العسل قال الشافعي سعد بن ذئاب يحكي ما يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمره فيه بشيء وانه شيء رآه هو فتطوع له به قومه وقال ابن المنذر ليس في الباب شيء ثابت (٧٥) حديث موسى بن طلحة عند الدارقطني والحاكم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ليس في الخضروات صدقة مخصص لعموم حديث ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وفيما سقي بالنضح نصف العشر رواه الجماعة الا مسلما (٧٦) ذكر الامام الشعراني في كشف الغمة روايات في اخراج زكاة الحلي وروايات

في عدمها وقد أخذ بعض الائمة بهذه وأخذ بعضهم بهذه بحسب ماصح عندهم واقتضاه اجتهادهم فلا مناقضة في شيء من ذلك (٧٧) لزوم الزكاة عن الدين وعدم لزومها مذاهب وليست أحاديث متناقضة كما زعم المعترض قال الامام الشعراني في الميزان ومن ذلك قول أبي حنيفة وأحمد ان من له دين لازم على مقر مليء باذل لا يجب عليه الاخراج الا بعد قبض الدين مع قول الشافعي في القول الجديد انه يلزمه اخراج زكاته كل سنة وان لم يقبضه ومع قول مالك لازكاة عليه فيه وان أقام سنين حتى يقبضه فيزكيه بسنة واحدة وان كان ثمن قرض أو ثمن مبيع اه (٧٨) قال الامام الشعراني في كشف الغمة كان صلى الله عليه وسلم يقول لاتنفق امرأة شيئا من بيت زوجها الا باذنه اه فما ورد من الاحاديث مطلقا يقيد بهذا المصرح فيه بلزوم اذن الزوج (٧٩) الاحاديث الدالة على المنع من صيام يوم الشك صحيحة قال النووي وبه قال مالك والشافعي والجمهور وأما ما أخرجه الشافعي عن علي رضي الله عنه قال لان أصوم يوما من شعبان أحب الي من أن أفطر يوما من رمضان فروايته منقطعة فلا يعارض تلك الاحاديث الصحيحة (٨٠) حديث عائشة المتفق عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصبح جنبا من جماع غير احتلام ثم يصوم في رمضان لايعارضه حديث أبي هريرة عند الشيخين انه صلى الله عليه وسلم قال من أصبح جنبا فلا صوم له فان هذا منسوخ بالاول الذي استقر عليه الاجماع كما قال النووي وجمع بعضهم بين الحديثين بان الامر في حديث أبي هريرة أمر ارشاد الى الافضل فان الافضل ان يغتسل قبل الفجر فلو خالف جاز ويحمل حديث عائشة على بيان الجواز (٨١) عن أبي

هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ذرعه القيء فليس عليه قضاء ومن استقاء عمدا فليقض رواه الخمسة الا النسائي لايعارضه حديث أبي الدرداء عند الحاكم وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاء فافطر لقول البيهقي هذا حديث مختلف في اسناده مضطرب لاتقوم به حجة فان صح فهو محمول على القيء عامدا وانه كان صلى الله عليه وسلم صائما متطوعا (٨٢) حديث جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرأى زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ماهذا فقالوا صائم فقال ليس من البر الصوم في السفر متفق عليه قال في نيل الاوطار قد أشار البخاري الى أن السبب في قوله صلى الله عليه وسلم هذه المقالة هو ما ذكر من المشقة التي حصلت للرجل الذي ظلل عليه وفي ذلك دليل على أن الصيام في السفر لمن كان يشق عليه ليس بفضيلة وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم كان يصوم في السفر تارة وتارة لايصوم وذهب الجمهور منهم مالك والشافعي وأبو حنيفة الى أن الصوم أفضل لمن قوى عليه ولم يشق (٨٣) حديث ابن عباس قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني رأيت الهلال يعني رمضان فقال أتشهد أن لا اله الا الله قال نعم قال أتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال يا بلال أذن في الناس فليصوموا غدا رواه الخمسة الا أحمد وبه أخذ جمهور العلماء وأجابوا عن حديث الشاهدين بان التصريح بالاثنين غاية مافيه المنع من قبول الواحد بالمفهوم والحديثان الواردان بقبول الواحد يدلان على قبوله بالمنطوق ودلالة المنطوق أرجح وذهب بعض الائمة الى لزوم الشاهدين لترجيحهم الاحاديث الواردة بذلك وهذا في هلال رمضان وأما هلال شوال فقد قال النووي في شرح مسلم لاتجوز شهادة عدل

واحد على هلال شوال عند جميع العلماء الا أبا ثور فجوزه بعدل (٨٤) حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات وعليه صيام صام عنه وليه متفق عليه لايعارضه ما أخرجه عبد الرزاق عن عائشة أنها قالت لاتصوموا عن موتاكم وأطعموا عنهم لقول الحافظ ابن حجر في الفتح انه ضعيف جدا وقال في نيل الاوطار الحق ان الاعتبار بما رواه الصحابي لابما رآه أي بما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم لابما قاله من رأيه (٨٥) عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قضاء رمضان ان شاء فرق وان شاء تابع رواه الدارقطني قال البخاري قال ابن عباس لابأس أن يفرق وبذلك أخذ الجمهور ولا يعارضه حديث أبي هريرة عند الدارقطني انه صلى الله عليه وسلم قال من كان عليه صوم من رمضان فليسرده ولا يقطعه فقد قال البيهقي انه لايصح (٨٦) حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم اكتحل في رمضان وهو صائم أخرجه ابن ماجه واحتج به الجمهور على أن الكحل لايفسد الصوم ولا يعارضه حديث عبدالرحمن بن النعمان ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالاثمد المروح عند النوم وقال ليتقه الصائم لانه ضعيف لاينهض للاحتجاج به (٨٧) حديث رافع بن خديج قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفطر الحاجم والمحجوم رواه أحمد والترمذي وهو وغيره من الاحاديث الواردة في هذا المعنى منسوخة بحديث ابن عباس عند أحمد والبخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم واحتجم وهو صائم وغيره من الاحاديث الواردة في عدم فطر الصائم بالحجامة وبهذا أخذ جمهور العلماء ويجمع بين الاحاديث بان الحجامة مكروهة في حق من لايضعف بها وتزداد الكراهة اذا

كان الضعف يبلغ الى حد يكون سببا للافطار ولا تكره فى حق من
كان لا يضعف بها وعلى كل حال تجنب الحجامة للصائم أولى (٨٨)
حديث عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها ذات يوم فقال
هل عندكم من شيء فقدمت له حيسا فقال لقد أصبحت صائما فأكل
منه لا يعارضه حديث عائشة قالت أهدى لحفصة طعام وكنا صائمتين
فافطرنا ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يارسول الله انا
أهديت لنا هدية واشتهيناها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عليكما
صوما مكانه يوما آخر لان القضاء محمول على الندب وقد ذهب الى
ذلك الجمهور من أهل العلم (٨٩) حديث ابن عباس ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ليس على المعتكف صيام الا ان يجعله على نفسه رواه
الدارقطنى وأخرجه الحاكم وقال صحيح الاسناد وبه أخذ الشافعى
وأحمد واسحاق ولا يعارضه حديث عائشة عند أبي داود ومن جملته
ولا اعتكاف الا بصوم فان هذه الجملة لم تصح عندهم فى حديث عائشة
وصحت عند بعض الائمة كأبى حنيفة والاوزاعى والثورى فقالوا لا يصح
الاعتكاف الا بصوم وانه شرط (٩٠) الاحاديث الدالة على وجوب
العمرة أخذ بها كثير من الصحابة والائمة كالشافعى وأحمد وهو المشهور
عند المالكية ولا يعارضها حديث جابر ان أعرابيا جاء الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يارسول الله اخبرنى عن العمرة أواجبة هي فقال لا وان
تعتمر خير لك وغير هذا من الاحاديث الدالة على انها تطوع فانها ضعيفة
وقد صحت عند بعض الائمة فأخذ بها (٩١) حديث ابن عمر عند أحمد وأبى
داود وفيه نهى النساء فى الاحرام ان يلبسن ما مس الورس والزعفران من
الثياب وزاد أبو داود ولتلبس بعد ذلك ما أحبت من ألوان الثياب معصفرا

أوخز الحديث ففيه الترخيص بلبس المعصفر (٩٢) وردت الاحاديث فى صحة
حج الصبى قال فى نيل الاوطار قال القاضى عياض أجمعوا على انه لا يجزؤه
اذا بلغ عن فريضة الاسلام الا فرقة شذت فقالت يجزؤه وقد انتهت الى
هنا الاجوبة عما زعمه المعترض من المناقضات بين الاحاديث والحمد لله رب العالمين

القسم الثانى من كتاب نجوم المهتدين ورجوم المعتدين فى اثبات
أن القرآن كلام الله تعالى ورد ما افتراه فى حقه صاحب هداية الشيطان

(وهو يشتمل على أبواب)

(الباب الاول) فى كونه هو المعجزة الدائمة الكبرى والآية المستمرة
العظمى الدالة على صحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد ذكرت
فى كتابي حجة الله على العالمين من وجوه اعجازه وما يتعلق به من كونه
أعظم المعجزات وأبهر الآيات وما يحقق ذلك من الدلائل والعبارات مالم
أره اجتمع في كتاب غيره ولطوله وعدم الحاجة الى ايراده هنا كله
رأيت أن أذكر فى هذا الكتاب ماذكره من ذلك القاضى عياض فى
الشفاء وقليلا من غيره ومن أراد الزيادة فليراجع كتابى المذكور قال
رحمه الله تعالى اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز منطو على
وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها فى أربعة
أوجه (أولها) حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته
الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام
واطنب بوصف فصاحتهم وبلاغتهم ثم قال فما راعهم الا رسول كريم بكتاب
عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت
آياته * وفصلت كلماته * وبهرت بلاغته العقول * وظهرت فصاحته على كل مقول
* وتظافر ايجازه واعجازه * وتظاهرت حقيقته ومجازه * وتبارت فى الحسن

مطالعه ومقاطعه * وحوت كل البيان بجامعه و بدائعه * واعتدل مع
ايجازه حسن نظامه * وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه * وهم
أفسح ما كانوا فى هذا الباب مجالا * واشهر فى الخطابة رجالا * وأكثر
فى الشعر والسجع ارتجالا * وأوسع فى الغريب واللغة مقالا * بلغتهم التى
بها يتحاورون * ومنازعهم التى عنها يتناضلون * صارخا بهم فى كل
حين * ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤس الملأ أجمعين *
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ
دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا
فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ وقال تعالى ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ
الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ وقال ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾
وذلك ان المفترى أسهل و وضع الباطل والمختلق على الاختيار
أقرب * واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب * ولهذا قيل فلان يكتب
كما يقال له وفلان يكتب كما يريد * وللاول على الثانى فضل و بينهما شأو
بعيد * فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم أشد التقريع و يوبخهم
غاية التوبيخ و يسفه أحلامهم * و يحط أعلامهم * و يشتت نظامهم
* و يذم آلهتهم و آباءهم * ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم * وهم
فى كل هذا ناكصون عن معارضته * محجمون عن مماثلته * يخادعون
أنفسهم بالتشغيب * بالتكذيب * والاغراء * بالافتراء * وقولهم ان هذا
الا سحر يؤثر * وسحر مستمر وافك افتراه * وأساطير الاولين
والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف * وفى أكنة مما تدعونا

اليه * وفى آذاننا وقر * ومن بيننا و بينك حجاب * ولا تسمعوا لهذا
القرآن والغوا فيه والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد
قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم
كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله تعالى ما ألفوه من فصيح
كلامهم والا فلم يخف على أهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم
ولا جنس بلاغتهم * بل ولوا عنه مدبرين * وأتوا اليه مذعنين * من
بين مهتد و بين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى صلى
الله عليه وسلم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الآية قال والله ان له
لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمغدق وان أعلاه لمثمر ما يقول هذا
بشر وذكر أبو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾
فسجد وقال سجدت لفصاحته * وسمع آخر رجلا يقرأ ﴿فَلَمَّا
اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ فقال أشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا
الكلام * وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يوما نائما فى
المسجد فاذا هو بقائم على رأسه يتشهد بشهادة الحق فاستخبره فاعلمه
انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا
من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فاذا قد جمع فيها ما أنزل
الله على عيسى بن مريم من أحوال الدنيا والآخرة وهى قوله تعالى
﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾
* وحكى الاصمعى انه سمع كلام جارية فقال قاتلك الله ما أفصحك
فقالت أو بعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى
أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي
إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فجمع الله فى آية واحدة

بين أمرين ونهيين وخبرين و بشارتين فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وانه أتى به أي عن الله تعالى معلوم ضرورة وكونه عليه الصلاة والسلام متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من أهل الفصاحة والبلاغة علم ذلك بعجز المنكرين من أهلها عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وأنت اذا تأملت قوله تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ وقوله ﴿ وَلَوْ تَرَى اذ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ ﴾ الآية وقوله ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ وقوله ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ﴾ الآية وقوله ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ﴾ الآية وأشباهها من الآي بل أكثر القرآن حققت ما بينته من ايجاز ألفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناسق وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها * وتناصف في الحسن وجه مقابلتها * ولا نفور للنفوس من ترديدها * ولا معاداة لمعادها ﴿ الوجه الثاني ﴾ من اعجاز القرآن صورة نظمه العجيب * والاسلوب الغريب *

المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم * وتدلهت دونه أحلامهم * ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم * من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق له فجاءه أبو جهل منكرا عليه فقال والله ما منكم أحد أعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الآخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب قادمة عليكم فاجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا وأنا أعرف انه باطل وان أقرب القول انه ساحر وانه أي كلامه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء وأخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ الآيات * وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم اني لم أترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته ولقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث مثله * وفي حديث اسلام أبي ذر ووصف أخاه أنيسا فقال والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس لقد ناقض اثني عشر رجلا في الجاهلية انا أحدهم وانه انطلق الى مكة

وجاء الى أبى ذر يخبر النبى صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على أجزاء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان أحد بعدى انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار فى هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها أو الاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والعلم بهذا كله ضرورة قطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وأرهف خاطره ولسانه أدب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه فأكثرهم يقول انه مما جمع فى قوة جزالته ونصاعة ألفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة على اقدار الخلق عليها كاحياء الموتي وقلب العصا وتسبيح الحصا * وذهب الشيخ أبوالحسن الاشعرى الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله تعالى عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من أصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون فى مقدور البشر وتحديهم بأن يأتوا بمثله قاطع وهو أبلغ فى التعجيز وأحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو أبهر آية وأقمع دلالة وعلى كل حال فما أتوا فى ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف وابابة الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت

من قدرتهم لاشتغلوا بها اذ الشغل بها أهون عليهم وأسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم ممن له اقتدار على الكلام * وقدوة في المعرفة به لجميع الانام * وما منهم الا من جهد جهده * واستنفد ماعنده * فى اخفاء ظهوره * واطفاء نوره * فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم * ولا أتوا بنطفة من معين مياههم * مع طول الامد * وكثرة العدد * وتظاهر الوالد وما ولد * بل أبلسوا * فما نبسوا * ومنعوا فانقطعوا * فهذان نوعان من اعجازه (الوجه الثالث) من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذى أخبر كقوله تعالى (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ) وقوله (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) وقوله (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) وقوله (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ) الآيات وقوله (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) الى آخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس الاسلام أفواجا فما مات عليه الصلاة والسلام وفى بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المؤمنين فى الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من أقصى المشارق الى أقصى المغارب كما قال عليه الصلاة والسلام زويت لى الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها وقوله تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى فى تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فأجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم الى اليوم نيفا على خمسمائة عام فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلمه

ولا تشكيك المسلمين فى حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله تعالى ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ وقوله تعالى ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ الآية وقوله تعالى ﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ﴾ الآية فكان كل ذلك وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ الآية وقوله ﴿ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ ﴾ الآية وقوله تعالى ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ الآية وقوله تعالى ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ الى قوله فى الدين وقد قال مبديا ما قدره الله وما اعتقده المؤمنون يوم بدر ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ ومنه قوله تعالى ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ ولما نزلت بشر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بأن الله كفاه اياهم وكان المستهزؤن نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا وقوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ فكان كذلك على كثرة من رام ضرره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة ﴿ الوجه الرابع ﴾ من اعجازه ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذى قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتى به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه عليه الصلاة والسلام أمى لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولم يغب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم وقد كان أهل الكتاب كثيرا ما يسألونه عليه الصلاة والسلام عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء وخبر موسى والخضر

ويوسف واخوته وأصحاب الكهف وذى القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانباء والقصص وبدء الخلق وما فى التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقى معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن أحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما فى كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له صلى الله عليه وسلم وتعنيتهم اياه بكثرة سؤالهم عن أخبار أنبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذى القرنين وأصحاب الكهف وعيسى عليه الصلاة والسلام وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت أحلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله تعالى ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ﴾ وغير ذلك من أمورهم التي نزل فيها القرآن فاجابهم وعرفهم بما أوحي اليه من ذلك فما سمع عن أحد منهم انه أنكر ذلك وكذبه بل أكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف بعناده وحسده اياه كاهل نجران وابن صوريا وابنى أخطب وغيرهم ومن باهت فى ذلك بعض المباهتة وادعى أن فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعى الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقى على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا أبدى صحيحا ولا سقيما من صحفه

قال الله تعالى (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) الآيتين (وهذه الوجوه الاربعة) من اعجازه بينة لانزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة فى اعجازه من غير هذه الوجوه آى وردت بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لايفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله تعالى لليهود (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) قال أبو اسحاق الزجاج فى هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت وأعلمهم انهم لن يتمنوه أبدا فلم يتمنه واحد وعن النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لايقولها رجل منهم الا غص بريقه يعنى يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما أوحى اليه اذ لم يتمنه أحد منهم وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا ولكن الله يفعل مايريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته * قال أبو محمد الاصيلى من أعجب أمرهم انه لايوجد منهم جماعة ولا أحد من يوم أمر الله تعالى بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنه منهم وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة نجران وأبوا الاسلام فانزل الله تعالى عليه آية المباهلة بقوله (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) الآية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوما نبي قط فبقى كبيرهم ولاصغيرهم ومثله قوله تعالى (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا) فاخبرهم أنهم لايفعلون ذلك كما كان أى كما لم يفعلوا فى الماضى وهذه الآية ادخل فى باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما فى التى قبلها (ومن وجوه اعجازه) الروعة التى تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التى تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره أى رفعة قدره وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه و يزيدهم نفورا كما قال الله تعالى (وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا) و يودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال عليه الصلاة والسلام ان القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة كميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى (تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) وقال تعالى (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ) الآية و يدل على ان هذا شىء خص به انه يعترى من لايفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روى عن نصرانى انه مر بقارىء فوقف يبكى فقيل له مم بكيت قال للشجى والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من أسلم لها لاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر فحكى فى الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) الى قوله (الْمُسَيْطِرُونَ) كاد قلبى أن يطير وفى رواية وذلك أول ما وقر الايمان فى قلبى * وعن عتبة بن ربيعة أنه كلم النبى صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليه حم الى قوله (فَأَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) فامسك عتبة بيده على فم النبى صلى الله

عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف وفى رواية فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمدا عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبى صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لايدرى بما يراجعه ورجع الى أهله ولم يخرج الى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمنى بكلام ماسمعت أذناى بمثله قط فما دريت ماأقول له وقد حكى عن غير واحد ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك يحكى ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبى يقرأ ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ الآية فرجع ومحا ماعمل وقال أشهد ان هذا لايعارض وماهو من كلام البشر وكان أفصح أهل وقته * وكان يحيي بن حكم الغزال بليغ الاندلس في زمانه فحكى انه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتنى منه خشية ورقة حملتنى على التوبة والانابة ﴿ومن وجوه اعجازه﴾ المعدودة كونه آية باقية لاتعدم مابقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وقال ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ وسائر معجزات الانبياء انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق الاخبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة ﴿أى الى وقت القاضى عياض وقد صار له الى الآن ١٣٢٢ سنة بزيادة ثلاث عشرة سنة قبل الهجرة من ابتداء نزوله فى أول النبوة﴾ وهو على ما هو عليه من عجز الخلق عن الاتيان بمثل أقصر سورة منه مع كثرة أعداء الدين من الملحدين والكافرين ولا سيما في هذا الزمان الذي تغلب فيه فى كثير من البلاد الكفر على الايمان تصديقا لقول نبى

الهدى بدا الدين غريبا وسيعود كما بدا ومع ذلك فالقرآن كما هو حجة قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البلاغة والملحد فيهم كثير والمعاند للشرع عتيد فما منهم من أتي بشىء يؤثر فى معارضته ولا ألف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح * ولا قدح المتكلف من ذهنه فى ذلك الابزند شحيح * بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه فى العجز بيديه والنكوص على عقبيه * ﴿وقد عد جماعة من الائمة * ومقلدى الامة * فى اعجازه وجوها كثيرة﴾ (منها) ان قارئه لايمله وسامعه لايمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لايزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا أعيد وكتابنا يستلذ به فى الخلوات * ويؤنس بتلاوته فى الازمات * وسواه من الكتب لايوجد فيها ذلك حتى أحدث أصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بانه لايخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عبره ولا تفنى عجائبه وهو الفصل ليس بالهزل لايشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذى لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد ﴿ومنها﴾ جمعه لعلوم ومعارف لاعهد للعرب عامة ولا لمحمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها أحد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين قوية وأدلة بينة سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون

أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله تعالى (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * وَقُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ * وَلَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) الى ماحواه من علوم السير وأنباء الامم * والمواعظ والحكم * وأخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم * قال الله جل اسمه (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ * وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ * وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) وقال عليه الصلاة والسلام ان الله أنزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر من كان قبلكم ونبأ مابعدكم وحكم ما بينكم لايخلقه طول الرد ولا تنقضى عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به أقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع وعصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه لايخلق ولا يتشان (١) فيه نبأ الاولين والآخرين وفى الحديث قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم انى منزل عليك توراة حديثة تفتح بهاأعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقرآن فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال الله تعالى (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي

(١) لايتشان أى لايصير كالشن وهوالقربة البالية

هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) وقال تعالى (هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى) الآية فجمع فيه مع وجازة ألفاظه وجوامع كلمه أضعاف مافى الكتب قبله التى الفاظها على الضعف منه مرات (ومنها) جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم القرآن وحسن وصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده ووعيده فالتالى له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة (ومنها) ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد بجعله ذا فواصل كقوافى الابيات المنظومة ولم يكن فى حيز المنثور أى المتفرق لان المنظوم أسهل على النفوس وأدعى للقلوب واسمح فى الآذان وأحلى على الافهام فالناس اليه أميل والاهواء اليه أسرع (ومنها) تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ) وسائر الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجماء على مرور السنين والقرآن ميسر حفظه للغلمان فى أقرب مدة (ومنها) مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ائتلاف انواعها والتئام اقسامها وحسن التخلص من قصة الى أخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة على أمر ونهى وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتقرير وترغيب الى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذااعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت الفاظه فتأمل أول ص وما جمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما أتى به والخبر عن اجتماع ملئهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزى

الدنيا والآخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء أى
قريش مثل مصابهم وتصبير النبى صلى الله عليه وسلم على أذاهم وتسليته
بكل ماتقدم ذكره ثم أخذ فى ذكر داود وقصص الانبياء كل هذا فى
أوجز كلام وأحسن نظام ومنه أى من أعجاز القرآن الجمل الكثيرة
التى انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه ذكر
فى أعجاز القرآن الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها

﴿ فصل ﴾ وقال في الشفاء أيضاً بعد ان ذكر كثيرا من معجزاته
صلى الله عليه وسلم مما نقلته عنه فى القسم الاول من هذا الكتاب ولا
سبيل الى جحد الملحد بشىء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة
في دفع ماقصصناه الا قولهم أساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله
تعالى قولهم بقوله (لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)
ثم ماقالوه مكابرة العيان فان الذى نسبوا تعليمه اليه اما سلمان أو العبد
الرومى وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول كثير من القرآن وظهور
مالا يعد من الآيات وأما الرومى فكان أسلم وكان يقرأ على النبى صلى
الله عليه وسلم واختلف في اسمه وكلاهما أعجمى اللسان وهم الفصحاء
اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ماأتى به صلى الله عليه وسلم
والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف بأعجمى
ألكن وقد كان سلمان أو بلعام الرومى على اختلافهم باسمه بين أظهرهم
يكلمونهم مدى أعمارهم فهل حكى عن واحد منهم شىء من مثل
ماكان يجىء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة
شىء من ذلك وما منع العدد حينئذ على كثرة عدده ودؤب طلبه وقوة
حسده ان يجلس الى هذا فيأخذ عنه أيضاً مايعارض به و يتعلم منه مايحتج به على

شغبه كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به أى يزخرف من أخبار
كتبه ولا غاب النبى صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته الى بلاد
أهل الكتاب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين أظهرهم يرعى فى صغره
وشبابه على عادة الانبياء ثم لم يخرج عن بلادهم الا فى سفرة أو سفرتين
لم يطل فيها مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان
في سفره فى صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة
مقامه بمكة من تعليم واختلاف الى حبر أو قس أو منجم أو كاهن بل
لو كان هذا كله بعد لكان مجىء ما أتى به في معجز القرآن قاطعاً لكل
عذر ومدحضاً لكل حجة ومجلياً لكل أمر * ثم قال رحمه الله
ومعجزات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أظهر من معجزات سائر الرسل
عليهم السلام بوجهين (أحدهما) كثرتها وانه لم يؤت نبى معجزة الا وعند
نبينا مثلها أو ماهو أبلغ منها وقد نبه الناس على ذلك فان أردته فتأمل
فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبياء تقف على ذلك ان شاء الله
تعالى وأما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز وأقل مايقع الاعجاز
فيه عند بعض أئمة المحققين بسورة انا أعطيناك الكوثر و آية فى قدرها
وذهب بعضهم الى ان كل آية منه كيف كانت معجزة وزاد آخرون
ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة أو كلمتين والحق
ماذكرناه أولا لقوله تعالى (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ) وهو أقل ماتحداهم
به مع ماينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففى القرآن
من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم
وعدد كلمات انا أعطيناك الكوثر عشر كلمات فيجزأ القرآن على نسبة عدد

انا أعطيناك الكوثر فيكون أزيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز في
نفسه ثم اعجازه كما تقدم بوجهين من طريق بلاغته وطريق نظمه
فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من
هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز أخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون
في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن أشياء من الغيب كل
خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كثرة أخرى ثم وجوه الاعجاز
الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد
يأخذ العدد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة
والاخبار الصادرة عنه عليه الصلاة والسلام في هذه الابواب وعما دل على
أمره مما أشرنا الى جملة منه تبلغ نحوا من هذا *الوجه الثاني وضوح
معجزاته صلى الله عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل
زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى عليه السلام
غاية علم أهل السحر بعث الله اليهم موسى بمعجزة تشبه مايدعون
قدرتهم عليه فجاءهم منها ماخرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وأبطل
سحرهم وكذلك زمن عيسى أغنى ما كان الطب وأفر ما كان أهله
فجاءهم أمر لايقدرون عليه وأتاهم مالم يحتسبوه من احياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبياء
ثم ان الله بعث محمدا عليه الصلاة والسلام وجملة معارف العرب وعلومها
أربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فانزل الله تعالى عليه القرآن
الخارق لهذه الاربعة فصول من الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة
عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا
في المنظوم الى طريقه ولا علموا في أساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار

عن الكوائن والحوادث والاسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على
ماكانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان أعدى العدو
فابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من أصلها
برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وأنباء
الانبياء والامم البائدة والحوادث الماضية مايعجز من تفرغ لهذا العلم
عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة
الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التي ذكرناها في معجزات
القرآن ثابتة الى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لايخفى وجوه
ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه اعجازه الى ماأخبر به من الغيوب
على هذا السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور
مخبره على ماأخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان
وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس أشد طمأنينة الى عين اليقين منها
الى علم اليقين وان كان كل عندها حقا وسائر معجزات الرسل انقرضت
بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
لاتبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا أشار عليه الصلاة
والسلام بقوله فيما رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال مامن الانبياء نبي الا أعطي من الآيات مامثله آمن عليه
البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا أوحاه الله الي فارجو اني أكثرهم
تابعا يوم القيامة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح
ان شاء الله تعالى وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث
وظهور معجزة نبينا عليه الصلاة والسلام الى معنى آخر من ظهورها
بكونها وحيا وكلاما لايمكن التخييل فيها ولا التحيل عليه ولا التشبيه وان

غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها أشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر أو يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر فى التخيل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم أظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا أو خطيبا بضرب من الحيل والتمويه فترك العرب معارضة القرآن ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد أبين آية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته انتهى ما أخذته من كتاب الشفاء باختصار قليل

(فصل) قال الحافظ السيوطى في كتابه الخصائص الكبرى وقد اختلف الناس فى الوجه الذى وقع به اعجاز القرآن على أقوال بينتها مبسوطة فى كتابى الاتقان والملخص انه وقع بعدة وجوه (منها) حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشان (ومنها) صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الذى جاء عليه ووقفت عليه مقاطيع آياته وانتهت اليه فواصل كلماته ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له (ومنها) ما انطوي عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن فوجد كما ورد (ومنها) ما أنبأ به من أخبار القرون الماضيه والشرائع السالفة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذى قطع عمره في تعلم ذلك فيورده صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب (ومنها) ما تضمنه من الاخبار عن الضمائر كقوله تعالى (اِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ

أَنْ تَفْشَلَا) وقوله (وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللّٰهُ بِمَا نَقُولُ) (ومنها) آى وردت بتعجيز قوم فى قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا كقوله تعالى فى اليهود (وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا) (ومنها) ترك المعارضة مع توفر الدواعى وشدة الحاجة (ومنها) الروعة التى تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم والهيبة التى تعتريهم عند تلاوته كما وقع لجبير بن مطعم انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور قال فلما بلغ هذه الآية (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) الى قوله تعالى (الْمُسَيْطِرُونَ) كاد قلبى يطير قال وذلك أول ما وقر الاسلام فى قلبى (ومنها) ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة وغيره من الكلام يعادى اذا أعيد ويمل مع الترديد ولهذا وصف صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد (ومنها) كونه آية باقية لا يعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه (ومنها) جمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب ولا احاط بعلمها أحد فى كلمات قليلة وأحرف معدودة (ومنها) جمعه بين صفتى الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادين لا يجتمعان فى كلام البشر غالبا (ومنها) جعله آخر الكتب غنيا عن غيره وجعل غيره من الكتب المتقدمة قد يحتاج الى بيان يرجع فيه اليه كما قال تعالى (اِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي اِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) قال القاضى عياض اذا عرفت ما ذكر من وجوه اعجاز القرآن عرفت انه لا يحصر عدد معجزاته بألف ولا ألفين ولا أكثر لانه صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجزوا عنها قال أهل العلم وأقصر السور انا أعطيناك الكوثر فكل آية أو آيات منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سبق قال الحافظ السيوطى بعد هذا

قلت واذا عددت كلمات سورة الكوثر وجدتها بضع عشرة كلمة وقد عد قوم كلمات القرآن سبعا وسبعين ألف كلمة وتسعمائة وأربعا وثلاثين فالقدر المعجز منه يكون في العدد سبعة آلاف تقريبا تضرب في ثمانية أوجه الاولان والسابع والثامن والتاسع والعاشر والحادى عشر والثانى عشر تبلغ ستة وخمسين ألف معجزة ثم ينضم الى ذلك فى بعضه من الوجوه الوجه الثالث والرابع والخامس والسادس جملة وافرة فتصل معجزات القرآن بذلك الى ستين ألف معجزة أو أكثر قال ومن أراد الوقوف على تفصيل اعجاز القرآن من حيث الوجهان الاولان فليمعن النظر في كتابنا اسرار التنزيل يجد فيه ما يشفى غليله قال وقد وقع لى انى استخرجت من آية واحدة مائة وعشرين نوعا من أنواع البلاغة وهى قوله تعالى ﴿أَللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية وقد أفردتها بتأليف فليراجع انتهى كلام السيوطى فى الخصائص

﴿الباب الثانى﴾ فى حفظ الله تعالى للقرآن وجمع الصحابة له وجواز وقوع النسخ فيه وفى الحديث وهو يشتمل على ثلاثة فصول ﴿الفصل الاول﴾ فى حفظ الله تعالى للقرآن من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل بخلاف التوراة والانجيل قال الله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ قال المفسرون معنى هذه الآية ان الله تعالى قد حفظه من التحريف والزيادة والنقص قال الفخر الرازى بعد ما ذكر ونظيره قوله تعالى فى صفة القرآن ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ وقال تعالى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ قال فان قيل فلم اشتغلت الصحابة بجمع القرآن فى المصحف وقد وعد الله تعالى بحفظه وما حفظه الله فلا خوف عليه والجواب ان

جمعهم للقرآن كان من أسباب حفظ الله تعالى اياه فانه تعالى لما ان حفظه قيضهم لذلك ثم قال واختلفوا في انه تعالى كيف يحفظ القرآن قال بعضهم حفظه بان جعله معجزا مباينا لكلام البشر فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان عنه لانهم لو زادوا فيه أو نقصوا عنه لتغير نظم القرآن فيظهر لكل العقلاء ان هذا ليس من القرآن فصار كونه معجزاً كاحاطة السور بالمدينة لانه يحصنها و يحفظها وقال آخرون انه تعالى صانه وحفظه من أن يقدر أحد من الخلق على معارضته وقال آخرون أعجز الخلق عن ابطاله وافساده بان قيض جماعة يحفظونه و يدرسونه و يشهرونه فيما بين الخلق الى آخر بقاء التكليف وقال آخرون المراد بالحفظ هو ان أحدا لو حاول تغييره بحرف أو نقطة لقال له أهل الدنيا هذا كذب وتغيير لكلام الله تعالى حتى ان الشيخ المهيب لو اتفق له لحن أو هفوة فى حرف من كتاب الله تعالى لقال له كل الصبيان أخطأت أيها الشيخ وصوابه كذا وكذا فهذا هو المراد من قوله ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ واعلم انه لم يتفق لشىء من الكتب مثل هذا الحفظ فانه لا كتاب الا وقد دخله التصحيف والتحريف والتغيير اما فى الكثير منه أو فى القليل و بقاء هذا الكتاب مصونا عن جميع جهات التحريف مع ان دواعى الملحدة واليهود والنصارى متوفرة على ابطاله وافساده من أعظم المعجزات وأيضا أخبر الله تعالى عن بقائه محفوظا عن التغيير والتحريف وانقضى الآن قريب من ستمائة سنة فكان هذا اخبارا عن الغيب فكان ذلك أيضا معجزا قاهرا انتهى كلام الفخر الرازى وقال أيضا عند قوله تعالى فى سورة حم السجدة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ

بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ * وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) اعلم انه تعالى لما بين ان الدعوة الى دين الله تعالى أعظم المناصب وأشرف المراتب ثم بين ان الدعوة الى دين الله تعالى انما تحصل بذكر دلائل التوحيد والعدل وصحة البعث والقيامة يعنى فى الآيات السابقة ومنها قوله تعالى (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) عاد الى تهديد من ينازع فى تلك الآيات و يحاول القاء الشبهات فيها فقال (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا) والملحد المنحرف عن الحق الى الباطل وقوله (لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا) تهديد كما اذا قال الملك المهيب ان الذين ينازعوننى فى ملكى أعرفهم فانه يكون ذلك تهديداً ثم قال (أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وهذا استفهام بمعنى التقرير والغرض التنبيه على ان الذين يلحدون فى آياتنا يلقون فى النار والذين يؤمنون بآياتنا يأتون آمنين يوم القيامة ثم قال (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) وهذا أيضاً تهديد ثالث ونظيره مايقوله الملك المهيب عند الغضب الشديد اذا أخذ يعاتب بعض عبيده ثم يقول لهم اعملوا ماشئتم فان هذا مما يدل على الوعيد الشديد ثم قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ) وهذا أيضا تهديد ولما بالغ في تهديد الذين يلحدون في آيات القرآن اتبعها ببيان تعظيم القرآن فقال (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ) والعزيز له معنيان أحدهما الغالب القاهر والثانى الذى لايوجد نظيره أما كون القرآن عزيزاً بمعنى كونه غالبا فالامر كذلك لانه بقوة حجته غلب على كل ماسواه وأما كونه عزيزا بمعنى عديم النظير فالامر كذلك لان

الاولين والآخرين عجزوا عن معارضته ثم قال (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) وفيه وجوه (الاول) لاتكذبه الكتب المتقدمة عليه كالتوراة والانجيل والزبور ولا يجىء كتاب من بعده يكذبه (الثاني) ما حكم القرآن بكونه حقا لا يصير باطلا وما حكم بكونه باطلا لا يصير حقا (الثالث) معناه انه محفوظ من أن ينقص منه شىء فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه والدليل عليه قوله تعالى (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) فعلى هذا الباطل هو الزيادة والنقصان (الرابع) يحتمل أن يكون المراد انه لايوجد فى المستقبل كتاب ينبغى جعله معارضا له ولم يوجد فيما تقدم كتاب يصلح جعله معارضا له (الخامس) قال صاحب الكشاف هذا تمثيل والمقصود ان الباطل لايتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يتصل اليه ثم قال في قوله تعالى (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى) واعلم ان هذا متعلق بقولهم (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ) الى آخر الآية كأنه تعالى يقول ان هذا الكلام أرسلته اليكم بلغتكم لا بلغة أجنبية عنكم فلا يمكنكم أن تقولوا ان قلوبنا فى اكنة منه بسبب جهلنا بهذه اللغة فبقى ان يقال ان كل من آتاه الله طبعا مائلا الى الحق وقلبا مائلا الى الصدق وهمة تدعوه الى بذل الجهد فى طلب الدين فان هذا القرآن يكون فى حقه هدى وشفاء أما كونه هدى فلانه دليل على الخيرات و يرشد الى كل السعادات وأما كونه شفاء فانه اذا أمكنه الاهتداء فقد حصل الهدى فذلك الهدى شفاء له من مرض الكفر والجهل وأما من كان غرقا في بحر الخذلان وتائها فى مفاوز الحرمان ومشغوفا بمتابعة الشيطان كان هذا القرآن فى آذانه وقرا كما قال

تعالى ﴿ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ وكان القرآن عليهم عمى انتهى كلام الفخر الرازى
﴿ الفصل الثانى ﴾ في جمع الصحابة رضى الله عنهم للقرآن قال فى
الاتقان قال الخطابى انما لم يجمع صلى الله عليه وسلم القرآن فى
المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته فلما
انقضى نزوله بوفاته صلى الله عليه وسلم ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك
وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الامة أى فى قوله تعالى
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ فكان ابتداء ذلك على يد
الصديق بمشورة عمر قال وقد كان القرآن كتب كله فى عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم لكن غير مجموع فى موضع واحد ولا مرتب السور
وقال الحاكم فى المستدرك جمع القرآن ثلاث مرات احداها بحضرة
النبى صلى الله عليه وسلم ثم أخرج بسند على شرط الشيخين عن زيد بن
ثابت قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من
الرقاع قال البيهقى يشبه ان يكون المراد به تأليف مانزل من الآيات
المفرقة فى سورها وجمعها فيها باشارة النبى صلى الله عليه وسلم الثانية بحضرة
أبى بكر وذكر الاخبار الدالة على ذلك ثم قال قال الحاكم والجمع الثالث
هو ترتيب السور فى زمن عثمان وكان ذلك في سنة خمس وعشرين
وذكر ماورد فى ذلك وها أنا أذكر بعض الاخبار الواردة فى هذا
الشأن مما ذكره فى الاتقان وفي كتابه الجامع الكبير قال رحمه الله تعالى
روى البخارى وغيره عن زيد بن ثابت قال أرسل الى أبو بكر مقتل
أهل اليمامة وان عنده عمر بن الخطاب فقال ان هذا أتانى فاخبرنى
ان القتل قد استحر بقراء القرآن فى هذا الموطن يعنى يوم اليمامة وانى
أخاف ان يستحر القتل بقراء القرآن فى سائر المواطن فيذهب القرآن

وقد رأيت أن تجمعه فقلت له يعنى لعمر كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لي عمر هو والله خير فلم يزل بى عمر حتى
شرح الله صدرى للذى شرح له صدره ورأيت فيه مثل الذى رأى
عمر قال زيد وعمر عنده جالس لايتكلم فقال أبو بكر انك شاب عاقل
لانتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعه
قال زيد فوالله لئن كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان باثقل على مما
أمرنى به من جمع القرآن فقلت كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى
للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر ورأيت فيه الذى رأيا فتتبعت القرآن أجمعه
من الرقاع واللخاف والاكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت آخر
سورة براءة مع خزيمة بن ثابت الانصارى فلم أجدها مع أحد غيره
﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ حتى خاتمة براءة
فكانت الصحف التى جمع فيها القرآن عند أبى بكر حياته حتى توفاه الله
ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر * وروى
البخارى وغيره عن الزهرى عن أنس بن مالك ان حذيفة بن اليمان
قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام في فتح أرمينية واذربيجان مع
أهل العراق فرأى حذيفة اختلافهم فى القرآن فقال لعثمان ياأمير المؤمنين
أدرك هذه الأمة قبل ان يختلفوا في الكتاب كما اختلفت اليهود والنصارى
فأرسل الى حفصة ان أرسلى الى بالصحف ننسخها في المصاحف
ثم نردها عليك فأرسلت حفصة الى عثمان بالصحف فأرسل عثمان الى
زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد
الله بن الزبير ان انسخوا الصحف فى المصاحف وقال للرهط القرشيين

الثلاثة ما اختلفتم أنتم وزيد ثابت فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانها حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف بعث عثمان الى كل أفق بمصحف من تلك المصاحف التى نسخوا وأمر بسوى ذلك فى صحيفة أو مصحف أن تحرق قال الزهرى وحدثنى خارجة بن زيد أن زيد بن ثابت قال فقدت آية من سورة الاحزاب كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) فالتمستها فوجدتها مع خزيمة ابن ثابت فالحقتها فى سورتها قال الزهرى فاختلفوا يومئذ فى التابوت والتابوه فقال النفر القرشيون التابوت وقال زيد بن ثابت التابوه فرفع اختلافهم الى عثمان فقال اكتبوه التابوت فانه بلسان قريش نزل * وروى ابن أبى داود وابن الانبارى والخطيب عن أبي قلابة قال لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم القراءة الرجل والمعلم يعلم قراءة الرجل فجعل الغلمان يتلقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك الى المعلمين حتى كفر بعضهم بقراءة بعض فبلغ ذلك عثمان فقام خطيباً فقال أنتم عندى تختلفون وتلحنون فمن نأى عنى من الامصار أشد اختلافا وأشد لحناً فاجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس اماماً فقال أبو قلابة فحدثنى مالك بن أنس جد مالك بن أنس قال كنت فيمن أملى عليهم فربما يختلفون في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعله ان يكون غائباً أو فى بعض البوادى فيكتبون ماقبلها وما بعدها ويدعون موضعها حتى يجىء أو يرسل اليه فلما فرغ من المصحف كتب الى أهل الامصار انى قد صنعت كذا وصنعت كذا ومحوت ماعندى فامحوا ماعندكم * وروى ابن أبي داود وابن الانبارى والحاكم

والبيهقى عن سويد بن غفلة قال سمعت على بن أبى طالب يقول يا أيها الناس لا تغلوا فى عثمان ولا تقولوا له الا خيرا في احراق المصاحف فوالله ما فعل الذى فعل في المصاحف الا عن ملأ منا جميعا فقال ما تقولون في هذه القراءة فقد بلغنى ان بعضهم يقول قراءتى خير من قراءتك وهذا يكاد ان يكون كفرا قلنا فما ترى قال نرى ان يجمع الناس على مصحف واحد بلا فرقة ولا يكون اختلاف قلنا فنعم ما رأيت قال فقيل أى الناس أفصح وأى الناس أقرأ قالوا أفصح الناس سعيد بن العاص وأقرؤهم زيد بن ثابت فقال ليكتب أحدهما ويمل الآخر ففعلا وجمع الناس على مصحف قال على والله لو وليته لفعلت مثل الذى فعل * وروى ابن سعد عن محمد بن سيرين قال نبئت ان علياً أبطأ عن بيعة أبي بكر فلقيه أبو بكر فقال أكرهت امارتى قال لا ولكن آليت بيمين أن لا أرتدى برداء الا الى الصلاة حتى أجمع القرآن * وروى ابن أبى شيبة عن محمد بن كعب القرظى قال جمع القرآن (أى حفظه جميعه) فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة نفر من الانصار معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبى بن كعب وابو الدرداء وأبو أيوب * وروى ابن أبى شيبة وقال فى اسناده نظر عن محمد ابن كعب القرظى قال كان ممن ختم القرآن ورسول الله صلى الله عليه وسلم حى عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود واخرج ابن أبى داود من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال قدم عمر فقال من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من القرآن فليأت به وكانوا يكتبون ذلك في المصحف والالواح والعسب وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شهيدان قال وهذا يدل على ان

زيدا كان لا يكتفي بمجرد وجدانه مكتوبا حتى يشهد به من تلقاه سماعا مع كون زيد كان يحفظ فكان يفعل ذلك مبالغة فى الاحتياط وأخرج ابن أبي داود أيضا من طريق هشام بن عروة عن أبيه ان أبا بكر قال لعمر ولزيد اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شىء من كتاب الله فاكتباه قال ابن حجر وكأن المراد بالشاهدين الحفظ والكتاب وقال السخاوى فى جمال القراء المراد انهما يشهدان على ان ذلك المكتوب كتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو المراد انهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن قال أبو شامة وكأن غرضهم أن لا يكتب الا من عين ما كتب بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم لا من مجرد الحفظ قال ولذلك قال فى آخر سورة التوبة لم أجد مع غيره أى لم أجدها مكتوبة مع غيره لانه كان لا يكتفى بالحفظ دون الكتابة قال السيوطى أو المراد انهما يشهدان على ان ذلك مما عرض على النبى صلى الله عليه وسلم عام وفاته كما يؤخذ مما تقدم آخر النوع السادس عشر والذى تقدم هو قوله وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وائمة المسلمين الى أنها أى المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمل رسمها الاحرف السبعة فقط جامعة للعرضة الأخيرة التى عرضها النبى صلى الله عليه وسلم على جبريل متضمنة لها لم تترك حرفا منها ثم نقل عن ابن جرير ان القراءة على الاحرف السبعة لم تكن واجبة على الامة وانما كانت جائزة لهم ومرخصة لهم فلما رأى الصحابة ان الامة تفترق وتختلف اذا لم يجمعوا على حرف واحد اجتمعوا على ذلك اجتماعا شائعا وهم معصومون من الضلالة ولم يكن في ذلك ترك واجب ولا فعل حرام ولا شك ان القرآن نسخ منه فى العرضة الاخيرة

وغيرها فاتفق رأى الصحابة على ان كتبوا ما تحققوا انه قرآن مستقر فى العرضة الاخيرة وتركوا ما سوى ذلك وقال الحارث المحاسبي في كتاب فهم السنن كتابة القرآن ليست بمحدثة فانه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرقا فى الرقاع والاكتاف والعسب فانما أمر الصديق بنسخها من مكان الى مكان مجتمعا وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها القرآن منتشر فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء قال فان قيل كيف وقعت الثقة باصحاب الرقاع وصدور الرجال قيل لانهم كانوا يبدون عن تأليف معجز ونظم معروف قد شاهدوا تلاوته من النبى صلى الله عليه وسلم عشرين سنة فكان تزوير ما ليس منه مأمونا وانما كان الخوف من ذهاب شيء من صحفه انتهى. ومن أراد الزيادة فليراجع الاتقان فان الحصول عليه سهل لكل احد وقد نقل منه المعترض كثيرا الا أنه غير مأمون على النقل ولذلك لا ينبغى الاعتماد على عبارته ما لم يراجع الاصل الذى نقلت منه فانه قد يمسخ العبارات ليتأتى له الاعتراض بالباطل فمن ذلك قوله في صحيفة ١٦٩ « وقال العلماء ومنهم الامام فخر الدين ان ابن مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة والمعوذتين من القرآن وقال ابن حجر في شرح البخارى قد صح عن ابن مسعود انكار ذلك » هذه عبارته وها أنا أنقل عبارة الاتقان ليظهر ما فى عبارة ذلك الخبيث من التلبيس والبهتان قال رحمه الله تعالى فى النوع الثانى والعشرين ومن المشكل على هذا الاصل ما ذكره الامام فخر الدين قال « نقل فى بعض الكتب القديمة ان ابن مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة والمعوذتين من القرآن وهو فى غاية الصعوبة لانا ان قلنا ان النقل المتواتر كان حاصلا

في عصر الصحابة يكون ذلك من القرآن فانكاره يوجب الكفر وان
قلنا لم يكن حاصلا في ذلك الزمان فيلزم ان القرآن ليس بمتواتر في الاصل
قال والا غلب على الظن ان نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل باطل
اه) فانظر الفرق بين العبارتين نعم نقل ذلك بعض العلماء عن ابن مسعود
وأنكره بعضهم فممن أنكره النووي وابن حزم قال النووي في شرح
المهذب أجمع المسلمون على ان المعوذتين والفاتحة من القرآن وان من
جحد منها شيئا كفر وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح وقال
ابن حزم في المحلى هذا كذب على ابن مسعود موضوع وانما صح
عنه قراءة عاصم عن زر عنه وفيها المعوذتان والفاتحة وعلى فرض صحة ذلك
عنه فجوابه ما قاله ابن قتيبة في مشكل القرآن ظن ابن مسعود ان
المعوذتين ليستا من القرآن لانه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ بهما
الحسن والحسين فاقام على ظنه ولا نقول انه أصاب في ذلك وأخطأ
المهاجرون والانصار قال وأما اسقاطه الفاتحة من مصحفه فليس لظنه
انها ليست من القرآن معاذ الله ولكنه ذهب الى أن القرآن انما كتب
وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان ورأى
أن ذلك مأمون في سورة الحمد لقصرها ووجوب تعلمها على كل أحد
فان قيل لم لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بجمع القرآن في
كتاب واحد بحيث كلما نزلت آية يضمونها الى ما نزل قبلها أقول الحامل
له صلى الله عليه وسلم على عدم أمرهم بذلك والله أعلم ان الله تعالى قد
تكفل بحفظه فيكون تركه أمرهم بجمعه في مصحف واحد مقصودا منه
صلى الله عليه وسلم لتظهر قدرة الله تعالى في حفظه مع تشتته وتفرقه في
الاوراق وغيرها فيكون ذلك من باهر الآيات وظاهر المعجزات والا

فمن المعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان من أعقل الناس بل أعقلهم
كما يشهد به الموافقون والمخالفون وليس من الحزم بحسب الظاهر ان
يترك صلى الله عليه وسلم كتاب الله الذي أنزل عليه وهو عمدة دينه مشتتا
مفرقا في صدور الرجال وبطون الاوراق وألواح العظام وسعف النخل
وقطع الجلود ونحو ذلك لاسيما وقد استشهد من قرائه قسم عظيم في وقعة
بئر معونة في حياته صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لم يرو عنه عليه الصلاة والسلام
كلمة واحدة تدل على خوفه من ضياعه أو ضياع شيء منه أو زيادة شيء فيه
بل ثبت عنه عكس ذلك وهو تيقنه انه باق بعده الى قيام الساعة في أحاديث
كثيرة ومنها ما قاله قبيل وفاته صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع
وذلك قوله اني تارك فيكم ما ان استمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وأهل
بيتي وورد في الحديث انه يبقى الى قبيل قيام الساعة ثم يرفع أما الاحاديث
الاخرى الواردة في فضائله والترغيب في قراءته الدالة على تيقنه صلى الله
عليه وسلم بقاءه بعده ثقة بقول الله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ ﴾ فكثيرة جدا لا تخفى على أحد ولولا ذلك لما كان يجوز العقل تركه
صلى الله عليه وسلم اياه مفرقا مع انه كان يتيسر له بكل سهولة ان يأمر
بعض أصحابه بجمعه في كتاب بحيث كلما نزلت آية أو سورة يضمها الى
ما قبلها وكانوا لا يفارقونه صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر وأيضا لم
يرو عن أحد من أصحابه انه أشار عليه بذلك مع ظهور المصلحة في جمعه
التي لا تخفى على مثل الخلفاء الاربعة وغيرهم من اكابر أصحابه صلى الله عليه وسلم
وعقلائهم فضلا عمن هم دونهم فعدم خطور ذلك ببال أحد منهم أيضا
هو آية أخرى من الله تعالى ليظهر باهر قدرته سبحانه وتعالى بعد ذلك
في جمعه بعد التشتيت والتفرق فيتبين لكل أحد سر قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ

نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وكما قال تعالى فى سورة القيامة (ان علينا جمعه وقرآنه) وذكر المفسرون لهذه الآية معنى آخر و يدل على ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يعلم باعلام الله له انه لابد ان يجمع القرآن ولا يضيع منه شىء ولو لم يأمرهم بجمعه ماروا ه ابن عساكر عن أبى هريرة انه قال لعثمان لما نسخ المصاحف أصبت و وفقت أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أشد أمتي حبالى قوم يأتون من بعدى يؤمنون بى ولم يرونى يعملون بمافى الورق المعلق فقلت أى ورق حتي رأيت المصاحف فأعجب ذلك عثمان وأمر لابى هريرة بعشرة آلاف وقال والله ما علمت انك تحبس عنا حديث نبينا اذا علمت ذلك تعلم ان من أكبر أسباب حفظه الهام الله تعالى الصحابة رضى الله عنهم وبعث هممهم وجمع كلمتهم على جمعه وتدوينه فى المصحف على الوجه الذى أراده تعالى وهو ماهو موجود عليه فى اللوح المحفوظ وهو الذى هو عليه الآن الذى تلقته الامة بأسرها خلفا عن سلف الى الصحابة الجامعين له المتلقين جميعه من النبى صلى الله عليه وسلم وماخرج عن ذلك مما روى ان بعضهم كان يحفظه وأنسيه ونحوذلك من العبارات فذلك من المنسوخ الذى ثبت نسخه فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فهو ليس من القرآن البتة و به يعلم سقوط كل ماجاء به ذلك المعترض المفترى من الاكاذيب والتخاييل لاخفاء الحق واظهار الاباطيل يريدون ان يطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولوكره الكافرون فقدظهران الهام الصحابة رضى الله عنهم جمع القرآن بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم هو من أعظم آيات نبوته صلى الله عليه وسلم الظاهرة ودلائلها الباهرة وكذلك الهام من بعدهم جمع أحاديثه صلى الله عليه

وسلم ثم الهام أئمة الدين شرح الكتاب والسنة والاجتهاد فيها واستخراج الاحكام الشرعية منهما وترتيب ذلك وتدوينه حتى ضبطت الشريعة ضبطا يفوق الوصف كما هو مشاهد فكل ذلك من دلائل نبوته وصحة دينه صلى الله عليه وسلم التى لاتعد ولاتحصى فقد حفظت شريعته بذلك و بقيت الى الآن وستبقى الى آخر الزمان لايضرها الافتراء والبهتان ولا يتطرق الى دينه صلى الله عليه وسلم خلل بزيادة أو نقصان كما تطرق الى سائر الاديان وتبين بجمع القرآن مصداق قوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) ولولا ذلك لحصل للقرآن من الضياع ماحصل للكتب السماوية ولاسيما الانجيل وان كابر بذلك المعترض وغيره من المكابرين فان الحق سبحانه وتعالى لمالم يسبق في علمه حفظه من التحريف والزيادة والنقص لم يلهم أصحاب سيدنا عيسى عليه السلام الاجتماع على جمعه فى كتاب واحد كما حصل للقرآن بل جمع أربعة منهم كل واحد انجيلا فبالطبع خالف بعضهم بعضا ثم جاء غيرهم فجمعوا أناجيل أخرى فخالفوهم فى بعض ماذكروه فضاع بذلك كتاب الله تعالى الذى أنزله على سيدنا عيسى عليه السلام بين هذه الاناجيل كل واحدمنها أخذ نتفا منه فرقها في غضون كلامه ولا شك انه بذلك ضاع منه أشياء لم تذكر فى واحد من هذه الاناجيل لانه قدثبت وتحقق ان كل واحد منهم خالف سائرهم بزيادة شىء من ذلك على ماذكروه ونقص شىء مما ذكروه ولا شىء يدل على ان تلك الزيادة منحصرة بما زاده عليهم بل يحتمل ان تكون هناك زيادة لم يعثر عليها ولم تبلغه سوى الزيادات التى زادوها عليه وهذا احتمال قريب بدليل ان كل واحد منهم له زيادات على الآخرين اما ان يكونوا نسوها أولم تبلغهم

فلم يذكروها لاسيما وقد تأخر زمان جمعهم عن سيدنا عيسى ولم يكونوا يتمكنون من كثرة الاجتماع معه عليه السلام لتغلب أعدائه و بعضهم لم يجتمع به أصلا فلايمكن ان يكون أحدهم جمع جميع ما أنزل عليه من الانجيل وانما روى كل واحد منهم ماتيسر له وفرقه فى أثناء كلامه الذى جاء به من عند نفسه فانظر الى هذا ثم انظر الى الصحابة كيف اعتنوا أشد الاعتناء فى جمع القرآن مع كثرتهم وكثرة اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم سفرا وحضرا ليلا ونهارا مع ان الدولة دولتهم فى حياته وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فقد بذلوا أقصى مافى وسعهم لجمعه حتى أمكنهم جمعه على ماهو عليه ولم يفتهم منه شيء غير منسوخ ولم يزد فيه شيء لم يكن منه وسيأتي هذا البحث فى آخر الكتاب أيضا فانظروا أيها المنصفون الى هذا المعترض المكابر كيف مع كل هذا يزعم الزيادة والنقصان فى القرآن وعدمهما فى الانجيل هل هذا الا من الخذلان وعمى القلب والحرمان والاصرار على الباطل الظاهر و رفض الحق الباهر وهناك وجه آخر يؤكد ان القرآن لم يضع منه شيء وان الانجيل لم يسلم من الضياع وهو ان الله تعالى خص القرآن بخصوصية عظيمة لم يشاركه بها غيره من الكتب السماوية وهي تسهيل حفظه قال تعالى (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) وهذه الخصوصية هى من جملة آياته الدالة على انه كلام الله تعالى اذ لادخل للبشر بذلك اذا لم يوفقهم الله تعالى و يوجه قلوبهم لحفظه و ييسره لهم وانظر من عصر النبي صلى الله عليه وسلم الى الآن لم تخل بلدة من بلاد المسلمين من أن يكون فيها كثيرون من حفظة القرآن حتى القرى فضلا عن الامصار واذا نظرت الى التوراة والانجيل لم تسمع بأحد

يحفظهما مع انهما من أعظم الكتب السماوية وان لم يسلما الآن من الزيادات التي ليست من عند الله تعالى ووجه آخر يحقق ان القرآن لم يضع منه شيء سوى مانسخ منه ان الصحابة كان بعضهم يحفظه كله والبعض يحفظ أكثره والبعض يحفظ أقله ويحفظ أحدهم مالا يحفظه الآخر وقلما رجل منهم لايحفظ منه شيئا حتى كان عمر رضى الله عنه يأمر بقسمة الغنائم على مقادير الحفظ للقرآن وبذلك تزداد الرغبة للدين والدنيا فهذه الامور هي أيضا من أقوى أسباب ضبطه وحفظه من الضياع ولم يزل الامر مستمرا فى الامة على كثرة حفظه والاعتناء به وخدمته من العلماء أنواع الخدم بالتفسير والتجويد والقراآت وغير ذلك بحيث لم يحصل اعتناء من عهد آدم الى وقتنا هذا بكتاب من الكتب على الاطلاق مثل الاعتناء الذى حصل في القرآن حتى ان غير المسلمين لهم به أشد العناية من خدمته وطبعه بأجود الورق وأحسن التصحيح مع التغالى فيه ومن وقع منهم في يده نسخة منه من الخط النفيس تراه مفتخرا به غاية الافتخار ومحافظا على كرامتها غاية المحافظة وقد شاهدت والله يعني حينما كنت رئيس محكمة الجزاء فى اللاذقية سنة ١٣٠٣ هجرية في تركة رجل نصراني وهو قنصل فرانسا المسمى لنوس مصحفا بخط نفيس وهو ملفوف في عدة لفائف من الحرير الاخضر وموضوع بعلبة نفيسة وتلك العلبة فى داخل صندوق صغير هو أيضا نفيس فأحضر وشاهدته أنا ومن حضر من الناس على هذه الصورة الجميلة وشاهدنا مع ذلك التوراة والانجيل وكتبا أخرى تتعلق بدين النصارى مطروحة على الارض مع سائر الكتب التى لايعتنى بها فانظر وتعجب لحفظ الله تعالى لكتابه واعزازه له حتى عند من لا يعتقده وكثيرا مادخلت بعض بيوت

النصارى ورأيت المصحف معلقا فيها فى صدر البيت أو موضوعا بصفة مستحسنة أما حفظ المسلمين له واعتناؤهم به فهو أكثر من اعتناء اليهود والنصارى بالتوراة والانجيل أضعافا مضاعفة ولا ينكر ذلك أحد من المخالفين لانه لو أنكره كان منكرا للمحسوسات المشاهدات فكل احد يكذبه هذه أولاد المسلمين فضلا عن شيوخهم كثير منهم يحفظه في هذا الزمان الذى أعرض أهله عن الدين والتفتوا الى الدنيا فما بالك بالازمنة السابقة ولا يدعى أحد ان هذه الصفة موجودة فى غيره من الكتب السماوية ومن الاسباب القوية التى أعانتهم على جمعه وضبطه أحسن جمع وضبط انفراده بفصاحته واعجازه الى درجة لم يبلغها كلام غيره بحيث لاتخفى ديباجة لفظه وباهر فصاحته وبلاغته على أحد ممن يسمعه من العرب ولا سيما الصحابة الذين هم صفوتهم ومع ذلك لم يعتمدوا على خصوص أذواقهم مع سلامتها بل لم يثبتوا فيه آية بدون شاهدين عدلين سمعاها من النبي صلى الله عليه وسلم سوى الآيتين فى آخر سورة براءة فقد اكتفوا فيهما بشهادة خزيمة لكون النبى صلى الله عليه وسلم جعل شهادته بمنزلة شهادتين وظاهر انهما من القرآن عند كل ذى ذوق سليم فضلا عن أولئك الائمة الذين هم نخبة العرب فصاحة وبلاغة وسلامة ذوق والآيات التي احتيج الى اثباتها بشاهدين هي قليلة جدا ومع ذلك فقد تقدم عن بعض الائمة أن المراد بالشاهدين الحفظ والكتابة وقد علمت ان عدة من الصحابة كانوا يحفظون القرآن جميعه فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ونحن نعتقد بلاشك انهم رضى الله عنهم كانوا لاتخفى عليهم الآية القرآنية بمجرد قراءتها لان ديباجة القرآن تخالف بفصاحتها الباهرة وبهجتها الظاهرة جميع أنواع الكلام مهما كان فصيحا وهذا

يظهر لاحدنا الآن اذا كان ذا ذوق سليم مع كون طباعنا مهما بلغت من سلامة الذوق هي بالنظر الى طباعهم في غاية السقامة لانهم هم خلص العرب الذين نزل القرآن بلغتهم وأخذوه من فم النبي صلى الله عليه وسلم مشافهة ولم يطرأ عليهم أدنى شيء يخل بسلامة أذواقهم أما نحن ففضلا عما في طباعنا من القصور والسقامة لم نزل منذ نشأتنا مختلطين بعوام الناس الذين لايحسنون التكلم بالعربية الفصيحة فضلا عن الاعاجم الذين لانخلو من محادثتهم ومخالطتهم فى اكثر الايام ومع هذا فاننا ندرك بحمد الله وفضله علينا فصاحة القرآن وبلاغته ونذوق حلاوته التى لايشبهها شيء من الكلام واما اعتراض المعترض المتعلق بترتيب آيات القرآن وسوره بأنه كان اجتهادياً من الصحابة رضى الله عنهم فهذا بفرض تسليمه لاينفعه ولا يضرنا فانه لايخل باعجاز القرآن ولا بكونه كلام الله تعالى أنزله على نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منجما مفرقاً بحسب الوقائع فكل آية أو سورة نزلت فى حادثة فهى كلام الله تعالى وتقديمها وتأخيرها فى المصحف لايترتب عليه شيء مع ان اعتراضه من هذه الجهة هو غير مسلم وغير صحيح بالكلية فى الآيات فقد اجمعوا على ان ترتيبها توقيفى عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام ولا خلاف في ذلك بين المسلمين كما في الاتقان ونقل فيه نقولا كثيرة تؤيد ذلك وأما ترتيب السور فقد ورد مايدل على انه توقيفى وورد مايدل على انه اجتهادى وورد مايدل على ان أكثره كان توقيفيا وبعضه وهو القليل كان اجتهاديا وتفصيل ذلك في الاتقان ويكون الله تعالى قد ألهمهم ترتيب ما كان منه اجتهاديا على ترتيبه فى اللوح المحفوظ وهذا لامانع منه ولا وجه للاعتراض به اذا علمت ذلك تعلم سقوط جميع ما أتى به ذلك المعترض من المغالطات والاباطيل والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

(الفصل الثالث فى جواز نسخ الشرائع بعضها ببعض ومن ذلك وقوع النسخ فى القرآن والحديث) لايخفى ان كون النسخ جائزا فى شرعنا وهو من الامور المعلومة بالضرورة عند كل مسلم فان أجهل عوام المسلمين يعلم ان شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد نسخت سائر الشرائع ودينه نسخ سائر الاديان وهذا لايجهله أحد من عوام المسلمين فضلا عن خواصهم وأما نسخ بعض شرعه صلى الله عليه وسلم ببعض فهذا لايخفى على أقل طلبة العلم ولذلك لاأرى لزوما لنقل عبارات العلماء هنا وذكر الآيات والاحاديث التى نسخ بعضها بعضا فهى مشهورة فى كتب التفسير والعلم وقد ألف العلماء فى الناسخ والمنسوخ تآليف مستقلة والمقصود ان الاطلاع على ذلك سهل لمن أراده والمعترض ذكر فى كتابه من ذلك شيئا كثيرا ظنا منه ان ذلك مما يمس دين الاسلام وجعله فى مقابلة اثبات اظهار الحق وقوع التحريف والزيادة والنقص فى كتب أهل الكتاب الموجودة فى أيديهم الآن وهو من مقابلة الباطل بالحق والصدق بالبهتان فان ما أتى به اظهار الحق أيده بالنقول الصحيحات والبراهين الواضحات وما قابله به هذا المعترض فى حق القرآن انما هو من قبيل الدعاوى الكاذبات والتلبيسات الباطلات فان جميع ما ذكره من ذلك يجاوب عنه بجواب واحد وهو وقوع النسخ لبعض آيات القرآن لفظا فقط أوحكما فقط أو لفظا وحكما واعتراضاته كلها لا تخرج عن ذلك ولكنه يكابر بالبديهيات فيذكر ما يخيل انه وارد من الاعتراضات ثم يقول انهم يعتذرون عن ذلك بوقوع النسخ مما يدل على انه لم يقصد الا ايقاع الاوهام وتكثير الكلام والا فكيف يستشهد بتلك الاعتراضات من كتب علماء الاسلام و يزعم انها واردة عليهم وهو يعلم ان دينهم

من أجل قواعده أحكام الناسخ والمنسوخ وان ذلك واقع فى الكتاب والسنة باتفاق الامة بل واقع فى الشرائع السابقة أيضا كما نقله العلماء كالشيخ رحمة الله فى اظهار الحق وقد ذكر رحمه الله تعالى فى الباب الثالث قبل أن شرع بنقول عباراتهم الدالة على وقوع النسخ عندهم أحكاما مهمة وفوائد جمة تتعلق بالنسخ فلنذكر بعضها تتميما للفائدة قال رحمه الله تعالى النسخ فى اللغة الازالة وفى اصطلاح أهل الاسلام بيان مدة انتهاء الحكم العملى الجامع للشروط لان النسخ لايطرأ عندنا على القصص ولا على الامور القطعية العقلية مثل ان صانع العالم موجود ولا على الامور الحسية مثل ضوء النهار وظلمة الليل ولا على الادعية ولا على الاحكام التى تكون واجبة نظراً الى ذاتها مثل آمنوا ولا تشركوا ولا على الاحكام المؤبدة مثل (وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا) ولا على الاحكام المؤقتة قبل وقتها المعين مثل (فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) بل يطرأ على الاحكام التى تكون عملية محتملة للوجود والعدم غير مؤبدة وغير مؤقتة وتسمى الاحكام المطلقة وليس معنى النسخ المصطلح ان الله امر او نهى أولا وما كان يعلم عاقبته ثم بدا له رأى فنسخ الحكم الاول فيلزم الجهل بل معناه ان الله تعالى كان يعلم ان هذا الحكم يكون باقيا على المكلفين الى الوقت الفلانى ثم ينسخ فلما جاء الوقت أرسل حكما آخر ظهر منه الزيادة والنقصان والرفع مطلقا ففى الحقيقة هذا بيان انتهاء الحكم الاول لكن لما لم يكن الوقت مذكورا فى الحكم الاول فعند ورود الثانى يتخيل لقصور علمنا فى الظاهر انه تغيير ونظيره بلا تشبيه ان تأمر خادمك الذى تعلم حالته بخدمة من الخدمات و يكون فى نيتك انه يكون على هذه الخدمة الى سنة مثلا فقط و بعد السنة يكون

على خدمة أخرى لكن ما أظهرت عزمك ونيتك عليه فاذا مضت المدة وعينه على خدمة أخرى فهذا بحسب الظاهر عند الخادم وكذا عند غيره الذى ما أخبرته عن نيتك تغيير وأما في الحقيقة وعندك فليس بتغيير ولا استحالة فى هذا المعنى لا بالنسبة الى ذات الله ولا الى صفاته تعالى فكما ان فى تبديل المواسم مثل الربيع والصيف والخريف والشتاء وكذا في تبديل الليل والنهار وتبديل حالات الناس مثل الفقر والغنى والصحة والمرض وغيرها حكم لله تعالى سواء ظهرت لنا أو لم تظهر فكذلك في نسخ الاحكام حكم له تعالى نظرا الى حال المكلفين والزمان والمكان ألا ترى ان الطبيب الحاذق يبدل الادوية والاغذية بملاحظة حالات المريض وغيرها على حسب المصلحة التى يراها ولا يحمل أحد فعله على العبث والسفاهة والجهل فكيف يظن عاقل هذه الامور في الحكيم المطلق العالم بالاشياء بالعلم القديم الازلى الابدى واذا علمت هذا فاقول ليست قصة من القصص المندرجة فى العهد العتيق والجديد منسوخة عندنا أى لان النسخ لا يتعلق بالقصص بل بالاحكام نعم بعضها كاذب وذكر هنا الشيخ رحمة الله بعض ما فى العهد العتيق أى التوراة من نسبة بعض الانبياء صلوات الله عليهم الى الزنا وعبادة الاوثان وقال ان هذه القصص وأمثالها كاذبة باطلة عندنا ولا نقول انها منسوخة ثم قال ولا تكون الادعية منسوخة فلا يكون الزبور الذى هو أدعية منسوخا بالمعنى المصطلح عندنا ولا نقول قطعا انه ناسخ للتوراة ومنسوخ من الانجيل كما افترى هذا الامر على أهل الاسلام صاحب ميزان الحق وقال ان هذا مصرح به فى القرآن والتفاسير وانما منعنا عن استعمال الزبور والكتب الاخرى من العهد العتيق والجديد لانها مشكوكة يقينا بسبب عدم اسانيدها

المتصلة وثبوت وقوع التحريف اللفظى فيها بجميع أقسامه كما عرفت فى الباب الثانى ثم بعد ان ذكر ان شريعتنا لم تنسخ جميع أحكام التوراة والانجيل بل وافقتهما فى أحكام كثيرة قال والنسخ ليس بمختص بشريعتنا بل وجد فى الشرائع السابقة أيضا بكثرة بكلا قسميه أعنى النسخ الذى يكون في شريعة نبي لاحق لحكم كان فى شريعة نبي سابق والنسخ الذى يكون فى شريعة نبي لحكم آخر من شريعة هذا النبي نفسه وأمثلة القسمين فى العهد العتيق والجديد غير محصورة ثم ذكر من ذلك شيئا كثيرا وعين مواضعه من كتبهم الموجودة بين أيديهم الآن مع تعيين تاريخ طبع تلك النسخ الموجود فيها ذلك لتسهل مراجعتها لمن شاءها * وقال ابن حجر فى شرح الهمزية واعلم ان شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع اجماعا ثم قال (تنبيه) ذكر الامام يعنى الرازى في المطالب العالية فى الحكمة فى نسخ الشرائع كلاما حسنا فقال الشرائع منها ما يعرف نفعه بالعقل معاشا ومعادا فهذا يمتنع طروء النسخ عليه كمعرفة الله تعالى وطاعته أبدا ومجامع هذه الشرائع العقلية أمران التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله تعالى ومنها سمعية لا يعرف الانتفاع بها الا من السمع وهذا يمكن طروء نسخه وتبديله وحكمة نسخه ان الاعمال البدنية اذا واظب عليها الخلف عن السلف صارت كالعادة وظن انها مطلوبة لذاتها فيمتنع الوصول بها لما هو المقصود من معرفة الله تعالى وتمجيده بخلاف ما اذا تغيرت تلك الطريق واعلم ان المقصود من الاعمال انما هو رعاية أحوال القلب والروح فى المعرفة والمحبة فان الاوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك الصور الظواهر الى تطهير السرائر وقال غيره حكمته ان الخلق طبعوا على الملالة من الشىء فوضع فى عصر كل رسول شريعة

جديدة لينشطوا فى أدائها وأعظم الحكمة اظهار شرف نبينا صلى الله عليه وسلم فانه نسخ بشر يعته شرائعهم وشريعته صلى الله عليه وسلم لاناسخ لها ومن حكم النسح أيضاً مافيه من حفظ مصالح العباد كطبيب يأمر بدواء فى يوم وبآخر في يوم ثان وهكذا بحسب المصلحة وان كان الثانى أثقل انتهي ما نقله ابن حجر ه * ولتمام الفائدة اذكر هنا ما قاله علاء الدين الخازن فى تفسير قوله تعالى ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَنْسَأْهَا ﴾ لجمعه معظم ماذكره الفخر الرازى وغيره من المفسرين فى ذلك قال رحمه الله تعالى سبب نزولها ان المشركين قالوا ان محمداً يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غداً مايقول الا من تلقاء نفسه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾ فأنزل ماننسخ من آية فبين بهذه الآية وجه الحكمة فى النسخ وانه من عنده لامن عند محمد صلى الله عليه وسلم وأصل النسخ فى اللغة يكون بمعنى القتل والتحويل ومنه نسخ الكتاب وهو ان ينقل من كتاب الى كتاب آخر وذلك لايقتضى ازالة الصورة الاولى بل يقتضى ثبات مثله فى كتاب آخر فعلى هذا المعنى يكون القرآن كله منسوخا وذلك انه نسخ من اللوح المحفوظ ونزل جملة واحدة الى سماء الدنيا وقد يكون النسخ بمعنى الرفع والازلة وهو ازالة شىء بشىء يعقبه كنسخ الشمس الظل والشيب الشباب فعلى هذا المعنى يكون بعض القرآن منسوخاً وبعضه ناسخاً وهو المراد من حكم هذه الآية وهو ازالة الحكم بحكم يعقبه وهو فى اصطلاح العلماء عبارة عن رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر عنه والنسخ جائز عقلا وواقع سمعاً خلافا لليهود فان منهم

من ينكره عقلا لكنه منعه سمعا وشذت طائفة قليلة من المسلمين فأنكرت النسخ احتج الجمهور من المسلمين على جوازالنسخ ووقوعه بان الدلائل قد دلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لاتصح الا مع القول بالنسخ وهو نسخ شرع من قبله فوجب القطع بالنسخ ولنا على اليهود الزامات (منها) ان الله تعالى حرم عليهم العمل في يوم السبت ولم يحرمه على من كان قبلهم (ومنها) انه قد جاء فى التوراة ان الله تعالى قال لنوح عليه الصلاة والسلام عند خروجه من الفلك انى جعلت كل دابة مأكولا لك ولذريتك وأطلقت ذلك لكم ثم انه تعالى حرم على موسى عليه الصلاة والسلام وعلى بنى اسرائيل كثيرا من الحيوانات (ومنها) ان آدم عليه الصلاة والسلام كان يزوج الاخ بالاخت وقد حرمه على من بعده وعلى موسى عليه الصلاة والسلام فثبت بهذا جواز النسخ وحيث ثبت جواز النسخ فقد اختلفوا فيه على وجوه (أحدها) ان القرآن نسخ جميع الشرائع والكتب القديمة كالتوراة والانجيل وغيرهما (الوجه الثانى) المراد من انسخ يعنى فى الآية المذكورة هو نسخ القرآن ونقله من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا (الوجه الثالث) وهو الصحيح الذى عليه جمهور العلماء ان المراد من النسخ هو رفع حكم بعض الآيات بدليل آخر يأتى بعده وهو المراد بقوله تعالى ماننسخ من آية أو ننسأها نأت بخير منها أو مثلها لان الآية اذا أطلقت فالمراد بها آيات القرآن لانه هو المعهود عندنا (مسئلة) قال الشافعى رضى الله عنه الكتاب لاينسخ بالسنة المتواترة واستدل بهذه الآية وهو انه تعالى قال بماننسخ من آية أو ننسأها نأت بخير منها أو مثلها وذلك يفيد انه تعالى هو الاتى والماتى

به هو من جنس القرآن وما كان من جنس القرآن فهو قرآن وقوله نأت بخير منها يفيد انه هو المنفرد بالاتيان بذلك الخير وهو القرآن الذى هو كلام الله تعالى دون السنة ولان السنة لاتكون خيرا من القرآن ولا مثله واحتج الجمهور على جواز نسخ الكتاب بالسنة بأن آية الوصية للاقربين منسوخة بقوله صلى الله عليه وسلم لاوصية لوارث أجاب الشافعى رضى الله عنه بان هذا ضعيف لان كون الميراث حقاً للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان آية الميراث مانعة من الوصية وتقرير هذا وبسطه معروف فى أصول الفقه ثم النسخ في القرآن على وجوه (أحدها) مارفع حكمه وتلاوته كما روى عن أبى امامة بن سهل ان قوماً من الصحابة قاموا ليلة يقرؤن فيها سورة فلم يذكروا منها الا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السورة رفعت بتلاوتها وحكمها أخرجه البغوى بغير سند وقيل ان سورة الاحزاب كانت مثل سورة البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكماً (الوجه الثانى) مارفع تلاوته وبقى حكمه مثل آية الرجم روى عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعث محمدا بالحق وانزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها وعقلناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشى ان طال بالناس زمان ان يقول قائل مانجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وان الرجم فى كتاب الله حق على من زنى اذا أحصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف أخرجه مسلم وللبخارى نحوه (الوجه الثالث) مارفع حكمه وثبت خطه

وتلاوته وهو كثير فى القرآن مثل اية الوصية للأقربين نسخت بآيات الميراث عند الشافعى وبالسنة عند غيره وآية عدة الوفاة بالحول نسخت بآية أربعة أشهر وعشر وآية القتال وهي قوله (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ) الآية نسخت بقوله (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ) الآية فقوله ما ننسخ من آية أى نرفعها أو نرفع حكمها أو ننسها قرئ بضم النون وكسر السين ومعناها نثبتها على قلبك وقال ابن عباس نتركها لاننسخها وقيل معناه نأمر بتركها فعلى هذا يكون النسخ الاول رفع الحكم واقامة غيره مقامه والانساء نسخ من غير اقامة غيره مقامه وقرئ ننسأها بفتح النون والسين وبالهمزة ومعناها نؤخرها فلا ننزلها أو نرفع تلاوتها ونؤخر حكمها كآية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الاول بمعنى رفع التلاوة والحكم قال سعيد بن المسيب وعطاء (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ) فهو ما نزل من القرآن جعلاه من نسخت الكتاب اذا نقلته الى كتاب آخر وننسأها أى نؤخرها ونتركها في اللوح المحفوظ فلا ننزلها (نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا) أى بما هو أنفع لكم وأسهل عليكم وأكثر لاجوركم وليس معناه ان آية خير من آية لان كلام الله تعالى كله واحد (أَوْ مِثْلِهَا) أى فى المنفعة والثواب فما نسخ الى الايسر كان أسهل في العمل كالذى كان على المؤمنين من فرض قيام الليل ثم نسخ ذلك فكان خيرا لهم فى عاجلهم لسقوط التعب والمشقة عليهم وما نسخ الى الاشق كان اكمل فى الثواب كالذى كان عليهم من صيام أيام معدودات فى السنة فنسخ ذلك وفرض صيام شهر رمضان فكان صوم شهر كامل في كل سنة أثقل على الابدان واشق من صيام أيام معدودات فكان ثوابه أكمل واكثر أما المثل فكنسخ التوجه الى بيت المقدس وصرفه الى المسجد الحرام واستواء الاجر فى ذلك لان على المصلى التوجه

الى حيث أمره تعالى (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أى على النسخ والتبديل والمعنى ألم تعلم يامحمد انى قادر على تعويضك مما نسخت من أحكامي وغيرته من فرائضى التى كنت افترضتها عليك ماأشاء مماهوخيرلك ولعبادى المؤمنين وانفع لك ولهم عاجلا وآجلا (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) يعنى انه تعالى هو المتصرف فى السموات والاوض وله سلطانهما دون غيره يحكم فيهما وفيما فيهما بما شاء من أمر ونهى ونسخ وتبديل وهذا الخبر وان كان خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب لليهود الذين أنكروا النسخ وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فاخبرهم الله ان له ملك السموات والارض وان الخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه يحكم فيهم بمايشاء وعليهم السمع والطاعة انتهى كلام الخازن وذكر الفخر الرازى وغيره ان النسخ يقع لا الى بدل قال ويدل عليه نسخ تقديم الصدقة بين يدى مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم * وقال الامام النسفي في تفسير آية (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا) النسخ لغة التبديل وشرعا بيان انتهاء الحكم الشرعى المطلق الذى تقرر فى أوهامنا استمراره بطريق التراخى فكان تبديلا فى حقنا بيانا محضا فى حق صاحب الشرع ثم قال والانساء ان يذهب بحفظها عن القلوب وقرأ أو ننسأها مكى وأبو عمرو أى نؤخرها من نسأت أى اخرت انتهى كلام النسفى ثم قال والانساء ان يذهب بحفظها عن القلوب قال جامعه الفقير يوسف النبهانى عفاالله عنه ولايخفى ان الانساء أى انساء الله تعالى الصحابة بعض السور والآيات التى نسخها هى آية ظاهرة ومعجزة باهرة لدلالته على ان النسخ هو من الله تعالى وانه كما نسخ أحكام تلك الآيات نسخها

من حفظهم أيضاً وأنساهم اياها بالكلية قهرا عنهم وبدون اختيارهم وذلك من أكبر الآيات وخوارق العادات الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وان القرآن هو كلام الله تعالى الواحد القهار ليس لاحد من خلقه النبي أو غيره فى زيادة شىء عليه أو نقص شىء منه اختيار ولا اقتدار ومن ههنا يعلم ان المعترض انما اعترض بذلك على القرآن لجهله وسقامة فهمه وعدم ادراكه اسرار الاحكام ومعانى الكلام وانطماس قلبه وستره بغشاوات الظلام وقد رأيت ان أذكر هنا جملة من الاحاديث والآثار التى تضمنت نسيان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه قهرا عنهم وبدون اختيارهم بعض الآيات والسور التى نسخها الله تعالى فانساهم اياها ليعلم ان الامر لله تعالى وحده يفعل فى خلقه ما يشاء و يحكم فيهم مايريد وان القرآن كلامه بغير زيادة ولانقص لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وها أنا أنقل ذلك مما ذكره الحافظ السيوطى فى تفسيره الدر المنثور قال رحمه الله تعالى (بعض الاحاديث والآثار الواردة فى الانساء وحده أومع النسخ) أخرج الحاكم في الكنى عن ابن عباس قال كان مما ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم الوحى بالليل وينساه بالنهار فانزل الله (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا) وأخرج الطبرانى عن ابن عمر قال قرأ رجلان من الانصار سورة أقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا يقرآن بها فقاما يقرآن ذات ليلة يصليان فلم يقدرا منها على حرف فاصبحا غاديين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انها مما نسخ أو نسى فالهوا عنه فكان الزهرى يقرؤها (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا) بضم النون خفيفة * وأخرج أبو داود فى ناسخه عن مجاهد قال فى قراءة أبي (مَا نُنْسِخْ مِنْ

آيةٍ أو ننسك) وأخرج ابن جرير والبيهقى عن عبيد بن عمير الليثى
فى قوله تعالى (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَنْسَأْهَا) يقول أو نتركها نرفعها من
عندكم وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن الضحاك قال في قـراءة
ابن مسعود (مَا نُنْسِكَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَنْسَخْهَا) وأخرج عبد بن حميـد وأبو داود
فى ناسخه وابن جرير عن قتادة قال كانت الآية تنسخ الآية وكان نبى الله يقرأ
الآية والسورة وماشاء الله من السورة ثم ترفع فينسيها الله نبيه فقال الله تعالى
يقص على نبيه صلى الله عليه وسلم (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَنْسَأْهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا
أَوْ مِثْلِهَا) يقول فيها تخفيف فيها رخصة فيها أمر فيها نهى وأخرج أبو
داود فى ناسخه عن ابن عباس قال (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَنْسَأْهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ
مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ثم قال تعالى (وَإِذَا بَدَّلْنَا
آيَةً مَكَانَ آيَةٍ) وقال تعالى (يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ) وأخـرج أبو
داود وابن جرير عن أبى العالية قال يقول (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا)
كان الله تعالى أنزل أمورا من القرآن ثم رفعها فقال (نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ
مِثْلِهَا) وأخرج ابن جرير عن الحسـن فى قوله أو ننسها قال ان نبيكم
صلى الله عليه وسلم اقرئ قرآنا ثم أنسيه فلم يكن شيئا ومن القرآن ماقد
نسخ وأنتم تقرؤنه * وأخرج أبو داود في ناسـخه وابن المنـذر وابن
الانبارى فى المصاحف وأبو ذر الهروى فى فضائله عن أبى امامة بن سهل
بن حنيف ان رجلا كانت معه سورة فقام من الليل فقام بها فلم يقدر عليها
وقام آخر بها فلم يقـدر عليها وقام آخر فلم يقدر عليها فاصبحوا فأتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا عنده فأخبروه فقال انها نسخت
البارحة وأخرج أبو داود في ناسخه والبيهقى فى الدلائل من وجه آخر
عن أبى امامة ان رهطا من الانصار من أصحاب النبى صلى الله عليـه وسلم

أخبروه ان رجلا قام من جوف الليل يريد ان يفتتح سورة كان قد وعاها
فلم يقدر منها على شىء الا بسم الله الرحمن الرحيم ووقع ذلك لناس من
أصحابه فاصبحوا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السورة فسكت
ساعة لم يرجع اليهم شيئا ثم قال نسخت البارحة فنسخت من صـدوركم
ومن كل شىء كانت فيه * وأخرج مسلم وغيره عن أبى موسى الاشعرى
قال كنا نقرأ سورة نشبهها فى الطول والشدة ببراءة فانسيتها غـير انى
حفظت منها (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ
جوفه الا الـتراب) وكنا نقرأ سورة نشبهها باحدى المسبحات أولها
سبح لله مافى السموات فانسيناها غـير انى حفظت منها (يا أيها الذين
امنوا لم تقولون مالا تفعلون فتكتب شـهادة في أعناقكم فتسألون عنها
يوم القيامـة) * وأخرج أبو عبيد في فضائله وابن الضريس عن أبى
موسى الاشعرى قال نزلت سورة شديدة نحو براءة في الشـدة ثم رفعت
وحفظت منها (ان الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم) * وأخرج
ابن عبد البر فى التمهيد من طريق عدى بن عدى بن عمير بن قزوة عن
أبيـه عن جده عمير بن قزوة ان عمر بن الخطاب قال لابى أو ليس كنا
نقرأ فيما نقـرأ من كتاب الله (ان انتفاء كم من آبائكم كفر بكم) فقال
بلى ثم قال أو ليس كنا نقرأ (الولد للفراش وللعاهر الحجر فيما فقـدنا
من كتاب الله) فقال أبى بلى * وأخرج أبو عبيد وابن الضريس وابن
الانبارى عن المسور بن مخرمة قال قال عمـر لعبـد الرحمن بن عوف
ألم تجد فيما أنزل علينا (ان جاهدوا كما جاهدتم أول مرة) فانا لا نجدها
قال أسقطت فيما أسقط من القرآن * وذكر في القـرآن عن عروة بن
الزبير عن عائشة قالت كانت سورة الاحزاب فى زمن النبى صلى الله عليه

وسلم مائتى اية فلما كتب عثمان المصحف لم يقدر منها الا على ماهو الآن
* وعن أبي بن كعب انه قال ان كانت سورة الاحزاب لتعدل سورة
البقرة وان كنا لنقرأ فيها آية الرجم (اذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما
البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم) * وقال فى الاتقان أيضا قال أبو
بكر الرازى نسخ الرسم والتلاوة انما يكون بأن ينسيهم الله اياه ويرفعه
من أوهامهم و يأمرهم بالاعراض عن تلاوته وكتبه فى المصحف
فيندرس على الايام كسائر كتب الله القديمة التي ذكرها فى كتابه فى
قوله (إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ) ولا يعرف اليوم
منها شيء ثم لا يخلو ذلك من أن يكون في زمان النبى صلى الله عليه وسلم
حتى اذا توفي لا يكون متلوا من القرآن أو يموت وهو متلو موجود بالرسم
ثم ينسيه الله الناس ويرفعه من أذهانهم وغير جائز نسخ شيء من القرآن
بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم انتهى (الاحاديث والآثار المتعلقة
بالعرضة الاخيرة) أخرج ابن أبي شيبة فى المصنف وابن الانبارى
والبيهقى فى الدلائل عن عبيدة السلمانى قال القراءة التى عرضت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العام الذى قبض فيه هذه القراءة التى
يقرؤها الناس التى جمع عثمان الناس عليها * وأخرج ابن الانبارى عن
ابن سيرين قال كان جبريل يعارض النبى صلى الله عليه وسلم كل سنة فى
شهر رمضان فلما كان العام الذى قبض فيه عارضه مرتين فيرون ان
تكون قراءتنا هذه على العرضة الاخيرة * وأخرج ابن الانبارى عن
أبى ظبيان قال قال لنا ابن عباس أى القراءتين تعدون أول قلنا قراءة
عبد الله وقراءتنا هى الاخيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يعرض عليه جبريل عليه السلام القرآن كل سنة مرة في شهر رمضان

وانه عرضه عليه فى آخر سنة مرتين فشهد منه عبد الله مانسخ ومابدل
وأخرج ابن الانباري عن مجاهد قال قال لنا ابن عباس أى القراءتين
تعدون أول قلنا قراءة عبد الله قال فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يعرض القرآن على جبريل مرة واحدة وانه عرض عليه في آخر
سنة مرتين فقراءة عبد الله آخرهن * وأخرج ابن الانبارى عن ابن
مسعود قال كان جبريل يعارض النبى صلى الله عليه وسلم بالقرآن فى كل
سنة مرة وانه عارضه بالقرآن فى آخر سنة مرتين فأخذته من النبى
صلى الله عليه وسلم ذلك العام * وأخرج ابن الانبارى عن ابن مسعود
قال لو أعلم أحدا أحدث بالعرضة الاخيرة منى لرحلت اليه * وأخرج
الحاكم وصححه عن سمرة قال عرض القرآن على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاث عرضات فيقولون ان قراءتنا هذه هى العرضة الاخيرة * قال
الحافظ السيوطى واعلم ان القرآن بعد جمع الصحابة له استقر على ماهو
عليه فى العرضة الاخيرة التى عرضها جبريل عليه السلام على النبى صلى
الله عليه وسلم انتهى وأما زعم المعترض بأن أكثر القرآن ناسخ ومنسوخ
وأخذ يعدد السور التى فيها الناسخ والمنسوخ من كتاب الاتقان
فهذا من جملة تسرعه الى الباطل بغير حق وأخذه كلام أئمة المسلمين
وانتحال كلامهم اعتراضات يعترضها و يزعم انه قد استخرجها بدقيق
فكره وبلغ مراده من الاعتراضات التى لا طائل تحتها لانا لو فرضنا ان
جميع السور بدون استثناء سورة واحدة منها فيها الناسخ والمنسوخ
لا يضرنا ذلك شيئا بعد ان ثبت ان ذلك من عند الله تعالى مع ان
الامام السيوطى نفسه الذى نقل كلامه من الاتقان هو فى نفس الصفحة
التى نقل منها ذلك الرجل مابني عليه اعتراضه قال الضرب الثانى مانسخ

حكمه دون تلاوته و هذا الضرب هو الذى فيه الكتب المؤلفة وهو على
الحقيقة قليل جدا وان أكثر الناس من تعديد الآيات فيه ثم ذكر
الآيات التى وقع فيها النسخ حقيقة وقال فهذه احدى وعشرون آية
منسوخة على خلاف فى بعضها لايصح دعوى النسخ في غيرها اذا علمت
ذلك مما تقدم تحقق سقوط كل ماقاله ذلك المعترض في شأن القرآن وانه
حصل فيه زيادة أونقص كما حصل للتوراة والانجيل وكيف يكون ذلك
والمشاهدة الآن وفى كل زمان تكذب ماقاله من البهتان ولكن هو
لايستحي من الكذب ولا يبالى بالافتراء هذا القرآن مصاحفه ملأت
الارض وليس منها مصحف يخالف الآخر الا ان يكون بلحن مطبعة
يدركه أطفال المسلمين فضلا عن كبارهم وعوامهم فضلا عن علمائهم
وهذه نسخ التوراة والانجيل أيضا هى موجودة ولا تجد منها نسخة
مماطبعت فى وقت توافق نسخة أخرى طبعت فى وقت آخر أو مطبعة أخرى
وقد ذكر الشيخ رحمة الله فى كتابه اظهار الحق من ذلك جملا كثيرة
لاسبيل الى تأويلها والجواب عنها الا بالمكابرة والكلام الفارغ الذى
لايفيد نفعا عند كل منصف من النصارى فضلا عن غيرهم ولكن هذا
الرجل يظن بزعمه انه بتصفيف الكلام وزخرفة العبارات يقلب الحقائق
و يبدل الاوصاف و يثبت فى أذهان الناس المحال من ذم الهدى ومدح
الضلال واذا نظر من لديه أدنى فهم وتوفيق ولو من غير المسلمين
فضلا عنهم الى ما تقدم وما يأتى يثبت لديه يقينا ان القرآن كلام
الله المجيد وهو كما قال تعالى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد واذا أنكر ذلك المعترض وكابر
على حسب عادته نقول له ان الزمن من عهد النبى صلى الله عليه

وسلم الى الآن ١٣٢٢ سنة وقبل ذلك نحو ثلاث عشرة سنة من حين
بعثته صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن عليه ولم يزل صلى الله عليه وسلم
في هذه المدة هو ومن في زمنه ومن بعده من المسلمين ينادون بهذا
القرآن على رؤس الاشهاد و يقولون انه كلام الله وانه معجز البشر وان
أحدا من الخلق لايستطيع معارضة أقصر سورة منه وقد أتي في
هذه المدة الطويلة كثير من الفصحاء والبلغاء من غير المسلمين من
فصحاء العرب وأهل الزندقة والالحاد والملل المخالفة في عهده صلى الله
عليه وسلم وبعده وكلهم فى غاية الحرص على هدم هذا الدين واطفاء
نوره المبين ومع ذلك لم يستطع أحد منهم معارضة أقصر سورة منه فضلا
عن الا طول فضلا عن الكل ولو كان فى وسع أحدهم المعارضة لما كان
يتأخر عنها لانه يكون قد قهر عدوه وحصل من الشهرة في الخافقين
مالم يحصله غيره وقد جرى الامر على عجزهم أجمعين عصرا بعد عصر
الى وقتنا هذا مع توفر الاسباب الباعثة لهم على المعارضة لو قدروا عليها
ونحن ننظر رجلا من الفصحاء المشاهير نظم قصيدة فصيحة بليغة وقع
الاتفاق على قبولها فنرى له من المعارضين بها جماعات كثيرة هذه قصيدة
بانت سعاد قد رأيت لها من المعارضات شيئاً كثيرا ذكرت منها فى
مجموعتى النبهانية فى المدائح النبوية ثلاثا وعشرين قصيدة معارضة لها
فلوكان في استطاعة الفصحاء من أعداء الدين معارضة القرآن أو
شيئا منه ماذا الذي كان يمنعهم عنه وهذا الامر لايمكن للمعترض انكاره
لانه أمر واقع وعلمه من الامور البديهية التى لاتخفى على أحد من المسلمين
وغيرهم وكون ذلك دليلا على انه كلام الله ليس من عند سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم هو أيضاً من البديهيات أو كاد أن يكون من البديهيات

والا فما الداعي الى أن يختص كلامه صلى الله عليه وسلم بهذه الخصوصية وليس كل كلامه بل هذا الكلام المسمى بالقرآن بهذا الوصف وباقي كلامه وهو الحديث القدسي والنبوي ليس كذلك فو الله ان عدم التصديق بان القرآن كلام الله وانه معجزة ظاهرة وآية باهرة على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه لمن أكبر الخذلان والحرمان وانسداد باب الهداية والتوفيق عن الانسان فالحمد لله ثم الحمد لله الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ولنفرض ان القرآن من كلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أي ألفاظه بمعنى ان المعانى كانت تنزل عليه صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى بواسطة جبريل عليه السلام وهو صلى الله عليه وسلم يعبر عنها بالفظ من عنده فهو لو فرضناه كذلك مع تحقق عجز الخلق كافة عن الاتيان بمثله هو أيضاً معجزة باهرة وآية ظاهرة وحجة قاطعة قاهرة كما لو كانت ألفاظه ومعانيه جميعا من عند الله تعالى من غير فرق لافرق فى ذلك من حيث عجز الناس عن معارضته وذلك هو الدليل القطعى على صحة نبوة من جاء به وهو النبي صلى الله عليه وسلم وهذا بطريق الفرض والا فالله تعالى صرح في آيات كثيرة بكونه كلامه وانه هو الذى أنزله تعالى من عنده فهو كلام الله تعالى ألفاظه ومعانيه بلا شك ولا شبهة ولكن تساهلنا مع المعترض لزيادة لاقناع واقامة الحجة عليه ففرضنا ان ألفاظه من عنده صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لم تخل حجة اعجازه لانه فى حد ذاته جعله الله معجزا سواء كانت ألفاظه ومعانيه نزلت من عند الله تعالى أو كانت ألفاظه من عند النبى صلى الله عليه وسلم فالاعجاز على كل حال محقق مثبت لصدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته ورسالته من عند الله

تعالى وهى والله أظهر من الشمس لمن رزقه الله نور الهدى والتوفيق وان خفيت على الكافر والزنديق لان ذلك من العمى والقصور انها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور وبعد هذا كله اذا لم يسلم المعترض بهذا الحق الواضح المستقيم ولم يزل مصراعلى باطله فى طاعة الشيطان الرجيم نقول له أنت تزعم انك من العلماء الفصحاء البلغاء بدليل ماتمشدقت به من الالفاظ المزخرفة فى خطبة كتابك وتفيهقت به فيه من اعتراضك وجوابك وقد أتعبت نفسك بامر عظيم استفدت به غضب الله تعالى وعداوة ملايين كثيرة من المسلمين كنت في غنى عن عداوتهم بسفاهتك التى انفردت فيها وضلالتك التى هويت في مهاويها واذا كان الامر كما زعمت في القرآن وسيد الانام عليه الصلاة والسلام فالاهون عليك من هذه الاتعاب العظيمة الذميمة التى أهلكت بها نفسك الخبيثة اللئيمة ان تعارض القرآن بسورة واحدة فالوقت الكثير الذى شغلت به نفسك فى هذا الضلال والعناد وسميت ماأتيت به هداية من قبل أسماء الاضداد كان يمكنك على زعمك ان القرآن من كلام البشر ان تعارضه فى ذلك اوقت بسورة واحدة وتجمع من شئت من اخوانك ومن كان على شاكلتك من فصحاء الكفرة والزنادقة واعملوا لكم سورة واحدة عارضوا بها سورة من القرآن فان رأيتموها مثلها انشروها وأقيموا بها الحجة على المسلمين وخذوا بها الشهرة العظيمة فى العالمين فهذا كان أنفع لك ولمن استأجرك من تلك السفاهات التى اتخذتها شعارك والمكابرات التى جعلتها دثارك واذا لم تقدر على ذلك ولست بقادر أنت وأهل الارض جميعا فسرح نظرك الى العصور السالفة من الآن الى عهد النبى صلى الله عليه وسلم تجد الفصحاء والبلغاء والعلماء

من سائر أعداء الاسلام مثلك عجزا وقصورا قال الله تعالى ﴿ قُل لَّوِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ فحينئذ يلزمك أن تسلم الحق لاهله وتعترف بصدق النبي صلى الله عليه وسلم وفضله وان القرآن كلام الله تعالى أنزله عليه لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه وبذلك تدخل نفسك الجنة وتنقذها من النار التي هي قرارك اذا دمت على ما أنت عليه وبئس القرار

الباب الثالث من القسم الثاني في الجواب عما زعمه (المعترض من مناقضات القرآن وهو يشتمل على فصلين)

(الفصل الاول) فيما زعمه من مناقضات القرآن وقد أخذ ذلك من كتاب الاتقان وغيره ونقل كثيرا من الاجوبة عن ذلك فاغنانا عن اعادتها هنا وهو بذكره الاجوبة دالنا على انه لا معنى لاعتراضه الا مجرد تكثير السواد وتكبير الكتاب واظهار التفيهق والتمشدق بانه اعترض واجاب والجاهل يظن ذلك ماء وهو في الحقيقة سراب وها أنا انتقي من عبارات الاتقان في هذا الشان ما فيه غنية عن الاكثار في الرد على ذلك السفيه الثرثار قال رحمه الله تعالى النوع الثامن والاربعون في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض والمراد به ما يوهم التعارض بين الآيات وكلامه تعالى منزه عن ذلك كما قال ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ولكن قد يقع للمبتدي ما يوهم اختلافا وليس به في الحقيقة فاحتيج لازالته وذكر بعض الآيات التي سئل عنها ابن عباس وغيره والاجوبة عن ذلك ثم قال قال الزركشي في البرهان للاختلاف أسباب (أحدها) وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطورات شتى كقوله تعالى في خلق

آدم من تراب ومرة من حمأ مسنون ومرة من طين لازب ومرة من صلصال كالفخار فهذه الفاظ مختلفة ومعانيها في أحوال مختلفة لان الصلصال غير الحمأ والحمأ غير التراب الا ان مرجعها كلها الى جوهر واحد وهو التراب ومن التراب درجت هذه الاحوال وذكر أمثلة أخرى من هذا القبيل ثم قال عن أبي العباس بن سريج انه سأل رجل بعض العلماء عن قوله تعالى ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴾ فاخبر انه لا يقسم به ثم أقسم به في قوله تعالى ﴿ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ فقال ايما أحب اليك أجيبك ثم أقطعك أو أقطعك ثم أجيبك فقال بل اقطعني ثم أجبني فقال له اعلم ان هذا القرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرة رجال وبين ظهراني قوم وكانوا أحرص الخلق على ان يجدوا فيه مغمزا وعليه مطعنا فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به وأسرعوا بالرد عليه ولكن القوم علموا وجهلت فلم ينكروا منه ما أنكرت ثم قال ان العرب قد تدخل لا في أثناء كلامها وتلغى معناها وانشد فيه ابياتا ومعنى قطع المناظر خصمه تبكيته باقامة الحجة عليه * وقال الاستاذ أبو اسحاق الاسفرائيني اذا تعارضت الآى وتعذر فيها الترتيب والجمع طلب التاريخ وترك المتقدم بالمتأخر ويكون ذلك نسخا وان لم يعلم فان كان الاجماع على العمل باحدى الآيتين علم باجماعهم ان الناسخة ما اجمعوا على العمل بها قال ولا يوجد في القرآن آيتان متعارضتان تخلوان عن هذين الوصفين قال غيره وتعارض القراءتين بمنزلة تعارض الآيتين نحو وأرجلكم بالنصب والجر ولهذا جمع بينهما بحمل النصب على الغسل والجر على مسح الخف * وقال الصيرفي في جماع الاختلاف والتناقض ان كل كلام صح ان يضاف بعض ما وقع الاسم عليه الى وجه من الوجوه فليس فيه تناقض وانما التناقض

في اللفظ ماضاده من كل جهة ولا يوجد فى الكتاب والسنة شيء من
ذلك أبدا وانما يوجد فيهما النسخ فى وقتين * وقال القاضي أبو بكر
لايجوز تعارض آى القرآن والآثار بما يأباه العقل فلذلك لم يجعل
قوله تعالى ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ معارضاً لقوله ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا وَإِذْ
تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ ﴾ لقيام الدليل العقلى بانه لاخالق غير الله فتعين تأويل
ماعارضه فيؤول وتخلقون افكا على تكذبون وتخلق من الطين على تصور
* وقال الكرمانى عند قوله تعالى ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ الاختلاف على وجهين اختلاف تناقض وهو مايدعو فيه
أحد الشيئين الى خلاف الآخر وهذا هو الممتنع على القرآن واختلاف
تلازم وهو مايوافق الجانبين كاختلاف وجوه القراءة واختلاف مقادير
السور والآيات واختلاف الاحكام من الناسخ والمنسوخ والامر والنهى
والوعد والوعيد أى فهذا لامانع منه

﴿ الفصل الثانى فى اختلاف القراآت ﴾ اعلم ان من جملة الحكم فى
تعدد القراآت التسهيل على الامة فى تلاوة القرآن فان اختلاف
القراآت غالباً من متعلق لفظ القرآن فهو راجع لتسهيل التلاوة بمعنى
انه كيفما قرأ القارئ على أى قراءة منها يكون مأجورا قارئاً بالقرآن
ولا يكون خارجاً عنه وهذا خصوصية القرآن لكونه هو خاصة من
جميع الكتب السماوية المتعبد بتلاوته وسائرها ليس كذلك ويدل على
هذا الاحاديث الواردة فى نزوله على حرف ثم استزادة النبى صلى الله
عليه وسلم تسهيلا على أمته وشفقة عليها فتعدد القراآت هو من محاسن
القرآن التى تميز بها عن باقى الكتب الالهية فالاعتراض بذلك ناشىء عن
جهل المعترض وتعنته وها أنا أسوق بعض ماورد فى ذلك من الاحاديث

روى الامام أحمد ومسلم عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال اقرأنى جبرئيل القرآن على حرف واحد فراجعته فلم أزل
استزيده فيزيدني حتي انتهى الى سبعة أحرف * وروى أبو داود والنسائى
عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبرئيل
فقال ان الله يأمرك ان تقرئ أمتك القرآن على حرف فقلت أسأل
الله معافاته ومغفرته فان أمتى لاتطيق ذلك ثم أتانى الثانية فقال ان الله يأمرك
ان تقرئ أمتك القرآن على حرفين فقلت أسأل الله معافاته وان أمتى
لاتطيق ذلك ثم جاءنى الثالثة فقال ان الله يأمرك ان تقرئ أمتك
القرآن على ثلاثة أحرف فقلت أسأل الله معافاته ومغفرته وان أمتى لاتطيق
ذلك ثم جاءنى الرابعة فقال ان الله يأمرك ان تقرئ أمتك القرآن على
سبعة أحرف فأيما حرف قرؤا عليه فقد أصابوا * ورى الامام أحمد
وغيره عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى
جبرائيل وميكائيل فقعد جبرئيل عن يمينى وميكائيل عن يسارى فقال
جبريل يامحمد اقرأ القرآن على حرف فقال ميكائيل استزده فقلت زدنى
فقال اقرأه على حرفين فقال ميكائيل استزده فقلت زدنى فقال اقرأه
على ثلاثة أحرف فقال ميكائيل استزده فقلت زدنى كذلك حتى بلغ
سبعة أحرف فقال اقرأه على سبعة أحرف كلها كاف شاف * ورى الامام
أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى عن أبى قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ربى أرسل الى ان أقرأ القرآن على حرف فرددت
اليه ان هون على أمتى فأرسل الى أن اقرأه على حرفين فرددت اليه
ان هون على أمتى فأرسل الى ان اقرأه على حرفين فرددت اليه
ان هون على أمتى فارسل الى أن اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل رد

مسألة سألتنيها فقلت اللهم اغفر لامتي اللهم اغفر لامتي واخرت الثالثة ليوم يرغب الي فيه الخلق حتى ابراهيم * وروى ابن جرير عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف * وروى ابن جرير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أمرت ان أقرأ القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف * وروى البخارى والنسائى عن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم ان القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه * وروى الطبرانى عن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم ان القرآن أنزل على سبعة أحرف فأى ذلك قرأتم فقد أصبتم فلا تماروا فيه فان المراء فيه كفر المراء المجادلة * وروى الامام احمد عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم لقيت جبريل فقلت ياجبريل انى أرسلت الى أمة أمية الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفاني الذى لايقرأ كتاباً فقال ان القرآن أنزل على سبعة أحرف * وروى الامام أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم عن عمر رضي الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى الصلاة على غير ما اقرؤها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها فأخذت بثوبه فذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله انى سمعته يقرأ سورة الفرقان على غير ما اقرأتنيها فقال اقرأ فقرأ القراءة التى سمعتها منه فقال صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال لى اقرأ فقرأت فقال صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ان القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه * وروى الحارث بن أسامة وأبو يعلى عن أبى المنهال قال بلغنا ان عثمان بن عفان قال يوماً وهو على المنبر اذ كر الله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول ان القرآن أنزل على سبعة أحرف كلهن شاف كاف لما قام فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا بذلك قال عثمان وأنا أشهد معكم لأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك * وروى الامام احمد والنسائى وأبو يعلى وابن حبان وغيرهم عن أبى بن كعب انه قال ماحاك فى صدرى منذ أسلمت الا انى قرأت آية وقرأها آخر غير قراءتى فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم قلت اقرأتنى آية كذا وكذا قال نعم فقال الآخر الم تقرئنى آية كذا وكذا قال نعم أتانى جبريل عن يمينى وميكائيل عن يسارى فقال جبريل اقرأ القرآن على حرف فقال ميكائيل استزده حتى بلغ سبعة أحرف كلها كاف شاف * وروى الحاكم وابن أبي داود عن عبد الله ابن مسعود قال ان القرآن أنزل على نبيكم صلى الله عليه وسلم من سبعة أبواب على سبعة أحرف وان الكتاب قبلكم كان ينزل من باب واحد على حرف واحد الى هنا أخذته من ترتيب الجامع الكبير لحسام الدين الهندى * وقال صاحب منار الهدى الشهاب أحمد الاشمونى وفي الحديث ان جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اقرأ القرآن على حرف فقال ميكائيل استزده حتى بلغ سبعة احرف كل شاف مالم تختم آية عذاب بآية رحمة او آية رحمة بآية عذاب فالمراد بالحروف لغات العرب أى انها مفرقة فى القرآن فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة اليمن وليس معناه ان يكون فى الحرف الواحد سبعة أوجه ثم قال قال في فتح البارى قال ابو شامة ظن قوم ان القراآت السبع الموجودة الآن هي التى أريدت في الحديث وهو خلاف اجماع اهل العلم قاطبة وقال مكى بن ابي طالب واما من ظن ان قراءة هؤلاء القراء السبعة وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم

وحمزة والكسائي هي الأحرف السبعة التي في الحديث فقد
غلط غلطاً عظيماً قال ويلزم من هذا ان ماخرج عن قراءة هؤلاء
السبعة مما ثبت عن الائمة وافق خط المصحف العثماني لا يكون
قرآنا وهذا غلط عظيم اذ لاشك ان هذه القراآت السبع مقطوع بها
من عند الله تعالى وهي التي اقتصر عليها الشاطبي وبالغ النووي في أسئلته
حيث قال لو حلف انسان بالطلاق الثلاث ان الله تعالى قرأ القراآت
السبع لاحنث عليه ومثلها الثلاث التي هي قراءة أبي جعفر ويعقوب
وخلف وكلها متواتر تجوز القراءة به في الصلاة وغيرها ثم قال وقد وضع
السلف علم القراآت دفعا للاختلاف في القرآن كما وقع لعمر بن الخطاب
مع أبي بن كعب حين سمعه يقرأ سورة الفرقان على غير ماسمعها هو من
النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه ومضى به الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأمر النبي صلى الله عليه وسلم كل واحد ان يقرأ فقرأ كل واحد
ماسمعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا أنزل ولا شك ان القبائل كانت
ترد على النبي صلى الله عليه وسلم وكان يترجم لكل أحد بحسب لغته
فكان يمد قدر الالف والالفين والثلاثة لمن لغته كذلك وكان يفخم لمن
لغته كذلك ويرقق لمن لغته كذلك ويميل لمن لغته كذلك وأما مايفعله
قراء زماننا من ان القاريء كل آية يجمع مافيها من اللغات فلم يبلغنا وقوعه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه قاله الشعراني
في الدرر المنثورة في بيان زبدة العلوم المشهورة انتهى كلام الاشموني قال
بعد ذلك بأوراق أول من اقتصر على جمع قراءة السبعة المشهورين اثناء
المائة الرابعة أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد واختلاف القراء
اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض فان هذا محال ان يكون

في كلام الله تعالى وهو اما في اللفظة فقط والمعنى واحد واما فيهما مع
جواز اجتماعهما في شيء واحد أو اختلافهما مع امتناع جواز اجتماعهما
في شيء واحد بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد فالاول كالاختلاف
في الصراط والثاني نحو مالك بالالف وملك بغيره والثالث نحو
وظنوا انهم قد كذبوا مشددا ومخففا فمعنى المشدد ان الرسل
تيقنوا ان قومهم قد كذبوهم ومعنى المخفف ان الرسل توهموا
ان قومهم قد كذبوهم فيما أخبروهم به فالظن في الاول يقين وفي الثانية
شك والضمائر الثلاثة للرسل فكل قراءة حق وصدق نزلت من عند
الله نقطع بذلك ونؤمن به انتهى * وقال في الاتقان في النوع الثاني
والعشرين القراآت السبع التي اقتصر عليها الشاطبي والثلاث التي هي
قراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف متواترة معلومة من الدين بالضرورة
وكل حرف انفرد به واحد من العشرة معلوم من الدين بالضرورة أنه
منزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكابر في شيء من ذلك الا
جاهل قال وقال بعض المتأخرين لاختلاف القراآت وتنوعها فوائد
(منها) التهوين والتسهيل والتخفيف على الامة (ومنها) اظهار فضلها
وشرفها على سائر الامم اذ لم ينزل كتاب غير القرآن الا على وجه واحد
(ومنها) اعظام أجرها من حيث انهم يفرغون جهدهم في تحقيق ذلك
وضبطه لفظة لفظة حتى مقادير المدات وتفاوت الامالات ثم في تتبع
معاني ذلك واستنباط الحكم والاحكام من دلالة كل لفظ وامعانهم
الكشف عن التوجيه والتعليل والترجيح (ومنها) اظهار سر الله في
كتابه وصيانته له عن التبديل والاختلاف مع كونه على هذه الاوجه
الكثيرة (ومنها) المبالغة في اعجازه بايجازه اذ تنوع القراآت بمنزلة

الآيات ولو جعلت دلالة كل لفظة آية على حدة لم يخف ما كان فيه من التطويل ولهذا كان قوله ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ منزلا لغسل الرجل والمسح على الخف واللفظ واحد لكن باختلاف اعرابه (ومنها) ان بعض القراآت يبين ما لعله مجمل فى القراءة الاخرى فقراءة ﴿يَطَّهَّرْنَ﴾ بالتشديد مبينة لمعنى قراءة التخفيف وقراءة ﴿فَامْضُوا الى ذِكْرِ اللهِ﴾ تبين ان المراد بقراءة اسعوا الذهاب للمشى السريع فقد علم ان اختلاف القراآت ليس فيه شىء من التناقض في القرآن وان كل قراءة منها هى قرآن ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا وجه لاعتراض المعترض بذلك وما نقله عن الامام ابن الجزرى من استشكاله الحديث مدة طويلة ثم فهمه اياه لا يفيده شيئا وانما نقل كلامه وكلام غيره في ذلك لتكثير الكلام وتوهيم العوام والا فكله حجة عليه لاله وكثرة اختلاف وجوه القراآت وقلتها سواء فانها كلها ثابتة عن النبى صلى الله عليه وسلم فهى من كلام الله تعالى كثرت أو قلت وكلها معجزة واذا أنكر ذلك فليعارض آية واحدة على القراءة التى يختارها وان لم يقدر على ذلك وليس بقادر فليستح من الله ومن الناس فقد ظهر ان اعتراضه ناشىء عن تعنته وجهله في حكمة تعدد القراآت وانها انما هي بحسب لغات القبائل وان فى ذلك توسيعا عظيما على الامة بخلاف مالو كانوا مقيدين بقراءة واحدة ولو على خلاف لغاتهم مع ظهور اعجازه لكل قراءة منها وكون تعدد القراآت رحمة من الله تعالى وتسهيلا على الامة ظاهر بين لا شبهة فيه ولا يخفى الا على أعمى القلب مثل هذا المعترض المكابر الذى لا يذوق طعم الكلام ولا يعرف الحياء والاحتشام * وقال الامام ابن حزم رحمه الله تعالى فى كتابه الملل والنحل في آخر الكلام على تحريف الانجيل وسائر كتب

النصارى واثبات ذلك بالبراهين القطيعة واعترضوا أى علينا معاشر المسلمين بان قالوا كيف تحققون نقلكم لكتابكم أى القرآن وأنتم مختلفون أشد الاختلاف فى قراءتكم له وبعضكم يزيد حروفا كثيرة وبعضكم يسقطها فهذا باب وأيضا فانكم تروون باسانيد عندكم فى غاية الصحة ان طوائف من أصحاب نبيكم عليه السلام ومن تابعيهم الذين تعظمون وتأخذون دينكم عنهم قرؤا القرآن بالفاظ زائدة ومبدلة لا تستحلون أنتم القراءة بها وان مصحف عبد الله بن مسعود خلاف مصحفكم وأيضا فان طوائف من علمائكم الذين تعظمون وتأخذون عنهم دينكم يقولون ان عثمان بن عفان أبطل قراآت كثيرة صحيحة واسقطها اذ كتب المصحف الذى جمعكم عليه وعلى حرف واحد من الاحرف السبعة التى أنزل بها القرآن عندكم وأيضا فان الروافض يزعمون ان أصحاب نبيكم بدلوا القرآن واسقطوا منه وزادوا فيه قال رحمه الله كل هذا لا متعلق لهم بشىء منه على ما نبين بما لا اشكال فيه على أحد من الناس وبالله التوفيق أما قولهم اننا مختلفون فى قراءة كتابنا فبعضنا يزيد حروفا وبعضنا يسقطها فليس هذا اختلافا بل هو اتفاق صحيح لان تلك الحروف وتلك القراآت كلها مبلغ بنقل الكافة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انها نزلت كلها عليه فاى تلك القراآت قرأنا فهى صحيحة وهى محصورة كلها مضبوطة معلومة لا زيادة فيها ولا نقص فبطل التعلق بهذا الفصل ولله الحمد وأما قولهم انه قد روي باسانيد صحاح عن طائفة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن التابعين الذى نعظم ونأخذ ديننا عنهم انهم قرؤا فى القرآن قراآت لا نستحل نحن القراءة بها فهذا حق ونحن وان بلغنا الغاية فى تعظيم أصحاب رسول الله صلى

الله عليه وسلم ورضوان الله عليهم وتقربنا الى الله عز وجل بحبهم فلسنا نبعد عنهم الوهم والخطأ ولا نقلدهم فى شىء مما قالوه انما نأخذ عنهم ما أخبرونا به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو عندهم بالمشاهدة والسماع لما ثبت من عدالتهم وثقتهم وصدقهم وأما عصمتهم من الخطأ فيما قالوه برأى وبظن فلا نقول بذلك ولو انكم أنتم فعلتم كذلك بأحباركم واساقفتكم الذين بينكم وبين الانبياء عليهم السلام ماعنفناكم بل كنتم على صواب وهدى متبعين للحق المنزل مجانبين للخطأ المهمل لكن لم تفعلوا هكذا بل قلدتموهم فى كل ماشرعوه لكم فهلكتم فى الدنيا والآخرة وتلك القرا آت التى ذكرتم انما هى موقوفة على الصاحب أو التابع فهى ضرورة وهم من الصاحب والوهم لايعرى منه أحد بعد الانبياء عليهم السلام أو وهم ممن دونه فى ذلك وأما قولهم ان مصحف عبد الله بن مسعود خلاف مصحفنا فباطل وكذب وافك مصحف عبد الله بن مسعود انما فيه قراءته بلا شك وقراءته هى قراءة عاصم المشهورة عند جميع أهل الاسلام فى شرق الدنيا وغربها نقرأبها كما ذكرنا وبغيرها مما قد صح انه كله منزل من عند الله تعالى فبطل تعلقهم بهذا والحمد لله رب العالمين وأما قولهم ان طائفة من علمائنا الذين أخذنا عنهم ديننا ذكروا ان عثمان بن عفان رضى الله عنه اذ كتب المصحف الذى جمع الناس عليه أسقط ستة أحرف من الاحرف المنزلة واقتصر على حرف منها فهو مما قلناوهو ظن ذلك القائل أخطأ فيه وليس كما قال بل كل هذا باطل ببرهان كالشمس وهو ان عثمان رضى الله عنه لم يل الا وجزيرة العرب كلها مملوءة بالمسلمين والمصاحف والمساجد والقراء يعلمون الصبيان والنساء وكل من دب وهب واليمن كلها وهى فى أيامه

مدن وقرى والبحرين كذلك وعمان كذلك وهى بلاد واسعة مدن وقرى وملكها عظيم ومكة والطائف والمدينة والشام كلها كذلك والجزيرة كذلك ومصر كلها كذلك والكوفة والبصرة كذلك فى كل هذه البلاد من المصاحف والقراء مالا يحصى عددهم الا الله تعالى وحده فلورام عثمان ماذكروا ماقدر على ذلك أصلا وأما قولهم انه جمع الناس على مصحف فباطل ما كان يقدر على ذلك لما ذكرناه ولا ذهب عثمان قط الى جمع الناس على مصحف كتبه انما خشى رضى الله عنه ان يأتى فاسق يسعى فى كيد الدين فيبدل شيئا من المصحف عمدا أو ان يهم واهم من أهل الخير فيفعل ذلك وهما فيكون اختلاف يؤدى الى الضلال فكتب مصاحف مجتمعا عليها وبعث الى كل أفق مصحفا لكى ان وهم واهم أو بدل مبدل رجع الى المصحف المجتمع عليه فانكشف الحق وبطل الكيد والوهم وأما قول من قال أبطل الاحرف الستة فقد كذب من قال ذلك ولو فعل عثمان ذلك أو أراده لخرج عن الاسلام بل الاحرف السبعة كلها موجودة عندنا قائمة كما كانت مثبوتة فى القرا آت المشهورة المأثورة والحمد لله رب العالمين وأما قولهم فى دعوى الروافض تبديل القرا آت فان الروافض ليسوا من المسلمين انما هى فرق حدث أولها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة وكان مبدؤها اجابة ممن خذله الله تعالى لدعوة من كاد الاسلام وهى طائفة تجرى مجرى اليهود والنصارى فى الكذب والكفر وهى طوائف أشدهم غلوا يقولون بالهية على بن أبى طالب والهية جماعة معه وأقلهم غلوا يقولون ان الشمس ردت على على بن أبى طالب مرتين فقوم هذا أقل مراتبهم فى الكذب أيستشنع منهم كذب يأتون به وكل من لم يزجره

عن الكذب ديانة أو نزاهة نفس أمكنه ان يكذب ماشاء وكل دعوى بلابرهان فليس يستدل بها عاقل سواء كانت له أو عليه ونحن ان شاء الله تعالى نأتى بالبرهان الواضح الفاضح لكذب الروافض فيما افتعلوه من ذلك ثم ذكر كلاما طويلا في رد كذبهم قال فى آخره ومما يبين كذب الروافض فى ذلك ان على بن أبي طالب الذي هو عند أكثرهم اله خالق وعند بعضهم نبى ناطق وعند سائرهم امام معصوم مفروضة طاعته ولى الامر وملك فبقى خمسة أعوام وتسعة أشهر خليفة مطاعا ظاهر الامر ساكنا بالكوفة مالكا للدنيا حاشا الشام ومصر الى الفرات والقرآن يقرأ فى المساجد فى كل مكان وهو يؤم الناس به والمصاحف معه وبين يديه فلو رأى فيه تبديلا كما تقول الرافضة أكان يقرهم على ذلك ثم ولى ابنه الحسن وهو عندهم كابيه فجرى على ذلك فكيف يسوغ لهؤلاء الحمقى ان يقولوا ان فى المصحف حرفا زائدا أو ناقصا أو مبدلا مع هذا ولقد كان جهاد من حرف القرآن وبدل الاسلام أوكد عليه من قتال أهل الشام الذين انما خالفوه فى رأى يسير رأوه ورأى خلافه فقد لاح كذب الرافضة ببرهان لامحيد عنه والحمد لله رب العالمين

﴿الباب الرابع من القسم الثانى في الجواب عن الاعتراضات المتفرقة﴾
(التى اعترض بها على القرآن في أثناء كتابه هداية الشيطان)

اعترض في عدة أماكن على تكرار بعض القصص فى القرآن منها فى صفحة ٢١٧ و٢٥٣ والجواب عن ذلك ان من المعلوم عند كل أحد انه قد أجمع المسلمون والنصارى والناس كافة ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم هو من الفصاحة والبلاغة والعقل والدراية في الذروة العليا التى لم يجاوزها بل لم يصل اليها أحد من الناس وحينئذ فجميع ما اعترض به المعترض

من ذلك ناشىء عن جهله وعدم ادراكه اسرار القرآن وليس هو المخترع لهذه الاعتراضات بل له اسلاف من الكفرة الفجرة فى سالف الزمان لانه من المعلوم عند كل من عرف أخبار النبى صلى الله عليه وسلم انه بالنظر لما اتصف به من كمال العقل والفضل والفصاحة والبلاغة وتمام الاقتدار على التصرف فى الكلام لو شاء ان يرتب القرآن بحسب نزوله والحوادث التي نزل فى شأنها لسهل عليه ذلك كما انه لو شاء ان يذكر كل شىء منه مع ما يناسبه مناسبة ظاهرة وان يستوفي كل قصة فى موضع واحد بدون ان يكرر شيئا منها فى عدة مواضع لفعل ذلك كما فعل في قصة يوسف عليه السلام ومن المعلوم ان عادة المؤلفين غالبا ان يقسموا كتبهم الى أقسام ويعنونوها بعنوانات مخصوصة ككتاب وباب وفصل وغير ذلك ويضعوا فى كل قسم منها ما يناسبه واذا ذكروا شيئا فى غير موضعه يقولون انه ذكر على سبيل الاستطراد أما المؤرخون فبعضهم يرتب كتابه بحسب السنين فيذكر القصة مفرقة بحسب وقوعها فى عدة سنوات وبعضهم يجمعها في مكان واحد ولا يلتزم السنين وليس ذكر القصة فى مكان واحد من الامور الدقيقة أو الصعبة التى يقع بها التفاخر والتبجج بل هو من الامور الطبيعية البديهية عند المؤلفين وغيرهم حتى ان قصص الاكاذيب والهذيانات المتداولة بين الناس هى كذلك يصير استيفاؤها في مكان واحد ويذكر فيها كل شىء مع ما يناسبه مناسبة ظاهرة بل حكايات العجائز وخرافاتها التى يحدثن بها الاطفال هي كذلك مذكور فيها كل شىء مع ما يناسبه ومطارحات الناس مع بعضهم بعضا ومحاوراتهم على الاطلاق هى كذلك واذا كانت المحادثات الطبيعية والحكايات الخرافية فضلا عن غيرها من الكتب التاريخية والعلمية قد ساوت التوراة

والانجيل في استيفاء القصة وذكر الشيء مع ماينا سبه مناسبة ظاهرة لم يبق
محل للتفاخر بهذا الشأن ولدعوى انهما بذلك قد فاقا على القرآن
وهل يعجز عن هذا الامر أجهل الجهلاء وأغبى الاغبياء فضلا عن سيدنا
محمد سيد الانبياء صلى الله عليه وسلم الذي اعترف له أعداؤه بانه أفصح
الفصحاء وأعقل العقلاء وزعموا انه هو الذي ألف القرآن واعترفوا
مع ذلك بانه أفصح كتاب ألفه انسان أما كان عقله وفصاحته اللذان
يعترفون بهما يحكمان عليه بان يرتب قرآنه باستيفاء بكل قصة في مكان
واحد بدون أن يكرر بعضها فى أمكنة متعددة مختصرة ومطولة وان
يذكر كل شيء مع ماينا سبه مناسبة ظاهرة واذ لم يفعل ذلك بالاضطراد بل
بل تارة يستوفى القصة فى موضع واحد وتارة يذكرها مفرقة فى عدة
مواضع علمنا انه لابدله من حكم اقتضت ذلك وقد ذكرها العلماء
وها أنا أذكر ما تيسر منها أما تكرار بعض القصص وعدم استيفائها فى مكان
واحد فقد قال القاضي عياض في الشفاء ثم هو أى القرآن في سرد
القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التى يضعف في عادة الفصحاء
عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض
والتآم سرده وتناسق وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت
قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة
تنسى فى البيان صاحبتها وتناصف فى الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس
من ترديدها ولا معاداة لمعادها انتهى * وقد ألف البدر بن جماعة كتابا
سماه المقتنص فى فوائد تكرار القصص وذكر لتكرير القصص فوائد
(منها) ان فى كل موضع زيادة شيء لم يذكر فى الذى قبله أو ابدال كلمة
باخرى لنكتة وهذه عادة البلغاء (ومنها) ان الرجل كان يسمع القصة

من القرآن ثم يعود الى أهله ثم يهاجر بعده آخرون يحكون ما نزل
بعد صدور من تقدمهم فلولا تكرار القصص لوقعت قصة موسى الى قوم
وقصة عيسى الى آخرين وكذا سائر القصص فاراد الله تعالى اشتراك
الجميع فيها فيكون فيه افادة لقوم وزيادة تأكيد لآخرين (ومنها) ان
ان فى ابراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة مالا يخفى
من الفصاحة (ومنها) ان القصة لما كررت كان فى ألفاظها فى كل موضع
زيادة ونقصان وتقديم وتأخير وأتت على اسلوب غير اسلوب الاخرى
فافاد ذلك ظهور الامر العجيب فى اخراج المعنى الواحد فى صور متباينة
في النظم وجذب النفوس الى سماعها لما جبلت عليه من حب التنقل
فى الاشياء المتجددة واستلذاذها بها واظهار خاصة القرآن حيث لم يحصل
مع تكرير ذلك هجنة فى اللفظ ولا ملل عند سماعه انتهى * وهذه
أجوبة سديدة ظاهرة الاصابة بينة الحق ولكن المعترض جاهل من جهة
ومكابر معاند من جهة أخرى فهو لجهله لايرى الحق حقا ولا يفهمه ولو رآه
وفهمه فهو لمكابرته وعناده يأباه ويصر على ضلاله كيفما كان الامر ولذلك
أخذ يتشدق بعد سرده كلام ابن جماعة بما لامعنى له الا الضلال والعناد
واجتناب سبيل الرشاد والاصرار على الكفر والفساد فبئس المعترض هو
وبئس المناظر * وبئس الكافر الفاجر * وها أنا أذكر من الاجوبة التى
فتح الله بها على ما بعضه مؤيد للاجوبة السابقة ومشارك لها فى بعض معانيها
وبعضه لم يذكر فيها فاقول (الوجه الاول) ان القرآن هو أعظم معجزاته
صلى الله عليه وسلم واعجازه من وجوه كثيرة منفصلة في مواضعها
واعجبها فصاحته التى تجاوزت حد الامكان وعجز عن الاتيان بمثلها
الانس والجان ومن المعلوم ان حكاية القصص فى كلام المؤلفين يقال

من فصاحته وتكرارها مرة بعد أخرى يهدم فصاحته جملة واحدة ويصير بحالة تمجه فيها الاسماع وتسأمه النفوس وتنفر منه القلوب ومع كون الامر كذلك فى كلام الناس نرى القرآن مع ذلك لم يختل ذرة من فصاحته التى تجاوزت الغاية القصوى فكان ذلك أبلغ فى الاعجاز والدلالة على انه من كلام الله تعالى وان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وغيره من فصحاء الخلق ليس في أمكانهم الاتيان بمثله واعتناء القرآن بذلك لكونه انما أعجزهم عن الاتيان بمثله فصاحته العجيبة التى لا عهد لهم بنظيرها هذا في مطلق الآيات فما بالك اذا كانت تلك الفصاحة المعجزة الخارقة للعادة فى حكاية القصص وتكرارها واختلاف عباراتها وتغاير أساليبها مع عدم وقوع الخلل في فصاحته أما الناس فانهم لو كان المتكلم والكاتب منهم من أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء لابد أن يقع الفرق فى عباراته بين ماذا عبر بها عن معان متناسبة يحسن التعبير عنها ويكون له الارادة المطلقة فى اختيارها وبين ما اذا حكى بها قصة قيد نفسه بافادتها هذا اذا لم يكرر القصة فما بالك اذا كررها بعبارة أخرى وعبارة أخرى وعبارة أخرى وهكذا ولم تختل مع ذلك الفصاحة فى كلامه على اختلاف عباراته بل بقى محلها من الاعجاز فى كل عبارة جديدة وأسلوب آخر هو محلها من غير اختلال مع اختلاف تلك العبارات بالتطويل والاختصار والتقليل والاكثار واختلاف الفواصل وقصر الآيات وطولها والفصاحة مع كل ذلك هى هى على حالها وسطوته على السامعين لم ينقص شىء من كمالها فهذا لا يرتاب عاقل موفق عنده أدنى المام بكلام العرب وأحواله بأنه من أحسن محاسن القرآن وأعظم الادلة على اعجازه لكافة الخلق فلا يعترض عليه بذلك الا الجهال وأهل العناد

والضلال الذين قد فسدت أذواقهم وساءت بالكفر أخلاقهم فلا يمكن اقناعهم بحال من الاحوال (الوجه الثانى) ان سور القرآن كل سورة منها مستقلة عن السورة الاخرى فهى بمنزلة كتاب مستقل لا بمنزلة باب أو فصل من كتاب لان ذلك يكون فى معنى واحد كالطهارة أو الصلاة أو الصيام والسور ليست كذلك فان كل سورة منها تشتمل على معان شتى فهى بمنزلة كتاب مستقل وحينئذ فتكرار القصة فيها بعبارة أخرى لا يعد تكرارا لاسيما وفى تكرارها فى سورة لابد من فائدة جديدة زائدة على ماذكر في السورة الاخرى وأي مانع من ذلك فقد جرت العادة ان يذكر المؤلف أمرا واحدا فى عدة كتب له تارة مطولا وتارة مختصرا ويدل على ذلك انه لم يحصل تكرار قصة فى سورة واحدة وان كانت طويلة كالبقرة فانه كان يمكن ذكر قصة آدم مثلا في أولها وتكرارها فى آخرها ولو بعبارة أخرى ولم يحصل ذلك فدلنا هذا على ان كل سورة بمنزلة مؤلف مستقل ويؤكد هذا ان تسميتها سورة لاخذها من سور المدينة لاحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت فى السور ومنه السوار لاحاطته بالساعد (الوجه الثالث) ان ذلك دليل على اعتناء الحق سبحانه وتعالى فى شأن تلك القصة المكررة وصاحبها اما لدلالتها على توحيد الله تعالى كتكراره قصة ابراهيم ومعاداته للاصنام وأهلها واما لدلالتها على نصرة الله تعالى لانبيائه على أعدائه كقصة موسى مع فرعون واما لمعنى آخر يدركه متتبع ذلك بفهم وعلم (الوجه الرابع) انا رأينا المكررات من هذه القصص لم تكرر الا بفوائد زوائد فتارة يكون الاسلوب والفواصل متفقة والاكثر تكون مختلفة العبارات والاساليب بحيث انها فى كل سورة كأنها غيرها فى السورة الاخرى وهذا من أعظم

وجوه الفصاحة ودلائل الاعجاز ولشدة جهل المعترض وعدم ادراكه هذه الاسرار اعترض على تكرار قصة آدم وغيرها ونقلها من عدة سور قال فى صفحة ٢١٧ من كتابه المذكور هداية الشيطان وردت حكاية آدم بسور شتى فوردت فى سورة البقرة هكذا ﴿واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض﴾ الى ان قال ﴿واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم﴾ ووردت هذه القصة ثانية فى سورة الاعراف وهي ﴿: ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين قال أنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فبما أغويتني

لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون﴾ الخ قال المعترض فالفرق بين القضيتين أوضح من الشمس حتى يخال للانسان ان مؤلفهما اكثر من واحد قال وكذلك ذكرت هذه القصة فى سورة طه بصورة أخرى ﴿ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ الخ قال وقس على ذلك قصة

ابراهيم وقصة موسى وغيرهما فانها وردت بطرق شتى من الزيادة والحذف والتقديم والتأخير لعمرى ان هذا هو الاحق بان يقال له التناقض انتهى كلامه الملفق وهذيانه المحقق فانظر الى شدة جهله وبلادته وسقامة فهمه فانهالم تكرر قصة الايمان زائدة وهذا من المحسنات لا المساوى وزعمه ان بين آيات البقرة وآيات الاعراف في قصة آدم فرقا أوضح من الشمس حتى يخال للانسان ان مؤلفهما أكثر من واحد هو دليل على ان ذوقه فى غاية السقامة والمرض بحيث تختلف عليه الحقائق والا فمن يقول ان بينهما فرقا وظاهر عند كل من له أدني نظر انه لا فرق بينهما بالكلية ولم يختلف الأسلوب فيهما أدنى اختلاف وفواصلهما واحدة ولكن مثل هذا الجاهل الذى لا يذوق طعم الكلام ماذا نقول له وبماذا نجاوبه وهو يقول ان الفرق بينهما أوضح من الشمس فهذا دلنا على عمى قلبه وانطماس بصيرته جملة واحدة فان الكفر وحده والتعنت لا يبلغان الى هذه الدرجة من المكابرة بالمحسوسات البديهيات ومن شدة غباوته وفساد ذوقه أيضا اعتراضه على اختلاف الاسلوب فى ذكر القصة فى موضعين ولم يدر ان ذلك من أكبر دلائل اعجازه ووجوه فصاحته وهذا من المعلوم فى مخاطبات الناس وعباراتهم لا يقدر على التعبير عن الامر الواحد بعبارات مختلفة وأساليب متباينة مع بقاء الفصاحة والبلاغة الا الافراد من فصحاء الناس وانظر قصة آدم هذه حينما ذكرت فى سورة طه ذكرت باسلوب آخر وفواصل اخرى غير فواصل آيات البقرة والاعراف السابقات فجاءت باسلوب جديد وترتيب بديع مع الفصاحة التامة التى لا يمكن التعبير عنها ولا تخفى على كل ذى ذوق سليم وهذه لو قال عنها انها مع السابقات كأنها ليست بكلام واحد لكان صادقا ولكن ذلك من أكبر المحسنات

لا المعايب كما يدرى ذلك كل ذى فهم صائب وقوله فيه تناقض دليل على شدة جهله بمعنى التناقض ومما يوضح ذلك توضيحا بينا ماهو واقع فى بحور الشعر فانك ترى عدة قصائد من عدة أبحر من كلام شاعر واحد ولا واحدة منها الا تخالف الاخرى فى اسلوبها ولا سيما اذا اختلفت القوافى فتراها كأنها ليست كلام رجل واحد وذلك لا يخل بفصاحتها ولا يعده أحد عيباً على الشاعر وها أنا أذكر من ذلك قولى فى ثلاثة مواضع من ثلاثة بحور وثلاثة قوافي في وصف القرآن فتراها كأنها ليست كلام رجل واحد لتغاير بحورها وقوافيها قلت فى قصيدتى الهمزية طيبة الغراء في مدح سيدى الانبياء صلى الله عليه وسلم وهى من بحر الخفيف

قد أتى المصطفى نبيًا رسولا ... طبق مابشرت به الانبياء
لجميع الأنام أرسله الله ... ختاما للرسل وهو ابتداء
أطلع الله شمسه فاستنارت ... قبل كل الاماكن البطحاء
ملأ العالمين نورا ولولا ... نوره لاستحال فيها الضياء
وقلوب العتاة فيها عيون ... طمستها من شركهم اقذاء
انما هذه القلوب مرايا ... فوقها من ضلالهم أصداء
كم رأوا معجزاته ولديهم ... من ضلال لكل مرأى مراء
كلما جاءهم بآية صدق ... كذبوه فيها وبالافك جاؤا
جاءهم هاديًا بأفصح قول ... عجزت عن أقله الفصحاء
طال تقريعهم به والتحدى ... أين اين المصاقع البلغاء
وهم القوم أفصح الناس طبعاً ... شعراء بين الورى خطباء
عدلوا عنه للشتائم والحر ... ب افتراق جوابهم وافتراء
أتراهم لو استطاعوا نظيرا ... راقهم عنه ان تراق دماء

فيه اعجازهم وفيه هداهم   فهو سقم لهم وفيه شفاء
فيه اخبارهم بما كان في الدهـ   ـر ويأتي تساوت الآناء
النبي الامي قد علموه   ماله في كماله قرناء
أصدق الناس لهجة ما أتاه   قط من قومه بكذب هجاء
لقبوه الامين من قبل هذا   وقليل بين الورى الامناء
لا كتاب ولا حساب ولا غر   بة طالت له ولا استخفاء
بكتاب من المليك أتاهم   كل لفظ بصدقه طغراء
حجة الله فوق كل البرايا   فيه عن كل حجة اغناء
كل علم في العالمين فمنه   عنه فيه له عليه ارتقاء
غلب الكل بالبراهين لكن   بعضهم غالب عليه الشقاء
حارب العرب والاعاجم منه   بسلاح له السلاح فداء
كل حرف سيف ورمح وسهم   ومجن ونثرة حصداء
ليس يهدي القرآن منهم قلوبا   ما أتاها من ربها الاهتداء
لا يطيق الافصاح بالحق عبد   روحه من ضلاله خرساء
ان قرآنه الكريم لكل الـ   ـكتب من فيض فضله استجداء
كل فرد قد حاز أقسام فضل   دون فضل وقد يكون وطاء
جمع الكل وحده فلديه   لجميع الفضائل استيفاء
زاد عنها اضعافها فهو فرد   ضمنه العالمون والعلماء
وانقضت معجزات كل نبي   بانقضاه وما لهذا انقضاء

وقلت في قصيدتي سعادة المعاد في موازنة بانت سعاد في مدح سيد العباد صلى الله عليه وسلم وهي من بحر البسيط

كتابه معجز للخلق قد خضعت   له الاقاويل منهم والمقاويل

قرآن أحمد في التقصير عنه حكا   زبور داود توراة وانجيل
فكم تضمن من آلاف معجزة   تفسيرها ماله في الناس تأويل
كل العلوم له فيه به اجتمعت   ومنه للناس منقول ومعقول
به الشرائع والاديان قد نسخت   فما على غيره للناس تعويل
لو كان من عند غير الله لاختلفوا   فيه ووافاه تبديد وتبديل
بالحق منزله المولى وحافظه   من أين من أين تأتيه الاباطيل
هو الكريم الذي للكتب قاطبة   من نور جدواه تنوير وتنويل
هو القديم بمعناه الحديث أتى   ومنه الشرع تفريع وتأصيل
لكنه بالتحدي معجز وله   دون الاحاديث ترتيب وترتيل
لا ينزل الريب يوما حول ساحته   لانه من لدن مولاه تنزيل

وقلت في قصيدتي القول الحق في مدح سيد الخلق صلى الله عليه وسلم وهي من بحر الوافر

وكم من معجزات باهرات   كثيرات بها الهادي استقلا
توالت آيها فالبعض يتلو   سواه كثرة والبعض يتلى
كلام الله أبهرها وأبهى   وأعلاها وأغلاها وأحلى
اذا مر المكرر من سواه   فبالتكرار قد يحلو ويحلى
جديد لم يزل في الناس مهما   مضى يبلي الزمان وليس يبلى

فهذه لاختلاف بحورها وقوافيها تخال كأنها ليست من كلام واحد ولا يخل ذلك بشيء من فصاحتها ولم يعده أحد عيا أما مخالفة الاسلوب في النثر فذاك من اعظم المحسنات الدالة على قوة فصاحة قائلها واقتداره على التصرف في أساليب الكلام كيفما يريد ولكن تقدم مرارا ان هذا المعترض فاقد الذوق عديم الحياء يتعلق بالسفالة والسفاهة كيف شاء ويفهم من اعتراضه

على تكرار قصة سيدنا آدم عليه السلام واختياره نقل الآيات الواردة في شأنها ليقيم بها الحجة علينا ان في نفسه دعوى اقتداره على معارضتها واستطاعته تأليف ماهو أفصح منها فليأت بذلك ان كان من الصادقين والا فلعنة الله على الكاذبين وها أنا أقول له ولكل من على شاكلته انه لم يمض عصر من العصور فى سالف الدهور انكب النصارى فيه على تعلم العلوم العربية وغيرها مثل هذا العصر فهم الآن أقدر على الاتيان بفصيح الكلام العربى منهم فى جميع الازمنة السالفة والمواصلات متيسرة بينهم الى درجة يقدرون معها أن يحضروا فى شهر واحد مثلا من جميع أقطار الارض ويجتمعوا فى مكان واحد وهم فى غاية الحرص على هدم دين الاسلام وان معارضة القرآن أو سورة منه بما يبلغ درجته فى الفصاحة والبلاغة هي سبب قوى لهدم هذا الدين المبين فلم لم تنبعث هممهم لذلك وهذا المعترض وأشكاله من قومه يعترضون بوقوع التكرار فى القرآن كما فى سورة الرحمن وتكرار قصص الانبياء فيه ولا سيما قصة سيدنا موسى عليه السلام فنحن نقنع منه ومنهم أجمعين ومن كل من يستعينون به من أهل الارض على أن يأتوا بمثل سورة الرحمن أو بايسر وأخصر عبارة عبر بها القرآن عن قصة سيدنا موسى عليه السلام فقد ذكرت في مواضع كثيرة مطولة ومختصرة فلا نكلفهم بالاتيان بمثل المطولة منها بل نكتفى منهم باتيانهم باخصر قصة وردت فيها كقوله تعالى فى سورة النازعات ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى * فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ

الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾ فيا أيها القوم الفصحاء البلغاء من النصارى وفي مقدمتهم هذا المعترض المكابر عدو الله وعدو رسوله هلموا فليدع بعضكم بعضا واجتمعوا لمعارضة هذه الآيات فضلا عما فوقها من القصص والسور المطولات فأتوا بمثلها ان استطعتم والا فقد افتريتم بكل ما اعترضتم به وكذبتم فهذا أمر مهم ينبغى لكم أن تجتمعوا له وتعتنوا به لما يترتب لكم عليه من الفوز العظيم والفخر الذى لم يحصل لغيركم في الحديث والقديم والا فاسمعوا قوله تعالى بآذان مصغية وقلوب واعية ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ولا يجوز لعاقل الاصرار على الباطل الظاهر ورفض الحق الواضح الباهر وعدم الاذعان الى الحجة القاطعة والبرهان القاهر ولا سيما اذا كان ذلك فى أمر الدين الذى تتعلق به الشقاوة الابدية ان كان باطلا والسعادة الابدية ان كان حقا فان الاصرار على ذلك ليس من شأن العقلاء ولكن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء

﴿ فصل ﴾ فى الجواب عن اعتراضاته على عدم المناسبة بين بعض الآيات والسور التى اعترض بها فى صفحة ١٨٥ و٢٢١ و٢٧٣ فقد أطال الكلام عليها فى الاتقان وذكر ان جماعة من أئمة العلماء أفردوه بالتأليف ثم قال وقال الشيخ ولى الدين الملوى قد وهم من قال لا يطلب للآى الكريمة مناسبة لانها على حسب الوقائع المفرقة وفصل الخطاب انها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا فالمصحف على وفق مافى اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة الى

يات العزة ومن المعجز البين أساوبه ونظمه الباهر والذى ينبغى فى كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ماوجه مناسبتها لما قبلها ففى ذلك علم جم وهكذا فى السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له اه والظاهر ان مراده بقوله قدوهم من قال الخ الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى قوله المناسبة علم حسن لكن يشترط فى حسن ارتباط الكلام أن يقع فى أمر متحد مرتبط أوله بآخره فان وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لايقدر عليه الا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه فان القرآن نزل في نيف وعشرين سنه فى أحكام مختلفة شرعت لاسباب مختلفة وما كان كذلك لايتأتي ربط بعضه ببعض اه ولا شك ان أكثر آيات القرآن مناسباتها ظاهرة لاشبهة فيها والقليل منها مناسباته دقيقة لايدركها الا أكابر العلماء ويؤيد ذلك ماقاله سيدى محيي الدين بن العربى فى كتاب سراج المريدين كما نقله في الاتقان ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتي تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعانى منتظمة المبانى علم عظيم لم يتعرض له الا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه فاما لم نجد له حملة ورأينا الخلق باوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه اليه انتهى فكلامه رضى الله عنه يحصل به الجمع بين كلام ولى الدين وكلام عز الدين بحمل كلام ولى الدين على الحقيقة ان المناسبات بين الآيات موجودة بلا شك وان دق علم بعضها عن بعض الأفهام وحمل كلام عز الدين على عدم وجود المناسبة الظاهرة بين بعض الآيات لاختلاف أسباب النزول وأوقاته وقد ذكر في الاتقان من علم مناسبة الآيات

وأسبابها وأمثلتها شيئا كثيرا فليراجعه من شاءه وسواء علم جميع مناسبات الآيات أو لم يعلم بعضها لايضر ذلك باعجاز القرآن كما هو ظاهر اذلم يدع أحد وقوع خلل في الاعجاز بعدم ظهور المناسبة في بعض الآيات على ان كلام العرب من جملة أساليبه الاقتضاب وهو ذكر الشيء بلا مناسبة والقرآن انما نزل بكلام العرب وعلى قاعدتهم فاقتضى أن يكون من جملة أساليب فصاحته أسلوب الاقتضاب فذكر بعض الآيات بدون مناسبة ظاهرة وحينئذ لاوجه لاعتراض المعترض على ذلك بما نقله من الاتقان من كلام العز بن عبد السلام وغيره فان ذلك لايفيده شيئا وهو وغيره من أعداء الحق لاينكرون ان النبي صلى الله عليه وسلم أفصح الناس ويزعمون ان القرآن من كلامه فلو كان ذلك يخل بفصاحته لما استعمله وكان يسهل عليه ذكر كل شيء مع ما يناسبه مناسبة ظاهرة كما هي عادة الناس في مخاطباتهم ومهما أنكر الجاحدون نبوته صلى الله عليه وسلم لاينكرون فصاحته فاعتراضاتهم على القرآن من جهة أساليبه والاوصاف التى يزعمون انها تخل بفصاحته اعتراضات لم يحملهم عليها الا شدة الكفر والضلال فهى ترجع عليهم لا لهم لدلالتها على سقامة أفهامهم وضعف أحلامهم مع ان معظم آيات القرآن المناسبة بينها ظاهرة والارتباط بين معانيها بين ولكنه فى بعض المواضع لايدركه الا الراسخون فى العلم وقد ألفوا كتبا مستقلة لهذا المعنى وبينوا المناسبات فيها أحسن تبيين كالامام البقاعى وغيره وماذا يضر القرآن بعد ظهور اعجازه للخلق كافة عن أن يأتوا بسورة من مثله من عهده صلى الله عليه وسلم الى الآن اذا لم يظهر لبعض الافهام مابين بعض آياته من الارتباط والمناسبات بل لولم يكن مناسبة بالكلية بين بعض آياته بل بينها كلها لايضره ذلك شيئا

بعد ظهور اعجازه غاية الظهور بل عدم المناسبات بين بعض آياته هو
من أقوى أسباب اعجازه فانا نرى كلام الناس اذا لم يكن فيه مناسبة
بين عباراته وارتباط بين معانيه يسقط الى الحضيض الاسفل ولو كان
قائله من أفصح الناس والقرآن مع عدم ظهور المناسبات فى بعض الآيات
مازال في الاوج الاعلى والغاية القصوى من الفصاحة المعجزة التى
لم يخطر فى بال أحد أن يأتى بنظيرها فضلا عن أن يأتى به بالفعل
ولكنه مع ذلك قد أنزله الله تعالى على حبيبه الاعظم سيدنا محمد صلى
عليه وسلم لهداية قوم وهم المؤمنون به ونحن منهم والحمد لله تعالى ونسأله
سبحانه وتعالى من فضله ان يحفظ علينا هذه النعمة العظمى التى لا نعمة
توازيها الى ان نلقاه وهو راض عنا رضى لا سخط بعده بفضله واحسانه
ولا ضلال آخرين منهم هذا المعترض المطرود اللعين قال تعالى
(يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ
يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)

(فصل) ومن أشنع مكابرة هذا المعترض وأبردها وأسمجها وأقبحها
وأوقحها تفضيله فى عدة مواضع عبارة التوراة والانجيل على عبارة القرآن
منها في صفحة ٢٢١ حيث قال بزعمه ولم يستح من الله ولا من الناس ان
عبارتهما بسيطة وانها أحسن من عبارة القرآن المزخرفة فيأيها المكابر
العنيد والجاهل البليد الذى لا يستحي ولا يرعوى سلمنا انك مطموس
على قلبك لا تفرق بين الحق والباطل من جهة الدين وسلمنا انك فاقد
الذوق بالكلية فى معرفة العربية وانك لا تستطع طعم الكلام ولا تفرق
بين غثه وسمينه اما قرأت الكتب العربية والتاريخية والدينية من سائر

الديانات الاسلامية واليهودية والنصرانية هل رأيت أو سمعت قط بأن
أحدا ادعى وجود نظير للقرآن فى فصاحته وبلاغته من أعدائه فضلا
عن أوليائه وهل رأيت أو سمعت قط بأن أحدا زعم فصاحة عبارات التوراة
والانجيل وبلاغتهما وما هي البساطة التى تمدحها وتعنيها من عبارة التوراة
والانجيل هل هى الركاكة العجيبة الفائقة الحد المسلمة عند العوام
فضلا عن العلماء حتى انها كانت السبب الوحيد لركاكة عبارات النصارى
كافة التى يكتبونها وينطقون بها حتى قيل فى المثل (أبت العربية أن تتنصر)
ويا ليت شعرى ما المانع من ان يكون النصرانى فصيحا لولا انه نشأ من
صغره على قراءة العبارات الدينية الركيكة المأخوذة من التوراة والانجيل
وسائر الكتب التى فى أيديهم فقد نشأ عليها هو ومعلمه ومعلم معلمه
وهكذا وتوارثوا ركاكة الالفاظ وركاكة المعانى وركاكة العقائد أيضا خلفا
عن سلف وقد أدرك كتاب النصارى وفضلاؤهم ذلك فصاروا يكثرون
القراءة فى القرآن وكتب الفصاحة حتى أحسنوا عباراتهم ومع ذلك
لم تزل تلك الركاكة التى تغذوا بلبانها من الصغر مغروسة فى طباعهم
وبعكس ذلك المسلمون فانهم لما نشؤا على تعلم القرآن من الصغر كانت
عباراتهم فصيحة حتى ان علماء البيان جعلوا من أعظم شروط الكتابة
الفصيحة حفظ القرآن لانه أصل للفصاحة وينبوعها كما ان التوراة والانجيل
وغيرهما من الكتب الدينية النصرانية هى بهذه العبارات العربية أصل
الركاكة وينبوعها وهذا من الامور البديهية المتفق عليها التى لا تحتاج
لاقامة دليل لا عند العوام ولا عند الخواص من المسلمين والنصارى واليهود
أيضا وغيرهم وبعد هذا كله لم يرض هذا المكابر الفاجر ان يسوى
بين العبارتين حتى فضل عبارة التوراة والانجيل على عبارة القرآن فهو

يدّعى من غير تحاش ان الركاكة خير من الفصاحة وذلك ليس باشنع من دعواه ان اعتقاده الشريك والولد لله تعالى خير من اعتقادنا أنه تعالى واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فالذى يحسن فى عقله و يحلو في ذوقه هذا الاعتقاد وما يتبعه من الغرائب المفصلة فى محالها لا يلام على دعواه ان ركاكة عبارات التوراة والانجيل خير من فصاحة القرآن فانه انما يترجم بذلك عن ذوقه وما يجده فى نفسه ولا اعتراض فى الاذواق هذا الجعل يتغذى بالنجاسة ويلتذ برائحتها الكريهة واذا شم رائحة طيبة يموت وما هو الا حيوان كهذا الانسان الذى يزعم ان عبارة التوراة والانجيل أفصح من عبارة القرآن

(فصل) ومن مكابراته الباردة المصادمة للحق قوله فى صفحة ٨٢ ان القرآن لم يأت بآيات باهرة لاقناع المعارضين فاحتاج الصحابة لما شرعوا فى جمعه بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بنحو عشرين سنة الى المداولة والمشاورة والشهود ولم يقبلوا فقرة ولا سورة الا بعد شهادة شاهدين قال هذا السفيه الكاذب بعد ماذكر وأنت تعرف ان العرب كانوا أجلافاً مجردين عن الذمة فلا يبعد ان يزيدوا و ينقصوا بحسب اغراضهم وقس على ذلك الاحاديث المنسوبة الى نبيهم ثم قال فى صفحة ٨٣ وذكروا في علم الاصول انه لامانع اذا نقل أحاديثهم من كان صبياً وانه تقبل رواية المبتدع اذا لم يكن داعياً الى بدعته وان المسلمين يجوزون رواية الفاسق ولذلك كثر في السنة الضعيف والموضوع والكاذب وان اليهود والنصارى لم يأخذوا كتب دينهم من الصبيان ولا من المبتدعين ولا غيرهم الى آخر ماهذى به من أباطيله واضاليله والجواب عن ذلك ان قوله ان القرآن لم يأت بآيات باهرة هو من البهتان البين الظاهر وكيف

يقال ذلك وكله آيات باهرة فان اقصر سورة منه معجزة أعجزت الناس كافة وان لم يسلم ذلك فليأتنا بسورة أو آية مقدار سطر أو سطرين و يستعين بمن شاء من الناس والكتب واذا لم يفعل ذلك ولن يفعل فليقر على نفسه بالكذب والبهتان والضلال المبين وفيه فضلا عن اعجازه اللفظى من الاخبار بالغيوب التى ظهرت كما أخبر شيء كثير وتفصيل وجوه اعجازه مذكور فى باب القرآن من هذا الكتاب فراجعه ان شئت فظهر ان انكاره ذلك هو مثل انكار ضوء النهار واشراق الشمس ومن عجيب جهله استدلاله على زعمه هذا بجمع الصحابة له وعدم قبولهم فقرة ولا سورة الا بشاهدين فان ذلك هو أيضاً من آياته الباهرة اذ ألهمهم الحق تعالى كمال الاعتناء به حتى جمعوه ولم يثبتوا فيه فقرة واحدة بدون ثبوت شرعى فهل هذا يكون عيباً الا عند من لا عقل له وقد ثبت عند كل عاقل منصف بالدلائل القطعية انه كلام الله تعالى وقد قال الله تعالى فيه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وقال تعالى ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ فالذى نسوه ولم يجمعوه ليس بقرآن لانه من المنسوخ المنسى وقد فصلنا ذلك فيما تقدم وانه منزه عن الزيادة والنقص وأما التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية غير القرآن فلم يتعهد الله بحفظ شيء منها ولذلك كثر فيها التغيير والتبديل وانكاره مكابرة اما افتراؤه عن العرب بأنهم اجلاف مجردون عن الذمة فهذا من جملة السفاهة التى اتخذها شعاره ودثاره وجعلها أقوى مدافعاته لعجزه عن المدافعات بالبراهين الصحيحة والاقوال الحقة وهذه التواريخ اتفقت على ان العرب كانوا فى جاهليتهم فضلا عن اسلامهم متصفين بالصدق بالقول والفعل والوفاء بالعهد واكرام الضيف وحماية الجار وغير ذلك من

مكارم الاخلاق التى فاقوا فيها جميع الامم وكان من أقبح العار عندهم الكذب والخيانة وغيرهما من مساوى الاخلاق و بعد ان هداهم الله بنبيه الاعظم صلى الله عليه وسلم أقرهم على مكارم أخلاقهم ومحاسن أوصافهم وزادهم فيها ترغيباً ونهاهم عن مساويها وزادهم فيها كراهة أما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذه التواريخ وهذه سيرهم من قرأها يعلم يقيناً انه لم يوجد فى العالم من آدم الى الآن قوم أحسن منهم سيرة وافضل منهم أخلاقاً واعمالا بعد النبيين والمرسلين أما الصدق الذى مدار الامر عليه فى نقل الشرع فقد كانوا أصدق الناس كما يعرفه كل أحد اطلع على أخبارهم لوجهين لان طباعهم العربية كانت تحب الصدق وتمدح به غاية التمدح ولانه من أجل الاوصاف شرعا وقد حرم الله الكذب فى شريعتهم تحريما عظيما هذا فى مطلق الكذب أما الكذب في الدين وعلى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فهو من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر وقد وردت الاحاديث الصحيحة عن النبى صلى الله عليه وسلم بتحريمه أشد التحريم وتنفيرهم منه أعظم التنفير كقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث البخارى من كذب علىَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وقد أجمع جميع المسلمين من أهل السنة والجماعة على عدالتهم أجمعين فكيف يصح لهذا السفيه المكابر ان يصف قوما هذا حالهم بأنهم اجلاف مجردون عن الذمة ولكن من لا يستحى يقول ماشاء وأما اعتراضه بجواز رواية الصبى فمنشؤه جهله وعدم فهمه فان الصبى المميز اذا سمع حديثا أو رأى شيئا لا يمنعه صغر سنه حين سماعه ورؤيته عن جواز روايته والتحدث به متى كبر وصار أهلا للشهادة ومن القواعد المقررة ان العبرة فى الشاهد فى وقت أداء الشهادة لا فى وقت تحملها وكذا

الراوى العبرة انما هى في وقت نقل الحديث وروايته عنه لا بوقت سماعه هو وهل أحد من سائر الملل والمذاهب يقول ان الصبى اذا كبر وكان ثقة مأمونا صادقا لا يجوز ان يؤخذ ويروى عنه الاشياء التى سمعها أو رآها قبل بلوغه ومن الظاهر البين ان الصبى المميز ولا سيما اذا كان ذكيا يتذكر الاشياء التى رآها قبل بلوغه الى آخر عمره فالاعتراض على ذلك أصله الجهل والمكابرة وأما رواية المبتدع التى جوزوها اذا لم يكن داعيا الى مذهبه فاعتراضه عليها ساقط أيضا وأصله كذلك جهله وعدم معرفته لان معنى المبتدع من يحدث شيئا في الدين مخالفا لما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه مع اقراره بالتوحيد ورسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والاحكام الشرعية التى وردت عنه الا انه خالف جمهور المسلمين فى بعض الاشياء التى لا تقتضى تكفيره فاهل البدعة على هذا الوجه مازالوا مسلمين يحرمون الكذب فلا مانع من جواز الرواية عنهم ومنهم الثقة المأمون والتقى الصالح على قواعد مذهبه فمجرد بدعته لا تكون سببا لرد روايته وكيف يسوغ لهذا المكابر ان يعترض بذلك على المسلمين وهو يروى كتب دينه كالتوراة عن اليهود وهم عنده أكفر الكفار وأعدى أعداء النصرانية أليس هذا من التناقض الفاحش والجهل المبين وأما كون الاحاديث النبوية فيها الضعيف والموضوع أى المكذوب فهذا من أحسن محسنات شريعتنا المطهرة لانه يدل على شدة الاعتناء بضبطها حتى دققوا فى أحوال الرجال وأوصافهم الى غاية لم يسبقهم اليها أمة من الامم فى نقل شرائعهم فميزوا بذلك الاحاديث الصحيحة والحسنة والضعيفة والموضوعة وغيرها وجعلوا لذلك علما مخصوصا سموه مصطلح الحديث وألفوا كتبا حافلة فى أحوال الرجال وأوصافهم حسنة

أو قبيحة وبحسب قوتهم وضعفهم يكون قوة الحديث المأخوذ عنهم وضعفه فلينظر هذا المعترض هل وجد على وجه الارض شريعة خدمت هذه الخدمة وحصل لها هذا الاعتناء العظيم وهذا من أكبر البراهين على صحتها ولذلك سخر الله لها فحول العلماء فافنوا أعمارهم بالاشتغال فيها ونفوا عنها كذب الكذابين وتلبيسات الملحدين وأباطيل الكافرين مثل هذا المعترض هو لايجيء شعرة فيمن تقدم من أئمة الكفر وقادة الضلال ورؤس الشرك ومع ذلك لم يؤثروا فى دين الاسلام ذرة فقد ظهر انه من جهله وعناده بجعل المحاسن مساوى وأما قوله فاليهود والنصارى لم يأخذوا كتب دياناتهم من الصبيان ولا من المبتدعين فقد صدق فى ذلك فان اليهود لم يأخذوا كتبهم عن أحد لانهم بعد ان أفناهم بختنصر بالقتل والسبى لم يبق منهم من يحفظ التوراة الا دانيال ثم مرت عصور انقطعت فيها الاتصالات العلمية بالكلية فلم يرووا التوراة عن أحد لامن الصغار ولا من الكبار وانما وجدوها في الكتب وتصرفوا فيها وفى غيرها من كتبهم بالتغيير والتبديل والزيادة والنقص بخياناتهم الطبيعية المعلومة التي يقر بها كل أحد ولم أسمع ولم أر بعد بأحد من النصارى ينكر ان اليهود أخون الناس وأكذبهم سوى هذا المعترض المكابر فانه هو الذى يزكيهم فى كتابه وينسب لهم الصدق والامانة حالة كونهم أكذب الكاذبين وأخون الخائنين لاجل اثبات ضلالته بالاباطيل والرد على المسلمين الذين هم أصدق الناس جيلا بعد جيل هذا ماكان من شأن اليهود ورواياتهم وأما النصارى فانهم يروون كتب دينهم كالتوراة عن اليهود ولا أحد يشك بأن اليهود هم في عقيدة النصارى أكفر الكفار فكيف جاز لهم مع شدة كفرهم وعداوتهم الدينية لهم التى

مافوقها عداوة ان يرووا عنهم أهم كتب دينهم وهو التوراة فليجبنا هذا المعترض عن ذلك ان كان له جواب وأيضا البروتستانت الذين هذا المعترض على مذهبهم يروون كتب دينهم جميعها والانجيل وغيره عن رؤساء دين النصرانية السابقين من أصحاب المجامع وغيرهم الذين يعتقد فيهم البروتستانت انهم خائنون فى دين النصرانية اذ زادوا فيه أشياء كثيرة ليست منه وحملوا الناس على التدين بها وصارت دينا لهم لم ينزله الله تعالى على سيدنا عيسى وذلك غاية الخيانة التي مابعدها خيانة وبهذا السبب جردوا الدين عن جميع زياداتهم ورفضوها رفضا بتا واعتقدوا كفر من يعتقدها كما ان سائر مذاهب النصرانية يعتقد أهلها كفر البروتستانت فقد أخذ هذا المعترض وأهل مذهبه دينهم عن جماعة هم عندهم كفار خائنون وكل من اتبعهم فانظر ايها المنصف الى هذا السفيه الجاهل المكابر وضعف حجته وتضارب أقواله ومناقضات عباراته وتعجب وهكذا شأنه فى كل ما أتى به فى كتابه هداية الشيطان من الاعتراضات والمكابرات

﴿ فصل ﴾ زعم المعترض فى صفحة ١٠٦ ان القرآن نزل على كثيرين يعنى بسبب موافقة عمر وغيره في عدة آيات ونقل ماذكره الاتقان في ذلك وزعم انها نزلت على بعض الصحابة واتخذها النبى صلى الله عليه وسلم قرآنا فانظر لهذا الكلام البارد المقصود منه مجرد المشاغبة ومدافعة الحق بالباطل فان عمر انما ورد عنه ذلك فى آيات قليلة أخرج البخارى وغيره عن أنس قال قال عمر وافقت ربى في ثلاث قلت يارسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) قلت يارسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو

أمرتهن ان يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع على رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم نساؤه فى الغيرة فقلت لهن (عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن
يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ) فنزلت كذلك وأخرج مسلم زيادة
الموافقة فى أسرى بدر ونقص عسى ربه ان طلقكن فهذه أربع
وأخرج ابن أبى حاتم خامسة وهى (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) وأخرج
ابن أبى ليلى سادسة وهى (مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ
وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ) فهذه الستة هى الواردة عن عمر
وورد موافقة سعد بن معاذ فى قوله تعالى (سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ)
وورد موافقة مصعب بن عمير فى قوله تعالى (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ
خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ) الآية فجميع ذلك ثمان آيات والقرآن كله أكثر
من سبعة آلاف آية فأين الناس الكثيرون الذين نزل عليهم القرآن
وما هو المانع من أن الله تعالى يشرف بعض عبيده كعمر بان يلهم شيئا من
معنى كلامه القديم وهل يشترط لصحة كلام الله تعالى ان لا يخطر فى
بال أحد قبل ذلك ومن الذى اشترط هذا الشرط الفاسد ومع ذلك فهو
كافر بالقرآن وبمن نزل عليه القرآن فزعمه هذا الزعم هو من أقل
ما اشتمل عليه قلبه المظلم من الكفر والبهتان وجميع الآيات التى حصلت
فيها الموافقة اذا اجتمعت كلها لا تزيد على آية طويلة كخاتمة الفتح
(مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) الى
آخر السورة فهل موافقة القرآن فى آية تقتضى ان يقال ان القرآن نزل على
ناس كثيرين اف وتف للسفيه السفيل الذى لا يستحى من المكابرة
بالباطل والمصادمة للحق ولا يبالى بما يلحقه من العار والشنار بالافك القبيح
والكذب الصريح ويا ليت شعرى ما الذى يقوله فى التوراة والانجيل هل

يقول ان جميع معانيهما لم يجر الله شيئا منها على خاطر أحد من
خلقه قبل نزولهما واذا قال ذلك مكابرة فما الذى يجيب به عن أحكام
التوراة الكثيرة التى اكتشف عليها فى هذا الزمان مكتوبة على عمود
عظيم وجد مدفونا فى خرابات بابل من عهد أحد الملوك السابقين على
التوراة باجيال كثيرة المذكورين فيها وكان ذلك الملك فى زمن سيدنا
ابراهيم عليه السلام فهل يقول هذا المعترض كما تقوله الملحدون ان سيدنا
موسى أخذ تلك الاحكام من شريعة ذلك الملك وكتبها فى التوراة
وقال انها أنزلت اليه من عند الله تعالى أم يجيب بما نجيب به نحن من أن تلك
الاحكام هى بلا شك من صحف سيدنا ابراهيم وشريعته وصلت الى
ذلك الملك الذى كان فى زمنه فخلدها على ذلك العامود كما انه لا مانع من
أن يكون الله تعالى الهم تلك الاحكام الى ذلك الملك وغيره من ساسة
الناس فى ذلك العصر أو قبله ثم أنزلها على سيدنا موسى فى التوراة وهذا
ليس بمستحيل عقلا ولا يأباه منصف فان وافقنا هذا المعترض بالجواب
فقد قامت عليه الحجة وان خالفنا فيكون قد كفر بمعتقده ووافق الملحدين
المعترضين على دينه فليختر لنفسه ما يشاء

(فصل) ومن مكابرة هذا المعترض ووقاحته وقلة حيائه انه يعكس الموضوع
فيجعل المحاسن مساوى فمن ذلك ما ذكره فى مواضع كثيرة من جملتها
فى صفحة ٩٠ و١٣٠ من ان القرآن يأخذ من الكتب السماوية وهذا
من أعظم محاسن القرآن الدالة على انه كلام الله حقا وهو نفسه كثيرا
ما صرح بذلك لتثبيت انه كلام الله كقوله تعالى (وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ)
المقصود من ذلك انه صلى الله عليه وسلم لم يبتدع هذا الدين دين التوحيد
ولم يخترع من تلقاء نفسه هذا القرآن المجيد بل هذا الدين هو دين الله الذى

أرسل به رسله السابقين ومعاني القرآن أى بعضها من نحو القصص وما يدل على توحيد الله تعالى هى موجودة فى زبر أى كتب الاولين فكأنه يقول لهم راجعوها تجدوا ذلك حقاً وتصدقوا حينئذ بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الذى أوحيت اليه بذلك وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب وهذا الاسلوب فى اقناع الخصم أسلوب جميل شائع بين العلماء والمؤلفين قديما وحديثا يستشهدون على صحة ماقالوه بكلام من تقدمهم فيقول أحدهم الامر كذا وكذا كما قاله فلان فى كتابه الفلانى يستشهد بكلام عالم تقدمه على صحة كلامه وربما كان هذا العالم المتقدم دون ذلك العالم المتأخر الذى اتخذ كلامه حجة له لانه قد ثبت فى النفوس كون ذلك المتقدم عالما فاذا وافقه هذا المتأخر يثبت عندهم علم المتأخر أيضاً واصابته بموافقته ذلك حتى قالوا فى آداب البحث ان كنت مدعياً فالدليل وان كنت ناقلا فالصحة فالله تعالى أتاهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فى القرآن بالنقل في بعض المواضع وبأدلة كثيرة على التوحيد وعلى صدق نبيه صلى الله عليه وسلم وان هذا القرآن كلامه كقوله تعالى في الاستدلال على التوحيد ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ وكقوله فى القرآن ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ وتحداهم به أى طلب منهم ان يأتوا بمثله وطلب منهم ان يأتوا بعشر سور من مثله وطلب منهم ان يأتوا بسورة واحدة فاقروا بالعجز بلسان حالهم الذى هو أفصح من لسان مقالهم لانهم لم يأتوا بشىء ولو استطاعوه لفعلوه لشدة حاجتهم اليه لردع من جاء لهدم دينهم الذى ورثوه عن الآباء والاجداد وعدلوا مثل هذا المعترض المعاند الى الكلام الفارغ والمكابرة الذميمة فقالوا أساطير الاولين فهذا المعترض لم يخترع هذه المكابرة من عند نفسه

فقد سبقه اليها اخوانه الكفار المشركون فلا عجب ان يقول كما قالوا انه صلى الله عليه وسلم أخذ ذلك من التوراة مثلا فنقول لهم ما الذى منعهم ان يعملوا مثل عمله فيأتون برجل يعرف شيئاً من تلك الاساطير والكتب التى يزعمون انه أخذ منها ويجعلونها سورا ويعارضون القرآن وقد طلب منهم معارضته وقد كان يوجد فيهم من يعلم الكتابة والقراءة وهو صلى الله عليه وسلم أمى لا يقرأ ولا يكتب وكان منهم الاغنياء والتجار وأصحاب الجاه والرحالون الى بلاد الشام واليمن وغيرها وبكل الاحوال كانوا أقدر منه صلى الله عليه وسلم بأضعاف مضاعفة على مازعموه من انه رتبه من عند نفسه من كتب الاولين وان الذي يعلمه بشر يعنون رجلا أعجمياً جاهلا كان عندهم فقد رد الله عليهم ذلك بقوله تعالى ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ وهذه حجة قاطعة قطعت ظهورهم وكشفت بهتانهم وزورهم فكأن معنى الآية والله أعلم لو فرضنا ان هذا الاعجمى أفاده شيئاً من معانى الكتب السماوية فأنتم تعلمون ان لسانه أعجمى فلا يمكن ان يكسو تلك المعانى هذه العبارة العربية المعجزة التى أدهشتكم بفصاحتها وبلاغتها وأسلوبها العجيب الذى لا عهد لكم بمثله وانتم أنفسكم يامعشر قريش مع كونكم أفصح العرب عاجزون كل العجز عن الاتيان بمثل هذا القرآن أو بعشر سور أو بسورة واحدة منه واذا كان الامر كذلك فكيف تدعون بالزور والبهتان ان ذلك الاعجمى هو الذى يعلمه القرآن

(فصل) اعترض فى صفحة ١٢٨ بأن القرآن فيه من لغة العجم شىء كثير مثل أباريق وأرائك واستبرق وزعم ان القرآن مشحون بهذه الالفاظ من لغة اليونان والحبش والانباط والفرس وغيرها وجوابه انه

كاذب بقوله مشحون لانه على خلاف فى ذلك يوجد فيـه ألفاظ قليلة
أدرجت فيه لحكم صحيحة على الخلاف فى ذلك قال فى الاتقان في النوع
الثامن والثلاثين منـه اختلف الائمة فى وقوع المعرب في القرآن
فالاكثرون ومنهم الامام الشافعى وابن جرير وأبو عبيدة والقاضى أبو
بكر وابن فارس على عدم وقوعه فيه لقوله تعالى ﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً ﴾ وقد
شدد الشافعى النكير على القائل بذلك وقال ابن جرير ماورد عن ابن
عباس وغيره من تفسير الفاظ من القرآن انها بالفارسية أو الحبشية
أو النبطية أو نحو ذلك انما اتفق فيها توارد اللغات فتكلمت بها العرب
والفرس والحبشة بلفظ واحد ثم قال السيوطى وذهب آخرون الى
وقوعه فيه وأجابوا عن قوله تعالى ﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً ﴾ بأن الكلمات اليسيرة
بغير العربية لاتخرجه عن كونه عربياً ثم قال وحكمة وقوع هذه
الالفاظ فى القرآن انه حوي علم الاولين والآخرين ونبأ كل شيء فلابد ان تقع
فيه الاشارة الى أنواع اللغات والالسن ليتم احاطته بكل شيء فاختير له
من كل لغة أعذبها وأخفها واكثرها استعمالا للعرب
وأيضاً النبي صلى الله عليه وسلم مرسل الى كل أمة وقد قال تعالى
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ فلابد وان يكون فى الكتاب
المبعوث به من لسان كل قوم وان كان أصله بلغة قومه وقال أبو عبيد
القاسم بن سلام بعد ان حكى القول بالوقوع عن الفقهاء والمنع عن
أهل العربية والصواب عندى مذهب فيه تصديق القولين جميعاً وذلك
ان هذه الاحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء لكنها وقعت للعرب
فعربتها بألسنتها وحولتها عن الفاظ العجم الى الفاظها فصارت عربية ثم
نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال انها

عربية فهو صادق ومن قال عجمية فصادق ثم قال السيوطى وهذا سرد
الالفاظ الواردة فى القرآن من ذلك مرتبة على حروف المعجم وذكرها
لفظاً لفظاً مع النقل في كل لفظ من أى لغة فكان جملتها مائة وتسعة
عشر لفظاً قال فهذا ماوقفت عليه من الالفاظ المعربة فى القرآن بعد
الفحص الشديد سنين ولم تجتمع في كتاب قبل هذا انتهى ولا
يخفى ان عدة كلمات القرآن سبع وسبعون الف كلمة فاذا كان من
جملة هذا العدد الكثير هذه الالفاظ اليسيرة معربة لايجوز ان يقال
ان القرآن مشحون بالالفاظ العجمية كما قال المعترض ولكنه قد ثبت
انه لايستحى من الكذب مهما كان ظاهرا وسواء كانت هذه الالفاظ
عربية أو معربة على القولين ماذا يترتب على ذلك من الاعتراض وهذه
جميع اللغات على الاطلاق لايمكن ان تكون لغة منها خالية من الفاظ
دخيلة فيها من بعض اللغات الاخرى وهذا لاينكره أحد ولا يعده
عيباً على تلك اللغة ولغة العرب انما هي لغة من اللغات وان كانت
أشرفها والقرآن انما نزل بها فاذا كانت هذه الالفاظ هي منها اصالة كما
قال بعضهم فهى منها حقيقة وان كانت دخيلة فيها من اللغات الاخرى
فهي قد شاركت بذلك سائر اللغات فى أخذ بعضها من بعض فلا يترتب
على ذلك اعتراض على كل حال الا عند المكابرين من أهل العناد والضلال
(فصل) جمل في صفحة ١٣٩ الاختلاف في أوقات نزول بعض السور
القرآنية مثل الاختلاف فى وقت تأليف الاناجيل واستدل بذلك على
ان وقوع الاختلاف فيها لايكون عيباً ثم قال وهذا يدل على ان القرآن
نزل مقطعاً كأن نزوله مقطعا هو عيب من العيوب وانا تكره ويستدل
بذلك على اثباته فكان ذلك من جملة الدلائل الكثيرة على جهله

ومكابرته اذ القرآن نزل منجما أى مفرقا في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع ومقتضيات الاحوال فهذا اذا وقع الاختلاف فى وقت نزول بعض آياته لامانع منه لان ضبطه عسر جداً بالنظر الى نزول بعضه في ليل و بعضه فى نهار و بعضه فى سفر و بعضه فى حضر ولا يترتب على ذلك محذور بخلاف الاناجيل فانها الفها مؤلفوها دفعة واحدة كعادة كتب التاريخ التى يؤلفها العلماء فهذه متى أظهرها مؤلفها ورواها الناس عنه فذلك هو تاريخ ظهورها فلا داعى لكثرة الاختلاف فيه ومع ذلك فقد كذب على اظهار الحق بقوله فى هذه الصفحة قال يعنى صاحب اظهار الحق اختلف العلماء فى زمن نزول الاناجيل مع انه لم يعبر بلفظة النزول مطلقا وانما تعبيره بأنهم الفوها لان الانجيل انما نزل على سيدنا عيسى عليه السلام وقد حفظ كل منهم جملة منه ففرقها فى انجيله فى ضمن القصص والحكايات التى رآها بنفسه أورواها له غيره ولا يعبر عن هذا بالنزول انما هو تأليف كتأليف كتب التاريخ ولكنه يريد بذلك التشبه بالقرآن فى نزوله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وانما يشبه القرآن الانجيل الحقيقى الذي أنزله الله على سيدنا عيسى وذلك غير موجود البتة وانما يوجد منه جمل مفرقة فى الاناجيل الاربعة كل من أصحابها حفظ قسما ففرقه ولم يدع أحد منهم انه حفظ الجميع كما لم يجتمعوا جميعا ويدعوا ان أناجيلهم جمعت جميع ما أنزل على سيدنا عيسى وبهذا تحقق المنصف ان الانجيل الاصلى معدوم لاوجود له وانه ليس في الامكان ان يعرف الآن مقدار مافقد منه غير ماذكر منه في أناجيلهم الاربعة التى أجمعوا عليها بعد ترك ماسواها من الاناجيل الاخرى التي كانت مثلها فى التأليف و بيان

تاريخ سيدنا عيسى وشرح أحواله والله يهدى من يشاء و يضل من يشاء سبحانه وتعالى

(فصل) ومن أبرد البرادات وأسمج السماجات قوله فى صفحة ١٤٨ ان محمدا صلى الله عليه وسلم أخذ جل قرآنه من الكتب المقدسة ولكنه لم يرتكن على ذلك فقط بل زين أقواله بزخرفة الالفاظ اللغوية ونمقها وزخرفها وادعى أن بهرجة الالفاظ هى من الادلة على الوحي ولكن لو كان بين قوم غير العرب لسقطت دعواه فان العلماء الراسخين لايلتفتون الى زخرفة الكلام بل يطلبون براهين داخلية على صدق الوحى كالمعجزات الباهرة وتحقيق النبوات بالحوادث الماضية والحاضرة والمستقبلة ويأخذون فى التنقيب والتنقير وهل تعاليم النبى تناقض الكتب الالهية التى عندهم أم لا اه أما قوله ان القرآن مأخوذ من الكتب الالهية فالقرآن منزل من عند الله تعالى وهو سبحانه وتعالى الذي أنزل الكتب الالهية قبله وقد ذكر فى كل من كتبه تعالى السابقة مالم يذكره فى الآخر الى أن أنزل القرآن سيد كتبه وخاتمها على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سيد أنبيائه وخاتمهم فجمع فى القرآن جميع مافيها صراحة أو دلالة مع زيادات كثيرة عليها كما انه جمع فيه صلى الله عليه وسلم جميع مافيهم من الفضائل وزيادات كثيرة أيضا لاتعد ولا تحصى وحينئذ فجمع القرآن مافى الكتب السابقة مع كثرتها واختصاره هو من أحسن محاسنه وأوجه اعجازه التى لم يقدر ولن يقدر عليها أحد من الخلق فهل يكون هذا عيبا الا عند أعمى القلب مطموس البصيرة لايفرق بين الحسن والقبيح * وأما قول هذا المعترض المكابر ولم يرتكن على ذلك فقط بل زين ألفاظه بزخرفة الالفاظ اللغوية الى آخر هذيانه فهذه الزخرفة والتنميق وبهرجة الالفاظ التى ذكرها

ان كان مراده بها هي فصاحته التى قد ثبت عند العالم أجمع من عهده صلى الله عليه وسلم الى الآن انه انفرد بها عن سائر كلام الناس وان الخلق كلهم عاجزون عن معارضتها والاتيان بنظيرها فهذا صحيح ولكن لايمكن أن يكون محلا للاعتراض الا عند المجانين الذين لاعقل لهم ولا فهم وهذه الكفار مع كفرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم من عهده الى الآن لم نسمع باحد منهم ذم القرآن وزعم انه مشتمل على زخرفة الالفاظ وتنميقها وبهرجتها بدون أن يكون تحتها معانى كما زعم هذا الكافر المكابر فقد علمنا بهذا انه مع كونه أكفر منهم هو أيضاً فاقد الذوق مسلوب العقل والفهم بالكلية لانه لو كان عاقلا لما كان يدعى بطلان الحق الظاهر وينكر أنوار الشمس المشرقة والقمر الباهر فان من فعل ذلك انما يهدم شرف نفسه بين الناس ويظهر انه كذاب مكابر ومع ذلك لايحصل له مايقصده من الحط من قدر الشمس والقمر بانكار الانوار لانه يكذبه جميع ذوى الابصار * وقوله ولكن لو كان بين قوم غير العرب لسقطت دعواه هذا كلام فارغ ظاهر البطلان لان العرب بالاتفاق هم من أزكى الناس وأعقلهم وأفضلهم وهذه كتبهم وعلومهم قدملأت الدنيا فالكذب الصريح والبهتان القبيح في حقهم انما يعود على مفتريه ومع ذلك فالعرب لم يتسرعوا للايمان به صلى الله عليه وسلم حتى ظهر لهم من معجزاته وآياته صلى الله عليه وسلم ماحملهم على الايمان به وترك ما كانوا عليه من عبادة الاوثان والاصنام وما كانوا عليه من دين الآباء والاجداد وكأن هذا المعترض يقول انه لوكان هو وأمثاله لما تركوا عبادة الاوثان والاصنام وآمنوا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وماجاء به من توحيد الرحمن لانه يعترض على العرب لتركهم ما كانوا عليه وايمانهم بما جاء به عليه

الصلاة والسلام وهو أهل لذلك فانه موافق لعباد الاصنام بالافك والشرك وهو منتظم معهم فى سلك * ومن عجيب أمره وكله عجيب يأباه كل عاقل لبيب انه يعترض على العرب بايمانهم بالنبى صلى الله عليه وسلم مع كونهم شاهدوا منه عليه الصلاة والسلام من الآيات البينات والمعجزات الباهرات ما ملأ الوجود واندهش له الصاحب والعدو والحسود مما لايعد ولا يحصى ولا يعترض على نفسه وأهل ملته النصارى الذين آمنوا بدين غير معقول ولا يرتضيه أحد من أرباب العقول فهم الأحق بالاعتراض والانتقاد لمجانبتهم سبيل الرشاد والسداد وليس العرب وحدهم هم الذين آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم بل لم يبق جنس من أجناس البشر الذين أراد الله تعالى سعادتهم الا وقد آمنوا به عليه الصلاة والسلام كلهم أو بعضهم وقوله فان العلماء الراسخين لايلتفتون الى زخرفة الكلام بل يطلبون براهين داخلية على صدق الوحى كالمعجزات الباهرة الى آخر ماقاله فهذا حق ولكنه لم يترك شيئاً من الوقاحة فى اعتراضه به لان براهين صدقه صلى الله عليه وسلم ومعجزاته الباهرة لايمكن أن تبلغ عشر معشارها معجزات جميع النبيين وبراهينهم وهذه هى موجودة فى الكتب وفى هذا الكتاب أيضاً ونفس هذا المكابر قد أقر فى كتابه بوقوع كثير منها ولكنه يكابر بكونها ليست معجزات وذكر من ذلك نطق الجمادات والحيوانات وشهادتها برسالته صلى الله عليه وسلم فاى برهان يكون أقوى من هذا! وأى دليل يكون أدل من هذا وماهي البراهين والمعجزات التى رووها عن الانبياء السابقين حتى صدقوهم أكانت أعظم من معجزاته صلى الله عليه وسلم أم كانت أكثر منها أم نقلت اليهم باسانيد أصح من الاسانيد التى نقلت بها معجزاته صلى الله عليه وسلم حاشا وكلا ومن

زعم قط من الكفار فضلا عن المسلمين انه صلى الله عليه وسلم لم يكن له براهين ومعجزات على نبوته ولكن هذا الكافر المكابر هو لا يستحي من الكذب والبهتان ومصادمة الحق بالباطل وتارة ينكر وتارة يقر ويحكى في كل مقام ما يخالف كلامه في المقام الآخر كل ذلك لانه رفع برقع الحياء والشرف فلم يتقيد بالصدق ولم يبال بما قيل فيه * وقوله وتحقيق النبوات بالحوادث الماضية والحاضرة والمستقبلة فقد أخبر صلى الله عليه وسلم بمغيبات كثيرة ظهرت كما أخبر وذلك كثير فى القرآن والحديث لا يعد ولا يحصى وقد ثبتت البشائر به صلى الله عليه وسلم فى التوراة والانجيل وغيرهما من كتب الانبياء وأوصافه التى ذكرت فيها هي الى الآن مع مرور هذه العصور الطويلة لم تصدق على غيره صلى الله عليه وسلم ولكن أين المنصفون ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ * وقوله ويأخذون فى التنقيب والتنقير وهل تعاليم النبى تناقض الكتب الالهية التى عندهم أم لا هو قول لازم ولكن علماء النصارى لم يفعلوه ولو فعلوا ذلك لما بقى منهم أحد غير مؤمن بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فان جميع ما جاء به صلى الله عليه وسلم لم يخالف شيء منه ما صح عن الانبياء والمرسلين فان الدين واحد وهو دين التوحيد الذى جاء به عليه الصلاة والسلام وهو دين الله الذى بعث به المرسلين الى الناس وما زال عليه اتباع الرسل الى عهد سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وبعده بمدة ثم ادعوا فيه الالوهية وضلت فيه العبيد وزال بالشرك التوحيد حتى بعث الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فجدده وأعاد الامر الى ما كان عليه في عهد الانبياء والمرسلين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين وهذا هو الدين المقبول المعقول المنقول فالنبى صلى الله

عليه وسلم لم يأت بشيء جديد في التوحيد وان زاده براهين ودلائل وعممه في سائر البلاد والقبائل وقبله منه والحمد لله تعالى كل سعيد عاقل آثر الحق على الباطل ولا يضره مخالفة أهل الضلال اذ الحق لا بد له من مقابل وما زال هكذا الناس فريقين في كل عصر من الاواخر والاوائل

﴿ فصل ﴾ اعترض فى صفحة ١٥١ على ان القرآن فيه المحكم والمتشابه فالمحكم ما عرف المراد منه والمتشابه ما استأثر الله بعلمه ومن المتشابه الحروف المقطعة أوائل السور مثل كهيعص ويس وحم وزعم أن الكتب الالهية منزهة عن ذلك وهو زعم باطل سببه شدة الجهل والتعنت البارد والا فما المانع من أن الله تعالى يكون قد استأثر بعلم شيء من كتابه على انهم اختلفوا فى تفسير لفظ المحكم والمتشابه من القرآن على أقوال كثيرة لا يمس شيء منها في صحة كونه كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد وقع الاعجاز به وما زال معجزا للخلق عن الاتيان بمثله الى الآن والى يوم القيامة ومن زعم خلاف ذلك فليأت به وبعد ثبوت اعجازه وانه كلام الله تعالى فالاعتراض على أن بعض معانيه قد استأثر الله بعلمها اعتراض لا يصدر الا من الكفرة الجهال الذين آثروا الباطل على الحق واستبدلوا الهدى بالضلال ومن سفاهته وقلة حيائه تعبيره بقوله ان الكتب الالهية منزهة عن مثل هذه الهنات والهنات تستعمل كناية عما يستقبح ذكره فهذا التعبير انما يليق بالكتب المشحونة بنسبة السكر والزنا وعبادة الاوثان وغير ذلك من الفواحش والفظائع الى أنبياء الله الذين هم صفوة الله من خلقه وهذا المعترض السفيه يعتقد صحة جميع ذلك فيهم صلوات الله عليهم وان نسبتهم الى تلك الفواحش الباطلة هى نسبة صحيحة بزعمه

واعتقاده الباطل أوحاها الله تعالى الى أنبيائه وبعد هذا كله لا يستحى
ويزعم ان كتب الله تعالى منزهة عن ان يكون فيها معنى يستأثر الله
بعلمه وأى شيء في ذلك من القبح الذى يعبر عنه بالتنزيه عن الهنات
ولما لا يعبر بذلك عن تلك الكتب المحشوة بتلك الفواحش والسفاهات
ولكن من لا يستحى لا يلام ولا يؤثر فيه الكلام ثم ان المحكم والمتشابه
من القرآن قد عقد الحافظ السيوطى للكلام عنها النوع الثالث والاربعين
من كتابه الاتقان وفصل ذلك تفصيلا بالغا ونقل القول الكثيرة عن
الأئمة وعلماء الامة فمن أراد الاطلاع على ذلك فليرجع اليه ومما قاله
فيه ان المحكم ما عرف المراد منه اما بالظهور واما بالتأويل والمتشابه
ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة فى
أوائل السور وقيل المحكم ما وضح معناه والمتشابه نقيضه وقيل المحكم
لا يحتمل من التأويل الا وجها واحدا والمتشابه ما احتمل أوجها
ونقل غير ذلك من الاقوال فقد علمت انهم يتفقوا على ان معنى المتشابه
هو الذى استأثر الله بعلمه ثم قال فى أواخر هذا النوع قال بعضهم ان
قيل ما الحكمة فى انزال المتشابه ممن أراد لعباده البيان والهدى قلنا
ان كان مما يمكن علمه فله فوائد منها الحث للعلماء على النظر الموجب
للعلم بغوامضه والبحث عن دقائقه فان استدعاء الهمم لمعرفة ذلك من
أعظم القرب ومنها ظهور التفاضل وتفاوت الدرجات اذ لو كان القرآن
كله محكما لا يحتاج الى تأويل ونظر لاستوت منازل الخلق ولم يظهر
فضل العالم على غيره وان كان مما لا يمكن علمه فله فوائد منها ابتلاء
العباد بالوقوف عنده والتوقف فيه والتفويض والتسليم والتعبد بالاشتغال
به من جهة التلاوة كالمنسوخ وان لم يجز العمل بما فيه واقامة الحجة عليهم

لانه لما نزل بلسانهم ولغتهم وعجزوا عن الوقوف على معناه مع بلاغتهم
وافهامهم دل على انه نزل من عند الله وانه الذى أعجزهم عن الوقوف
انتهى ومن المتشابه الحروف المقطعة فى أوائل بعض السور فهى على
القولين فى معنى المتشابه بعضهم لم يفسرها وقال هى مما استأثر الله بعلمه
وبعضهم فسرها بمعان صحيحة وفصل ذلك في الاتقان وقال سيدي
عبد الوهاب الشعراني فى المبحث السادس عشر من اليواقيت والجواهر
فان قلت اذا كان القرآن كله عربيا فلم لا تفهم العرب منه معانى الحروف
التى هى أوائل السور المرموزة كألم والمص ونحو ذلك فانه بلسانهم فالجواب
انما لم يكن جميع العرب تفهم هذه الحروف ليبقى لهم الايمان بها ولم
يفهموها فلذلك جعل الله تعالى فهمها خاصا باهل الكشف ولا يقال ان
أهل الكشف لا يعرفونها أيضا لانا نقول انه لابد من أن يعلمها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومن شاء الله تعالى والا فلو لم يصح لاهل
الكشف علمها لكانت حشوا ولا يجوز ورود ما لا معنى له فى الكتاب
والسنة كما عليه الجمهور من علماء الاصول ثم نقل عن الباب الثامن
والتسعين ومائة من الفتوحات المكية للشيخ الاكبر سيدى محيى الدين
ابن العربى ان جميع الحروف المقطعة أوائل السور كلها أسماء ملائكة
والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل ومن غرائب وقاحة هذا المعترض التى تضحك منها
الاطفال وتدل على انه ليس عنده من الحياء وازع ولا من العقل عقال
قوله فى صفحة ١١٩ واذا قلنا لئن اجتمعت الانس والجن على ان
يأتوا بمثل حكمة من حكم سليمان لا يأتون بمثلها ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا كان قولنا هذا مجردا عن المبالغة وأحق بان يقال على أمثال سليمان

لاان يقال على غيره فان القرآن لايشتمل الاعلى قصص مقتضبة كما شهد
على نفسه بقوله وانه لفي زبر الاولين فانظر أيها المنصف هل رأيت
أو سمعت بأوقح وأقل حياء من هذا الرجل المكابر الذى لايستحي
من مصادمة الحق مهما كان ظاهرا باهرا وهذا وصف له زائد على
الكفر لأنا نري كثيرا من الكافرين يستحون من الناس ان يكابروا
بالامور الظاهرة لئلا يسقطوا من أعين الناس وتزول ثقتهم فيهم أما هذا
الرجل فليس عنده ذرة من الحياء فهو يتصرف فى الوقاحة والرذالة
والسفاهة كيف شاء قد اتفق علماء المسلمين الذين هم أعلم الناس فى
القرآن ومعانيه ولا يمكن ان يجتمعوا على ضلالة ان كل العلوم يمكن
استنباطها من القرآن وألفوا فى ذلك الكتب الكثيرة وخدموه بأنواع
الخدمات التى لم يخدم بها كتاب فى الدنيا من أول الخليقة الى الآن
وهذه التفاسير منها ماهو مائة مجلد كلها شروح لمعانى القرآن فهل يقول
عاقل يستحى على نفسه من الكذب والزور والبهتان ان القرآن لايشتمل
على شيء الا على قصص مقتضبة ولكن من لايستحى لادواء له أما قوله
ان آية (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا
الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) انها أحق ان
تقال فى شأن أمثال سليمان لافى شأن القرآن وان ذلك ليس فيه
مبالغة فهو أعظم دليل على انه مجرد عن الانصاف والحياء أو انه فاقد
الذوق والفهم بالكلية ولو كان عنده ذرة من الذوق والحياء لما تجاسر
على هذا الضلال والبهتان الذى لايروج على أدنى العوام من النصارى
فضلا عن الاسلام ولا شك ان هذا وأمثاله انما يعود عليه بالخسران
فانه يكتسب بذلك المقت من كل أحد و يستحق به من الله ومن الناس

اللعن والطرد وها أنا أذكر شيئا من حكم سليمان نقلها هو فى كتابه
المذكور هداية الشيطان في صفحة ٢٥ قال فيه قال سليمان الحكيم فى
سفر الامثال (لمن الويل لمن الشقاوة لمن المخاصمات لمن الكرب لمن
الجروح بلاسبب لمن ازمهرار العينين للذين يدمنون الخمر الذين يدخلون
في طلب الشراب الممزوج لاتنظر الى الخمر اذا احمرت حين تظهر حبابها
فى الكأس وساغت مرقرقة في الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالافعوان
عيناك تنظران الاجنبيات وقلبك ينطق بامور ملتوية وتكون كمضطجع
فى قلب البحر أو كمضطجع على رأس سارية يقول ضربوني ولم
أتوجع لقد لكؤني ولم أعرف) هذه هي حكم سليمان التى نقلها ونحن
لانعرف صحتها عن سيدنا سليمان عليه السلام ولكن هذا الرجل المكابر
هو نقلها وهو الذى يقول انها أفصح من القرآن وانه لو اجتمعت
الانس والجن لايأتون بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أما القرآن
ففصاحته المتجاوزة حد الوصف وانه هو الذى قال الله تعالى فيه هذه
الآية فأمره ظاهر باهر ومن زعم انه يمكن الاتيان بمثله فليفعل والى
الآن في كل هذه الاعصار لم يفعل أحد ذلك فليأتنا هذا المكابر
المتفيهق الثرثار منه أو من غيره من أهل هذا العصر وما مضى من الاعصار
بكلام يماثل أقصر سورة من القرآن ولو كان ذلك يمكن لحصل الى الآن فعدم
حصوله من الفصحاء المتقدمين والمتأخرين دليل قطعى على ان ذلك
ليس في الامكان وأى مناسبة بينه وبين هذه الحكم وغيرها عند الناس
كافة ليس عند المسلمين خاصة لان ذوق الفصاحة يدركه المرء على كفره
اذا لم يطمس الله على بصيرته كهذا المعترض وهى من جهة كونها تنفر
من شرب الخمر والنظر الى الاجنبيات صحيحة المعنى لااعتراض عليها من

هذه الجهة وأمامن جهة الفصاحة فكلامهاعادي عامى ركيك الالفاظ مضطرب المعاني لم يشم رائحة الفصاحة فضلا عن أن يكون فى أعلى طبقاتها وأين هذا من وصف الله تعالى للخمرة فى القرآن بانها رجس من عمل الشيطان فهذان اللفظان مع جمعهما لكل شر فيها وتنفيرهما منها بابلغ التعبير هما فى غاية الفصاحة التى لاتخفى الا على أعمى القلب مطموس البصيرة وقد سماها النبى صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث مذكورة في الزواجر لابن حجر وغيرها رأس الخطايا ومفتاح كل شر وجماع الاثم وأكبر الكبائر وأم الفواحش وأم الخبائث فكل اسم من هذه الاسماء التي هي من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم هو أشد فى التنفير منها واجمع لأوصافها القبيحة من جميع تلك العبارات الركيكة المنسوبة الى سيدنا سليمان نسبة كاذبة التى لايعتقد فصاحتها الا فاسد العقل فاقد الذوق كهذا المعترض الخالع العذار الذى لايبالى بما لحقه من العار ولا حاجة الى الاستشهاد على فصاحة النبى صلى الله عليه وسلم بغير ذلك من حكمه وجوامع كلمه عليه الصلاة والسلام فانه أعقل العقلاء على الاطلاق وأفصح الفصحاء بالاتفاق وقد ذكرت من أحاديث حكمه وجوامع كلمه ثلاثمائة حديث في كتابى وسائل الوصول الى شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن أذكر هنا قليلا من حكم أمير المؤمنين سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه ليقابل بينه وبين هذه الحكم المنسوبة لسليمان وهو منها برئ لانه أعقل وأفصح من ان يكون هذا الكلام الغث الساقط غاية فصاحته و بلاغته عليه السلام قال أبو عبيدة ارتجز الامام على بن طالب كرم الله وجهه تسع كلمات قطع الاطماع عن اللحاق بواحدة منهن ثلاث في المناجاة وثلاث فى العلم وثلاث فى الأدب فاما التى

فى المناجاة فهى قوله كفانى عزا ان تكون لى ربا وكفى بى فخرا ان أكون لك عبدا أنت لى كما أحب فوفقنى لما تحب وأما التى في العلم فهي قوله المرء مخبوء تحت لسانه تكلموا تعرفوا ماضاع امرؤ عرف قدره وأما التى في الادب فهى قوله أنعم على من شئت تكن أميره واستغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن أسيره ولسيدنا على أيضاً مائة كلمة من الحكم مشهورة منها الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم قيمة كل امرئ مايحسنه * من عذب لسانه كثر اخوانه * بالبر تستعبد الحر * لا تنظر الى من قال وانظر الى ماقال * لاظفر مع البغى * لاثناء مع الكبر لابر مع الشح * لاصحة مع الهم * لاشرف مع سوء الأدب . لا راحة مع الحسد * لا مروءة لكذوب * لاوفاء لملول * لا كرم أعز من التقوى * لاشرف أعلى من الاسلام * لالباس أجمل من السلامة * لاداء أعيي من الجهل * لامرض أضنى من الحمق * المرء عدو ماجهله * رحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد طوره * اعادة الاعتذار تذكير بالذنب * النصح بين الملأ تقريع * اذا تم العقل نقص الكلام * الشفيع جناح الطالب * نعمة الجاهل كروضة فى مزبلة * أكبر الاعداء أخفاهم مكيدة * من طلب مالايعنيه فاته مايعنيه * الذل مع الطمع * الراحة مع اليأس * الحرمان مع الحرص * عبد الشهوة أذل من عبد الرق * رب ساع فيما يضر * اليأس حر والرجاء عبد * ظن العاقل كهانة * من نظر اعتبر * السعيد من وعظ بغيره * الحكمة ضالة المؤمن * كثرة الوفاق نفاق وكثرة الخلاف شقاق * رب رجاء يؤدى الى حرمان * رب ربح يؤدى الى خسران * رب أمل خائب رب طمع كاذب * اذا حلت المقادير ضلت التدابير * اذا حل القدر

بطل الحذر * الاحسان بقطع اللسان * الشرف بالعقل والادب لا بالاصل والنسب * أكرم الادب حسن الخلق * أفقر الفقر الحمق * أوحش الوحشة العجب * أغنى الغنى العقل * أكثر مصارع العقول تحت بروق الاطماع * من جرى فى عنان أمله عثر بأجله * لسان العاقل من وراء قلبه * وقلب الاحمق من وراء لسانه * فمثل هذه الحكم هى جوامع الكلم التى تحتها من المعاني الجمة المهمة مع الفصاحة التامة والالفاظ الرشيقة الرقيقة مالا يخفى على كل ذى ذوق سليم أما فصاحته وفصاحة غيره من الصحابة ولا سيما الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم من أئمة الامة وفصحائها فى خطبهم وكتبهم فلا تخفى على أحد ولم يدع أحد منهم قط ان كلامه يشبه القرآن وأما هذه الحكم المنسوبة لسليمان نسبة كاذبة فالركاكة فيها ظاهرة يدركها كل ذى ذوق سليم ولا أظن ان أحدا عنده أدنى المام بمعرفة الكتابة لايقدر على ماهو خير منها ولا يخفى على الاديب اللبيب مافيها من الالفاظ المبتذلة والتراكيب العامية فضلا عن سفالة المعانى وعدم التئامها وها أنا أبين بعض مافيها من الاختلال والاعتلال قوله لمن الويل الى آخره الويل معناه العذاب وهو يستلزم الشقاء فان من استحق العذاب يكون شقياً فذكر الويل يغنى عن ذكر الشقاء ولذلك ورد لفظ الويل كثيراً في القرآن والحديث وكلام الفصحاء فى الوعيد وحده بدون ان يضم اليه لفظ آخر فظهر ان ضميمة تلك الالفاظ سببت الركاكة وفضول الكلام مع الاستغناء عنها وكذلك المخاصمات تنشأ عنها الكروب والجروح وما هو أعظم منها كالقتل والقتال وخراب الديار فلو أبقى المخاصمات بدون ذكر الكروب والجروح لكان أخصر وأشمل وان أراد تخصيص بعض ماينشأ عنها

فكان الاولى تخصيص القتل والقتال وخراب الديار فهى أعظم من الكروب والجروح وأليق بزيادة الاهتمام والكروب وان كانت تترتب على أعظم المصائب فهى تترتب على أدونها وأهونها ومعنى ازمهرار العينين احمرارهما من الغضب ويوجد من أوصاف شارب الخمر ما هو أقبح من ذلك وهو سكره وفقدانه العقل وخلطه وهذيانه وتمايله وسقوطه فى الطرقات واستحسانه أقبح القبائح وهو لايعى فكان ذكر هذه الامور في التنفير من شرب الخمر أهم من ذكر ازمهرار العينين فقط ولا سيما فقدان العقل الذى يترتب عليه كل شر ثم قال الذين يدمنون الخمر أي ان تلك الاوصاف القبيحة للمداومين على شرب الخمر قال فى لسان العرب مدمن الخمر الذى لايقلع عن شربها يقال فلان مدمن خمر أى مدام شربها وقال الازهرى فى حديث مدمن الخمر كعابد الوثن هو الذى يعاقر شربها ويلازمه ولا ينفك عنه وهذا تغليظ فى أمرها وتحريمها اه فانظر هذا الحديث مع اختصاره تجد فيه التنفير عن ادمانها أكثر مما في جميع تلك العبارات الطويلة المنسوبة لسليمان عليه السلام لانه لاشيء من المنهيات يوازى عبادة الوثن فجعلها مثلها لزيادة التنفير منها وهذا المعنى خاص في المدمن الملازم الذى لايقلع عنها وأما غير المدمن فلا يصل الى هذه الدرجة وان كان مرتكبا احدى الكبائر ولنرجع الى كلام تلك الحكم قال الذين يدمنون الخمر يعنى ان الاوصاف التى ذكرها أولا هى للمدمنين لشرب الخمر ومفهومه ان غير المدمنين لايتصفون بتلك الاوصاف وهذا غير صحيح فانهم لو شربوها يوما بعد يوم أو فى الاسبوع مرة أو فى الشهر مرة تحصل لهم المخاصمات والكروب والجروح اذا تضاربوا وازمهرار العينين وهو بذلك كأنه يبيح لهم السكر

بدون ادمان فظهر بذلك فساد المعنى فساداً مضرا ثم اتبع تلك العبارة بما زادها فسادا وهو ما أتي به بعد قوله للذين يدمنون الخمر من قوله الذين يدخلون فى طلب الشراب الممزوج فيكأنه أباح لهم الشراب الصرف فهذه الجملة عدمها بالكلية خير من وجودها لان لفظ الخمر المذكور قبلها يشمل الصرف والممزوج والصرف أولى بالتحريم لان اسكاره أشد من اسكار الممزوج ثم قال لاتنظر الى الخمر اذا احمرت حين يظهر حبابها في الكاس فقوله احمرت يقتضى انها صرف لان الممزوجة تكون صفراء بمخالطة الماء لها وهو ينافي قوله حين يظهر حبابها فان الحباب هو الفقاقيع التى تكون على وجه الكأس انما يظهر بعد المزج بالماء فالصرف لاحباب لها ثم قال وساغت مرقرقة معنى ساغ الخمر وغيره من أنواع الشراب والماء سهل دخوله فى الحلق ولم يغص فيه كما قال الشاعر

فساغ لى الشراب وكنت قبلا * أكاد أغص بالماء الحميم

فاذا ساغت الخمر تكون نزلت الى الحلق فكيف يمكن النظر اليها فى تلك الحالة حتى يقول لاتنظر اليها اذا احمرت وظهر حبابها وساغت مرقرقة والمرقرقة الممزوجة ومقصوده بقوله لاتنظر لها أى لايعجبك حسنها و بهجتها فى هذه الحالة أى حالة مزجها وظهور حبابها لانها حالة مستحسنة عندهم فظهر ان لفظ ساغت لا معنى له وان لفظ مرقرقة يغنى عنه قوله ظهر حبابها لانه لايظهر الحباب الا وهى مرقرقة أى ممزوجة ثم قال في الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالافعوان معنى تلسع تلدغ والحية كما قال فى المصباح هي الافعى تطلق على الذكر والانثى والافعوان الذكر فكانت الجملة الاولى مغنية عن الثانية ثم قال عيناك تنظر الى الاجنبيات وقلبك ينطق بامور ملتوية

التعبير بينطق لامعنى له فان النطق وظيفة اللسان وأما القلب فوظيفته القصد والعزم والنية فكان الاحسن التعبير بذلك أى ان العين تنظر والقلب ينوى الزنا وقوله تكون كمضطجع فى قلب البحر الصواب ان يقول ظهر البحر فان المضطجع في قلب البحر أى جوفه يكون فى حالة الموت وليست حالة الخطر التى يحذره منها والمضطجع على ظهر البحر أى وجه الماء فى لجة البحر هو الذى يكون فى حالة الخطر وقد جعله كالذى بعده مثلا لحالة شارب الخمر من جهة الاخطار التى تترتب على شربه وقوله يقول ضربونى ولم أتوجع لقد لكؤني ولم أعرف يريد حالة السكران فهذه هى الحكم التى نسبها ذلك المعترض الافاك الى سليمان عليه السلام وزعم أنها أفصح من القرآن وانها هى التى تستحق ان يقال فى حقها لو اجتمعت الانس والجن الآية فقد أوردت عليها أكثر من عشر اعتراضات كل واحد منها يسقطها الى أسفل سافلين لو فرضنا انها من الفصاحة في أعلى عليين فما بالك ومعانيها مضطربة وألفاظها غثة باردة سمجة بلغت منتهى الركاكة والسفالة بحيث ان مخاطبات أبلد الاطفال وأهمج الهمج خير منها بدرجات وما أشبهها بكلام السكران الذى وصفت حالته وسفالته وهى لاشك من كلام أعجمى بليد * عهده بتعلم العربية جديد والحاصل انها ليست من كلام رجل فاضل وبينها وبين الفصاحة مراحل ولا يدعيها فيها الا فاقد الذوق مكابر جاهل وهى على طولها ليس تحتها طائل ولو قال بدلها ويل لشارب الخمر ما أسوأ حاله فقد يضيع بشربها دينه وعقله وشرفه وصحته وماله لكان أخصر وأجمع وأفصح وأنفع كما لايخفى على كل ذى ذوق سليم أما صاحب الذوق السقيم هكذا المعترض فليس لنا معه حيلة بعد ان سلب لبه وأعمى قلبه فانك مهما أردت ان تفهم الاعمى حسن منظر شىء

من ذوت المناظر الحسنة وقبح منظر شيء من ذوات المناظر القبيحة لايمكن ان تصور له ذلك تصويرا يدركه بخياله كما تدركه أنت ببصرك واذا قال لك أعمى القلب عن شيء قبيح انه أحسن من الحسن لاتقدر ان تقنعه ببرهان الا اذا خلقت له بصيرة يدرك بها كما تدرك أنت ببصيرتك وليس ذلك فى الامكان ومن ذلك قول هذا المعترض الاعمى القلب ان هذه الحكم المنسوبة الى سليمان عليه السلام هى أحق بقوله تعالى ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾

﴿فصل﴾ زعم فى صفحة ١٥٣ ان القرآن لم ينتشر انتشار كتبهم لانها ترجمت وهو لم يترجم لان الترجمة لاتؤدي معناه الحقيقى وهذا كذب صريح لانه ولوكانت ترجمته آية آية بترتيبه على ماهو عليه غير جائزة لانها تذهب باعجازه المتعلق بديباجة لفظه المعجز الان تفسيره بلغات أخرى لامانع منه شرعا ولذلك توجد له تفاسير فى بعض اللغات كالفارسية والتركية ومع ذلك فجميع المسلمين في سائر أقطار الارض على اختلاف لغاتهم قلما يخلو أحد منهم من مصحف أوعدة مصاحف فى بيته لانه يتعبد بقراءته وان لم يفهم معناه فان مجرد تلاوته عبادة ومع ذلك فالافرنج الذين لم يسلموا ترجموه الى لغاتهم ونشروه فى بلادهم وممالكهم ولم يبق الآن بلد على وجه الارض لم يدخلها القرآن الا ماندر من البلاد الشاسعة المتوحشة التي لم تدخلها التوراة والانجيل أيضا وقلما يخلو بيت أحد من كتاب النصارى وأفاضلهم من مصحف وتفسير أوأكثر على حسب اقتداره ومن جملتهم هذا المعترض الخائن الذى ينتفع بالنعمة ويذمها شأن الخسيس اللئيم الذميم فانه هو وقومه في غاية الانكباب على

القرآن وتفاسيره وسائر العلوم الاسلامية والعربية تأليف علماء المسلمين وكل انتفاعهم انما حصل بها ومع ذلك يصدر من لؤمائهم مثل هذا الخبيث مايدل على سفالة أصله من كفران النعم وخيانة الذمم فهذا نشر القرآن الكريم فيما بينهم فضلا عن المسلمين وتنظر التوراة والانجيل وسائر كتبهم لايقتنيها أحد من أهل الاسلام ولاينظر اليها نظر اعتبار واحترام بل أهلها نفسهم لولا مانشؤا عليه من التدين بها وخوفهم من اعتراض قومهم لرفضوها رفضا بتا وأما أدباؤهم وذوو الفهم منهم فقد رفضوها حقيقة مع مثابرتهم وانكبابهم على القرآن وسائر كتب الاسلام ومن شك فى قولى فليذاكر أحدا منهم فى نصوص كتب دينه يجده لايفهم شيئا منها ويقول ليست هذه وظيفتى وانما هى وظيفة رؤساء الدين فقد حصل لى ذلك مع بعضهم وسمعت منهم مثل هذا الجواب مع ان بعضهم يعلم من القرآن وأحكام دين الاسلام مالا يعلمه بعض المسلمين ومع كل ذلك لايستحى هذا الفاجر المكابر من تظاهره بمدح مارفضه عقلاؤهم وفضلاؤهم من كتب دينهم حالة كونهم منسوبين اليه وقد نشؤا عليه وذمه القرآن حالة كونهم فى غاية الرغبة فيه والانكباب عليه مع مخالفته لما هم عليه من الدين وتصريحه بكفر النصارى وكل من لم يتبع سبيل المؤمنين ولم يؤمن بسيدنا محمد سيد المرسلين الصادق الامين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ولو فرضنا بعد كل هذا ان انتشار التوراة والانجيل أكثر من انتشار القرآن ماذا يترتب على ذلك من الاعتراض وها نحن نرى القصص الهذيانية وكتب الحكايات الخرافية والاكاذيب المروية انتشرت فى الناس أكثر بكثير من انتشار الكتب العلمية أفيدل هذا على انها أفضل منها كلا وحينئذ فلا يدل انتشار كتبهم أكثر من انتشار

القرآن بفرض تسليمه على انها خير منه والظاهر يكذب ذلك لاسيما
والقرآن انتشاره بنفسه وبما هو مشتمل عليه من الفصاحة المعجزة للبشر
والعلم النافع من علوم الدنيا والآخرة فصار يرغب فيه المؤمن والكافر كما
هو مشاهد بخلاف التوراة والانجيل وسائر كتبهم فانها لولا هذه الجمعيات
العظيمة التى تجمع الاموال وتتفرق فى البلاد لاضلال العباد وتبذل
أقصى مافى وسعها لما انتشر شىء من تلك الكتب فنشرها بالاضطرار
لا بالاختيار وليس فى ذلك شىء ينبغى ان يعد من أسباب الافتخار

(فصل) قال فى صفحة ١٤١ ان التوراة ليست كالقرآن الذي تضيع طلاوته
ومعانيه اذا ترجم الى لغة من اللغات الاجنبية لانها ملآنة من المعانى والحقائق
المهمة وليست كناية عن ألفاظ مزخرفة لامعنى لها انتهى أما قوله ان
القرآن تضيع طلاوته اذا ترجم الى لغة أخرى فهذا صحيح لان القرآن
أنزله الله معجزا للبشر باللغة العربية فاعجازه انما هو بعبارته التي نزل
بها من الله تعالى فاذا زالت تلك العبارة زال الاعجاز وبقى في حكم
التوراة والانجيل فانهما غير معجزين ولذلك اذا ترجما لايقع الخلل فيهما
كما اذا ترجم كلام آحاد الناس فهو كذلك وليس هذا الامر خاصا
بالتوراة والانجيل بل كل كلام من كلام الناس يمكن ترجمته الى لغة أخرى
مع بقاء المقصود من معانيه وكذلك القرآن يمكن ترجمته مع بقاء معانيه
أيضا وانما يزول منه الاعجاز المتعلق بالفاظه وعباراته بل اذا عبر عن
معانيه بعبارة عربية أخرى غير عبارته لاتكون معجزة مهما كانت فصيحة
وقد فسره المفسرون باللغة العربية وفسروه أيضا بغير العربية وهو
عبارة عن ترجمته الى لغة أخرى ولم تضع معانيه كما زعم وانما ذهب
اعجازه بالترجمة والتفسير وهذا من أعظم محاسنه التى يعجز التعبير عن

بيانها وهو وصفه الذى امتاز به عن التوراة والانجيل وسائر الكلام
وما رضى هذا المعترض المكابر الفاجر ان يساويه مع ذلك بالتوراة
بل فضلها عليه بكونها هى تترجم وهو لايترجم فانظر الى هذا الضلال
والجهل وتعجب ان كان ينفع العجب وأعجب منه أو مثله قوله ان التوراة ملآنة
من المعانى والحقائق المهمة وليست كناية عن ألفاظ مزخرفة لامعنى لها
فهذا منتهى الوقاحة التى لايرضاها من له أدنى شرف لنفسه فان التوراة التى
فى أيديهم الآن فيها من قصص الهذيان والمعانى السخيفة والسفاهات
القبيحة في حق الرسل والانبياء صلوات الله عليهم ما يستحى النصارى أنفسهم
من قراءته فضلا عن أن ينسب اليهم تأليفه والدليل على ذلك انهم اذا
وقعت لهم قصة من القصص أو كتاب أدب مما يقرأ فى المدارس ويتداول
بين الناس يحذفون منه العبارات المستهجنات التى لو جمعت
كلها لاتبلغ شناعتها شناعة عبارات هذه التوراة فى نسبتها للانبياء أفظع
الفواحش من الزنا بالبنات والقرابات فكيف يتجرأ على التعبير بتفضيلها
على القرآن مع وجود هذه المعانى فيها ويا ليت شعرى اذا كانت هي
المشتملة على الحقائق والمعانى المهمة لماذا لايقرؤنها فى مدارسهم ويقرؤن
فيها مثل نهج البلاغة المنسوبة للامام على بن أبي طالب وغيره من الكتب
الفصيحة ذات المعانى البليغة واذا كانت ألفاظ القرآن مزخرفة لامعنى
لها فلماذا لا يخلو منه بيت من بيوت كتاب النصارى وفضلائهم مع كونه
يطعن في دينهم كل الطعن ويعبر عنهم بالكافرين ويذمهم غاية الذم فلولا
انهم رأوا الفوائد التى يستفيدونها منه من الفصاحة والبلاغة والعلم الصحيح
كثيرة جدا لما تحملوا اقتناءه وقراءته مع كونه يسفه آراءهم ويضلل
أحلامهم ويعطل أديانهم ويجعل عاقبتهم النار وبئس القرار أفبعد هذا

يقال ان ألفاظه مزخرفة لامعنى لها ولكن من لايستحي ولا يؤثر فيه الكلام لاينبغى أن يلام

(فصل) قال فى صفحة ٢٦٠ استقباح القرآن قتل اليهود للمسيح عليه السلام هو لانه لم يعرف ان ذلك كان باختياره وأتي العالم لهذه الغاية والقرآن شاهد بان اليهود قتلوا أنبياءهم فقتلهم للمسيح ليس بغريب وانما الغريب اضطراب القرآن فمرة قال فشبه لهم فقتلوا شبهه مع انه بعيد على رؤساء الامة وولاة الامور والجند ثم قال ان الله رفعه ومرة قال انه توفاه انتهى كلام المعترض الجاهل الكافر المكابر والجواب عن قوله ان استقباح القرآن قتل اليهود للمسيح الى قوله أتى الى العالم لهذه الغاية فهذه المسألة هي أشنع وأفظع العقائد التى بنى عليها دين النصرانية ولولا انهم نشؤا عليها وان الله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء لما كان يصدق العقل بانه يوجد ناس لهم أدنى فهم يعتقدون ألوهية المسيح الذى هو بشر مثلهم وقول المعترض استقباح القرآن قتل اليهود للمسيح لانه لم يعرف أن ذلك كان باختياره وأتى الى العالم لهذه الغاية كلام يستحى العاقل من أن ينطق به واذا نطق به مجاراة لاحكام دينه فقلبه ينكره أشد الانكار كما أخبرنى بذلك كثير من عقلائهم * وقوله والقرآن شاهد بان اليهود قتلوا أنبياءهم فقتلهم للمسيح ليس بغريب جوابه انه لاشك ان اليهود قتلوا بعض الانبياء وانهم قصدوا قتل المسيح أيضا جريا على عادتهم الذميمة وكان من الجائز أن يقتلوه أيضاً وليس ذلك مستحيلا وانما الله تعالى أخبرنا بكتابه العزيز بانه قد حماه منهم ولم يسلطهم عليه تكريما له عليه السلام فالقى شبهه على من دلهم عليه فقتلوا الشبيه به ورفعه سبحانه وتعالى اليه وهذا ليس مستحيلا فى العقل ولا شيئاً يعجز الله

عن فعله والمعجزات التى أصدرها الله على يد أنبيائه انما هي بخرق العوائد فالقاء شبه سيدنا عيسى على رجل آخر فصار يشبهه آية باهرة أكرم الله بها سيدنا عيسى وليس ذلك باعظم ولا أغرب من جعل عصا سيدنا موسى حية فاين شبه الحية من شبه العصا فالله الذى جعل العصا وهي جماد حية عظيمة تسعى أفلا يقدر على القاء مجرد شبه انسان على انسان آخر مع أنه انسان مثله فهذا أسهل من ذاك بكثير وليس فيه شيء مما تحيله العقول ونحن نرى كثيرا من الناس يطرأ عليه سبب من الاسباب كمرض أو صحة فاذا غاب عمن يعرفه مدة يصير بحالة لايعرفه فيها لشدة الاختلاف بين سيماه الاولى وسيماه الثانية اذا علمت ذلك تعلم ان قول المعترض انه بعيد على رؤساء الامة وولاة الامور والجند أى يبعد ان يروج عليهم ذلك و يقتلوا شبه المسيح ساقط بالكلية لان آيات الله الخارقة للعوائد لاترد بمثل هذا الكلام الساقط والذى جعل فرعون وجماعته ينظرون عصا موسى حية عظيمة هو الذى جعل اليهود ينظرون ذلك الانسان شبيها بعيسى عليه السلام وقول المعترض انما الغريب اضطراب القرآن فمرة قال انه شبه لهم فقتلوا شبيهه ثم قال ان الله رفعه ومرة قال انه توفاه فهذ منشؤه مع كفره شدة جهله وعدم معرفته بمعانى الكلام والا فليس فى شيء من هذه العبارات اضطراب ولا يخالف بعضها بعضا فقوله تعالى (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ) قول صحيح حق لاشبهة فيه وكذلك قوله تعالى (اذ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) هو أيضا قول صحيح حق حتى لو فرضنا ان معنى متوفيك مميتك فهو أيضا لاينافى ان الله سبحانه وتعالى ألقى شبهه أولا على ذلك الانسان فقتلوا الشبيه ثم ان الحق تعالى

أمات سيدنا عيسى قبل رفعه الى السماء ثم رفعه وليس فى ذلك شىء من الاضطراب فقد نفى فى الآية الاولى القتل عنه وفي الآية الثانية أخبر بانه توفاه فيكون قد أخفاه عنهم ثم توفاه مدة من الزمن وأحياه ورفعه وهذا على سبيل المجاراة للمعترض أى انا لو فرضنا الامر كذلك ليس فى كلام القرآن اضطراب مع ان الصحيح ان متوفيك ليس بمعنى مميتك بل بمعنى مستوفى أجلك وعاصمك من أن يقتلك الكفار ومؤخرك الى أجل كتبته لك ومميتك حتف أنفك بعد ذلك عند انتهاء أجلك وذكروا له المفسرين معانى أخرى من شاءها فليراجعها فنحن نؤمن بالله وبما جاء من عند الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصدق بان الله تعالى أكرم سيدنا عيسى بالقاء شبهه على غيره ولم يمكنهم من صلبه ورفعه سبحانه وتعالى اليه والكافر بذلك انما كفره لكونه لم يؤمن بالله ورسوله والقرآن المخبر بذلك والا فاليهود انما قبضوا على الشبيه وصلبوه لاعتقادهم انه سيدنا عيسى ومن شاهد ذلك فى ذلك المجمع انما شاهدهم صلبوا سيدنا عيسى فالنصارى انما يلامون لكونهم مع اعتقادهم انه اله يعتقدون ان اليهود صلبوه وقتلوه فهذا هو التناقض البين الظاهر الذى لا يمكن أن يكون له جواب صحيح كما يلامون لكفرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم والقرآن ودين الاسلام الذى نزه الله تعالى كل التنزيه وبين لهم ماهم عليه من الغلط الفاحش والضلال المبين فى اعتقادهم ألوهية سيدنا عيسى ولم ينقادوا الى الحق الواضح وأصروا على الباطل الفاضح واستوى في ذلك منهم المجنون والعاقل والعالم والجاهل ومشت الاواخر فيه على أثر الاوائل الا من انكشف عن بصيرته حجاب ضلاله وهواه وانار الله قلبه بنور توفيقه وهداه والحمد لله الذى هدانا

لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله

(فصل) ومن قلة حيائه وكذبه الظاهر قوله فى صفحة ٨٥ ان الادلة المؤيدة لنسبة الكتب المقدسة عندهم الى أصحابها هي أقوى من الادلة المؤيدة لنسبة القرآن والاحاديث أو معلقات العرب الى أصحابها وان النصارى الاولين كانت لهم فرصة مناسبة للانتقاد والبحث أكثر من المسلمين وغيرهم اه فانظر وتعجب ممن لا يستحى ولا يرى الكذب عارا هل سمع قط ان أحدا ادعى بوجود كتاب على وجه الارض نسبته الى صاحبه أقوى من نسبة القرآن الى الله تعالى أو على زعم الكافرين الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو مؤلفه بزعمهم فقد تواتر تواترا لم يحصل لكتاب غيره من أول الدنيا الى الآن فان الامة روته عن الامة بغاية الضبط والاتقان خلفا عن سلف في كل دور وجيل الى أن يصل الى الصحابة الراوين له من فم النبى صلى الله عليه وسلم هذا مع قرب عهده بخلاف التوراة والانجيل فانك لا تجد فى الدنيا رجلا واحدا يروى جميع التوراة أو الانجيل عن رجل وذلك الرجل يرويه باسره عن رجل فوقه وهكذا بدون انقطاع الى سيدنا موسى أو سيدنا عيسى أو أحد أصحاب الاناجيل وانما هى كتب يتداولونها بينهم وقد وقع فيها التحريف والتبديل بيقين كما أثبت ذلك العلماء ومنهم الشيخ رحمة الله في كتابه اظهار الحق بالبراهين والنصوص التى لا ينكرها الا كل مكابر عديم الانصاف وقد نقلت في خاتمة هذا الكتاب من ذلك مايكفى ويشفى فهل بعد هذا يدعى ان نسبتهما أقوى من نسبة القرآن الا من لا يستحى من مصادمة الحق بالكذب والهذيان ✻ وأما الاحاديث المروية عن النبى صلى الله عليه وسلم فقد تحرى رواتها

غاية الصدق ولذلك تراهم يذكرون الروايات المختلفة ولو بحرف أو كلمة أو عبارة كما هو مشاهد فى البخارى ومسلم وغيرهما هذا مع قرب العهد وشدة اعتناء العلماء فى روايتها وقراءتها واقرائها فى الجماهير الكثيرة من الطلبة وغيرهم فهى بلا شك قد اعتنى في روايتها أكثر من اعتناء النصارى واليهود بكتبهم التوراة والانجيل وغيرهما باضعاف مضاعفة ولا يزعم خلاف ذلك الا معاند مكابر أو غبى جاهل فان علماء المسلمين المشتغلين بالحديث وغيره من كتب الدين هم في كل عصر من عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى الآن أكثر بكثير من علماء دين النصارى واليهود ومع كونهم أكثر منهم هم أيضا أعلم منهم وأكثر منهم اشتغالا فى العلوم الدينية وغيرها وهذه مؤلفاتهم فى سائر أقطار الارض تشهد بذلك ومع كل هذا نجد كتب الحديث لا تسلم من ترديد الروايات وذلك دليل على صحتها وشدة الاعتناء برواية ألفاظها وعدم التسامح فى شيء منها حتى الكلمة والحرف والحركة وينسبون كل زيادة أو نقص فى الرواية الى راويها وبعكس ذلك نجد التوراة والانجيل وغيرهما من كتب اليهود والنصارى ليس فيها ترديد ولا ذكر روايات وانما هى عبارة واحدة الا ما كان من التبديل والتحريف الذي وقع فيها عن قصد فتبدلت به المعانى وتغيرت وهذا ليس من ترديد الروايات وانما هو من اختلاف العبارات الذى يسلب الثقة بذلك الكتاب ويدل على انه عبث به الجاهل والخائن والكذاب فاشتبه الخطأ بالصواب * قال الامام أبو محمد بن حزم رحمه الله تعالى في كتابه الملل والنحل ونحن ان شاء الله تعالى نذكر صفة وجوه النقل الذى عند المسلمين لكتابهم ودينهم ثم لما نقلوه عن أئمتهم حتى يقف عليه المؤمن والكافر والعالم

والجاهل عيانا ان شاء الله تعالى فيعرفون أين نقل سائر الاديان من نقلهم فنقول وبالله التوفيق ان نقل المسلمين لكل ما ذكرنا ينقسم أقساما ستة (أولها) شيء ينقله أهل المشرق والمغرب عن أمثالهم جيلا جيلا لا يختلف فيه مؤمن ولا كافر منصف غير معاند للمشاهدة وهو القرآن المكتوب فى المصاحف فى شرق الارض وغربها لا يشكون ولا يختلفون فى ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم أتى به وأخبر ان الله عز وجل أوحى به اليه وان من اتبعه أخذه عنه كذلك ثم أخذ عن أولئك حتى بلغ الينا ومن ذلك الصلوات الخمس فانه لا يختلف مؤمن ولا كافر ولا يشك أحد انه صلاها باصحابه كل يوم وليلة فى أوقاتها المعهودة وصلاها كذلك كل من اتبعه على دينه حيث كانوا كل يوم هكذا الى اليوم لا يشك أحد فى أن أهل السند يصلونها كما يصليها اهل الاندلس وان اهل ارمينية يصلونها كما يصليها اهل اليمن وكصيام شهر رمضان فانه لا يختلف كافر ولا مؤمن ولا يشك احد فى أنه صامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصامه معه كل من اتبعه في كل بلد كل عام ثم كذلك جيلا جيلا الى يومنا هذا وكالحج فانه لا يختلف مؤمن ولا كافر ولا يشك احد في انه عليه الصلاة والسلام حج مع أصحابه وأقام المناسك ثم حج المسلمون من كل أفق من الآفاق كل عام فى شهر واحد معروف الى اليوم وكجملة الزكاة وكسائر الشرائع التى في القرآن من تحريم القرائب أى المحارم والميتة والخنزير وسائر شرائع الاسلام وكآياته من شق القمر ودعاء اليهود الى تمنى الموت وسائر ما هو فى نص القرآن مقروء ومنقول وليس عند اليهود ولا عند النصارى من هذا النقل شيء أصلا لان نقلهم لشريعة السبت وسائر شرائعهم انما

يرجعون فيها الى التوراة و يقطع نقل ذلك ونقـل التوراة اطباقهم على
ان أوائلهم كفروا باجمعهم و برؤا من دين موسى وعبدوا الاوثان علانية
دهورا طوالا ومن المحال ان يكون ملك كافر عابد أوثان هو وأمته كلها معه
كذلك يقتلون الانبياء و ينفونهم و يقتلون من دعا الى الله تعالى يشتغلون بسبت
أو بشريعة مضافة الى الله سبحانه وتعالى عن هذا الكذب الذى لاشك فيه و يقطع
بالنصارى عن مثل هذا عدم نقلهم الاعن خمسة رجال فقط وقد وضح الكذب
عليهم الى ما أوضحنا من الكذب الذى فى التوراة والانجيل القاضى بتبديلهما
بلاشك ﴿والثانى﴾ شىء نقلته الكافة عن مثلها حتي يبلغ الامر كذلك
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ككثير من آياته ومعجزاته التى ظهرت
يوم الخندق وفى تبوك بحضرة الجيش وككثير من مناسك الحج وكزكاة
التمر والبر والشعير والورق والابل والذهب والبقر والغنم ومعاملته أهل
خيبر وغير ذلك كثير مما يخفى على العامة وانما يعرفه كافة أهل العلم فقط
وليس عند اليهود والنصارى من هذا النقل شىء أصلا لانه يقطع بهم
دونه ماقطع بهم دون النقل الذى ذكرنا قبل من اطباقهم على الكفر
الدهور الطوال وعدم ايصال الكافة الى عيسى عليه السلام ﴿والثالث﴾
ما نقله الثقة عن الثقة كذلك حتى يبلغ الى النبي صلى الله عليه وسلم يخبر
كل واحد منهم باسم الذى أخبره ونسبه وكلهم معروف الحال والعين والعدالة
والزمان والمكان على ان اكثر ماجاء هذا المجىء فانه منقول نقل الكافة اما
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق جماعة من الصحابة رضى
الله عنهم واما الى الصاحب واما الى التابع واما الى امام أخذ عن التابع
يعرف ذلك من كان من أهل المعرفة بهذا الشأن والحمد لله رب العالمين

وهذا نقل خص الله به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها وأبقاه عندهم
غضا جديداً على قديم الدهور مذ اربعمائة عام وخمسين عاما وهو زمن
ابن حزم ولم يزل الامر فى حفظ الدين واحكامه كذلك الى الآن سنة
١٣٢٢ في المشرق والمغرب والجنوب والشمال يرحل فى طلبه من لايحصى
عددهم الا خالقهم الى الآفاق البعيدة ويواظب على تقييده من كان الناقل
قريباً منه قد تولى الله تعالى حفظه عليهم والحمد لله رب العالمين فلا
تفوتهم زلة فى كلمة فما فوقها فى شىء من النقل ان وقعت لاحدهم ولا
يمكن فاسقاً ان يقحم فيه كلمة موضوعة ولله تعالى الشكر وهذه الاقسام
الثلاثة التى نأخذ ديننا منها ولا نتعداها الى غيرها والحمد لله رب العالمين
﴿والرابع﴾ شىء نقله أهل المشرق والمغرب أو الكافة أو الواحد الثقة
عن أمثالهم الى ان يبلغ من ليس بينه و بين النبى صلى الله عليه وسلم الا
واحد فاكثر فسكت ذلك المبلغ اليه عمن أخبره بتلك الشريعة عن النبى
صلى الله عليه وسلم فلم يعرف من هو فهذا نوع يأخذ به كثير من المسلمين
ولسنا نأخذ به البتة ولا نضيفه الى النبى صلى الله عليه وسلم اذ لم نعرف
من حدث به عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد يكون غير ثقة و يعلم منه
غير الذى روى عنه مالم يعرف منه الذى روى عنه ومن هذا النوع كثير
من نقل اليهود بل هو أعلى ما عندهم الا انهم لايقربون فيه من موسى
كقربنا فيه من محمد صلى الله عليه وسلم بل يقفون ولابد حيث بينهم و بين
موسى عليه السلام أزيد من ثلاثين عصرا فى أزيد من ألف وخمسمائة
عام وانما يبلغون بالنقل الى هلال وشمانى وشمعون ومر عقيبا وأمثالهم
وأظن ان لهم مسئلة واحدة فقط يروونها عن حبر من أحبارهم عن نبى
من متأخرى أنبيائهم أخذها عنه مشافهة فى نكاح الرجل ابنته اذا مات

عنها أخوه وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل الا تحريم الطلاق وحده فقط على ان مخرجه كذاب قد صح كذبه (والخامس) شيء نقل كما ذكرنا اما بنقل أهل المشرق والمغرب أو كافة عن كافة أو ثقة عن ثقة حتى يبلغ الى النبي صلى الله عليه وسلم الا ان فى الطريق رجلا مجروحا بكذب أو ذا غفلة أو مجهول الحال فهذا أيضا يقول به بعض المسلمين ولا يحل عندنا القول به ولا تصديقه ولا الاخذ بشيء منه وهذه صفة نقل اليهود والنصارى فيما أضافوه الى أنبيائهم لانه يقطع بهم كفار بلا شك ولا مرية (والسادس) نقل نقل باحد الوجوه التى قدمنا اما بنقل من بين المشرق والمغرب أو بالكافة أو بالثقة عن الثقة حتى يبلغ ذلك الى صاحب أو تابع أو امام دونهما انه قال كذا وحكم بكذا غير مضاف ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كفعل أبي بكر في سبى أهل الردة وكصلاة الجمعة صدر النهار وكضرب عمر الخراج واضعافه القيمة على رقيق حاطب وغير ذلك كثير جدا فمن المسلمين من يأخذ بهذا ومنهم من لا يأخذ به ونحن لا نأخذ به أصلا لانه لا حجة فى فعل أحد دون من أمرنا الله تعالى باتباعه وأرسله الينا ببيان دينه ولا يخلو فاضل من وهم ولا حجة فيمن يهم ولا يأتى الوحى ببيان وهمه وهذا الصنف من النقل هو صفة جميع نقل اليهود لشرائعهم التى هم عليها الآن مما ليس في التوراة وهو صفة جميع نقل النصارى حاشا تحريم الطلاق الان اليهود لا يمكنهم أن يبلغوا فى ذلك الى صاحب نبى أصلا ولا الى تابع له وأعلى من يقف عنده النصارى شمعون ثم بولس ثم أساقفهم عصرا عصرا هذا أمر لا يقدر أحد منهم على انكاره ولا انكار شيء منه الا ان يدعى أحد منهم كذبا عند من يطمع فى تجويزه عليه ممن يظن به جهلا بما عنده فقط وأما

اذا قررهم على ذلك ممن يدرون انه يعرف كتبهم فلا سبيل لهم الى انكاره أصلا * قال رحمه الله تعالى ونقل القرآن وما فيه من اعلام النبى صلى الله عليه وسلم كالانذار بالغيوب وشق القمر ودعاء اليهود الى تمنى الموت والنصارى الى المباهلة وجميع العرب الى المجىء بمثل القرآن وبتوبيخهم بالعجز عنه وبتوبيخ اليهود بانهم لا يتمنون الموت وقصة الطير الابابيل ورميها أصحاب الفيل بحجارة من سجيل وكثير من الشرائع وكثير من السنن فانه نقل كل ذلك اليمانى والمضرى والربيعى والقضاعى وكلهم أعداء متباينون متحاربون يقتل بعضهم بعضا وليس هناك شيء يدعوهم الى المسامحة فى نقلهم له ثم نقله عن هؤلاء من بين المشرق والمغرب ثم قال رحمه الله تعالى وأول من تنصر من الملوك قسطنطين بعد نحو ثلاثمائة سنة من رفع المسيح عليه السلام فوالله ماقدر على اظهار النصرانية حتى رحل عن رومية مسيرة شهر وبنى برنيطة وهى قسطنطينية ثم أجبر الناس على النصرانية بالسيف والعطاء وكان من عهوده المحفوظة ان لا يولى ولاية الا من تنصر والناس سراع الى الدنيا نافرون عن الادنى وكان مع هذا كله على مذهب اريوس لا على التثليث ولكن هذا من دعوى النصارى وكذبهم مضاف الى مايدعونه من انهم بعد هذه المدة الطويلة وبعد خراب بيت المقدس مرة بعد أخرى وبقائه خرابا لا ساكن فيه نحو مائتي عام وسبعين عاما وجدوا الشوك الذى وضع على رأس المسيح بزعمهم والمسامير التى ضربت في يديه والدم الذى طار من جنبه والخشبة التى صلب عليها فلا أدرى ممن العجب أممن اخترع مثل هذه الكذبة الغثة المفضوحة أم ممن قبلها وصدق بها ودان باعتقادها وصلب وجهه للحديث بها وياليت شعري أينما بقى ذلك الشوك وذلك الدم

سالمين وتلك المسامير وتلك الخشبة طول تلك المدة وأهل ذلك الدين مطرودون مقتولون كقتل من تستر بالزندقة اليوم وتلك المدينة خراب الدهور الطوال لا يسكنها أحد الا السباع والوحوش وقد شهدنا ملوكا لهم الاتباع والاولاد والشيع والاقارب صلبوا فما مضت مدة يسيرة حتى لم يبق لتلك الخشبة أثر فكيف أمر لاطالب له وبدول قد انقطعت وبلاد قد اقفرت وخلت ونسيت أخبارها وهذه البردة التى كانت للنبى صلى الله عليه وسلم والقصعة والسيف على ان الدولة متصلة لم تتخرم منذ حينئذ والحمد لله رب العالمين قد دخلت الداخلة فى القصعة والسيف حتى لايقين عندنا منهما اليوم ولولا تداول الخلفاء للباس البردة أبد الابد فينقل أمرها جيلا بعد جيل والمنبر كذلك لما قطعنا عليهما ولكن التداول لهما أمة بعد أمة وهما قائمان ظاهران للناس هو أوجب اليقين بهما ورفع الشك فيهما وكذلك كل ماجرى هذا المجرى ثم لم يلبث دين النصارى ان مات قسطنطين أول من تنصر من ملوك الدنيا ثم بعد موت قسطنطين وولى الملك ابنه ترك النصرانية ورجع الى عبادة الاوثان الى ان مات ثم ولى رجل من أقارب قسطنطين فرجع الى النصرانية وأما ديانة اليهود فما صفت فيها نيات بنى اسرائيل وموسى عليه السلام حى بين أظهرهم وما زالوا مائلين الى اظهار عبادة الاوثان ثم تكذيبهم كلهم بالشريعة التى أتاهم بها بعد موته عليه السلام طبقة بعد طبقة الى انقطاع دولتهم فكيف ان يتبعه غيرهم قال رحمه الله بعد ماذكر وبرهان ضروري لمن تدبره حسيى لامحيد عنه وهو انه لاخلاف بين أحد من اليهود والنصارى وسائر الملل فى ان بنى اسرائيل كانوا بمصر فى أشد عذاب يمكن ان يكون من ذبح أولادهم وتسخيرهم فى عمل

الطوب بالضرب العظيم والذل الذى لايصبر عليه كلب مطلق فأتاهم موسى عليه السلام يدعوهم الى فراق هذا الاسر الذى قتل النفس أخف منه والى الحرية والملك والغلبة والامن ومضمون ممن هو فى أقل من تلك الحال الى ان يسارع الى كل من يطمع على يديه بالفرج وان يستجيب له الى كل مادعاه اليه وان أكثر من في هذا البلاء يستخير عبادة من أخرجه منه لاسيما الى العز والحرمة وكانوا أيضا أهل عسكر مجتمع وبنى عم يمكنهم التواطؤ ثم كانوا أهل بلد صغير جدا قد تكنفهم الاعداء من كل جانب وأما عيسى عليه السلام فما اتبعه الانحو اثنى عشر رجلا معروفين ونساء قليل وعدد لايبلغ جميعهم وفى جملتهم الاثنا عشر الامائة وعشرين فقط هكذا فى نص انجيلهم وكانوا مشردين مطرودين غير ظاهرين ولايقوم بمثل هؤلاء ضرورة يقين العلم ثم ذكر حال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعثته وكثرة اتباعه وتأليف الله لهم بعد اختلافهم واجتماعهم على نصرته صلى الله عليه وسلم ونقل شريعته انتهي كلام الامام ابن حزم فظهر الفرق بين نقل دين الاسلام ونقل سائر الاديان ولا سيما دين اليهود والنصارى ظهورا لايخالف فيه الا كل أعمى القلب مطموس البصيرة لاعقل له ولا فهم ولا انصاف عنده ولا علم كمؤلف هداية الشيطان المحشوة بالافك والبهتان واذا كان الامر كذلك فهل أحد يقول ان نسبة كتب النصارى واليهود الى أصحابها أقوى من نسبة القرآن الا رجل لايفرق بين الباطل والحق كهذا المعترض الفاجر الذى لايستحي من الله ولا من الخلق

(فصل) ومن قلة حيائه أيضا وشدة وقاحته قوله فى آخر العبارة السابقة الواقعة فى صفحة ٨٥ من كتابه المذكور ان النصارى الاولين

كانت لهم فرصة مناسبة للانتقاد والبحث أكثر من المسلمين والجواب كالذى قبله انه لوكان يستحى لما تكلم بذلك وذلك البحث فى أمور الدين يقتضى الاعتناء الشديد وتأليف الكتب ونشرها ونقل الامة لها بعض عن بعض أما كون ذلك موجودا فى علماء المسلمين فظاهر وهذه كتب المتقدمين والمتأخرين منهم وابحاثهم فى شأن الدين ملأت الدنيا خطا وطبعا حتى يوجد منها فى مكاتب الافرنج مئات ألوف وفى بلاد الاسلام ملايين واذا نظرنا الى كتب النصارى فى دينهم وابحاثهم فيه نجدها لاتصل الى جزء من ألف جزء من كتب المسلمين كما ان علماء دين النصرانية كذلك لا يكونون جزأ من ألف جزء ولا من أقل من ذلك بالنسبة الى علماء المسلمين ومع ذلك فان اشتهار علماء المسلمين في التقدم فى معرفة العلوم وشدة ابحاثهم فى أمور الدين لانسبة فيه بالكلية بينهم و بين علماء دين النصرانية ومن ادعى خلافه يكذبه الظاهر تكذيبا بينا لا يحتاج لاقامة دليل ولابرهان وعلماء الدين في المسلمين أقسام منهم المفسرون ومنهم المحدثون ومنهم المتكلمون ومنهم الصوفية وكل قسم من هؤلاء يوجد منه مئات ألوف محققون وكتبهم تشهد لهم وشهرتهم فى العالمين غير خفية على من له أدنى المام بالعلم والتاريخ فهل يا ترى يوجد في علماء النصارى واليهود مثلهم بل نرى كثيرا ممن يدعى التأليف من النصارى حتى في أمورهم الدينية كالمواعظ والثناء على الله تعالى يستعين بكتب علماء المسلمين لانها هى البحور الزاخرة المشتملة على جواهر العلم فكل من أراد ان يزين كتابه ينقل فيه شيئا منها أليس من العجب بعد هذا ان يدعى ذلك الكذاب المكابر ان النصارى الاولين كانوا أكثر بحثا وانتقادا من علماء

المسلمين ولكن من لا يستحى يقول مايشاء ولا يبالى وشىء آخر وهو انا نقول له اذا كان المتقدمون من علماء دين النصرانية كانوا هكذا يكثرون البحث فى دينهم وضبطوه ضبطا حسنا وها أنت تفتخر بهم فلاى شىء رفضتهم أنت وأهل مذهبك البروتستانت رفضا تاما ونبذتموهم وكفرتموهم مع كل من اتبعهم على مذهبهم وتقحمتم دين النصرانية بحيث لم تبقوا من ابحاث أولئك المتقدمين شيئا واعتقدتم انها كلها من الضلال الخارج عن دين المسيح عليه السلام هذا فعلكم معهم وتفتخرون هنا بهم وبكثرة أبحاثهم فأى الحالتين هى الصواب يا ترى وما هو الاعتبار الذى تجعلونه لكتبهم وابحاثهم فانا نراكم معاشر النصارى ولا سيما أهل العلم والفهم منكم يجلون كتب المسلمين و يتغالون بها أكثر من كتبهم اضعافا كثيرة ولا يحسبون كتبهم الدينية الا من كتب الهذيان غالبا ولا يعتبرونها من كتب العلم بخلاف كتب الاسلام فانها من أعز ذخائرهم كما هو مشاهد فياترى هذا بسبب كون علمائهم المتقدمين كانوا أكثر بحثا من علماء المسلمين كما يزعم هذا الوقح الكذاب أو لكون كتب المسلمين هى كتب العلم حقيقة ومن لم يقرأها لا يعد عالما بين قومه فضلا عمن سواهم وها نحن نرى الكثير من علماء المسلمين يقضون أعمارهم ولا يطلعون على كتاب واحد من كتب دين النصارى ولايخل ذلك فى علمهم شيئا أما علماء النصارى فاذا لم يقرؤا كتب دين الاسلام ولو كانوا من أعلم العلماء فى دينهم لايحسبهم أحد من قسم العلماء بل هم لايحسبون أنفسهم علماء وانما يقال لهم رؤساء الدين فانظر هذا الفرق العظيم تعرف شدة وقاحة ذلك الكذاب الذمم

(فصل) ومن العبارات التي لم يستح من ذكرها مع ظهور بطلانها وبهتانها قوله فى صفحة ١٢٠ هذه العبارة (فاهل الكتاب محافظون على أقل عبارة في كتبهم حتي على عنوان الكتاب وليسوا كالمسلمين فى جمع قرآنهم الذى ذهب كثير منه) أليس هذا من المكابرات القبيحة والاكاذيب الصريحة أما يستحى من الكذب الظاهر المعلوم انه كذب عند كل الناس أين هي محافظة أهل الكتاب على كتبهم وكل واحد منهم يخالف الآخر بما لا يعد ولا يحصى واظهار الحق قد ذكر من ذلك شيئاً كثيرا ومع ذلك فكل جميع ما ذكره هو قطرة من بحر المخالفات والمناقضات الواقعة في كتبهم التى يأنفون من ذكرها ويتعيرون بنسبتها الى كتب الى دينهم ونحن نسأل هذا الرجل المكابر ماهو الذى حمل البروتستانت على ترك دين النصارى الذى أجمعوا عليه قبل وجود هذه الفرقة واتفقت كلمتهم ومجامعهم الكثيرة على أحكامه التى وضعوها وزادوا فيه ونقصوا منه وحملوا أمتهم على اتباع ماوضعوه فجاء اسلاف هؤلاء البروتستانت وخالفوا تلك المجامع وحذفوا من أحكام دين النصرانية كل مالم يوافق مشربهم ومذهبهم الذى جددوه فتلك المجامع قدكانت مؤلفة من مئات كثيرة بل ألوف وفيرة من رؤساء دين النصرانية المعول عليهم فى هذا الشان في تلك الازمان وقد ثبت عند البروتستانت جهلهم وضلالهم وخطؤهم فيما اتفقوا عليه فى دين النصرانية وجمعوا الناس على اعتقاده والتدين به أفبعد ثبوت خيانة هؤلاء وجهلهم وخطئهم فى الدين بحسب اعتقاد البروتستانت وهم علماؤه وخدامه وأهله وحملته والمبلغون له الى أهله والمؤلفون الكتب في أحكامه كيف يعتمد البروتستانت من جهة أخرى على الكتب التى ألفوها ونسخ الانجيل

والتوراة هم الذين رووها وتداولوها جيلا عن جيل وبواسطتهم وصلت الى البروتستانت اذ لاواسطة لهم غيرهم يروون عنها هذه الكتب فكيف يسوغ اعتبار البروتستانت انهم من أصدق الناس وآمنهم وأعلمهم في الدين فيروون عنهم ما رووه من الكتب الدينية بل أكثر الكتب التي استشهد المعترض بالنقل عنها فى الرد على اظهار الحق هي من مؤلفات أصحاب المجامع ومن كان على مذهبهم لايخلو شيء منها من ذلك الا ما كان من تآليف من حدثوا بعدهم من البروتستانت وهو قليل بالنظر الى مؤلفات السابقين ومع ذلك فقد رووها عنهم ومن جهة أخرى رفضوهم ورفضوا جل أو كل أحكام مذاهبهم التي اتفقوا عليها فى مجامعهم وعمل بها جمهور الامة النصرانية خلفاً عن سلف ونسبوهم الى الخيانة فى زيادة مازادوه ووضعوه من الاحكام وخالف بعضهم بعضاً وتناقضت عباراتهم وكثرت فى الدين زلاتهم فلما اطلع علماء البروتستانت على ذلك رفضوا ذلك رفضاً قطعياً أليس هذا من التناقض الشنيع رجل واحد يعتقد فيه انه فى غاية الكمال وانه هو فى غاية النقص فهذه حال علماء النصرانية وكتبهم التى يقول عنها هذا الرجل المكابر أهل الكتاب محافظون على أقل عبارة فى كتبهم أما القرآن فحاله فى عدم التغيير والتبديل والزيادة والنقص مشهور معلوم عند الصغار والكبار من السابقين واللاحقين من المسلمين وغير المسلمين فان الذى جمعه هم الصحابة الذين رووه من فم النبى صلى الله عليه وسلم واثبتوا فيه كل ما لم ينسخ وهوالذي يطلق عليه لفظ القرآن أما مانسخ فليس بقرآن حتي يقال ذهب منه ومن حين جمعهم اياه الى الآن لم يتغير منه حرف واحد بل ولاحركة واحدة ولو لحن قارئ بنقص حرف أو حركة أو زيادتهما لرد عليه الاطفال

فضلا عن الرجال وهذا مشاهد معلوم عند النصارى واليهود فضلا عن المسلمين وهل ادعى أحد قط من سائر الملل غير هذا الخبيث ان كتابا على وجه الارض حصل الاعتناء بحفظه وخدمته مثل ما حصل للقرآن لاشك ان النصارى الافرنج عندهم من الذوق والانصاف مالم يكن عند هذا المكابر الكذاب فقد بلغنى عن بعض علماء الانكليز انه سافر الى البلاد العربية وأقام فيها مدة طويلة يتعلم اللسان العربى ثم رجع الى بلاده فقالوا له حدثنا باحسن شيء رأيته وتعلمته في مدة غيبتك عنا فى بلاد العرب فقال لهم لم أر شيئاً أحسن من القرآن وليس ذلك الافرنجى المقر بفضل القرآن وانه مارأى شيئاً أحسن منه أفهم من هذا النصرانى للقرآن ولا أدرك منه لفصاحته ولكن ذلك منصف وهذا مكابر وذاك يستحى وهذا لايستحى

(فصل) اعترض فى صفحة ١١٠ بانه ورد فى سفر القضاة ان الله أخبر جدعون أحد قضاة بنى اسرائيل بان كل من يلغ بلسانه من الماء كما يلغ الكلب فاوقفه وكذا كل من جثا على ركبتيه للشرب وكان عدد الذين ولغوا بيدهم الى فمهم ثلاثمئة رجل فانتصر جدعون بهؤلاء الثلاثمائة على الالوف قال فهذا الاغتراف من النهر كان مع جدعون المذكور لامع طالوت كما في القرآن ويجاب عن ذلك بجوابين (الاول) ان سفر القضاة هذا الذى نقل عنه قصة جدعون فيه كما قال الشيخ رحمة الله اختلاف عظيم ولم يعلم مصنفه ولا زمان تصنيفه فقال بعضهم انه تصنيف فينحاس وقال بعضهم انه تصنيف حزقيا وعلى هذين القولين لايكون هذا الكتاب الهاميا وقال بعضهم انه تصنيف أرميا وقال بعضهم انه تصنيف عزقيال وقال بعضهم انه تصنيف عزرا وبين عزرا وفينحاس زمان أزيد

من تسعمائة سنة ولو كان عندهم سند لما وقع هذا الاختلاف الفاحش وهذه الاقوال كلها غير صحيحة عند اليهود وهم ينسبونه رجما بالغيب الى حموئيل فحصلت فيه ستة أقوال اه اذا علمت ذلك تعلم ان أقوال هذا الكتاب لايعول عليها ولا يلتفت اليها ومن العجيب قول صاحب هذ[illegible]ة الشيطان أما قوله يعنى صاحب اظهار الحق ان اليهود ينسبون رجماً بالغيب نزول سفر القضاة الى حموئيل النبى فكلامه كلام متعصب لايريد الاذعان للحق ألا يرى ان المولى سبحانه وتعالى فضل الامة اليهودية على العالمين وشرفها بالمحافظة على هذه الكتب الالهية فكان قولهم هو الجدير بالاعتماد والاعتبار ولاسيما انهم هم الذين يتعبدون بتلاوة هذه الكتب من يوم الى آخر فلايقولون عن كتبهم الالهية الا اليقين اه هذيانه الذى يقوله بقلمه ولسانه ويعتقد عكسه بجنانه فان أئمة دينه مصرحون بخلاف ماقاله في حق اليهود منهم موشيم المؤرخ قال فى صفحة ٦٥ من المجلد الاول من تاريخه المطبوع سنة ١٨٣٢ كان بين متبعى رأى أفلاطون وفيثاغورس مقولة مشهورة ان الكذب والخداع لاجل ان يزداد الصدق وعبادة الله ليسا بجائزين فقط بل قابلان للتحسين وتعلم أولا منهم يهود مصر هذه المقولة قبل المسيح كما يظهر هذا حزماً من كثير من الكتب القديمة ثم أثر وباء هذا الغلط السوء فى المسيحيين كما يظهر هذا الامر من الكتب الكثيرة التى نسبت الى الكبار كذباً اه كلام موشيم * وقال يوسيفس فى الباب الثامن عشر من الكتاب الرابع من تاريخه ذكر جستن الشهيد في مقابلة طريفون اليهودى عدة بشارات المسيح وادعى ان اليهود أسقطوها من الكتب المقدسة اه * وقال واتسن فى صفحة ٣٢ من المجلد الثالث هكذا انى لاأشك فى هذا الامر ان العبارات التى الزم فيها جستن اليهود في مباحثة طريفون

بأنهم أسقطوها كانت هذه العبارات موجودة في عهد جستن وأرينيوس
فى النسخة العبرانيـة واليونانية واجزاء من الكتاب المقدس وان لم
توجـد الآن فى نسخهما اه * وكان أكستاين وقدماء المسيحيين
يقولون ان اليهود حرفوا التوراة لتصير الترجمـة اليونانية غير معتبرة
ولعناد الدين المسيحى اه * وقال كنيكات ان اليهود حرفوا التوراة
قصـدا وكذلك آدم كلارك اختار ان اليهـود حرفوا مواضـع فى
التوراة فى المتن العبرانى والترجمة اليونانية تحريفاً تصـدياً اه * وقال
كرب زاستم ان اليهود ضيعوا كتبا لاجل غفلتهم بل لاجل عدم ديانتهم
ومزقوا بعضها واحرقوا البعض وقوله هو المختار عند فرقة كاتلك اه *
وقال فيلبس كوادنولس الراهب في كتابه المسمى بالخيالات المطبوع سنة
١٦٤٩ فى الفصل السادس منه لايوجد التحريف كثيرا جدا في النسخة
القصاعية سيما فى كتاب سليمان ونقل رب أقيلا المشتهر بالكليس التوراة
كله وكذا نقل رب يوننا بن عزيال كتاب يوشع بن نون وكتاب القضاة
وكتاب السلاطين وكتاب أشعياء والكتب الاخر للأنبياء ونقل رب
يوسف أعمى الزبور وكتاب أيوب وراعوت واستير وسليمان وهؤلاء
كلهم حرفوا ونحن النصرانيون حافظنا هـذه الكتب لنلزم اليهود الزام
التحريف ونحن لانسلم أباطيلهم اه كلام الراهب المذكور وقد ذكر
من جملة الكتب التى حرفها اليهود كتاب القضاة المذكور فيه قصة
جدعون المذكورة وقال فى التفسير التاسع من انجيل متى انمحى كثير
من كتب الانبياء لان اليهود ضيعوا كتباً لاجل غفلتهم بل لاجل عدم
ديانتهم ومزقوا بعضها واحرقوا بعضها اه ونقل عن التفسير المذكور
هذه العبارة أحد أكابر علمائهم وهو صاحب سؤالات السؤال المطبوع

فى لندن سنة ١٨٤٣ وقال بعد نقلها هذا هو الغالب جدا انهم مزقوا
الكتب وحرقوها لانهم لما رأوا ان الحواريين يتمسكون بهذه الكتب
فى اثبات مسائل الملة المسيحية فعلوا هذا الامر ويعلم هذا من اعدامهم
كتباً نقل عنها متى ونقل قول بعض علمائهم وان اليهود أخرجوا كتباً
كثيرة من العهد العتيق ليظهر ان العهد الجديد ليس له موافقة تامة بالعهد
العتيق ويعلم من هذا ان الكتب الكثيرة انمحت انتهت عبارة كتاب سؤالات
السؤال ومع كون كل هؤلاء من علماء النصاري وغيرهم ممن لم نذكره
يشهدون بعدم أمانة اليهود وتحريفهم للكتب السماوية وحذفهم منها مالا
يوافق أغراضهم نرى هذا المعترض المكابر يشهد لهم بحسن الحال
والامانة والمحافظة على الكتب الالهية معاندة للحق ونصرا للاباطيل ولا
يبالى بكون ذلك يعود عليه وعلى دينه وعلماء ملته بالتكذيب والتخجيل
ويا ليته تذكر قبل ان يمدحهم حال المصلوب والصليب فلعل دينه كان
يجعله فى ذلك مخطئا غير مصيب (الجواب الثانى) انا لو فرضنا صحة
القصة المذكورة فى سفر القضاة مع جدعون فهى غير القصة المذكورة
فى القرآن مع طالوت فان قصة طالوت قال فيها ان الله مبتليكم بنهر
فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة
بيده فشربوا منه الا قليلا منهم وذلك صريح بأن عسكر طالوت شربوا
من النهر ولم يطيعوه في عدم الشرب الا القليل فلم يشربوا وقصة
جدعون تقول ان كل من يلغ بلسانه من الماء كما يلغ الكلب فاوقفه
وكذا كل من جثا على ركبتيه للشرب الخ فهذه القصة بفرض صحتها
هي غير تلك القصة وعلى كل حال لايرد على القرآن شيء مما أتاه به من
الهذيان فانه كله حق وصواب ولا يؤثر به ولا بشيء منه أباطيل هذا المفترى الكذاب

﴿ فصل ﴾ ومن جهله وسفاهته اعترض فى صفحة ١٢٦ بأن القرآن جعل هامان وزيرا لفرعون مع انه وزير لاحشو يورش ملك الفرس قال ولم تخبرنا التوراة التى هى أقدم تاريخ في الدنيا بأنه كان لفرعون وزير اسمه هامان بل قالت ان هامان هو وزير لاحشو يورش * ويجاب عن ذلك بثلاثة أجوبة ﴿الجواب الاول﴾ ان القرآن قد ثبت بالدلائل القطعية التى لا تعد ولا تحصى انه كلام الله تعالى وانه لم يحصل فيه تغيير وتبديل فجميع ماذكره هو حق وصدق والتوراة بالعكس قد ثبت وقوع التبديل والتغيير فيها بالزيادة والنقص فالاخبار الموجودة فى القرآن هى الموثوق بها والمعول عليها ﴿الجواب الثانى﴾ ان اثبات التوراة وزيرا لملك الفرس اسمه هامان لا ينافي وجود وزير لفرعون اسمه هامان أيضا ولم تنف التوراة وجوده وعدم ذكرها اياه لايقتضى عدمه بالكلية وانما المناسبات لم تستوجب ذكره ولا شك انه كان للفراعنة والملوك الذين ذكرتهم التوراة وزراء كثيرون ولم تذكرهم كلهم التوراة ﴿الجواب الثالث﴾ ان فرعون صاحب موسى عليه السلام اسمه الوليد ابن مصعب وفرعون لقب له ولكل من ملك مصر وهذا مسلم عند الافرنج أيضا الا أنهم بناء على اكتشافاتهم الجديدة يسمونه باسم آخر فلفظ فرعون بالاتفاق ليس اسما له وانما هو بمنزلة قولك ملك مصر ولكنه غلب على ذلك الرجل عدو موسى عليه السلام فالظاهر من ذلك ان لفظ هامان هو بمعنى الوزير لوجهين الاول معنوى والثانى لفظى فالمعنوى هو المناسبة الواقعة بين التعبير به والتعبير بلفظ فرعون فانه لما لم يذكر اسم فرعون بل اكتفى بلقبه لاختصاره ولافادته انه ملك مصر وهو المقصود اذ لاحاجة لذكر اسمه الاصلى كذلك ناسب ان

يذكر وزيره بلفظ يفيد معنى الوزارة فذكر لفظ هامان الذى هو بمعنى الوزير ولا حاجة الى ذكر اسمه الاصلى اذ لايتعلق به الغرض فهو أخصر وأنسب وأما الوجه اللفظى الذى يدل على أن هامان معناه مطلق الوزير ماذكره فى لسان العرب فى مادة ﴿ همن ﴾ وهو قوله المهيمن اسم من أسماء الله تعالى فى الكتب القديمة وفى التنزيل ومهيمنا عليه قال بعضهم معناه الشاهد يعنى وشاهدا عليه والمهيمن الشاهد وهو من آمن غيره من الخوف ثم قال وقال ابن الانبارى فى قوله ومهيمنا عليه قال المهيمن القائم على خلقه وأنشد

الا ان خير الناس بعد نبيه * مهيمنه التاليه في العرف والنكر

قال معناه القائم على الناس بعده وقيل القائم بامور الخلق فهذا صريح في اطلاق المهيمن على معنى الوزير وهو هنا أبو بكر ومادة المهيمن وهامان هى واحدة فاطلاق المهيمن على الوزير فى لغة العرب يدل على ان هامان هو أيضا بمعنى مطلق الوزير فاتضح من ذلك ان اعتراض ذلك الخبيث فى غير محله وان الداعى له انما هو شدة كفره مع شدة جهله وسيأتى في خاتمة الكتاب اثبات وقوع التحريف والتبديل فى التوراة والانجيل بالدلائل الظاهرة الباهرة التى لاتقبل التأويل وان ماوافق القرآن منها نقبله ومالا فلا وبهذا انتهى بنا الكلام على القسم الثانى المتعلق بالقرآن * ورد ما أورده ذلك المعترض من الافك والبهتان * والحمد لله ولى الاحسان * وصلى الله وسلم على سيدنا محمد سيد الاكوان * وعلى آله وأصحابه السادة الاعيان * وكل من اتبع دينه فى كل زمان ومكان *

خاتمة الكتاب فى اثبات تحريف التوراة والانجيل بالدلائل (الظاهرة التى لاتحتمل التأويل)

اعلم انى لما فرغت أو كدت أفرغ من تحريرى هذا الكتاب* والاجوبة عما اشتمل عليه كتاب ذلك المفترى الكذاب* من الافك والبهتان* في حق النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن* اطلعت على الجزء الثانى منه فقرأت فهرسته وقليلا مما اشتمل عليه من الاضاليل والاباطيل* الدالة على ان مؤلفه أجهل جاهل وأرذل رذيل* فوجدت اعتراضاته فيه قد اعترض بها على القرآن بمخالفته للتوراة فى بعض القصص اما أن تكون القصة مذكورة فيه ولم تذكر فيها واما أن يكون ذكرها بصفة وذكرتها بصفة أخرى وهو لو وفقه الله لاتباع الحق ومعرفة الصواب وكشف عن بصيرته غشاوة الكفر وحجاب الارتياب لعكس الموضوع واعترض على التوراة لمخالفتها للقرآن لان القرآن قد ثبت بالدلائل القطعية الكثيرة التى لاتعد ولا تحصى انه كلام الله تعالى المجيد الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فمن المستحيل مخالفته للحقيقة أما التوراة وكذا الاناجيل الموجودة الآن فقد ثبت ثبوتا قطعيا عند كل عاقل منصف انه وقع فيها التحريف والتبديل بالزيادة والنقص فما وافقت فيه القرآن نعلم انه صحيح وما خالفته فيه نعلم انه باطل ليس من كلام الله تعالى ولا من كلام أنبيائه وانما هو مما وقع فيها من الزيادة والنقص بتوالى العصور وتلاعب اليهود وغيرهم فيها بحسب ماعندهم من الاغراض والامراض فالتوراة والانجيل لايعتمد على مافيهما من الروايات التاريخية وغيرها سوى ما وافق شرعنا وما جاء به القرآن من التاريخ والاحكام وكل مالم يوافق ذلك فلا يعتمد عليه ولا يعول

عليه فقد ثبت وتحقق ثبوتا بينا لاشبهة معه وقوع التحريف والتبديل فيهما كما علمت وهما وان كان قد بقى منهما بعض ما اشتملا عليه على حاله فهو لايوثق به بعد ثبوت التبديل فى البعض لان الباقى يحتمل التحريف أيضا فارتفعت الثقة بكل مافيهما سوى ما وافق شرعنا بخلاف القرآن فانه قد ثبت وتحقق عند المسلمين كافة والمنصفين من غيرهم عامة انه لم يتغير منه حرف واحد عما كان عليه فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وحينئذ اذا اختلف مع التوراة والانجيل فى قصة ونحوها يكون المعول على ماذكره ويعلم ان ما في التوراة والانجيل مما يخالفه هو من جملة الاكاذيب والاباطيل التى وقع فيها التحريف فيهما فهو واجب الترجيح عليهما حينئذ من كل الوجوه قال الامام السبكي فى جمع الجوامع الترجيح تقوية أحد الطرفين والعمل بالراجح واجب وذكر للترجيح أسبابا كثيرة منها الترجيح بكثرة الادلة والرواة ولا شك ان رواة القرآن أكثر من رواة التوراة والانجيل بل ليس للتوراة والانجيل رواة بسند متصل أصلا (ومنها) الترجيح بعلو الاسناد أي قلة وسائط الرواة ولا شك ان عدد وسائط القرآن أى رواته الى النبى صلى الله عليه وسلم هم أقل من عدد وسائط التوراة والانجيل الى موسى وعيسى عليهما السلام وكذلك باقى كتبهم الى مؤلفيها على ان أسانيدها منقطعة ولا يوجد لها سند متصل مركب من ضعاف الرواة فضلا عن ثقاتهم فكيف مع ذلك تعارض أخبارها التى لم ترو بسند صحيح ولا ضعيف أخبار القرآن الذى ثبت تواتره برواية الامة عن الامة الى النبى صلى الله عليه وسلم فصحة أخباره لا يمكن أن تعادلها صحة كما أن ضعف أخبار تلك الكتب لا يمكن أن يفوقها ضعف والنسبة بين أخبارها وبين أخباره

هي كنسبة الاخبار المذكورة فى كتاب فتوح الشام المشهور بين العوام الى أخبار البخارى ومسلم فان فتوح الشام يوجد فيه الصحيح ولكنه قليل جدا بالنظر الى الكذب وكذلك الامر هنا بل هو والله هنا أعظم من ذلك فان البخارى ومسلما وان كانا أصح الكتب بعد القرآن الا ان أكثر أحاديثهما أحاديث آحاد لم يرو منها بالتواتر الا القليل والقرآن كله روي بالتواتر الذى لاتواتر فوقه ومع ذلك فلا يتصور أحد ان أخبار كتاب فتوح الشام تعارض أخبار البخارى ومسلم لان تلك فى غاية الضعف والوضع وهذه في غاية الصحة والصدق فوجود اخباره الضعيفة أو الموضوعة مخالفة لاخبارهما الصحيحة لايؤثر في صحتها شيئا ولا يمكن أن يتوهم عاقل بمخالفته لهما ان أخبارهما يطرأ عليها احتمال عدم الصحة وكذلك مخالفة بعض أخبار التوراة والانجيل لبعض أخبار القرآن لاتؤثر فى صحتها شيئا ومثال آخر وهو ان رجلا فى غاية الصدق والامانة بحيث لم يرو عنه فى عمره كذبة واحدة واشتهر ذلك عند الناس اشتهارا شائعا بحيث اذا أخبر بخبر لايشك أحد منهم بصدقه فاذا أخبر بخبر يخالف خبره رجل معروف عند الناس بخلط الصدق والكذب تارة يصدق وتارة يكذب بحيث ارتفعت ثقتهم به ولا يعتمدون على صحة ما يقول وان كان بعض ما يقوله صدقا لعدم تمييزهم بينه وبين كذبه الذى يأتى به فى بعض الاحيان فهؤلاء بلا شك لايطرأ عندهم شبهة فى صدق خبر ذلك الرجل المشهور بالصدق اذا خالفه هذا الرجل المخلط فالقرآن مثاله ذلك الرجل الصادق الامين والتوراة والانجيل مثالهما ذلك الرجل المخلط الذى يصدق تارة ويكذب أخرى وايضا من وجوه الترجيح ان المثبت يرجح على النافى فالقرآن قد أثبت قصصا لم توجد فى التوراة والانجيل فلو فرضنا ان هذين الكتابين

هما معادلان له فى الصحة وفرضنا انهما قد صرحا بنفى ما أثبته وخالفاه بذلك لايترتب على ذلك شيء لان المثبت مرجح على النافى فما بالك والاخبار التى اعترض المعترض بوجودها فى القرآن وعدم وجودها فى التوراة لم تذكرها التوراة بالكلية لا أنها ذكرتها ونفتها فهذا مما لايعيبه عالم عاقل ولا يعترض به الا الغبى جاهل لايفرق بين القبيح والمليح والحق والباطل كهذا المعترض صاحب كتاب هداية الشيطان والا فبقطع النظر عن كون التوراة مبدلة محرفة لايوثق بها ولا بأخبارها فأى مانع من ان يكون فى القرآن أخبار تاريخية لم تذكر فيها اذ لايلزم على المؤلف الواحد اذا ذكر شيئاً في أحد كتبه ان يذكره في جميعها فقد يذكر في أحدها شيئاً ولا يذكره فى الآخر وهذا الانجيل لاشك انه فاته ذكر أشياء كثيرة ذكرت فى التوراة ولم تذكر فيه فلم يعترض على عدم وجودها فيه مع وجودها فى التوراة وهذه القصص المذكورة فى القرآن والتوراة انما ذكرت للاعتبار وليس ذكرها جميعها فى كليهما من الامور اللازمة ضرورة فذكر البعض يغنى عن الجميع وليست من أحكام الدين التى لابد من معرفتها حتى لايجوز الاستغناء عنها ونحن نرى من أحكام الدين أيضاً شيئاً كثيرا مذكورا فى القرآن ولم يذكر فى التوراة ولا الانجيل كذلك يوجد فى الانجيل ماليس مذكورا فى التوراة كما يوجد فى التوراة ماليس فى الانجيل نعم لايوجد فيهما شيء من الاحكام لايوجد فى القرآن صراحة أو دلالة لانه خاتم كتب الله تعالى نزل على خاتم رسله صلى الله عليه وسلم فجمع جميع مافيها وزاد عليها مع صغر حجمه كما ان سيدنا محمدا خاتم الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم جمع جميع مافيهم من الفضائل والكمالات وزاد عليهم والتوراة والانجيل قبل التبديل

والتحريف كانا مثل القرآن فى كونهما محل الثقة التامة بحيث يستحيل عليهما الكذب ومخالفة الحقيقة لكونهما من عند الله تعالى وحياً الى انبيائه وقد فقدت منهما الثقة لما طرأ عليهما من التحريف والتبديل وزيادة الاكاذيب والاباطيل وانما جاز عليهما التبديل والتحريف لان الله تعالى لم يتكفل بحفظهما من ذلك كما تكفل بحفظ القرآن ولو شاء لفعل كما انه سلط بعض أعدائه على بعض انبيائه فقتلوهم ولم يحفظهم من القتل وحفظ بعضهم منه كما حفظ القرآن من التحريف والتبديل مع كثرة الاعداء الالداء قال الامام الزرقانى عند قول المواهب ومنها أى من خصائصه صلى الله عليه وسلم حفظ كتابه من التبديل والتحريف على ممر الدهور بخلاف غيره من الكتب فان بعضها بدل وحرف وللبيهقى عن الحسن فى تفسير قوله تعالى ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ﴾ قال حفظه الله فلا يزيد أحد فيه باطلا ولا ينقص منه حقا وكأنه أخذ هذا التفسير من لازم الآية وللبيهقى أيضا عن يحيى بن اكثم دخل يهودى على المأمون فأحسن الكلام فدعاه الى الاسلام فابى ثم بعد سنة جاء مسلما فتكلم على الفقه فأحسن الكلام فسأله المأمون ما سبب اسلامه قال انصرفت من عندك فامتحنت هذه الاديان فعمدت الى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وادخلتها البيعة أى الكنيسة فاشتريت منى وعمدت الى الانجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة فاشتريت منى وعمدت الى القرآن فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الوراقين فتصفحوها فوجدوا فيها الزيادة والنقص فرموا بها فلم يشتروها فعلمت ان هذا القرآن محفوظ فكان هذا سبب اسلامى قال يحيى فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت

له هذا فقال مصداقه في الكتاب قلت في أى موضع قال فى قوله فى التوراة والانجيل ﴿ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﴾ فجعل حفظه اليهم وقال ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ فحفظه الله تعالى علينا فلم يضع انتهت عبارة الزرقاني قلت والحكمة والله أعلم فى ذلك ان الكتب الاولى كل كتاب منها كان يأتى بعده كتاب من الله تعالى يصحح ما وقع فيه من التحريف بخلاف القرآن فانه خاتم الكتب ليس بعده كتاب يأتى من الله تعالى ولذلك حفظه الله من كل سوء وله الحمد والمنة وجعله معجزا للبشر لئلا يمكن تقليده فيلتبس الحق بالباطل وليس بعده كتاب من الله تعالى يبين ذلك بخلاف الكتاب الاولى ومن هنا قال الله تعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ قال الامام فخر الدين الرازى في تفسير هذه الآية الفائدة فى بعثة محمد عليه الصلاة والسلام عند فترة من الرسل هى ان التغيير والتحريف قد تطرقا الى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول زمانها وبسبب ذلك اختلط الحق بالباطل والصدق بالكذب وصار ذلك عذرا ظاهرا في اعراض الخلق عن العبادات لان لهم ان يقولوا يا الهنا عرفنا انه لابد من عبادتك ولكننا ما عرفنا كيف نعبد فبعث الله تعالى في هذا الوقت محمدا عليه الصلاة والسلام ازالة لهذا العذر اه فقد ظهر ان من شأن الكتب المتقدمة والشرائع السالفة ان يطرأ عليها التحريف والتبديل والتباس الحق بالباطل والصدق بالكذب بمرور العصور وتوالى الدهور وحدوث الحوادث وتوالى المصائب والكوارث وقد جرى جميع ذلك على التوراة والانجيل وما ألحق بهما فأرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن

بخالص الايمان وصحيح الاحكام فصدق من الشرائع السابقة ماصدق ونسخ مانسخ وصحح منها ماتبدل وتحرف وفرق بين الباطل والحق والكذب والصدق فكل ماخالفه من التوراة وغيرها فهو مرفوض مردود وكل من كذب به أو بشيء منه فهو ملعون مطرود اذ هو كتاب الله المجيد الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد والحاصل ان القرآن اذا خالف التوراة والانجيل فهو المعمول به على كل حال لان المخالفة اما ان تكون بزيادته عليهما شيئا لم يذكراه اصلا وهى لامانع منها اذ ذكر الشيء فى كتاب لايقتضى لزوم ذكره فى جميع الكتب وعدم ذكره فى بعضها لا يقتضى عدم صحته بالكلية وقد يوجد فى التوراة والانجيل أشياء كالمواعظ ونحوها لاتوجد فى القرآن صراحة ولا يتوجه بذلك اعتراض عليهما ولا على القرآن واما ان تكون المخالفة باثبات القرآن مانفته التوراة والانجيل نفيا صريحا وهذا غير موجود ولو وجد فمن القواعد المقررة فى الاصول ان المثبت مقدم على النافي واما أن تكون المخالفة بذكر شىء ذكرته التوراة والانجيل على وجه آخر فهذا الشىء ان كان حكما من الاحكام الشرعية فحكم القرآن ناسخ لحكم التوراة والانجيل وان كان ذلك الشىء ليس حكما شرعيا فان أمكن ان يكون الاثنان صحيحين كان يكونا من نوع المواعظ كان به ولا مانع منه وان كان ذلك الشىء الذى وقعت فيه المخالفة قصة من القصص فان أمكن الجمع بينهما وان يكون القصتان صحيحتين بالتوجيه والجمع بينهما فهو المطلوب وان لم يمكن ذلك فالصحيح قصة القرآن والتوراة هى التى وقع فيها الغلط فان القرآن قد ثبت بالادلة القطعية انه كلام الله حقا فهو يستحيل عليه ان يذكر شيئا مخالفا

للحقيقة بخلاف التوراة والانجيل فانهما قد ثبت ثبوتا قطعيا وقوع التحريف والتبديل فيهما للاسباب والبراهين والدلائل والحجج القطعية الكثيرة التى لو قام عشرها على اثبات أى شىء من الاشياء لما بقى شك عند عاقل فى ثبوته فكيف وقد اجتمعت كلها عليهما واتفق على ذلك علماء المسلمين والنصاري أيضا على اختلاف طوائفهم كالملحدين والوثنيين لم يبق شك عند أحد منهم فى وقوع التحريف والتبديل في التوراة والانجيل فكل من لم يسلم ذلك فهو بالمجانين أشبه منه بالعقلاء ولاأقول انه جاهل مكابر فقط فقد تجاوز حالة المكابرين والجهلاء على ان تلك القصص التى خالف فيها القرآن التوراة التى ذكرها المعترض يمكن الجمع فيها بين الخبرين بأن يكونا صحيحين فى كثير منها وذلك بالتوجيه الوجيه اذا تأمل فيها الفاضل النبيه وقد اعترض من هذا القبيل فى الجزء الاول من كتاب هداية الشيطان فى صفحة ١١٠ بمخالفة القرآن لما في سفر القضاة في قصة الاغتراف من النهر بذكره انها وقعت مع طالوت والحال انه مذكور في سفر القضاة انها وقعت مع جدعون واعترض فى صفحة ١٢٦ بمخالفة القرآن للتوراة فى جعل هامان وزيرا لفرعون مع انه مذكور في التوراة انه وزير لاحشويورش ملك الفرس وقد تقدم الجواب عنهما في آخر القسم الثانى من هذا الكتاب قبيل هذه الخاتمة مع التوجيه الوجيه بفرض صحة ورود ذلك فى التوراة حقيقة مع انه لايعارض القرآن على كل حال لسلب الثقة من التوراة بتحقق وقوع التحريف والتبديل فيها بالزيادة والنقص وها أنا أذكر مايحصل ببعضه اليقين بتحريفها وتحريف الانجيل أيضا فأقول أول من ألف

فى هذا الشان الامام أبو محمد على بن حزم قال ابن خلكان فى ترجمته وله
كتاب اظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والانجيل وبيان تناقض ما بأيديهم
من ذلك مما لا يحتمل التأويل وهذا معنى لم يسبق اليه انتهى كلام ابن
خلكان قلت وقد رأيت له أى للامام ابن حزم المذكور فى كتاب الملل
والنحل اثبات تبديل التوراة والانجيل بما لم يبق معه شبهة لذى فهم عنده
أدنى انصاف فى ان ماهو موجود منهما الآن محرف مبدل بيقين وأطال
الكلام فى ذلك فى نحو مائة وثمانين صفحة بالقطع الكبير فلله دره من
امام نحرير والظاهر ان الشيخ رحمة الله لم يطلع على كتابه ولذلك لم ينقل
منه شيئا لان نسخته كانت نادرة الوجود قبل الطبع وقد تيسرت الآن
والحمد لله فمن أراد الحصول عليها يمكنه ذلك بأيسر كلفة وانى الخص
منه ماتدعو الضرورة اليه بالاختصار ثم أذكر بعده ما اخذته من اظهار
الحق وفى بعض ذلك كفاية ولكنى أردت الجمع بين كلام هذين الامامين
لزيادة تقوية الحجة والبرهان لانهما من أجل من ألف فى هذا الشان أما
ابن حزم فبشهادة ابن خلكان لم يسبقه أحد الى التأليف فيه فهو امام
المتقدمين الذين ألفوا فى ذلك وأما الشيخ رحمة الله فقد سلك فى كتابه
اظهار الحق مسلكا لم يسبقه أحد اليه فهو امام المتأخرين الذين ألفوا
فى ذلك وكل من ألف بعده كصاحب السيف الصقيل فبفضله يعترف
ومن بحره يغترف فقد أثبت ذلك رحمه الله تعالى فى كتابه المذكور
ببراهين كثيرة جدا لا تبقى فى ذلك أدنى ريب عند كل عاقل منصف
وعقد لهذا المعنى فى كتابه بابين الاول والثانى ونقل فيهما عن كثير من أئمة
المسلمين والنصارى على اختلاف طوائفهم حتى الملحدين منهم وهم
أيضا من قسم النصارى فأقوالهم وان كان غيرهم من النصارى لا يعتبرها

الا انها عند المسلمين لافرق بينها وبين أقوالهم فهى اذا وافقت الحقيقة
نقبلها وكذلك النقول المنقولة عن الوثنيين هى وان لم تكن معتبرة عند
النصارى الا انها اذا وافقت الحقيقة لانرفضها فقد اتفق علماء المسلمين وعلماء
النصارى حتى الملحدين منهم وعلماء الوثنيين على وقوع التحريف والتبديل فى
التوراة والانجيل فهذا الامر يلزم ان يكون فى القوة والصحة والتحقق لا يفوقه
شىء فى ذلك من الاشياء المحققة الثبوت التى أجمعت عليها الملل ووقع عليها
الاتفاق ولم يخالف فى ذلك الا أهل العناد والشقاق والنفاق مثل مؤلف
كتاب هداية الشيطان المذكور ومن كان على شاكلته من الذين أقاموا
أنفسهم مقام محارب مناضل واتخذوا على عهدتهم خذلان الحق ونصر الباطل
ورد كل ما يرد عليهم من البراهين والدلائل وليس ذلك من عدم فهمهم
أو قلة علمهم لان هذا الامر أظهر من ان يجهله امثالهم أو يستشكله اشكالهم
ولكنهم اتخذوا صنعتهم وحرفتهم التمسك بما نشؤا عليه من المحاماة عن
دينهم وكتبهم على علاتها وزلاتها ومع ما هو ظاهر فيها من الاعتلال
والاختلال التزموا القيام بها فى كل حال من الاحوال فهؤلاء قد امتزجت
أرواحهم بالاباطيل والاضاليل فليس الى اتباعهم الحق وتركهم الباطل الا
ان يشاء الله من سبيل وقد كشف صاحب اظهار الحق رحمه الله عوارهم
وأبان شنارهم واظهر ما اعتادوه من محاوراتهم ومجادلاتهم فى افتراآتهم
ومغالطاتهم وغير ذلك من سوء اخلاقهم وقبح عاداتهم ومن اطلع عليه
لم يبق عنده أدنى شك فى وقوع التحريف والتبديل بالزيادة والنقص
فى التوراة والانجيل ويعلم ان كل الجوابات التى أجاب بها صاحب هداية
الشيطان المحشوة بالضلال والبهتان لا تثبت على المحك وانها لا يمكن ان
تهدم صدق اظهار الحق بما اشتملت عليه من الباطل والافك وانما هى

تلفيقات ومغالطات المقصود منها تثبيت عوام النصارى على اعتقاد صحة هذه الكتب وحملهم على التمسك بها والا فكثير من عبارات علمائهم مصرحة بوقوع الاختلافات والاغلاط والزيادة والنقص فى التوراة والانجيل بكثرة لاتعد ولاترد ولذلك لم يتعرض صاحب كتاب هداية الشيطان المذكور للجواب عن أكثرها لانه لم يمكنه تلفيق شيء يدفعها به واذا نقلها في كتابه يظهر لكل قارئ انها لاجواب عنها ولذلك تركها بدون جواب وهذا كتاب اظهار الحق شائع ذائع بين الناس بمراجعته يظهر الحق ويذهب الالتباس وهو البحر العباب الذى لا نظير له فى هذا الباب أما الامام ابن حزم فقد ذكر فى كتابه الملل والنحل مما فى التوراة والانجيل مناقضات كثيرة لاتحتمل التأويل بل يتيقن كل من قرأها بفهم وانصاف وقوع التحريف والتبديل فيهما ويعلم يقينا انهما غير التوراة والانجيل المنزلين على موسى وعيسى عليهما السلام ذكر منها فى اثبات تبديل التوراة وتحريفها سبعة وخمسين فصلا فى أكثر من مائة صفحة اذكر منها بالاختصار ماتدعو الضرورة اليه ثم اتبعه بما نقلته عن اظهار الحق

﴿ كلام الامام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم فى اثبات التحريف والتبديل فى التوراة والانجيل بالاختصار ﴾

قال رحمه الله تعالى فى كتابه الملل والنحل نذكر ان شاء الله تعالى مافى الكتب المذكورة من الكذب الذي لايشك كل ذى مسكة تمييز فى انه كذب على الله تعالى وعلى الملائكة وعلى الانبياء عليهم السلام الى أخبار أوردوها لايخفى الكذب فيها على أحد كما لا يخفى ضوء النهار على ذى بصر وقد كنا نعجب من اطباق النصارى على تلك الاقوال الفاسدة المتناقضة التي

لايخفى فسادها على أحد به رمق الى ان وقفنا على مابأيدى اليهود فرأينا ان سبيلهم وسبيل النصارى واحدة كشق الانملة ثم ذكر كثيرا من عبارات توراتهم المتناقضة المضطربة المعانى والتى لايجوز نسبتها الى الله تعالى بوجه من الوجوه لظهور بطلانها ولا سيما مايتعلق منها بالاعداد والحسابات وقال بعد ذلك فوضح لكل من له أدنى فهم يقينا كما ان أمس قبل اليوم انها ليست من عند الله تعالى ولا من أخبار نبي ولا من تأليف عالم يتقى الكذب ولا من عمل من يحسن الحساب ولا يخطىء فيما لايخطىء فيه صبي يحسن الجمع والطرح والقسمة ولكنها بلا شك من عمل كافر مستخف ماجن سخر بهم وتطايب منهم وكتب لهم ماسخم الله به وجوههم عاجلا فى الدنيا للفضيحة وآجلا فى الآخرة بالنار والخلود فيها أو من عمل تيس أوعن تكلف املاء مالم يقم بحفظه وهو مع ذلك جاهل مظلم الجهل بالهيئة وصفة الارض وبالحساب وبالله تعالى وبرسله صلى الله عليهم وسلم فاملى ما خرج الى فهمه من خبيث وطيب ونحمد الله تعالى على نعمة الاسلام كثيرا ثم ذكر قول التوراة ان الله تعالى قال لابراهيم لنسلك أعطى هذا البلد من نهر مصر النهر الكبير الى نهر الفرات قال وهذا كذب وشهرة من الشهر وبعد ان بين كذبه بيانا شافيا قال فوضح الكذب الفاحش فى الاخبار المذكورة وصح انه ليس من عند الله عز وجل ولا من كلام نبي أصلا بل من تبديل وغد جاهل كالحمار بلادة أو متلاعب بالدين وفاسد المعتقد ونعوذ بالله من الخذلان ثم بعد ان ذكر قول توراتهم ان يعقوب صارع الله عز وجل فعجز عنه سبحانه وتعالى عن كل ما يقوله الكافرون علوا كبيرا قال رحمه الله تعالى وفي هذا الفصل شنعة عفت على كل ماسلف تقشعر منها جلود أهله

العقول و بالله العظيم لولا ان الله عز وجل قص علينا كفرهم بقولهم ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ و بقولهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ لما نطقت ألسنتنا بحكاية هذه العظائم لكننا نحكيها منكرين لها كما نتلو مانصه عز وجل لنا تحذيرا من افكهم وهذه مصائب شاهدة بضلالهم وخذلانهم وصحة اليقين بأن توراتهم مبدلة فعلى من بصدق بشيء من كل هذا الافك لعنة الله وغضبه فاعجبوا لعظيم كفر هؤلاء القوم وما افتراه الكفرة أسلافهم الأنتان على الله تعالى وعلى رسله عليهم الصلاة والسلام ثم على كل كتاب فيه شيء من هذا وعلى كاتبه لعنة الله وغضبه عدد كل شيء خلق الله فاحمدوا الله معاشر المسلمين على ماهداكم له من الملة الزهراء التى لم يشبها تبديل ولا تحريف والحمد لله رب العالمين ثم بعد ان ذكر تناقض توراتهم فى عدد أولاد يعقوب عليه السلام قال، وهذا خطأ فى الحساب تعالى الله عن ان يخطىء فى الحساب أو ان يخطىء فيه موسى عليه السلام فصح انها من توليد جاهل غث أو من عابث سخر بهم وكشف سوأتهم ثم ذكر من مناقضاتهم وأكاذيبهم وأباطيلهم المذكورة فى توراتهم شيئا كثيرا وقال بعد ذلك وهذه أقوال يكذب بعضها بعضا فصح ضرورة لا محيد عنها انها كلها مبدلة محرفة مكذوبة ملعونة وثبت ان ديانتهم المأخوذة من هذه الكتب ديانة فاسدة مكذوبة من عمل الفساق ضرورة كالشيء المدرك بالعيان واللمس ونحمد الله على السلامة ثم ذكر عبارات توراتهم المتناقضة التي يترتب عليها الكذب ولا بد فى سن موسى اذ مات أو كذب الوعد الذى أخبر الله عنه بتيههم أربعين سنة وقال هذا كذب فاحش وقد قلنا ان الذى عمل لهم التوراة التى بأيديهم كان قليل العلم بالحساب ثقيل اليد فيه جدا أو عيارا ماجنا مستخفا لا دين له سخر منهم

بامثال التيوس والحمير ثم ذكر فصلا قال فيه ان فى السفر الخامس هكذا فقال ان طلع فيكم نبى وادعى انه رأي رؤيا وأتاكم بخبر مايكون وكان ماوصفه ثم أمركم بعد ذلك باتباع آلهة الاجناس فلا تسمعوا له قال رحمه الله تعالى وفى هذا شنعة من شنع الدهر وتدسيس كافر مبطل للنبوات كلها لانه أثبت النبوة بقوله ان طلع فيكم نبى وبصدقه فى الاخبار بما يكون ثم أمرهم بمعصيته اذا دعاهم الى اتباع آلهة الاجناس وهذا تناقض فاحش ولئن جاز ان يكون نبى يصدق فيما ينذر به و يدعو الى الباطل والكفر فلعل صاحب هذه الوصية من أهل هذه الصفة وما الذى يؤمننا من ذلك وهل ههنا شيء يوجب تصديقه واتباعه و يبينه من الكاذبين الا ماصحح نبوته من المعجزات فلما لزمت معصيته اذا أمر بباطل فان معصية موسى لازمة وغير جائزة في شيء مما أمر به اذ لعله أمر بباطل اذ كان في الممكن ان يكون نبى يأتى بالمعجزات يأمر بباطل وحاشا الله من ان يقول موسى عليه السلام هذا الكلام والله ماقاله قط ولقد كذب عليه الكاذب المبدل للتوراة وكذلك حاشا لله ان يظهر آية على يدى من يمكن ان يكذب أو يأمر بباطل هذا هو التلبيس من الله على عباده ومزج الحق بالباطل وخلطهما حتى لا يقوم برهان على تحقيق حق ولا ابطال باطل واعلموا ان هذا الفصل من توراتهم والفصل الملعون الذى فيه ان السحرة عملوا مثل بعض ماعمل موسى عليه السلام فانهما مبطلان على اليهود المصدقين بهما نبوة كل نبي يقرون له بنبوة قطعا لانه لافرق فيهما بين موسى وسائر أنبيائهم وبين الكذابين والسحرة وحاشا لله من هذا و به تعالى نعوذ من الخذلان هذا مع قوله بعد ذلك وايما نبى أحدث فيكم من ذاته نبوة مما لم نأمر به ولم أعهد اليه به أو تنبأ فيكم

يدعو للآلهة والاوثان فاقتلوه فان قلتم فى أنفسكم من أين يعلم انه من عند الله أو من ذاته فهذا علمه فيكم اذا أنبأ بشيء ولم يكن فاعلموا انه من ذاته قال رحمه الله تعالى هذا كلام صحيح وهذا مضاد للذي قبله من انه ينبيء بالشيء فيكون كما قال وهو مع ذلك يدعو الى عبادة غير الله والقوم مخذولون نقلوا دينهم عن زنارقة مستخفين لامؤنة عليهم ان ينسبوا الى الانبياء عليهم السلام الكفر والضلال والكذب كالذى ذكرنا قبل وكنسبتهم الى هارون عليه السلام انه هو الذى عمل العجل لبنى اسرائيل وبنى له مذبحا وقرب له القربان وجرد استاه قومه للرقص والغناء قدام العجل عراة وكما نسبوا الى سليمان عليه السلام انه قرب القرابين للاوثان على الكدى وانه قتل يواب بن صوريا صبرا وهو نبى مثله وكما نسبوا الى شاول وهو نبى عندهم يوحى اليه قتل النفوس ظلما ونسبوا الى بلعام بن باعورا وهو نبي عندهم يوحى الله تعالى اليه مع الملائكة العون على الكفر وان موسى وجيشه قتلوه ثم نسبوا النبوة الى منس بن حزقيا الملك وهو باقرارهم كافر ملعون يعبد الاوثان ويقتل الانبياء وينسبون المعجزات الى شمسون الدابى وهو عندهم فاسق مشهور بالفسق متعشق للفواسد ملعون وينسبون المعجزات الى السحرة فاعجبوا لعظيم بليتهم واحمد والله على السلامة واسألوه العافية لااله الا هو ثم ذكر رحمه الله تعالى ان آخر توراتهم وفاة موسى عليه السلام وان موضع قبره لم يعرف وساق عبارتها فى ذلك وفى خلافة يوشع بعده والثناء عليهم ثم قال هذا آخر توراتهم وتمامها وهذا الفصل شاهد عدل وبرهان تام ودليل قاطع وحجة صادقة فى ان توراتهم مبدلة وانها تاريخ مؤلف كتبه لهم من تخرص بجهله أو تعمد بفكره وانها غير منزلة من عند الله

تعالى اذ لا يمكن ان يكون هذا الفصل منزلا على موسى فى حياته فكان يكون اخبارا عنهما بما لم يكن بمساق ماقد كان وهذا هو محض الكذب تعالى الله عن ذلك وقوله لم يعرف قبره آدمى الى اليوم بيان لما ذكرنا كاف وانه تاريخ الف بعد دهر طويل ولا بد قال رحمه الله تعالى ههنا انتهى ماوجدنا من التوراة لليهود التي اتفق عليها الربانيون والعنانيون والعيسويون والصدوقيون منهم مع النصارى أيضا بلا خلاف منهم وفيها من الكذب الظاهر فى الاخبار وفيما يخبر به عن الله تعالى ثم عن ملائكته ثم عن رسله عليهم السلام من المناقضات الظاهرة والفواحش المضافة الى الانبياء عليهم السلام شيء كثير ولو لم يكن فيها الافصل واحد من الفصول التى ذكرنا لكان موجبا ولا بد لكونها موضوعة محرفة مبدلة مكذوبة فكيف وهي سبعة وخمسون فصلا من جملتها فصول يجمع الفصل الواحد منها سبع كذبات أو مناقضات فاقل سوى ثمانية عشر فصلا يتكاذب فيها نص توراة اليهود مع نص تلك الاخبار بأعيانها عند النصارى والكذب لائح ولا بد فى احدى الحكايتين فما ظنكم بمثل هذا العدد من الكذب والمناقضة في مقدار توراتهم وانما هى مقدار ماية ورقة وعشرة أوراق فى كل صفحة منها من ثلاثة وعشرين سطرا الى نحو ذلك بخط هو الى الانفساح أقرب يكون فى السطر بضع عشرة كلمة قال رحمه الله ونحن نصف ان شاء الله تعالى حال كون التوراة عند بنى اسرائيل من أول دولتهم اثر موت موسى عليه السلام الى انقراض دولتهم الى رجوعهم الي بيت المقدس الى ان كتبها لهم عزرا الوراق باجماع من كتبهم واتفاق من علمائهم دون خلاف يوجد من أحد منهم فى ذلك ليتيقن كل ذى فهم انها محرفة مبدلة وبالله تعالى نستعين ثم ذكر ذلك

بالتفصيل وها أنا ألخصه محافظا على عباراته فأقول ان بنى اسرائيل
داموا على الايمان بعد موسى فى مدة تدبير يوشع لهم وهى ٣١ سنة
ومدة فنحاس بن العازار ٢٥ سنة فلما مات فنحاس كفر بنو اسرائيل
وارتدوا كلهم وعبدوا الاوثان علانية وملكهم ملك صور وصيدا مدة
ثمانية أعوام على الكفر ثم دبر أمرهم عسال بن كنار من بنى يهوذا
أربعين سنة على الايمان ثم مات فكفر بنو اسرائيل كلهم وارتدوا
وعبدوا الاوثان علانية فملكهم كذلك عقلون ملك بنى مواب ١٨ سنة
على الكفر ثم دبر أمرهم أهوذ بن قراقيل من سبط افرايم ١٨ سنة
وبعده دبرهم سمعان بن غات من سبط أشار ٢٥ سنة على الايمان ثم مات
فكفر بنو اسرائيل كلهم وعبدوا الاوثان جهارا فملكهم كذلك مراش
الكنعانى ٢٠ سنة على الكفر ثم دبرت أمرهم دبورا النبية من سبط
يهوذا ٤٠ سنة على الايمان فلما ماتت كفر بنو اسرائيل كلهم وارتدوا
وعبدوا الاوثان جهارا فملكهم عوزيب ملك بنى مدين سبع سنين
على الكفر ثم دبر أمرهم جدعون بن يواس من سبط افرايم ٤٠
سنة على الايمان ثم ابنه أبو ملك وكان فاسقا خبيث السيرة ملكهم ثلاث
سنين فارتد جميع بنى اسرائيل وكفروا وعبدوا الاوثان جهارا ودبرهم
بعده مولع بن قوى من سبط يساخر ٢٥ سنة ولم نجد بيانا هل كان
على الايمان أو على الكفر ثم دبرهم بعده يايين بن جلعاد من سبط منسى
٢٢ سنة على الايمان وبعد موته ارتد بنو اسرائيل كلهم وعبدوا الاوثان
جهارا وملكهم بنو عمون ١٨ سنة على الكفر ثم قام فيهم هيلع بن جلعاد
من سبط منسى ٦ سنوات ولا يختلفون فيه انه كان ابن زانية وكان فاسقا
خبيث السيرة وقتل من بنى افرايم ٤٢ ألفا ثم مات فوليهم فصات من

سبط يهوذا ٧ سنين والاظهر انه كان على الاستقامة وبعده أيلون من
سبط زبلون ١٠ سنين ومات وبعده عبدون بن هلال من سبط افرايم
سنين على الايمان فلما مات ارتد بنو اسرائيل كلهم وكفروا وعبدوا
الاوثان جهارا فملكهم الفلسطينيون وهم الكنعانيون وغيرهم ٤٠ سنة
على الكفر ثم دبرهم شمشون بن مانوح من سبط دانى ٢٠ سنة وكان
مشهورا عندهم بالفسق واتباع الزوانى ثم أسر ومات فدبر بنو
اسرائيل بعضهم بعضا ٤٠ سنة على الايمان بلا رئيس يجمعهم ثم دبرهم
الكاهن الهارونى ٢٠ سنة على الايمان فمات ودبرهم شموال بن فتنان
النبى من سبط افرايم ٢٠ سنة على الايمان وملكهم بعده شاول الدباغ
من سبط بنيامين وهو طالوت عشرين سنة وهو أول ملك كان لهم
ويصفونه بالنبوة وبالفسق والظلم والمعاصى معا قال رحمه الله تعالى كل
ذلك فى كتبهم ثم قال بعد ما ذكر فاعلموا الآن انه كان مذ دخلوا
الارض المقدسة اثر موت موسى عليه السلام الى ولاية أول ملك لهم
وهو شاول المذكور سبع ردات فارقوا فيها الايمان وأعلنوا بعبادة
الاصنام فأولها بقوا فيها ثمانية أعوام والثانية ثمانية عشر والثالثة عشرين عاما
والرابعة سبعة أعوام والخامسة ثلاثة أعوام وربما أكثر والسادسة ثمانية
عشر عاما والسابعة أربعين عاما فتأملوا أى كتاب يبقى مع تمادى الكفر
ورفض الايمان هذه المدد الطوال فى بلد صغير مقداره ثلاثة أيام فى مثلها
فقط ليس على دينهم واتباع كتابهم أحد على ظهر الارض غيرهم قال
رحمه الله تعالى ثم مات شاول مقتولا وولى أمرهم داود عليه السلام
٤٠ سنة ثم سليمان عليه السلام ٤٠ سنة ثم مات وافترق أمر بنى اسرائيل
فصار ملك يهوذا وبنيامين لبنى سليمان عليه السلام فى بيت المقدس

وصار ملك الاسباط العشرة الباقية الى ملك آخر منهم يسكن بنابلس وبقوا كذلك الى ابتداء ادبار أمرهم قال رحمه الله فنذكر بحول الله تعالى وقوته أسماء ملوك بنى سليمان عليه السلام وأديانهم ثم نذكر ملوك الاسباط العشرة ليرى كل واحد كيف كانت حال التوراة والديانة فى دولتهم ولى اثر موت سليمان عليه السلام ابنه رحبعام ١٧ سنة فأعلن الكفر طول ولايته وعبد الاوثان جهارا هو وجميع رعيته وجنده بلا خلاف منهم وغزاه ملك مصر فأخذ بيت المقدس عنوة بالسيف وهرب رحبعام وانتهب ملك مصر المدينة والقصر والهيكل وأخذ كل مافيها ورجع الى مصر سالما غانما ثم مات رحبعام على الكفر فولى مكانه ابنه أبيا ٦ سنين فبقى هو وجنده ورعيته على الكفر وعبادة الاوثان علانية ويقولون قتل في حروبه من الاسباط العشرة خمسمائة الف انسان ثم ولى بعد موته ابنه أشا ٤٠ سنة على الايمان ومات وولى بعده ابنه يهوشافاطر ٢٥ سنة على الايمان وولى بعده ابنه يهورام ٨ سنين ولم نجد أمر سيرته ودينه الا أنه كان موالفا لعبادة الاوثان من ملوك سائر الاسباط وولى بعده ابنه أخزيا سنة واحدة فأظهر الكفر وعبادة الاصنام فى جميع رعيته وقتل فوليت امه عثليا بنت عمري ملك العشرة الاسباط ست سنوات فتمادت على أشد ما يكون من الكفر وعبادة الاوثان وقتلت الاطفال وأمرت باعلان الزنا فى البيت المقدس وجميع عملها الى أن قتلت فولى ابن ابنها يواش ابن اخزيا ٤٠ سنة واعلن الكفر وعبادة الاوثان وقتل زكريا النبى عليه السلام ثم قتله غلمانه فولى بعده ابنه أمصيا ٢٩ سنة فاعلن الكفر وعبادة الاوثان هو وجميع رعيته الى أن قتل وهو على الكفر وفى أيامه انتهب ملك الاسباط العشرة البيت المقدس واغاروا

على كل مافيه مرتين ثم ولى بعده عزيا بن امصيا ٥٢ سنة فاعلن الكفر وعبادة الاوثان هو وجميع رعيته قتل عاموص النبي الداودي وبقى على كفره الى أن مات فولى بعده ابنه يوثام ١٦ سنة ولم نجد له سيرة ومات فولى مكانه ابنه أحاز ١٦ سنة فاعلن الكفر وعبادة الاوثان الى أن مات فولى بعده ابنه حزقيا ٢٩ سنة على الايمان الى أن مات وفى ايامه انقطع ملك العشرة الاسباط من بنى اسرائيل وغلب عليهم سلمان الاعصر ملك الموصل وسباهم ونقلهم الى آمد وبلاد الجزيرة وسكن فى بلاد الاسباط العشرة أى نابلس وما حولها أهل آمد والجزيرة فاظهروا دين السامرة الذين هناك الى اليوم يعنى الى زمنه اى ابن حزم ولم تزل السامرة في نابلس الى وقتنا هذا وهو سنة ١٣٢٢ هجرية ثم مات حزقيا وولى بعده ابنه منشى ٥٥ سنة وفى السنة الثالثة من ملكه أظهر الكفر وبنى بيوت الاوثان وأظهر عبادتها هو وجميع اهل مملكته وقتل شعيا النبي وتمادى على كفره حتى مات وولى مكانه ابنه أمون سنتين على الكفر وعبادة الاوثان الى أن مات فولى مكانه ابنه يوشيا وفى السنة الثالثة من ملكه اعلن الايمان وكسر الاوثان واحرقها واستأصل هياكلها وقتل خدامها ثم قتله ملك مصر وفى أيامه أخذ أرميا النبى عليه السلام السرادق والتابوت والنار وأخفاها حيث لايدرى احد لعلمه بذهاب امرهم ثم ولى بعده ابنه يهوخار ثلاثة أشهر فرد الكفر واعلن عبادة الاوثان وأخذ التوراة من الكاهن الهارونى ونشر منها اسماء الله حيث وجدها ثم اسره ملك مصر فولى مكانه الياقيم ١١ سنة فأعلن الكفر وبنى بيوت الاوثان هو وجميع أهل مملكته وقطع الدين جملة واخذ التوراة من الهارونى فاحرقها بالنار وقطع أثرها ثم مات فولى مكانه ابنه يهوياكين وتلقب نخيا ثلاثة

أشهر فاقام على الكفر وأعلن عبادة الاوثان ثم اسره بختنصر فولى مكانه عمه فينا بن يوشيا وتلقب صدقيا ١١ سنه فثبت على الكفر واعلن عبادة الاوثان هو وجميع أهل مملكته ثم أسره بختنصر وهدم البيت والمدينة واستأصل جميع بنى اسرائيل واخلى البلد منهم وحملهم مسبيين الى بلاد بابل وهو آخر ملوك بنى اسرائيل و بنى سليمان جملة قال رحمه الله تعالى فقولوا يامعشر السامعين بلد تعلن فيه عبادة الاوثان وتبنى هياكلها ويقتل من وجد فيه من الانبياء كيف يجوز أن يبقى فيه كتاب الله سالما ام كيف يمكن هذا والتوراة لم تكن من أول دولة بنى سليمان الى انقضائها الا عند الهارونى الكوهن الاكبر وحده فى الهيكل فقط فهذه كانت صفة ملوك بنى سليمان بن داود عليهما السلام واما ملوك الاسباط العشرة فلم يكن فيهم مؤمن قط ولا واحد فما فوقه بل كانوا كلهم معلنين بعبادة الاوثان مخيفين للانبياء مانعين القصد الى بيت المقدس لم يكن فيهم نبى قط الا مقتولا او هاربا مخافا فاول ملوك الاسباط العشرة يربعام بن ناباط الافرائيمى وليهم اثر موت سليمان عليه السلام فعمل من حينه عجلين من ذهب وعبدهما هو وجميع اهل مملكته مدة ٢٤ سنة ثم مات وولى ابنه ناداب على الكفر سنتين ثم قتل وولى بعشا بن ايلة على عبادة الاوثان علانية ٢٤ سنة وولى بعده ولده ايلة على الكفر وعبادة الاوثان سنتين الى أن قتله احد قواده زمرى وولى مكانه سبعة أيام فقتل وولي امرهم رجلان تبنى وعمرى ١٢ سنة ثم مات تبنى وانفرد بملكهم عمرى ٨ سنين على الكفر وعبادة الاوثان ثم مات عمرى فولى بعده ابنه اخاب ٢١ سنة على اشد ما يكون من الكفر وعبادة الاوثان وفى أيامه كان الياس النبى عليه السلام هاربا في الفلوات منه ومن امرأته بنت ملك صيدا وهما يطلبانه للقتل ثم مات وولى

بعده ابنه أخزيا ثلاث سنين على الكفر وعبادة الاوثان ثم مات وولى مكانه أخوه يهورام ١٢ سنة على الكفر وعبادة الاوثان وفى أيامه كان اليسع عليه السلام ثم قتل وولى مكانه ياهو بن نمشى من سبط منسى ٢٨ سنة فكان أقلهم كفرا ولكنه لم ينقض عبادة الاوثان بل ترك الناس عليها ولم يظهر الايمان ومات وولى مكانه ابنه يهوا حاز ١٧ سنة فبنى بيوت الاوثان واعلن عبادتها هو ورعيته الى ان مات وضعف أمر الاسباط العشرة في أيامه وغلب عليهم ملك دمشق وقتلهم وولى مكانه ابنه يواش ١٦ سنة على أشد من كفر أبيه وهو الذى غزا بيت المقدس وأغار عليه وعلى الهيكل وأخذ كل مافيه ثم مات وولى مكانه ابنه بارنعام ٤٥ سنة على مثل كفر أبيه وعبادة الاوثان وغزا أيضا بيت المقدس وقتل ملكه الداودى ثم مات وولى مكانه ابنه زخريا ستة أشهر على الكفر وعبادة الاوثان الى ان قتل وولى مكانه شلوم بن نامس من سبط نفتالى فملك شهرا واحدا على الكفر وعبادة الاوثان ثم قتل وولى بعده مياخيم بن قارا من سبط يساكر عشرين سنة على عبادة الاوثان والكفر ومات وولى مكانه ابنه محيا سنتين على الكفر وعبادة الاوثان الى ان قتل وولى مكانه ناجح بن مليا من سبط دانى ٢٨ سنة على الكفر وعبادة الاوثان الى ان قتل وفى أيامه أجلى تباشر ملك الجزيرة بنى روبين و بنى جاد ونصف سبط منسى من بلادهم بالفور وحملهم الى بلاده وسكن بلادهم قوما من بلاده ثم بعد قتل ناجح ولى مكانه هوسيع بن ايلد من سبط جاد سبع سنين على الكفر وعبادة الاوثان الى ان أسره سليمان الاعسر ملك الموصل وحمله والسبعة الاسباط ونصف سبط منسى الى بلاده أسرى وسكن بلادهم نابلس قوما من أهل بلده

وهم السامرية الى اليوم وهوسيع هذا آخر ملوك الاسباط العشرة وانقضى
أمرهم فبقايا المنقولين من آمد والجزيرة الى بلاد بنى اسرائيل هم السامرة
الذين ينكرون التوراة جملة وعندهم توراة أخرى غير هذه التي عند اليهود
ولا يؤمنون بنبى بعد موسى عليه السلام ولا يقولون بفضل بيت المقدس ولا
يعرفونه ويقولون ان المدينة المقدسة هى نابلس فامر توراة أولئك أضعف
من توراة هؤلاء لانهم لا يرجعون فيها الى نبى اصلا ولا كانوا هنالك ايام
دولة بنى اسرائيل وانما عملها لهم رؤساؤهم ايضا قال رحمه الله تعالى
بعد ما ذكر فقد صح يقينا ان جميع أسباط بنى اسرائيل حاشا سبط يهوذا
وبنيامين ومن كان بينهم من بنى هارون بعد سليمان عليه السلام مدة مائتى
عام وواحد وسبعين عاما لم يظهر فيهم قط ايمان ولا يوما واحدا فما فوقه
وانما كانوا عباد أوثان ولم يكن قط فيهم نبى الا مخافا ولا كان للتوراة عندهم
لا ذكر ولا رسم ولا أثر ولا كان عندهم شيء من شرائعها أصلا مضى على
ذلك جميع عامتهم وجميع ملوكهم وهم عشرون ملكا قد سميناهم الى ان
اجلوا ودخلوا فى الامم وتدينوا بدين الصابئين الذين كانوا بينهم متمكنين
وظهر يقينا ان بنى يهوذا وبنى بنيامين كانت مدة ملكهم بعد موت سليمان
عليه السلام اربعمائة سنة ملك هذين السبطين فى هذه المدة من بنى
سليمان عليه السلام تسعة عشر رجلا ومن غيرهم امرأة تموا بها عشرين
ملكا قد سميناهم كلهم كانوا كفارا معلنين بعبادة الاوثان حاشا خمسة منهم
فقط ثم اتصل الكفر وعبادة الاوثان فى ملوكهم وعامتهم مائة عام وستين
عاما مع كفر سائر اسباطهم فعمهم الكفر وعبادة الاوثان فى أولهم
وآخرهم فأى كتاب أو أى دين يبقى مع هذا ثم ولى حزقيا المؤمن ٢٩
سنة ثم اتصل الكفر بعده وعبادة الاوثان في ملوكهم وعامتهم ٥٧ سنة

ثم ولى يوشا المؤمن ٣١ سنة ثم لم يل بعده الا كافر معلن بعبادة الاوثان
ومنهم من نشر اسماء الله من التوراة ومنهم من احرقها وقطع أثرها ولم
نجد بعد هؤلاء ظهر فيهم ايمان الا الكفر وقتل الانبياء الى ان انقطع
أمرهم جملة بغارة بختنصر وسبوا كلهم وهدم البيت واستأصل أثره الى
غارات كانت على مدينة بيت المقدس وهيكلها الذى لم تكن التوراة عند
أحد الا فيه فلم يترك فيها شيء مرة أغار عليهم صاحب مصر أيام رحبعام
ابن سليمان ومرتين فى أيام مصيباً الملك وفقدت التوراة الى ان أملها
عليهم من حفظه عزرا الوراق الهاروني وهم مقرون انه وجدها عندهم
وفيها خلل كثير فاصلحه وهذا يكفى وكان كتابة عزرا للتوراة بعد أزيد
من سبعين سنة من خراب بيت المقدس وكتبهم تدل على ان عزرا لم
يكتبها لهم ويصلحها الا بعد نحو أربعين عاماً من رجوعهم الى بيت
المقدس بعد السبعين عاماً التى كانوا فيها ضالين ولم يكن فيهم حينئذ نبى
أصلا ولا القبة ولا التابوت واختلف فى النار كانت عندهم أم لا ومن
ذلك الوقت انتشرت التوراة ونسخت وظهرت ظهورا ضعيفاً أيضاً ولم
تزل تتداولها الايدى مع ذلك الى ان جعل انطاكوس الملك الذى بنى
انطاكية وثنا للعبادة فى بيت المقدس وأخذ بنى اسرائيل بعبادته وقربت
الخنازير على مذبح البيت ثم تولى أمرهم قوم من بنى هارون بعد ٢٠٠
سنة وانقطعت القرابين فحينئذ انتشرت نسخ التوراة التى بأيديهم اليوم
وأحدث لهم أحبارهم صلوات لم تكن عندهم جعلوها بدلا من القرابين
وعملوا لهم ديناً جديدا ورتبوا لهم الكنائس في كل قرية وأحدثوا لهم
اجتماعاً في كل سبت على ماهم عليه اليوم بخلاف ما كانوا طول دولتهم

و بعد هلاك دولتهم بزمن طويل فانه لم يكن لهم فى شىء من بلادهم بيت عبادة ولا مجمع ذكر وتعلم ولا مكان قربان الا بيت المقدس وحده وموضع السرادق قبل بنيان بيت المقدس فقط ففى دون هذا كفاية لمن عقل فى ان توراتهم هذه كتاب مبدل مكذوب موضوع ودينهم هذا دين معمول مصنوع خلاف الدين الذى يقرون ان موسى عليه السلام أتاهم به وما يريد الشيطان منهم اكثر من هذا ولا في الضلال فوق هذا ونعوذ بالله من الخذلان وأيضاً فان التوراة التى ترجمها السبعون شيخاً لبطليموس الملك بعد ظهور التوراة وفشوها هى مخالفة للتي كتبها لهم عزرا الوراق وتدعيها النصارى ثم ذكر رحمه تعالى مايدل على كذب السبعين شيخاً المذكورين وتعمدهم لنقل الباطل وأقام أدلة أخرى قطعية على تبديل توراتهم زيادة على ماتقدم وقال فظهر بهذا كل ماقلنا وصح تبديلها بيقين ولا شك فى ان تلك المدة الطويلة التى هى أربعمائة سنة غير شى قد كان فى الكهنة الهارونيين الذين كانت التوراة عندهم ما كان فى غيرهم من الكفر والفسق وعبادة الاوثان كالذى يذكرون عن ابنى على الهارونى وغيرهما ممن يقرؤن فى كتبهم انهم خدموا الاوثان ويبوتهاوهم من بنى هارون وبنى لاوى ومن هذه صفته فلا يؤمن عليه تغير ماينفرد به وهذه كلها براهين أضوأ من الشمس على صحة تبديل توراتهم وتحريفها ثم نقل رحمه الله تعالى سورة من توراتهم قال ان موسى عليه السلام أمر بأن تكتب وتعلم جميع بنى اسرائيل ليحفظوها ويقوموا بها ولا يمتنع أحد من نسلهم من حفظها بعد ان ذكرها قال هذه السورة التى أبيحت لهم وأمروا بحفظها وكتابتها لاماسواها بنص توراتهم بزعمهم وقد بينا قبل انهم لم يشتغلوا بعد موت سليمان عليه السلام لا بهذه

السورة ولا بغيرها الا بعد موت الملوك الخمسة لانهم عبدوا كلهم الاوثان وقتلوا الانبياء وأخافوهم وشردوهم هذا مالا يشك فيه كافر ولا مؤمن على ان فى هذه السورة من الفضائح مالا يجوز ان ينسب الى الله عز وجل مثل قوله ان الله تعالى هو أبوهم الذي ولدهم وانهم بنوه و بناته حاشا لله من هذا وهل طرق للنصارى وسهل عليهم ان يجعلوا لله ولدا الا ماوجدوا في هذه الكتب الملعونة المكذوبة المبدلة بأيدى اليهود وليس فى العجب اكثر من ان يجعلهم أنفسهم أولاد الله تعالى وكل من عرفهم يعرف انهم أوضر الامم بزة وابردهم طلمة واغثهم مقاطع وأنتهم جبناً وأكثرهم غشاً واجبنهم نفوساً وأشدهم مهانة واكذبهم لهجة واضعفهم همة وارعنهم شمائل بل حاشا لله من هذا الاختيار الفاسد ثم اعترض رحمه الله تعالى على الفاظ أخرى تدل على ان هذه السورة محرفة وذكر سوء معاملتهم لموسى عليه السلام فى حياته بعد ان خلصهم من الذل والتعب الى العز والراحة واتخاذهم العجل وأرادوا قتله فعصمه الله منهم قال وهم مقرون بلا خلاف من أحد منهم انه لم يتبع موسى عليه السلام أمة سواهم ولا نقلت له معجزة طائفة غيرهم وأما النصارى فعنهم أخذوا نبوة موسى ومعجزاته وأما سائر الامم فلا وليس على وجه الارض أحد يصدق بنبوة موسى وبالتوراة التى بأيديهم الا هم ومن هو شعبة منهم كالنصارى قال رحمه الله فى آخر الكلام على تبديل توراتهم وأما نحن المسلمون فانما قبلنا نبوة موسي وهارون وداود وسليمان والياس واليسع عليهم السلام وصدقنا بذلك وآمنا بهم لاخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحة نبوتهم ومعجزاتهم فقط ولولا اخباره عليه الصلاة والسلام بذلك ما كانوا عندنا الا كشموال وايراث

وحداث وحقاى وحبقون وعدوا ويؤال وعاموص وعويديا ومبسخا
وناحوم وصفينا وملاخى وسائر من تقر اليهود بنبوته كاقرارهم بنبوة
موسى سواء بسواء ولا فرق بين طرق نقلهم لنبوة جميعهم ونحن
لانصدق نقل اليهود فى شىء من ذلك بل نقول انه قد كان لله تعالى
أنبياء فى بنى اسرائيل أخبر بذلك الله تعالى فى كتابه المنزل على نبيه
الصادق المرسل فنحن نقطع بنبوة من سمى لنا منهم ونقول فى هؤلاء
الذين لم يسم لنا محمد صلى الله عليه وسلم أسماءهم الله أعلم ان كانوا أنبياء
فنحن نؤمن بهم وان لم يكونوا انبياء فلسنا نؤمن بهم آمنا بالله
وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وهكذا نقر بنبوة صالح وهود
وشعيب واسماعيل وبأنهم رسل الله يقيناً ولا نبالى بانكار اليهود لنبوتهم
ولا بجهلهم بهم لان الصادق عليه الصلاة والسلام شهد برسالتهم وأما
التوراة فما وافقنا قط عليها لاننا نحن نقر بتوراة حق أنزلها الله تعالى على
موسى عليه السلام وأصحابه لانه تعالى أخبرنا بذلك في كتابه الناطق على
لسان رسوله الصادق صلى الله عليه وسلم ونقطع على انها ليست هذه التى بأيديهم
بنصها بل حرف كثير منهم وبدل وهم يقرون بهذه التى بأيديهم ولا
يعرفون التى نؤمن نحن بها وكذلك لا نصدق بشريعتهم التى هم عليها
الآن بل نقطع بأنها محرفة مبدلة مكذوبة وهم لايؤمنون بموسى الذى
بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم وبرسالته وبأصحابه فاعلموا اننا لم نوافقهم
قط على التصديق بشىء من دينهم ولا مما هم عليه ولا مما بأيديهم من
الكتاب ولابالنبي الذى يذكرونه لما قدأوضحناه من فساد نقلهم ووضوح
الكذب فيه وعموم الدواخل فيه وقال رحمه الله في موضع آخر من
كتابه المذكور ونحن انما آمنا بنبوة موسى الذى بشر بنبوة محمد صلى

الله عليه وسلم وبالتوراة التى فيها التبشير برسالة محمد صلى الله عليه وسلم
باسمه ونسبه وصفة أصحابه رضى الله عنهم وهكذا نقول فى عيسى عليه
السلام والانجيل حرفا حرفا ولانؤمن بموسى وعيسى اللذين لم يبشرا
بالنبى صلى الله عليه وسلم ولانؤمن بتوراة وانجيل ليس فيهما التبشير
برسالته صلى الله عليه وسلم ونحن انما صدقنا بنبوة موسى وعيسى عليهما
السلام لان محمدا صلى الله عليه وسلم صدقهما وأخبرنا عنهما وعن
معجزاتهما ولولا ذلك لما صدقنا بهما ولم نقطع بصحة نبوتهما كما اننا
لانقطع بصحة نبوة شموال وحبقوق وسائر أنبيائهم الذين لم يرد ذكر
نبوتهم فى القرآن والحديث ولكن نقول آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان
المذكورون أنبياء فنحن نؤمن بهم وان لم يكونوا أنبياء فلا ندخل في أنبياء
الله تعالى من ليس منهم بمجرد اخبار اليهود والنصارى فى كتبهم الكاذبة
المأخوذة عن قوم كفار كاذبين فنحن نؤمن بالانبياء جملة ولا نسمى
منهم الا من سمى الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى ﴿ وَإِنْ
مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ وقال تعالى فى الرسل ﴿ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا
عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ وقد ذكر رحمه الله تعالى اعتراضات
كثيرة على بعض كتبهم الاخرى ككتاب يوشع والزبور وكتاب شعيا
وغيرها أثبت بها وقوع التبديل والتحريف فيها بأدلة ظاهرة ثم قال ولو
تقصينا مافى كتب أنبيائهم من المناقضات والكذب لكثر ذلك جدا
وفيما أوردناه كفاية قال وقداعترض البعض منهم فيما كان يُدَّعى عليهم من
تبديل التوراة وكتبهم المضافة الى الانبياء قبل ان نبين لهم أعيان مافيها
من الكذب البحت فقال قد كان فى مدة دولتهم أنبياء و بعد دولتهم
ومن المحال ان يقر أولئك الانبياء على تبديلها قال رحمه الله تعالى فجوابه

هذا القول ان يقال للمعترض ان كان يهوديا كذبت مافى شىء من كتبكم انه رجع الى البيت المقدس مع زربائيل بن صيائال بن صدقيا الملك نبي أصلا ولا كان معه فى البيت نبي باقرارهم أصلا وكان ذلك قبل ان يكتبها لهم عزرا الوراق بدهر وقبل رجوعهم الى البيت المقدس مع زربائيل مات دانيال آخر أنبيائهم في أرض بابل وأما الانبياء الذين كانوا فى بنى اسرائيل بعد سليمان فكلهم كما بينا اما مقتول باشنع القتل أو مخاف مطرود منفى لا يسمع منهم كلمة الا الاخفية حاشا مدة الملوك المؤمنين الخمسة في بنى يهوذا أو بنى بنيامين خاصة وذلك قليل تلاه ظهور الكفر وحرق التوراة وقتل الانبياء وهو كان خاتمة الامر وعلى هذا الحال وافاهم انقراض دولتهم وأيضا فليس كل نبى يبعث بتصحيح كتاب من قبله فبطل اعتراضهم بكون الانبياء فيهم جملة وان كان المعترض نصرانيا يقر بالمسيح وزكريا ويحى عليهم السلام قيل له ان المسيح بلا شك كانت عنده التوراة المنزلة كما أنزلها الله تعالى وكان عنده الانجيل المنزل قال الله تعالى ﴿ وَيُعَلِّمُهُ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ الا انه عرض فى النقل عنه بعد رفعه عارض أشد وأفحش من العارض في النقل الى موسى عليه السلام فان النقل الى المسيح عليه السلام راجع الى خمسة فقط وهم متى وباطره بن نونا ويوحنا ابن سبذاى ويعقوب ويهوذا أبناء يوسف فقط ثم لم ينقل عن هؤلاء الا ثلاثة فقط وهم لوقا الطبيب ومارقس الهارونى وبولس البنيامينى وهؤلاء كلهم كذابون وقد وضح الكذب جهارا على مانوضحه بعد هذا ان شاء الله تعالى وكل هؤلاء مع ماصح من كذبهم وتدليسهم فى الدين فانما كانوا متسترين باظهار دين اليهود ولزوم السبت بنص كتبهم ويدعون

الى التثليث سرا وكانوا مع ذلك مطلوبين حيثما ظفر بواحد منهم ظاهرا قتل فبطل الانجيل والتوراة برفع المسيح عليه السلام بطلانا كليا وهذا الجواب انما كان يحتاج اليه قبل ان يظهر من كذب توراتهم وكتبهم ما قد أظهرنا واما بعد ما أوضحنا من عظيم كذب هذه الكتب بما لا حيلة فيه فاعتراضهم ساقط لان يقين الباطل لا يصحح شيء أصلا كما ان يقين الحق لا يفسده شىء أبدا فاعلموا الآن ان ما عورض به الحق المتيقن ليبطل به او عورض به الكذب المتيقن ليصحح به فانما هو شغب وتمويه وايهام وتخييل وتحيل فاسد بلا شك لان يقينين لا يمكن البتة فى البنية ان يتعارضا ابدا وبالله تعالى التوفيق ثم ذكر رحمه الله اعتراضاتهم بانا نقر بالتوراة والانجيل ونستشهد على اليهود والنصارى بما فيهما من ذكر صفات نبينا صلى الله عليه وسلم وبأنه قد ورد في القرآن والحديث ذكر التوراة والانجيل مما يدل على صحتهما وأجاب بقوله أما اقرارنا بالتوراة والانجيل فنعم واى معنى لتمويهكم بهذا ونحن لم ننكرهما قط بل نكفر من أنكرهما انما قلنا ان الله تعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام حقا وانزل الزبور على داود عليه السلام حقا وانزل الانجيل على عيسى عليه السلام حقا وأنزل الصحف على ابراهيم وموسى عليهما السلام حقا وانزل كتبا لم يسم لنا على أنبياء لم يسموا لنا حقا نؤمن بكل ذلك قال تعالى ﴿ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ وقال تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾ وقلنا ونقول ان كفار بنى اسرائيل بدلوا التوراة والزبور فزادوا ونقصوا وأبقى الله بعضها حجة عليهم كما شاء ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ وبدل كفار النصارى الانجيل كذلك فزادوا ونقصوا وابقى الله تعالى بعضها حجة عليهم كما شاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فدرس مابدلوا

من الكتب المذكورة ورفعه الله تعالى كما درست الصحف وكتب سائر الانبياء جملة فهذا هو الذي قلنا وقد أوضحنا البرهان على صحة ما أوردنا من التبديل والكذب فى التوراة والزبور ونورد ذلك ان شاء الله تعالى فى الانجيل وبالله تعالى نتأيد فظهر فساد تمويههم باننا نقر بالتوراة والانجيل والزبور ولم ينتفعوا بذلك في تصحيح ما بأيديهم من الكتب المكذوبة المبدلة والحمد لله رب* وأما استشهادنا على اليهود والنصاري بما فيهما من التبشير بنبينا صلى الله عليه وسلم فحق وقد قلنا آنفاً ان الله تعالى أطلقهم وسلطهم على تبديل ماشاء رفعه من ذينك الكتابين كما أطلق أيديهم على قتل من أراد كرامته بذلك من الانبياء الذين قتلوهم بانواع المثل وكف أيديهم عما شاء ابقاءه من ذينك الكتابين حجة عليهم كما كف أيديهم الله تعالى عمن أراد أيضاً كرامته بالنصر من انبيائه الذين حال بين الناس وبين أذاهم وقد أغرق الله تعالى قوم نوح عليه السلام وقوم فرعون نكالا لهم وأغرق آخرين شهادة لهم وأملى لقوم ليزدادوا اثما وأملى لقوم آخرين ليزدادوا فضلا هذا مالا ينكره أحد من اهل الاديان جملة وكان ما ذكرناه زيادة في أعلام النبي صلى الله عليه وسلم الواضحة وبراهينه اللائحة والحمد لله رب العالمين فبطل اعتراضهم علينا باستشهادنا عليهم بما في كتبهم المحرفة من ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم ثم أجاب رحمه الله تعالى عن الآيات التى ذكرت فيها التوراة والانجيل وذكر الآيات المصرحة بوقوع التحريف فيهما وروى بسنده المتصل الى النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ﴿ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ ﴾ قال وهذا نص قولنا ما نزل القرآن والسنة بتصديقه صدقنا به وما نزل النص

بتكذيبه أو ظهر كذبه كذبنا به وما لم ينزل نص بتصديقه أو تكذيبه وأمكن أن يكون حقا أو كذبا لم نصدقهم ولم نكذبهم وقلنا ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقوله وروى بسنده حديث البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذى أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم أحدث تقرؤنه محضا لم يُشَبْ وقد حدثكم ان أهل الكتاب بدلوا كتاب الله تعالى وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقد قالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا قال رحمه الله تعالى هذا أصح اسناد عن ابن عباس رضى الله عنه وهو نفس قولنا وماله فى ذلك من الصحابة مخالف وقد روينا أيضا عن عمر رضى الله عنه انه أتاه كعب الحبر بسفر وقال له هذه التوراة أفأقرؤها فقال له عمر بن الخطاب ان كنت تعلم انها التى أنزل الله تعالى على موسى فاقرأها آناء الليل والنهار فهذا عمر لم يحققها ثم قال ونحن ان شاء الله تعالى نذكر طرفا يسيرا من كثير جدا من كلام احبارهم الذين عنهم أخذوا كتابهم ودينهم واليهم يرجعون فى نقلهم لتوراتهم وكتب الانبياء وجميع شرائعهم ليرى كل ذى فهم مقدارهم من الفسق والكذب فيلوح له انهم كانوا كذابين مستخفين بالدين ولقد كان يكفى من هذا اقرارهم بأنهم عملوا لهم هذه الصلوات عوضا عما أمر الله تعالى به من القرابين وهذا تبديل الدين جهارا ثم ذكر من كلام أحبارهم ماهو مضحكة للثكالى من الاكاذيب الفاحشة والخرافات الملهية التى هي أشبه بخرافات النساء التى يحدثن بها فى الليالى ويلهين بها الاطفال وقد اثبت على كل حال التحريف والتبديل فى التوراة وما ألحق بها من كتبهم اثباتا بينا لا يشك فيه من له ادنى فهم ﴿ ثم قال ﴾ ﴿ واما الانجيل وكتب النصارى ﴾ فنحن ان شاء الله تعالى

موردون من الكذب المنصوص فى أناجيلهم ومن التناقض الذى فيها أمرا لايشك كل من رآه فى انهم لاعقول لهم وانهم مخذولون جملة واما فساد دينهم فلا اشكال فيه على من له مسكة عقل ولسنا نحتاج الى تكلف برهان فى أن الاناجيل وسائر كتب النصارى ليست من عند الله عز وجل ولا من عند المسيح عليه السلام كما احتجنا الى ذلك فى التوراة والكتب المنسوبة الى الانبياء عليهم السلام التى عند اليهود لان جمهور اليهود يزعمون ان التوراة التى بأيديهم منزلة من عند الله عز وجل على موسى عليه السلام فاحتجنا الى اقامة البرهان على بطلان دعواهم في ذلك وأما النصارى فقد كفونا هذه المؤنة كلها لانهم لايدعون ان الاناجيل منزلة من عند الله تعالى على المسيح عليه السلام ولا ان المسيح عليه السلام أتاهم بها بل كلهم أولهم عن آخرهم أريوسيهم وملكيهم ونسطوريهم ويعقوبيهم ومارونيهم وبلقانيهم لا يختلفون في انها اربعة تواريخ ألفها اربعة رجال معروفون فى أزمان مختلفة ثم ذكر رحمه الله تعالى اوصاف الاناجيل الاربعة المذكورة ومؤلفيها ومناقضاتها الظاهرة وبين ذلك بيانا شافيا فى نحو سبعين صفحة بالقطع الكبير واتبع ذلك بذكر بعض مافى كتبهم غير الاناجيل من الكذب والكفر والهوس فليراجعه من شاءه فان كتابه مطبوع منتشر بين الناس يسهل الحصول عليه لمن أراده ثم أثبت صحة دين الاسلام ونبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بعبارات فائقة وبراهين دامغة وحجج قاطعة ودلائل ظاهرة باهرة ساطعة نقلتها فى القسم الاول وغيره من هذا الكتاب والحمد لله رب العالمين * (وهذا كلام اظهار الحق فى اثبات التحريف والتبديل فى التوراة والانجيل اختصرته اختصارا مفيدا ورتبته ترتيبا جديدا وزدت عليه شيئا زهيدا وقسمته الى أربعة أقسام)

(القسم الاول ما ورد عن الله ورسوله وأئمة الاسلام)

فمما ورد من ذلك عن الله تعالى فى القرآن قال الله تعالى فى سورة البقرة ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ الى أن قال تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (ومما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك) روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعبرانية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ الآية وفى شرح البخارى للحافظ ابن حجر اخرج احمد وابن أبى شيبة والبزار فى حديث جابر أن عمر أتى الى النبى صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه فغضب وقال لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شىء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه الا أن يتبعنى * وأخرج البزار ايضا من طريق عبد الله بن ثابت الانصارى ان عمر نسخ صحيفة من التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء وروى ابن جرير عن عثمان بن عفان رضى الله عنه كما فى تفسير الدر المنثور للحافظ السيوطى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الويل جبل فى النار وهو الذى أنزل فى اليهود لانهم حرفوا التوراة وزادوا فيها ما أحبوا ومحوا منها ما كانوا يكرهون

انتهى (ومما ورد عن الصحابة رضى الله عنهم فى ذلك) روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذى أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث تقرؤنه محضا لم يشب وقد حدثكم ان أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا الا ينهاكم ماجاءكم من العلم عن مسألتهم لاوالله ماأينا منهم رجلا يسألكم عن الذى أنزل عليكم * وروي البخارى ايضا ان معاوية رضى الله عنه كان يحدث رهطا من قريش بالمدينة وذكر كعب الاحبار فقال ان كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبهل عليه الكذب قال الحافظ ابن حجر نبهل نختبر عليه الكذب أى يقع بعض ما يخبرنا عنه بخلاف مايخبرنا به قال ابن التين وهذا نحو قول ابن عباس فى حق كعب المذكور بدل من قبله فوقع فى الكذب * وأخرج عبد الرزاق من طريق حريث بن ظهير قال قال عبدالله لا تسألوا أهل الكتاب فانهم لم يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم لئلا تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل قال بن بطال عن المهلب هذا النهى انما هو في سؤالهم عما لا نص فيه لان شرعنا مكتف بنفسه فاذا لم يوجد فيه نص فعن النظر والاستدلال غنى عن سؤالهم وأما قوله تعالى (فَاسْأَلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَؤُنَ ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ) فالمراد به من آمن منهم فيما يتعلق بالتوحيد والرسالة المحمدية والنهى عما سوى ذلك (ومما ورد عن أئمة الاسلام فى ذلك فمنهم الامام البغوى) فى تفسيره معالم التنزيل عند قوله تعالى فى سورة المائدة (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) قال معنى أمانة القرآن أى المستفادة من قوله

مهيمنا بمعنى مؤتمنا وقال ابن جريج القرآن أمين على ماقبله من الكتاب فما أخبر أهل الكتاب عن كتابهم فان كان فى القرآن فصدقوه والا فكذبوه وقال سعيد بن المسيب والضحاك قاضيا وقال الخليل رقيبا وحفيظا ومعنى الكل ان كل كتاب يشهد بصدقه القرآن فهو كتاب الله ومالا فلا اه وفى تفسير المظهرى ان كان فى القرآن تصديقه فصدقوه. وان كان فى القرآن تكذيبه فكذبوه وان كان القرآن ساكتا عنه فاسكتوا عنه لاحتمال الصدق والكذب اه (ومنهم الامام فخر الدين الرازى) قال فى كتابه المطالب العالية وأما دعوة عيسى عليه السلام فكأنه لم يظهر لها تأثير الافي القليل وذلك لانا نقطع بأنه مادعا الى الدين الذى يقول به هؤلاء النصارى لان القول بالاب والابن والتثليث أقبح أنواع الكفر وأفحش أقسام الجهل ومثل هذا لايليق بأجهل الناس فضلا عن الرسول المعظم المعصوم فعلمنا انه ما كانت دعوته البتة الى هذا الدين الخبيث وانما كانت دعوته الى التوحيد والتنزيه ثم ان تلك الدعوة ماظهرت البتة بل بقيت مطوية غير مروية فثبت انه لم يظهر لدعوته عليه السلام الى الحق أثر البتة انتهى كلام الفخر وهو يتضمن وقوع التحريف والتبديل في الانجيل الذى في أيدى النصارى (ومنهم الامام تقى الدين بن تيمية) قال فى كتابه تخجيل من حرف الانجيل فى حق هذه الاناجيل المشهورة انها ليست هي الاناجيل الحق المبعوث بها الرسل المنزلة من عند الله تعالى والانجيل الحق انما هو الذى نطق به المسيح وقال عن بولص انه طمس رسوم التوراة اه (ومنهم الامام شمس الدين بن القيم الجوزية) قال فى كتابه هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصاري ان هذه التوراة التى بأيدى اليهود فيها من

الزيادة والتحريف والنقصان مالا يخفى على الراسخين فى العلم وهم يعلمون قطعا ان ذلك ليس فى التوراة التى أنزلها الله على موسى عليه السلام ولافى الانجيل الذى أنزله الله على المسيح عليه السلام وكيف يكون فى الانجيل الذى أنزله الله على المسيح قصة صلبه وما جرى له وانه أصابه كذا وكذا وانه قام من القبر بعد ثلاث وغير ذلك مما هو من كلام شيوخ النصارى وقد ذكر غيرواحد من علماء الاسلام ماينهما من التفاوت والزيادة والنقصان والتناقض ولولا الاطالة وقصد ماهو أهم منه لذكرنا منه طرفا كبيرا اه (ومنهم الامام القرطبى) قال فى كتاب الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والاوهام الموجود فى مكتبة الكبرلى في القسطنطينية المحمية ان الكتاب الذى بيد النصارى الذى يسمونه بالانجيل ليس هو الانجيل الذى قال الله فيه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم (وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ) ثم أورد الدليل على هذه الدعوى وأثبت ان الحواريين ماكانوا أنبياء ولا معصومين عن الغلط وما ادعوه من كراماتهم لم ينقل شيء منه على التواتر بل هى أخبار آحاد غير صحيحة ولو سلمنا صحتها لما دلت على صدقهم في كل الاحوال وعلى نبوتهم لأنهم لم يدعوا النبوة لانفسهم وانما ادعوا التبليغ عن عيسى عليه السلام ثم قال فظهر من هذا البحث ان الانجيل المدعى لم ينقل تواترا ولم يقم دليل على عصمة ناقليه فاذا يجوز الغلط والسهو على ناقليه فلا يحصل العلم بشىء منه ولا غلبة الظن فت ولا يعول فى الاحتجاج عليه وهذا كاف في رده و بيان قبول تحريفه وعدم الثقة بمضمونه ولكنا مع ذلك نعمد منه الى مواضع تبين فيها تهافت نقلته ووقوع الغلط فى نقله ثم بعد ان نقل المواضع

المذكورة قال فقد حصل من هذا البحث الصحيح ان التوراة والانجيل لايحصل الثقة بهما فلا يصح الاستدلال بها لكونهما غير متواترين وقابلين للتغيير وقد دللنا على بعض ماوقع فيهما من ذلك واذا جاز مثل ذلك على هذين الكتابين مع كونهما أشهر ما عندهم وأعظم عمدتهم ومستند ديانتهم فما ظنك بغير ذينك من سائر كتبهم التى يستدلون بها مما ليس مشهورا مثلهما ولا منسوبا الى الله نسبتهما فعلى هذا هو أولى بعدم التواتر و بقبول التحريف منهما انتهى كلام القرطبى * (ومنهم الامام المقريزى) قال في تاريخه تزعم اليهود أن توراتهم بعيدة عن التخاليط وتزعم النصارى ان توراة السبعين التى هي بأيديهم لم يقع فيها تحريف ولا تبديل وتقول اليهود فيها خلاف ذلك وتقول السامرية بأن توراتهم هى الحق وما عداها باطل وليس فى اختلافهم مايزيل الشك بل يقويه وهذا الاختلاف بعينه بين النصارى أيضا فى الانجيل وذلك ان له عند النصارى أربع نسخ مجموعة فى كتاب واحد أحدها انجيل متى والثاني لماريقوس والثالث للوقا والرابع ليوحنا قد ألف كل من هؤلاء الاربعة انجيلا على حسب دعوته فى بلاده وهى مختلفة اختلافا كثيرا حتى فى صفات المسيح عليه السلام وأيام دعوته و وقت الصلب بزعمهم وفى نسبه أيضا وهذا الاختلاف لايحتمل مثله ومع هذا فعند كل من أصحاب ماركيون وأصحاب ابن و يصان انجيل يخالف بعضه هذه الاناجيل ولاصحاب مانى انجيل على حدة يخالف ماعليه النصارى من أوله الى آخره ويزعمون انه هو الصحيح وماعداه باطل ولهم أيضا انجيل يسمى انجيل السبعين ينسب الى تلامس والنصارى وغيرهم ينكرونه واذا كان الامر من الاختلاف بين أهل الكتاب كما

قد رأيت ولم يكن للقياس والرأى مدخل فى تميز حق ذلك من باطله امتنع الوقوف على حقيقة ذلك من قبلهم ولا يعول على شيء من أقوالهم فيه (ومنهم الامام بدر الدين العينى الحنفى) فى شرحه على البخارى عند حديث نسخ القبلة من الجزء الاول ثبت قطعا عندنا بأخبار الله تعالى انهم أى اليهود حرفوا التوراة فلم يبق نقلهم حجة فلهذا قلنا لم يجز الايمان بالتوراة التى فى أيديهم حتى بالغ بعض الشافعية وجوزوا الاستنجاء بذلك بل انما يجب الايمان بالتوراة التى أنزلت على موسى مع ان شرط التوراة لم يوجد في نقل التوراة اذ لم يبق من اليهود عدد التواتر فى زمن بختنصر لان أهل التواريخ اتفقوا على انه لما استولى بختنصر على بنى اسرائيل قتل رجالهم وسبى ذراريهم وأحرق أسفار التوراة حتى لم يبق فيهم من يحفظ التوراة وزعموا ان الله ألهم عزيرا عليه السلام حتى قرأها من صدره ولم يكن أحد قرأها حفظا لا قبله ولا بعده ولهذا قالوا ابنه ابن الله وعبدوه ثم دفعها عزير عند موته الى تلميذ له ليقرأها على بني اسرائيل فاخذوها عن ذلك الواحد وبه لا يثبت التواتر وزعم بعضهم انه زاد فيها شيئا وحذف شيئا فكيف يوثق بما هذا سبيله اه ولم يذكر هذا في اظهار الحق (ومنهم الامام ملا كاتب جلبى) قال في كتابه كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون في بيان الانجيل كتاب انزله الله سبحانه وتعالى على عيسى ابن مريم عليهما السلام ثم بعد ان ردكون هذه الاناجيل الاربعة من كلام الله تعالى قال وأما الذى جاء به عيسى فهو انجيل واحد لا تدافع فيه ولا اختلاف وهؤلاء كذبوا على الله سبحانه وتعالى وعلى نبيه عيسى عليه السلام اه (ومنهم عبد السلام) الذى كان من أحبار اليهود وأسلم فى عهد السلطان بايزيد خان في رسالته الهادية التي ألفها بعد اسلامه

اعلم انا قد وجدنا فى أشهر تفاسير التوراة المسمى عندهم بالتلموذان فى زمان تلماى الملك وهو بعد بختنصر ان تلماى الملك قد طلب من أحبار اليهود التوراة فخافوا على اظهارها لانه كان منكرا لبعض أوامرها فاجتمع سبعون رجلا من أحبار اليهود فغيروا ماشاؤا من الكلمات التى كان ينكرها ذلك الملك خوفا منه انتهى (ومنهم الامام رحمة الله صاحب اظهار الحق) قد ذكر فى كتابه اظهار الحق فى الباب الاول والثانى منه مائة وسبعين صفحة فصل فيها الدلائل والبراهين على وقوع التحريف والتبديل فى التوراة والانجيل تفصيلا لم يسبقه اليه سواه ولا يمكن ان لا يسلمه أحد عنده أدنى فهم وانصاف من خلق الله ومما قاله في ذلك اعلم ان التوراة الاصلى وكذا الانجيل الاصلى فقد اقبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم والموجودان الآن بمنزلة كتابين من السير مجموعين من الروايات الصحيحة والكاذبة ولا نقول انهما كانا موجودين على اصالتهما الى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ثم وقع فيهما التحريف حاشا وكلا والتوراة عندنا ما أوحى الى موسى عليه السلام والانجيل ما اوحى الى عيسى عليه السلام وأما هذه التواريخ والرسائل الموجودة الآن فهى ليست التوراة والانجيل المذكورين في القرآن فليس واجبى التسليم بل حكمهما وحكم سائر الكتب من العهد العتيق ان كل رواية من رواياتها ان صدقها القرآن فهى مقبولة يقينا وان كذبها القرآن فهى مردودة يقينا وان كان القرآن ساكتا عن التصديق والتكذيب فنسكت عنه فلا نصدق ولا نكذب قال رحمه الله وقد استفتى بعض فضلاء الهند عن هذه الاناجيل من علماء الهند شرقا وغربا من أهل السنة والشيعة فاجابوا

جميعهم بأن هذا المجموع المشتهر الآن بالعهد الجديد ليس بمسلم عندنا وليس هذا هو الانجيل الذى جاء ذكره فى القرآن بل هو عندنا عبارة عن الكلام الذي انزل على عيسى عليه السلام ثم ذكر أن علماء النصارى يدعون لتغليط العوام انه يوجد سند لهذه الاناجيل فى القرن الاول والثانى وان انجيل مرقص ولوقا الهاميان ورد ذلك ردا شافيا ومما قاله فى منع دعوى انه يوجد لهاسند ان السند المتنازع بيننا وبينهم هو السند المتصل وهو عبارة عن ان يروى الثقة بواسطة أو بوسائط عن الثقة الآخر بانه قال ان الكتاب الفلاني تصنيف فلان الحوارى أو فلان النبى وسمعت هذا الكتاب كله من فيه أو قرأته عليه أو أقر عندى بقوله ان هذا الكتاب تصنيفى وتكون الواسطة أو الوسائط من الثقاة الجامعين لشروط الرواية فمثل هذا السند لا يوجد عندهم من آخر القرن الثانى أو أول القرن الثالث الى مصنف الاناجيل وطلبنا هذا السند مرارا وتتبعنا في كتب اسانيدهم فما نلنا المطلوب بل اعتذر القسيس فرنج فى مجلس المناظرة انه لا يوجد هكذا سند عندهم لاجل وقوع الحوادث العظيمة فى القرون الاولى من القرون المسيحية الى ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة ولا تنكر الظن والتخمين ولانقول انهم لاينسبون كتبهم الى مصنفها بالظن والقرائن ايضا بل نقول ان الظن والقرائن لا تسمى سندا كما علمت ولا تنكر اشتهار هذه الاناجيل فى آخر القرن الثاني أو ابتداء القرن الثالث وما بعده اشتهارا ناقصا قابلا للتحريف غير مانع منه بل نقر بالاشتهار الناقص الذى لا يمنع من التحريف انتهى

﴿القسم الثانى ما ورد عن بعض علماء النصارى المعتبرين عندهم﴾
(كعلماء طائفة البروتستانت والكاتوليك)

(فمن علمائهم المعتبرين عندهم هورن) قال فى المجلد الثانى من تفسيره فى بيان الترجمة اليونانية هذه الترجمة قديمة جدا وكانت معتبرة غاية الاعتبار فيما بين اليهود والقدماء المسيحيين وكانت تقرأ دائما فى معابد الفريقين وما نقل المشايخ المسيحية لاطينيين كانوا أو يونانيين الا عنها وكل ترجمة سلمتها الكنيسة المسيحية ترجمت منها فى ألسنة اخرى مثل العربية والارمنية ثم قال والحق عندنا انها ترجمت قبل ميلاد عيسى بمائتين وخمس وثمانين سنة ثم قال ويكفى لكمال شهرتها دليل واحد وهو ان مصنفى العهد الجديد ما نقلوا الفقرات الكثيرة الا عنها وجميع المشايخ القدماء غير ارجن وجيروم ما كانوا واقفين على اللسان العبرانى وكانوا معتمدين على النقل عنها وراضين بها ويفهمونها كافية في جميع مطالبهم والكنيسة اليونانية كانت تعتقدها كتابا مقدسا وتعظمها ثم قال وهذه الترجمة كانت تقرأ في الكنيسة اليونانية واللاطينية الى الف وخمسمائة وكان السند يؤخذ منها وكانت معتبرة فى معابد اليهود فى أول القرن ثم لما استدل المسيحيون عليهم من هذه الترجمة أطالوا ألسنتهم عليها انها ليست موافقة للمتن العبرى وجعلوا فى ابتداء القرن الثانى يسقطون الفقرات الكثيرة منها ثم تركوها واختاروا ترجمة أيكويلا ولما كانت مستعملة عند اليهود الى أول القرن المسيحى وعند المسيحيين الى مدة كثرت نقولها ووقعت فيها الاغلاط بسبب تحريف صدر عن اليهود قصدا وكذلك بسبب غلط الكاتبين ودخول عبارة الشرح والحاشية بالمتن انتهى * وذكر هورن أيضا فى المجلد الاول من تفسير هنرى واسكات انا كستائن كان

يقول ان اليهود قد حرفوا النسخة العبرانية فى بيان زمان الاكابر الذين قبل زمن الطوفان وبعده الى زمن موسى عليه السلام وفعلوا هذا الامر لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة ولعناد الدين المسيحى ويعلم ان القدماء المسيحيين كانوا يقولون مثله وكانوا يقولون ان اليهود حرفوا التوراة فى سنة ١٣٠ مسيحية انتهى * واكستائن هذا الذى ذكره كان أعلم علمائهم في القرن الرابع من القرون المسيحية * وذكر أى هورن فى الباب الثامن من المجلد الثانى من تفسيره لوقوع الغلط فى اختلاف العبارة أسبابا أربعة (السبب الاول) غفلة الكاتب وسهوه ويتصور على وجوه (الاول) ان الذى كان يلقى العبارة على الكاتب التى ما القى والكاتب لم يفهم قوله فكتب ما كتب (والثانى) ان الحروف العبرانية واليونانية كانت متشابهة فكتب احدهما بدل الآخر (والثالث) ان الكاتب ظن أن الاعراب خطأ أو أن الخط الذى كان يكتب عليه جزء الحرف أو ما فهم أصل المطلب فأصلح العبارة وغلط (والرابع) ان الكاتب انتقل من موضع الى موضع فلما تنبه لم يرض أن يمحو ما كتب وكتب من الموضع الذى كان ترك مرة أخرى وأبقى ما كتبه قبله أيضا (والخامس) ان الكاتب ترك شيئا فبعد ما كتب شيئا آخر تنبه وكتب العبارة المتروكة بعده فانتقلت العبارة من موضع الى موضع آخر (والسادس) أن نظر الكاتب أخطأ ووقع على سطر آخر فسقطت عبارة ما (والسابع) ان الكاتب غلط فى فهم الالفاظ المخففة فكتبها على فهمه كاملة فوقع الغلط (والوجه الثامن) وهو آخر الوجوه المتصورة بغفلة الكاتب وسهوه ان جهل الكاتبين وغفلتهم منشأ عظيم لوقوع الغلط فى العبارة بأن فهموا عبارة الحاشية أو التفسير جزء المتن فأدخلوها (والسبب الثانى) للغلط في العبارة نقصان

النسخة المنقول عنها وهو أيضا يتصور على وجوه (الوجه الاول) امحاء اعراب الحروف (والثانى) ان الاعراب الذي كان في صفحة ظهر فى جانب آخر منها في صفحة أخرى وامتزج بحروف الصفحة الاخرى وفهم جزأ منها (والوجه الثالث) من الوجوه المتصورة لنقصان النسخة المنقول عنها ان الفقرة المتروكة كانت مكتوبة على الحاشية بلا علامة فلا يعلم الكاتب الثانى ان هذه الفقرة تكتب فى أى موضع فغلط (والسبب الثالث) لاختلاف العبارة التصحيح الخيالى والاصلاح وهذا ايضا وقع على وجوه (الوجه الاول) ان الكاتب فهم العبارة الصحيحة فى نفس الامر ناقصة أو غلط فى فهم المطلب أو تخيل ان العبارة غلط بحسب القاعدة وما كانت غلطا لكن كان هذا الغلط الذى صدر عن الكاتب لم يصدر عن المصنف في نفس الامر (الثانى) ان بعض المحققين ما اكتفوا على اصلاح الغلط بحسب القاعدة فقط بل بدلوا العبارة الغير فصيحة بالفصيحة وأسقطوا الفصول أو الالفاظ المترادفة التى لم يظهر لهم فرق فيها (والثالث) وهو أكثر الوجوه وقوعا انهم سووا الفقرات المقابلة وهذا التصرف وقع في الاناجيل خصوصا ولاجل ذلك كثر الالحاق في رسائل بولس لتكون العبارة التى نقلها عن العهد العتيق مطابقة للترجمة اليونانية (والوجه الرابع) من وجوه التصحيح والاصلاح ان بعض المحققين جعل العهد الجديد مطابقا للترجمة اللاطينية (السبب الرابع) لاختلاف العبارة التحريف القصدى الذى صدر عن أحد لاجل مطلبه سواء كان المحرف من أهل الديانة أو من المبتدعين وما ذم أحد في المبتدعين القدماء أزيد من مارسيون وما استحق الملامة أحد أزيد منه بسبب هذه الحركة الشنيعة وهذا الامر أيضا محقق ان بعض التحريفات القصدية صدرت

عن الذين كانوا من أهل الديانة والدين وكانت هذه التحريفات ترجح عند بعضهم ليؤيد بها مسألة مقبولة أو يدفع بها الاعتراض الوارد عليها انتهى كلام هورن ملخصا * قال الشيخ رحمة الله وأورد هورن أمثلة كثيرة فى بيان أقسام كل سبب من الاسباب الاربعة ولما كان فى ذكرها طول تركتها لكن أذكر الامثلة التي نقلها لتحريف أهل الديانة والدين من كتاب فافا قال مثلا ترك قصدا الآية الثالثة والاربعين من الباب الثانى والعشرين من انجيل لوقا لان بعض أهل الدين ظنوا ان تقوية الملك للرب منافية لالوهيته * وترك قصدا فى الباب الاول من انجيل متى هذه الالفاظ (قبل ان يجتمعا) فى الآية الثامنة عشر وهذه الالفاظ (ابنها البكر) في الآية الخامسة والعشرين لئلا يقع الشك فى البكارة الدائمية لمريم عليها السلام * و بدل لفظ اثنى عشر باحدى عشر فى الآية الخامسة من الباب الخامس عشر من الرسالة الاولى لبولص الى أهل قورنثوس لئلا يقع الزام الكذب على بولص لان يهود السخريوطى كان قدمات قبل وترك بعض الالفاظ فى الآية الثانية والثلاثين من الباب الثالث عشر من انجيل مرقص ورد هذه الالفاظ بعض المرشدين أيضا لانهم تخيلوا انها مؤيدة لفرقة أيرين * وزاد بعض الالفاظ في الآية الخامسة والثلاثين من الباب الاول من انجيل لوقا فى الترجمة السريانية والفارسية والعربية وغيرها من التراجم وفى كثير من نقول المرشدين فى مقابلة فرقة لوتى كينس لانها كانت منكرة ان عيسى عليه السلام فيه صفتان انتهى كلام هورن (ومن علمائهم المعتبرين عندهم المؤرخ موشم) قال فى صفحة ٦٥ من المجلد الاول من تاريخه المطبوع سنة ١٨٣٢ كان بين متبعى رأى أفلاطون وفيشاغورس مقولة مشهورة ان

الكذب والخدع لاجل ان يزداد الصدق وعبادة الله تعالى ليسا بجائزين فقط بل قابلان للتحسين وتعلم أولا منهم يهود مصر هذه المقولة قبل المسيح كما يظهر هذا جزما من كثير من الكتب القديمة ثم أثر هذا الغلط السوء في المسيحيين كما يظهر هذا الامر من الكتب الكثيرة التى نسبت الى الكبار كذبا انتهى كلام موشيم * قال الشيخ رحمة الله بعده فاذا صار هذا الكذب والخداع من المستحبات الدينية عند اليهود قبل المسيح عليه السلام وعند المسيحيين أيضا فى القرن الثاني فما بقى للجعل والتحريف والكذب حد ففعلوا مافعلوا (ومن علمائهم المعتبرين عندهم لاردنر) قال في صفحة ١٢٤ من المجلد الخامس من تفسيره هكذا حكم على الاناجيل المقدسة لاجل جهالة مصنفيها بانها ليست حسنة فأمر السلطان انا سطيوث فى الايام التى كان فيها حاكما فى القسطنطينية فصححت مرة أخرى انتهى * قال الشيخ رحمة الله بعده لو كانت هذه الاناجيل الهامية وثبتت عند القدماء فى عهد السلطان المذكور بالاسناد الجيد انها تصنيفات الحواريين وتابعيهم فلا معنى لجهالة المصنفين وتصحيحها مرة أخرى فثبت انها كانت الى ذلك العهد غير ثابت اسنادها وكانوا يعتقدون انها الهامية فصححوا على قدر الامكان اغلاطها وتناقضاتها فثبت التحريف على اكمل وجه يقينا وثبت انها غير ثابتة بالاسناد وظهر ان مايدعيه علماء بروتستانت في بعض الاحيان ان الكتب المقدسة لم يتصرف بها أحد من السلاطين والحكام فى زمان من الازمان باطل قطعاً (ومن علمائهم المعتبرين عندهم واتسن) قال فى صفحة ٢٨٣ من المجلد الثالث من كتابه مضت مدة على ان أرجن كان يشكو من هذه الاختلافات وكان ينسب ذلك الى أسباب مختلفة مثل تفاضل الكاتبين وشرهم وعدم مبالاتهم

(ومن علمائهم المعتبرين عندهم جيروم) قال انى لما أردت ترجمة العهد الجديد قابلت نسخه التى كانت عندى فوجدت اختلافاً عظيما (ومن علمائهم المعتبرين عندهم آدم كلارك) قال في المقدمة من المجلد الاول من تفسيره كانت الترجمات الكثيرة باللسان اللاطينى من المترجمين المختلفين موجودة قبل جيروم وكان بعضها محرفاً فى غاية درجة التحريف وبعض مواضعها مناقضاً للمواضع الاخرى كما يستغيث جيروم انتهى * وقال آدم كلارك أيضاً فى شرح الآية الثامنة عشر من الباب السابع عشر من سفر صموئيل الاول هكذا فى هذا الباب من هذه الآية الى الحادية والثلاثين والحادية والاربعين والرابعة والخمسين الى آخر الباب وفى الباب الثامن عشر الآيات الخمسة من أول هذا الباب والآية التاسعة والعاشرة والحادية عشرة والسابعة عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة لاتوجد في الترجمة اليونانية وتوجد فى نسخة اسكندريانوس انظروا في آخر هذا الباب ان كنكات حقق ان هذه الآيات المذكورة ليست جزأً من الاصل انتهى ثم نقل فى آخر الباب المذكور تقرير كنكات فى غاية الاطناب بحيث ظهر منه كون هذه الآيات محرفة الحاقية وأنا أنقل عنه بعض الجمل قال انى قلت متى وجد هذا الالحاق قلت كان اليهود فى عهد يوسيفس يريدون ان يزينوا الكتب المقدسة باختراع الصلوات والغناء واختراع الاقوال الجديدة انظروا الى الالحاقات الكثيرة في كتاب استير والى حكاية الخمر والنساء والصدق التى زيدت فى كتاب عزرا وناحميا وتسمى الآن بالكتاب الاول بعزرا والى غناء الاطفال الثلاثة الذى زيد فى كتاب دانيال والى الالحاقات الكثيرة فى كتاب يوسيفس فيمكن ان هذه الآيات كانت مكتوبة فى الحاشية ثم دخلت في المتن لاجل

عدم مبالاة الكاتبين انتهى * قال الشيخ رحمة الله أقول لما كانت هذه عادة اليهود فى عهد يوسيفس كما أقر به كنكات وحرفوا بمقدار الذى صرح به هنا وصرح بغيره في مواضع أخر فكيف يعتمد على دياناتهم في هذه الكتب لانه لما كان مثل هذا التحريف سبباً لتزيين الكتب المقدسة فما كان هذا مذموماً عندهم فكانوا يفعلون مايفعلون وعدم مبالاة الكاتبين كان سبباً لشيوع تحريفاتهم في النسخ فوقع من الفساد ماوقع فظهر ان مايتفوه به علماء بروتستانت في تقريراتهم وتحريراتهم على سبيل المغالطة ان التحريف لم يصدر عن اليهود لانهم كانوا أهل ديانة وكانوا يعترفون بكون كتب العهد العتيق كلام الله هو سفسطة محضة * وقال آدم كلارك أيضاً فى المجلد الثانى من تفسيره قد وقعت فى كتب التواريخ من العهد العتيق تحريفات كثيرة بالنسبة الى المواضع الاخر والاجتهاد في التطبيق عبث والاحسن ان يسلم من أول وهلة الامر الذى لاقدرة على انكاره بالظفر ومصنفو العهد العتيق وان كانوا ذوى الهام لكن الناقلين لم يكونوا كذلك انتهى * وقال آدم كلارك أيضاً فى المجلد الثانى بمناسبة الغلط الصريح الواقع فى الباب الثالث عشر من السفر الثانى من أخبار الايام قال وحصل لنا موضع الاستغاثة كثير ان وقوع التحريف فى أعداد كتب التواريخ هذه انتهى * وقال آدم كلارك أيضاً في المجلد الثانى من تفسيره لايمكن صحة هاتين العبارتين وتعيين الصحيحة عسير والاغلب انها الاولى والعبارتان المذكورتان الاولى منهما الآية التاسعة من الباب الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثانى هكذا بنو اسرائيل كانوا ثمانمائة الف رجل شجاع وبنو يهودا خمسمائة الف رجل شجاع والثانية هي الآية الخامسة من الباب الحادى والعشرين من سفر الملوك الاول

هكذا فبنو اسرائيل كانوا ألف ألف ومائة ألف رجل شجاع وبنوا يهودا كانوا أربعمائة وسبعين ألف رجل شجاع * قال الشيخ رحمه الله فهذا المفسر يعنى آدم كلارك قد اعترف بالتحريف لكنه لم يقدر على التعيين واعترف ان التحريفات فى كتب التواريخ من التوراة كثيرة وقد انصف اذ قال ان الطريق الاسلم تسليم وقوع التحريف فيها من أول وهلة * قال الشيخ رحمه الله وفي الباب الثالث عشر من السفر الثانى من أخبار الايام وقع فى الآية الثالثة لفظ أربعمائة ألف في مقدار عسكر أبياهو ولفظ ثمانمائة ألف في تعداد عسكر ياربعام وفى الآية السابعة عشر لفظ خمسمائة ألف في تعداد المقتولين من عسكر ياربعام ولما كانت هذه الاعداد بالنسبة الى هؤلاء الملوك مخالفة للقياس غيرت فى أكثر نسخ الترجمة اللاطينية الى أربعين ألفا في الموضع الاول وثمانين ألفا فى الموضع الثانى وخمسين ألفا فى الموضع الثالث ورضى المفسرون بهذا التغيير قال آدم كلارك يعلم ان العدد الصغير أى الواقع فى النسخة اللاطينية هو فى غاية الصحة قال وحصل لنا موضع الاستغاثة كثيرا من وقوع التحريف فى أعداد كتب التواريخ هذه أى من التواراة انتهي كلامه * ووافقه على تصحيح العدد الصغير الموجود فى النسخة اللاطينية هورن فى المجلد الاول من تفسيره * وقال آدم كلارك أيضا في ذيل عبارة لاشعيا نقلها بولص على وجه آخر واني متحير ماذا أفعل فى هذه المشكلات غير ان أضع بين يدى الناظر أحد الامرين اما أن يعتقد بأن اليهود حرفوا هذا الموضع فى المتن العبرانى والترجمة اليونانية تحريفا قصديا كما هو المظنون بالظن القوى فى المواضع الاخر المنقولة فى العهد الجديد عن العهد العتيق واما ان يعتقد الناظر أن بولص

مانقل عن ذلك الكتاب أى كتاب أشعيا بل نقل عن كتاب أو كتابين من الكتب الجعلية أعنى معراج أشعيا ومشاهدات ايلياء اللذين وجدت هذه الفقرة فيهما وظن البعض ان الحوارى أى بولص نقل عن الكتب الجعلية ولعل الناس لايقبلون بسهولة الاحتمال الاول وهو التحريف القصدى من اليهود فانبه الناظرين تنبيها بليغا على ان جيروم عد الاحتمال الثانى يعنى نقل بولص الحوارى عن الكتب الجعلية أى الكاذبة أسوأ من الالحاد انتهى كلام كلارك وهو محقق ومثبت للتحريف البتة اما في كتاب أشعيا الذي هو من العهد العتيق واما فى رسالة بولص الحوارى التي هي من العهد الجديد وعبارة كتاب أشعيا فى الباب الرابع والستين هى هذه (لان الانسان من القديم ماسمع وما وصل الى اذن أحد وما رأت عينا أحد الها غيرك يفعل لمنتظر يه مثل هذا) ونقلها بولص هكذا (بل كما كتب ان الاشياء التى هيأها الله للذين يحبونه مما لاعين رأت ولا اذن سمعت ولم يخطر بخاطر انسان) والاختلاف بين هاتين العبارتين لايخفى على أحد ولايمكن الجمع بينهما بوجه من الوجوه (ومن علمائهم المعتبرين عندهم هنرى واسكات) قال فى تفسيره فى شأن العبارتين السابقتين الرأى الحسن ان المتن العبرى محرف (ومن علمائهم المعتبرين عندهم هارسلى) قال فى صفحة ٣٣٠ من المجلد الاول من تفسيره ان كنكات فى الباب السابع عشر من سفر صموئيل يعلم ان عشرين آية من الآية الثانية عشرة الى الآية الحادية والثلاثين الحاقية وقابلة للاخراج ويقول اذا صححت ترجمتنا مرة أخرى فلا ندخل هذه الآيات فيها انتهى * وقال المفسر هارسلى أيضا فى صفحة ٢٧٥ من المجلد الثالث هذا القول صادق البتة ان المتن العبرى كان بعد حادثة

بختنصر بل لعله كان قبلها أيضا قبيلة يسيرة فى أشنع حالة التحريف
بالنسبة الى الحالة التى حصلت له فى وقتها بعد تصحيح عزرا ثم قال
هارسلى أيضاً فى صفحة ٢٨٢ من المجلد الثالث من تفسيره فى مقدمة
كتاب يوشع هكذا هذا القول ان المتن المقدس حرف لاريب فيه
وظاهر من اختلاف النسخ لان العبارة الصحيحة فى العبارات المختلفة
لاتكون الا واحدة وهذا مظنون بل أقول قريب من اليقين ان العبارات
القبيحة جدا دخلت فى بعض الاحيان فى المتن المطبوع لكن لم يظهر
لى دليل على أن التحريفات فى كتاب يوشع أكثر من سائر كتب العهد
العتيق انتهى كلام هارسلى (ومن علمائهم المعتبرين عندهم ممفرد
كاتوليك) قال فى كتاب سؤالات السؤال المطبوع فى لندن سنة ١٨٤٣
بخصوص الآية الثالثة والعشرين من الباب الثانى من انجيل متى وهى
(ثم أتى وسكن فى بلد تسمى ناصرة ليكمل قول الانبياء انه سيدعى
ناصريا) الكتب التى كان فيها هذا انمحت لان كتب الانبياء الموجودة
الآن لايوجد في شيء منها ان عيسى يدعى ناصريا قول كرب ذاستم فى
تفسيره التاسع على متى انمحى كثير من كتب الانبياء لان اليهود ضيعوا
كتبا لاجل غفلتهم بل لاجل عدم ديانتهم ومزقوا بعضها وأحرقوا
بعضها وهذا هو الاغلب جدا انهم مزقوا الكتب وحرفوها لانهم
لما رأوا ان الحواريين يتمسكون بهذه الكتب فى اثبات مسائل الملة
المسيحية فعلوا هذا الامر ويعلم هذا من اعدامهم كتبا نقل عنها متى
انظروا الى جبستن يقول فى المناظرة لطريفون اليهود أخرجوا كتبا
كثيرة من العهد العتيق فيظهر ان العهد الجديد ليس له موافقة تامة
بالعهد العتيق و يعلم من هذا ان الكتب الكثيرة انمحت انتهى كلام

ممفرد * قال الشيخ رحمة الله بعد هذا ويظهر منه أمران الاول ان اليهود
مزقوا بعض الكتب وأحرقوا البعض لاجل عدم ديانتهم والثانى ان
التحريف كان سهلا فى سالف الزمان ألا ترى كيف انمحت هذه
الكتب باعدامها من صفحة العالم واذا عرفت ديانة أهل الكتاب
بالنسبة الى الكتب الالهية وعرفت سهولة وقوع التحريف فى الزمن
السالف أي استبعاد عقلى أونقلى لوقلنا انهم فعلوا مثله بالكتب والعبارات
التي كانت نافعة للمسلمين (ومن علمائهم المعتبرين عندهم انسائى
كيلو بيديا ريس) قال في المجلد الرابع من كتابه قال داكتر كنكات
ان نسخ العهد العتيق التي هى موجودة كتبت مابين ألف وألف
وأربعمائة واستدل من هذا وقال ان جميع النسخ التى كانت كتبت فى
المائة السابعة أو الثامنة أعدمت بأمر محفل الشورى لليهود لانها كانت
تخالف مخالفة كثيرة للنسخ التى كانت معتمدة عندهم ونظرا الى
هذا قال والتن أيضا ان النسخ التى مضت على كتابتها ستمائة سنة قلما
توجد والتى مضت على كتابتها سبعمائة سنة أو ثمانمائة سنة ففى غاية
الندرة انتهى فاقر داكتر كنكات الذى عليه اعتماد فرقة بروتستانت
في تصحيح كتب العهد العتيق ان النسخ التى كانت كتبت فى المائة السابعة
أو الثامنة ماوصلت اليه بل وصلت اليه النسخ التى كتبت مابين ألف
وألف وأربعمائة وبين وجهه ان اليهود ضيعوا النسخ الاول لانها كانت
تخالف مخالفة كثيرة لنسخهم المعتمدة وكذا قال والتن * قال الشيخ
رحمة الله أقول ان هذا الاعدام والتضييع حصل بعد ظهور محمد صلى
الله عليه وسلم بأزيد من مائتى سنة فلما انمحت جميع النسخ المخالفة لنسخهم
عن صفحة العالم وأثر تحريفهم أثرا بلغ الى هذه الرتبة و بقيت عندهم

النسخ التى كانوا يرضون بها فكان لهم مجال واسع للتحريف في نسخهم بعد زمان محمد صلى الله عليه وسلم أيضا فلا استبعاد في تحريفهم بعد هذا الزمان بل الحق ان كتب أهل الكتاب قبل ايجاد صنعة الطبع كانت صالحة للتحريف في كل قرن من القرون بل هم لا يتمنعون ولا يبالون بعد ايجاد صنعة الطبع أيضا كما حصل لاتباع لوطر بالنسبة الى ترجمته ذكر ذلك فى الشاهد الحادي والثلاثين من المقصد الثانى من اظهار الحق (ومن علمائهم المعتبرين عندهم وارد من علماء كاتوليك) قال فى الصفحة ١٨ من كتابه المطبوع سنة ١٨٤١ (ان ملحدى المشرق حرفوها) يعنى ترجمة التوراة اليونانية وقال ايضا فى صفحة ١٧ و١٨ من كتابه المذكور قال داكتر هنفرى فى صفحة ١٧٨ من كتابه ان اوهام اليهود خربت يعنى كتب العهد العتيق فى مواضع بحيث يتنبه لها القارىء بسهولة ثم قال خرب علماء اليهود بشارات المسيح تخريبا عظيما * وقال وارد كاتوليك أيضا فى كتابه وصل عرضحال من فرقة بروتستانت الى السلطان جمس الاول بهذا المضمون (ان الزبورات التى هى داخلة فى كتاب صلاتنا مخالفة للعبرى بالزيادة والنقصان والتبديل فى مائتى موضع تخمينا) اه وقال وارد كاتوليك أيضا فى كتابه مبينا أحوال الانكليز البروتستانت وما أفسدوه في تراجمهم للتوراة والانجيل قال مستر كارلايل المترجمون الانكليزيون أفسدوا المطلب وأخفوا الحق وخدعوا الجهال وجعلوا مطلب الانجيل الذى كان مستقيما معوجا وعندهم الظلمة أحب من النور والكذب أحق من الصدق انتهى * وقال ايضا وارد كاتوليك فى كتابه استدعى مستر بروتن من أراكين قونسول للترجمة الجديدة قائلا ان الترجمة التى هي مروجة فى انكلترة هى مملوءة من الاغلاط وقال

للقسيسين ان ترجمتكم الانكليزية المشهورة حرفت عبارات كتب العهد العتيق فى ثمانمائة وثمانية واربعين موضعا وصارت سببا لرد اناس غير محصورين كتب العهد الجديد ودخولهم النار (ومن علمائهم المعتبرين عندهم المعلم ميخاييل مشاقة الدمشقى من علماء بروتستانت) قال فى بيان احوال الكاتوليك وما أفسدوه من كتب التوراة والانجيل وما الحق بهما فى الفصل العاشر من القسم الاول من كتابه العربى المسمى بأجوبة الانجيليين يعنى البروتستانت على أباطيل التقليديين يعنى طوائف النصارى المقلدين الى اسلافهم كالروم والكاتوليك وأما تحريفهم لاقوال الآباء القدماء فلابد أن نقدم دلائلها لئلا نوقف انفسنا فى موقف المخالفين بأن تكون دعاوينا مثلهم بلا برهان فنقول ان الافشين المنسوب الى يوحنا فم الذهب الذى يتلى في الكنائس فى خدمة سر الافتخار لا تجده مطابقا عند الطائفة الواحدة لما عند الطائفة الاخرى لانه عند الروم يطلب فيه من الاب السماوى أن يرسل روحه القدس على الخبز والخمر ناقلا اياهما الى لحم ودم واما عند الكاتوليكيين منهم فيقال فيه ان يرسله على الخبز والخمر لكى ينتقلا و يستحيلا ولكن فى مدة رياسة مكسيموس أى البترك قد غيروا فيه وقالوا المنتقلان المستحيلان هربا من دعوى الروم عليهم بأن الاستحالة تتم به واما عند السريان الكاتوليك فيقال إرسل روحك القدوس على هذا الخبز الذى هو سر جسد مسيحك ولا يوجد فيه كلام يدل على الاستحالة وربما هذا هو قول فم الذهب الاصلى لان تعليم الاستحالة في عصره لم يكن قد تقرر فى الكنائس واما يابيطا مطران صيدا الذى انشأ الانشقاق فى كنيسة الروم وصار كاتوليكيا ففى خطابه لمجمع رومية سنة ١٧٢٢ يقول في هذه القضية انه

موجود عندى كتب في طقس قداسنا يونانية وعربية وسريانية قدقابلناها على النسخة المطبوعة فى رومية للرهبان الباسيليين وجميعها لم يكن فيه كلام يدل على الاستحالة وانما هذه القضية وضعها فى قداس الروم نيكفورس بطريق القسطنطينية وهى موجبة الضحك لمن يتأمل فيها اه أى كلام مطران صيدا قال المعلم مشاقه فاذا كانا أفشين مثل هذا القديس الشهير بين الآباء شرقا وغربا يتلى يوميا فى كنائس جميع الطوائف قد لعبوا فيه وغيروه اشكالا كأغراضهم ولم يخجلوا من ابقائهم نسبته الى هذا القديس فمن اين تبقى لنا ثقة بذمتهم انهم لم يحرفوا اقوال بقية الآباء كاهوائهم مع ابقاء عنوانها باسمهم قال المعلم مشاقه وانما حصل لمشاهدتنا منذ سنين قريبة ان الشماس غبريل القبطى الكاثوليكي صحح ترجمة تفسير انجيل يوحنا ليوحنا فم الذهب عن الاصل اليونانى باتعاب كلية ومصارف وافرة وعلماء الروم العارفون جيدا باللغتين اليونانية والعربية قابلوها بدمشق وشهدوا بصحتها واخذوا عنها نسخة مدققة ومكسيموس لم يأذن بطبعها في دير الشوير حتى تفحص بمعرفة البادرى الكسيوس الاسبانيولى والخورى يوسف جعجع المارونى الجاهلين كليهما اللغة اليونانية اصالة فتصرفا بالنسخة المذكورة كمشيئتهما فى الزيادة والنقصان تطبيقا على المذهب البابوي وبعد اتمامهما افسادها سجلا شهادتهما بتصحيحها وهكذا رخص غبطته فى طبعها وبعد اشتهار الجزء الأول منها قوبل على الاصل المحفوظ عند الروم وافتضح ماصنعوه حتى ان الشماس غبريل مات قهرا من هذا الصنيع ثم قال المعلم مشاقه نورد لهم برهانا أى النصارى التقليديين التابعين للبابا بشهادة رؤسائهم الاجماعية من كتاب عربى العبارة يوجد بين أيديهم مطبوعا وهو كتاب المجمع اللبناني المثبت من

كنيسة رومية بجميع أجزائه المؤلف من جميع أساقفة الطائفة المارونية ومن بطريقهم وعلمائهم تحت نظارة المونسنيور السمعانى المتقدم فى المجمع الرومانى والمطبوع فى دير الشوير باذن الرؤساء الكاثوليكيين فهذا المجمع عندنا يتكلم على خدمة القداس يقول قد وجد فى كنيستنا نوافير قديمة وان كانت خالصة من الغلط لكنها محررة بأسماء قديسين ماصنفوها ولا هى لهم وبعضها بأسماء اساقفة اراتقة أدخلتها النساخ بغرض فاسد انتهى كلامهم * قال المعلم مشاقه بعد هذا وحسبك شهادة من جميعهم على أنفسهم بأن كنيستهم تحتوى على كتب مزورة ثم قال ونحن عرفنا ماوقع فى جيلنا المتنور الذى يخشون فيه اطلاق باعهم بتحريف كل مايرغبونه اذ يعلمون ان أعين حراس الانجيل ترقبهم وأماماحصل فى الاجيال المظلمة من الجيل السابع الى الجيل الخامس عند ماكان البابوات والاساقفة عبارة عن دولة بربرية وكثير منهم لايعرف القراءة والكتابة وكان المسيحيون المشارقة فى ضنك من استيلاء الامم عليهم مشتغلين فى وقاية أنفسهم من الدمار فهذا لانعرفه بالتحقيق ولكن عندمانطالع تواريخ تلك الازمنة لانري فيها الامايوجب النوح والبكاء على حالة كنيسة المسيح التى تهشمت وقتئذ من الرأس الى القدم انتهى كلام المعلم مخائيل مشاقة بلفظه هذا كلام بعض علماء النصارى المعتبرين عندهم في اثبات وقوع التحريف والتبديل فى التوراة والانجيل (ومن المؤرخين المعتبرين عندهم يوسيفس اليهودى) قال فى الباب الثامن عشر من الكتاب الرابع من تاريخه هكذا ذكر جستن في مقابلة طريفون اليهودى عدة بشارات بالمسيح وادعى ان

اليهود أسقطوها من الكتب المقدسة قال واتستن فى الصفحة ٣٢ من المجلد الثالث هكذا انى لاأشك فى هذا الامر ان العبارات التى ألزم فيها جستن اليهود فى مباحثة طريفون بأنهم أسقطوها كانت هذه العبارات فى عهد جستن وأرينوس موجودة فى النسخة العبرانية واليونانية وأجزاء من الكتاب المقدس وان لم توجد الآن في نسخهما سيما العبارات التي قال جستن انها كانت فى كتاب أرمياء انتهى * قال الشيخ رحمة الله ان جستن هو من أجلة قدماء المسيحيين وقد ادعى ان اليهود اسقطوا بشارات عديدة من الكتب المقدسة وقد صدقه فى هذه الدعوى علماء النصارى سلبرجيس وكريب ووائى وكلارى وواتستن وكلهم من أجلة علماء النصارى المعتبرين عندهم ونقل عباراتهم ونلحق ذلك بكلام جماعة من النصارى الآخرين الذين يسمونهم عندهم ملحدين (فمن علماء ملحديهم المذكورين باركر) قال قالت ملة بروتستانت ان المعجزات الازلية والابدية حفظت العهد العتيق والجديد عن ان تصل اليهما صدمة خفيفة لكن هذه المسألة لاتقدر ان تقوم فى مقابلة عسكر اختلاف العبارة الذى هو ثلاثون ألفا انتهى كلامه * وذكر الشيخ رحمة الله ان هذا العدد فى اختلاف العبارات هو عن ما حققه أحد علمائهم المسمى ميل وهو فى الانجيل فقط وأما على ما حققه كريسباخ فالاختلافات الواقعة فى الانجيل مائة ألف وخمسون ألفا وأما على تحقيق شولز الذى هو آخر المحققين فلم يعلم عدد الاختلافات لكثرتها قال وفى المجلد التاسع عشر من انسائكلوبيديا فجمع مثل هذه الاختلافات أزيد من ألف ألف يعنى مابين اغلاط الكتبة التى تصدر عن غير قصد والاغلاط المقصودة التى يختلف المعنى باختلافها واذا اختلفت العبارتان

فلا تكون الصادقة الا واحدة ثم قال الشيخ رحمة الله كانت الفرقة الابيونية في القرن الاول من القرون المسيحية معاصرة لبولص ومنكرة عليه أشد الانكار وكانت تقول انه مرتد وكانت تسلم انجيل متى لكن كان هذا الانجيل عندها مخالفا لهذا الانجيل المنسوب الى متى الموجود الآن والنصارى الذين يعتقدون بولص يرمونها بالتحريف قال بل في حقها (هذه الفرقة كانت تسلم من كتب العهد العتيق التوراة فقط وكانت تنفر عن اسم داود وسليمان وأرميا وحزقيل عليهم السلام وكان عندها من العهد الجديد انجيل متى فقط لكنها كانت حرفته في كثير من المواضع وأخرجت البابين الاولين منه) اه والفرقة المارسيونية من الفرق القديمة المبتدعة للمسيحيين كانت ترد جميع كتب العهد العتيق أى التوراة وتقول انها ليست الهامية وكذا ترد جميع كتب العهد الجديد أيضاً الا انجيل لوقا وعشر رسائل من رسالات بولص وهذه المسلمة أيضاً عندها كانت مخالفة للموجودة الآن قال وهذه الكتب المذكورة الموجودة الآن محرفة عند الفرقة المذكورة ومخالفوها يرمونها بالتحريف قال بل فى تاريخه فى شأنها كانت هذه الفرقة تنكر كون كتب العهد العتيق الهامية وكانت تسلم من العهد الجديد انجيل لوقا لكن ما كانت تسلم البابين الاولين منه وتسلم من رسائل بولص عشرة رسائل لكن كانت ترد منها أيضا ما كان مخالفاً لخيالها انتهى ثم نقل الشيخ رحمة الله عنهم ان الفرقة المذكورة انكرت شيئاً كثيرا غير البابين الاولين ونقل ذلك عن علمائهم ثم قال قال روفال لاردنر فى المجلد الثالث من تفسيره فى ذيل بيان فرقة ماينكيز ناقلا عن اكستائن قول فاستس الذى هو من أعظم علماء فرقة ماينكيز فى القرن الرابع من القرون المسيحية وهو قوله

قال فاستس أنا انكر الاشياء التى ألحقها فى العهـد الجـديد يعنى الانجيل آباؤكم واجدادكم بالمكر وعيبوا صورته الحسنة وأفضليته بان هذا الامر محقق ان هذا العهد الجديد ماصنفه المسيح ولا الحواريون بل صنفه رجل مجهول الاسم ونسبه الى الحواريين ورفقاء الحواريين خوفاً من ان لا يعتبر الناس تحريره ظانين انه غير واقف على الحالات التى كتبها وآذى المريدين لعيسى ايذاء بليغاً بأن الف الكتب التى توجد فيها الاغلاط والتناقضات انتهى فهذه عقيدة هذه الفرقة بالنسبة الى العهـد الجـديد كما صرح به فاضلهم المشهور فهو كان ينادى بأعلى نداء ان أهل التثليث الحقوا الاشياء فى العهد الجديد وانه تصنيف رجل مجهول الاسم لا تصنيف الحواريين ولا تابعيهم وانه يوجد فيه الاغلاط والتناقضات قال الشيخ رحمة الله ولعمرى ان هذا الفاضل وان كان من الفرقة المبتدعة عند النصارى لصادق فى هذه الدعاوى الثلاثة وقد صنف نورتن كتاباً ضخماً أنكر فيه التوراة واثبت بالدلائل انه ليس من تصنيف موسى عليه السلام وأقر بالانجيل لكن مع الاعتراف بأن الانجيل المنسوب الى متى ليس من تصنيفه بل هذه ترجمته والتحريف واقع فيه يقيناً فى مواضع كثيرة وأطال الكلام جدا فى اثبات ما ادعاه بالدلائل فمن شاء فليرجع الى الكتاب المذكور فهذا بعض ماورد عن ملحدى النصارى فى تحقيق واثبات وقوع التحريف والتبديل فى التوراة والانجيل قال الشيخ رحمة الله والفرقة التى تنكر النبوة والالهام وهذه الكتب السماوية التى عند أهل الكتاب قد كثرت جدا فى ديار أوربا ويسميها علماء بروتستانت بالملحدين ولو نقلت كلامهم فى التحريف فقط لطال الكلام انتهى (ومن علماء الوثنيين القائلين بتبديل التوراة والانجيل سلسوس) نقل اكهارن

أحد علماء الجرمان المشهورين عن سلسوس أحد علماء المشركين الوثنيين فى المائة الثانية من الميلاد انه قال في كتابه الذى ألفه في ابطال الدين المسيحي هذه العبارة بدل المسيحيون أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات بل أزيد من هذا تبديلا كأن مضامينها بدلت انتهى قال الشيخ رحمة الله فقد ظهر ان الوثنيين والنصارى والمبتدعين عندهم ينادون باعلى نداء من أول قرن من بعد المسيح عليه السلام الى هذا القرن بوقوع التحريف والتبديل فى التوراة والانجيل

(القسم الثالث الاختلافات والاغلاط والتحريف والتبديل فى التوراة والانجيل)

اعلم ان الشيخ رحمة الله عقد فى كتابه اظهار الحق بابين لبيان أحوال كتب العهد العتيق والجديد أى التوراة والانجيل وما الحق بهما وما اشتملت عليه من الاعتلال والاختلال وذكر من البراهين الواضحة ما كشف به عيوبها الفاضحة وقد أطال وأطاب وجمع فى كتابه من ذلك ما لم يجمع قبله فيما أعلم كتاب وجعل تحت الباب الاول أربعة فصول الفصل الاول فى بيان أسماء هذه الكتب وتعدادها الفصل الثانى فى بيان ان أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند متصل لكتاب منها الفصل الثالث في بيان انها مملوأة من الاختلافات والاغلاطات الفصل الرابع فى اثبات بطلان كونها الهامية وختم هذا الباب بمطلب ذكر فيه ان التوراة والانجيل الاصليين فقدا قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم والموجودان الآن بمنزلة كتابين من السير مجموعين من الروايات الصحيحة والكاذبة والباب الثانى تحته ثلاثة مقاصد المقصد الاول فى اثبات التحريف اللفظى فيها بالتبديل المقصد الثانى فى اثبات التحريف بالزيادة المقصد الثالث فى

اثبات التحريف بالنقصان وختم هذا الباب بذكر أمور يزول بها استبعاد وقوع التحريف فى كتبهم المذكورة وها أنا أذكر في هذه الخاتمة انموذجا من الفصل الثالث من الباب الاول الذى ذكر فيه ١٢٤ اختلافاً و١١٠ اغلاطاً ومن المقصد الاول من الباب الثاني الذى ذكر فيه ٣٥ شاهداً من نصوص التوراة والانجيل على وقوع التحريف اللفظى فيهما بالتبديل ومن المقصد الثانى الذى ذكر فيه ٤٥ شاهدا من نصوصهما على وقوع التحريف اللفظى فيهما بالزيادة ومن المقصد الثالث الذى ذكر فيه ٢٠ شاهدا على وقوع التحريف فيهما بالنقصان فجملة ماذكره مائة شاهد من نصوصهما على وقوع التحريف فيهما بالتبديل والزيادة والنقصان وسأذكر انموذجا منها ثم اذكر جملة من الامور التى يزول بها استبعاد وقوع التحريف فى كتبهم ولا أرى حاجة لنقل جميع ماذكره لتيسر حصول كتابه لكل أحد لكونه طبع عدة طبعات وانتشر فى سائر الجهات ولكنى أذكر مثالين من كل نوع مما ذكره أحدهما يتعلق بالتوراة والآخر يتعلق بالانجيل ﴿ فمن اختلافات التوراة ﴾ وهو الاختلاف الخامس مما ذكره اظهار الحق الآية التاسعة من الباب الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثاني هكذا وأتى يوآب أى رئيس عسكر داود بعدد وحساب الشعب للملك وكان عدد بنى اسرائيل ثمانمائة الف رجل بطل يضرب بالسيف ورجال يهودا عددهم خمسمائة الف رجل مقاتلة والآية الخامسة من الباب الحادى والعشرين من السفر الاول من أخبار الايام هكذا ودفع احصاء القوم الى داود وكان عدد بنى اسرائيل الف الف ومائة الف رجل جاذب سيف ويهودا أربعمائة الف وسبعون الف رجل مقاتلة فبينهما اختلاف في عدد بنى اسرائيل

بمقدار ثلاثمائة الف وفى عدد يهودا بقدر ثلاثين الفاً ﴿ ومن اختلافات الانجيل ﴾ الاختلاف فى نسب سيدنا عيسى عليه السلام وذكر في ذلك اظهار الحق ستة اختلافات من السادس والاربعين الى الحادى والخمسين فقال من قابل بين نسب المسيح الذى فى انجيل متى بالبيان الذى في انجيل لوقا وجد ستة اختلافات الاول يعلم من متى ان يوسف هو ابن يعقوب ومن لوقا انه ابن هالى الثانى يعلم من متى ان عيسى عليه السلام من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام ومن لوقا انه من أولاد ناتان ابن داود الثالث يعلم من متى ان جميع آباء المسيح من داود الى جلاء بابل سلاطين مشهورون ومن لوقا انهم ليسوا بسلاطين ولا مشهورين غير داود وناتان الرابع يعلم من متى ان شلتائيل بن يوخانيا ويعلم من لوقا انه ابن ينرى الخامس يعلم من متى ان اسم ابن روز بابل أبيهود ومن لوقا ان اسمه ريصا والعجب ان أسماء بنى زوربابل مكتوبة فى الباب الثالث من السفر الاول من أخبار الايام وليس فيها أبيهود ولا ريصا فالحق ان كلا منهما غلط السادس من داود الى المسيح عليهما السلام ستة وعشرون جيلا على مابين متى واحد وأربعون جيلا على مابين لوقا ولما كان بين داود والمسيح مدة الف سنة فعلى الاول يكون في مقابلة كل جيل أربعون سنة وعلى الثانى خمس وعشرون ولما كان الاختلاف بين البيانين ظاهرا بأدنى تأمل تحير فيهما العلماء المسيحية من زمان اشتهار هذين الانجيلين الى اليوم ووجهوا بتوجيهات ضعيفة ولذلك اعترف جماعة من المحققين مثل أكهارن وكيسر وهيس وديوت ووى نروفرش وغيرهم بأنهما مختلفان اختلافا معنويا وهذا حق وعين الانصاف لانه كما صدر عن الانجيلين المذكورين اغلاط واختلافات فى مواضع اخر كذلك

صدر الاختلاط ههنا نعم لوكان كلامهما خاليا عنها سوى هذا الموضع كان التأويل منا سبا وان كان بعيدا و آدم كلارك في ذيل شرح الباب الثالث من انجيل لوقا نقل التوجيهات وما رضى بها وتحير ثم نقل عذرا غير مسموع من مستر هارمرسى فى الصفحة ٤٠٨ عن المجلد الخامس هكذا كان أوراق النسب تحفظ فى اليهود حفظا جيدا ويعلم كل ذى علم ان متى ولوقا اختلفا فى بيان نسب الرب اختلافا تحير فيه المحققون من القدماء والمتأخرين وكما انه فهم في المواضع الاخر الاعتراض فى حق المؤلف ثم صار هذا الاعتراض حاميا له فكذلك هذا ايضا اذا صفا يصير حاميا قويا لكن الزمان يفعله هكذا انتهى فاعترف بأن هذا الاختلاف اختلاف تحير فيه المحققون من القدماء والمتأخرين وما قاله من ان أوراق النسب كانت تحفظ فى اليهود حفظا جيدا مردود لان هذه الاوراق صارت منتشرة برياح الحوادث ولذلك غلط عزرا والرسولان فى بيان بعض النسب وهذا المفسر يعترف به ايضا كما ستعرف في الشاهد السادس عشر من المقصد الاول من الباب الثانى واذا كان الحال فى عهد عزرا هكذا فكيف يظن في عهد الحواريين واذا لم يبق أوراق نسب الكهانة والرؤساء محفوظة فأى اعتبار بورق نسب يوسف النجار المسكين واذا كان ثلاثة أشخاص من الانبياء المعتبرين غلطوا فى بيان النسب ولم يقدروا على التميز بين الغلط والصحيح فكيف يظن بمترجم انجيل متى الذى لا يعلم الى الآن اسمه فضلا عن وثاقة احواله وفضلا عن كونه ذا الهام وبلوقا الذى لم يكن من الحواريين يقينا ولم يثبت كونه ذا الهام فالغالب انه حصل لهما ورقتان مختلفتان في بيان نسب يوسف النجار ولم يحصل لهما التميز بين الصحيح والغلط فاختار احدهما بظنه احدى

الورقتين والآخر الورقة الاخرى ورجاء المفسر المذكور بأن الزمان يفعله هكذا رجاء بلا فائدة لانه اذا لم يصف الى مدة الف وثمانمائة سيما في هذه القرون الثلاثة الاخيرة التى شاعت العلوم العقلية والنقلية فيها فى ديار أوروبا وتوجهوا الى تحقيق كل شىء حتى الى تحقيق الملة أيضا فاصلحوا فى الملة اولا اصلاحا فحكموا على المذهب العمومى فى اول الوهلة بأنه باطل وعلى البابا الذى كان مقتدى الملة بأنه جاهل غدار ثم اختلفوا في الاصلاح وافترقوا الى فرق ثم كانوا يزيدون فى الاصلاح يوما فيوما حتى ترقي المحققون الغير محصورين منهم لاجل زيادة تحقيقهم الى أعلى درجة الاصلاح حتى فهموا الملة المسيحية كالحكايات الباطلة والخيالات الواهية فظن الصفاء فى زمان آخر ظن عبث ثم بعد هذا ذكر لهم الشيخ رحمة الله توجيها ركيكا ورده بخمسة أوجه فراجعه ان شئت وراجع ايضا الشاهد السادس عشر من المقصد الاول من الباب الثانى في اظهار الحق تجد ماذكره اولا من اعتراف المفسر آدم كلارك بان ما كتبه عزرا هناك فى نسب بنى بنيامين هو غلط وذكر قوله أى كلارك والتطبيق في مثل هذه الاختلافات غير مفيد ولا بد لنا أن نترك أمثال هذه المعاملات (ومن أغلاط التوراة) وهو الغلط الثامن مماذكره اظهار الحق ما وقع فى الآية الرابعة من الباب الثالث من السفر الثانى من اخبار الايام هكذا والرواق الذى امام البيت طوله كقدر عرض البيت عشرون ذراعا وارتفاعه مائة وعشرون ذراعا فقوله مائة وعشرون ذراعا غلط محض لان ارتفاع البيت كان ثلاثين ذراعا كما هو مصرح في الآية الثانية من الباب السادس من سفر الملوك الاول فكيف يكون ارتفاع الرواق مائة وعشرين ذراعا واعترف آدم كلارك فى المجلد الثانى من تفسيره بأنه غلط (ومن

أغلاط الانجيل) وهو الغلط التاسع والخمسون من الاغلاط التى ذكرها
اظهار الحق مافى الباب السابع والعشرين من انجيل متى هكذا واذا
حجاب الهيكل قد انشق الى اثنتين من فوق الى اسفل والارض تزلزلت
والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من اجساد القديسين
الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا
لكثيرين قال الشيخ رحمة الله وهذه حكاية كاذبة والفاضل نورتن حام
للانجيل لكنه أورد الدلائل على بطلانها فى كتابه ثم قال هذه الحكاية
كاذبة والغالب ان امثال هذه الحكايات كانت رائجة فى اليهود بعد ماصار
أورشليم خرابا فلعل أحدا كتبها فى حاشية النسخة العبرانية لانجيل متى
وأدخلها الكتاب فى المتن وهذا المتن وقع فى يد المترجم فترجمها على
حسبه انتهى ويدل على كذبها وجوه (الاول) ان اليهود ذهبوا الى بلاطس
في اليوم الثانى من الصلب قائلين ياسيد قد تذكرنا ان ذلك المضل قال
في حياته انى اقوم بعد ثلاثة أيام فمر الحارسين أن يضبطوا القبر الى اليوم
الثالث وقد صرح متى فى هذا الباب أن بلاطس وامرأته كانا غير راضيين بقتله
فلو ظهرت هذه الامور ما كان يمكن لهم ان يذهبوا اليه والحال ان حجاب
الهيكل منشق والصخور متشققة والقبور مفتوحة والاموات حية الى هذا
الحين وان يقولوا انه كان مضلا لان بلاطس لما كان غير راض من أول
الوهلة ورأى هذه الامور أيضا لصار عدوا لهم وكذبهم وكذا كان الوف
من الناس يكذبونهم (الثانى) ان هذه الامور آيات عظيمة فلو ظهرت
لآمن كثير من الروم واليهود على ما جرت به العادة (الثالث) ان هذه
الامور العظيمة لما كانت ظاهرة ومشهورة يستبعد أن لا يكتبها احد من مؤرخى
هذا الوقت غير متى وكذا لا يكتب احد من مؤرخى الزمان الذي هو قريب

من الزمان المذكور وان امتنع المخالف عن تحريرها لاجل سوء الديانة والعناد
فلابد أن يكتب الموافقون سيما لوقا الذى هو أحرص الناس في تحرير العجائب
وكان متتبعا لجميع الامور التى فعلها عيسى عليه السلام كما يعلم من الباب
الاول من انجيله والباب الاول من كتاب الاعمال وكيف يتصور أن يكتب
الانجيليون كلهم أو اكثرهم الحالات التى ليست بعجائب ولا يكتب
سائر الانجيليين ولا أكثرهم هذه الامور العجيبة كلها ويكتب مرقص
ولوقا انشقاق الحجاب ويتركان الامور الباقية (الرابع) أن الحجاب كان كتانا
فى غاية اللين فما معنى انشقاقه لاجل هذه الصدمة من فوق الى اسفل ولو
انشق مع كونه كما ذكرنا فكيف بقى بناء الهيكل ولم ينهدم وهذا الوجه
مشترك الورود على الاناجيل الثلاثة (الخامس) ان قيام كثير من احبار
القديسين مناقض لكلام بولس فانه صرح بأن عيسى عليه السلام اول القائمين
وباكورة الراقدين كما عرفت في الاختلاف التاسع والثمانين فالحق ماقال
الفاضل نورتن وعلم من كلامه ان مترجم انجيل متى كان حاطب الليل
ما كان يميز بين الرطب واليابس فمارأى فى المتن من الصحيح والغلط
ترجمها أيعتمد على تحرير مثل هذا لا والله اه ثم ذكر رحمه الله تعالى
فى الباب الثاني الذى أثبت فيه وجود التحريف في كتبهم ثلاثة مقاصد
(المقصد الاول فى اثبات التحريف اللفظى بالتبديل) قال رحمه الله
تعالى اعلم أرشدك الله تعالى ان النسخ المشهورة للعهد العتيق يعنى التوراة عند
أهل الكتاب ثلاث نسخ الاولى النسخة العبرانية وهي المعتبرة عند اليهود
وجمهور علماء بروتستانت والثانيه النسخة اليونانية وهى التى كانت
معتبرة عند المسيحيين الى القرن الخامس عشر من القرون المسيحية
وكانوا يعتقدون الى هذه المدة تحريف النسخة العبرانية وهى الى هذا

الزمان أيضا معتبرة عند الكنيسة اليونانية وكذا عند كنائس المشرق وهاتان النسختان تشتملان على جميع الكتب من العهد العتيق والثالثة النسخة السامرية وهى المعتبرة عند السامريين وهذه النسخة هى النسخة العبرانية لكنها تشتمل على سبعة كتب من العهد العتيق فقط أعنى الكتب الخمسة المنسوبة الى موسى عليه السلام و كتاب يوشع و كتاب القضاة لان السامريين لا يسلمون الكتب الباقية من العهد العتيق وتزيد على النسخة العبرانية فى الالفاظ والفقرات الكثيرة التى لا توجد فيها الآن وكثير من محققى علماء بروتستانت يعتبرونها دون العبرانية ويعتقدون أن اليهود حرفوا العبرانية وجمهورهم يضطرون في بعض المواضع اليها ويقدمونها على العبرانية ثم نقل رحمه الله تعالى خمسة وثلاثين شاهداً على وقوع التحريف بالتبديل فى التوراة والانجيل وأنا أقتصر منها على أربعة أثبت بشاهدين منها دعوى وقوع التحريف فى التوراة وأثبت بشاهدين منها دعوى وقوع هذا التحريف فى الانجيل (فمن الشواهد على وقوع التحريف في التوراة بالتبديل) وهو الشاهد الاول فيما ذكره اظهار الحق فى شواهد التحريف بالتبديل ان الزمان من خاق آدم الى طوفان نوح عليهما السلام على وفق العبرانية ١٦٥٦ سنة وعلى وفق اليونانية ١٢٦٢ سنة وعلى وفق السامرية ١٣٠٧ سنوات وذكر جدولا أوضح فيه ذلك وقال فبين النسخ المذكورة فى بيان المدة فرق كثير واختلاف فاحش فلا يمكن التطبيق بينهما قال ولاجل هذا الاختلاف الفاحش مااعتمد يوسيفس اليهودى المؤرخ المشهور المعتبر عند المسيحيين على نسخة من النسخ المذكورة واختار أن المدة المذكورة ٢٢٥٦ (ومن الشواهد على وقوع التحريف فى التوراة بالتبديل) وهو الشاهد الثانى مما ذكره

اظهار الحق فى شواهد التحريف بالتبديل ان الزمان من الطوفان الى ولادة ابراهيم عليه السلام على وفق العبرانية ٢٩٢ سنة وعلى وفق اليونانية ١٠٧٢ سنة وعلى وفق السامريه ٩٤٢ سنة وذكر جدولا أيضا فى بيان ذلك وقال فهنا أيضا اختلاف فاحش بين النسخ المذكورة فلا يمكن التطبيق بينها (ومن الشواهد على وقوع التحريف فى الانجيل بالتبديل) وهو الشاهد الرابع والثلاثون مما ذكره اظهار الحق فى شواهد التحريف بالتبديل قال فى الآية الثالثة عشر من الباب الثامن من المشاهدات هكذا (ثم رأيت ملكا طائرا) قال كريباخ وشولز لفظ الملك غلط والصحيح لفظ العقاب (ومن الشواهد على وقوع التحريف في الانجيل بالتبديل) وهو الشاهد الخامس والثلاثون مما ذكره اظهار الحق فى شواهد التحريف بالتبديل قال فى الآية الحادية والعشرين من الباب الخامس من رسالة بولص الى أهل افسيس هكذا (وليخضع بعض لبعض لخوف الله) قال كريباخ وشولز ان لفظ الله هنا غلط والصحيح لفظ المسيح (ومن الشواهد على وقوع التحريف في التوراة بالزيادة) وهو الشاهد الاول مما ذكره اظهار الحق فى شواهد التحريف بالزيادة قال اعلم ان ثمانية كتب من العهد العتيق أى التوراة وما الحق بها كانت مشكوكة غير مقبولة عند المسيحيين الى ٣٢٤ سنة وهى كتب استير وباروخ وطوبيا ويهوديت ووزدم واكليزياستيكس والكتاب الاول والثانى لمقابيين جملتها ثمان كتب وفى سنة ٣٢٥ مسيحية انعقد مجمع علمائهم بحكم قسطنطين فى بلدة نائس ليتشاوروا ويحققوا الامر في هذه الكتب المشكوكة فبعد المشاورة والتحقيق حكموا بأن كتاب يهوديت واجب التسليم وأبقوا باقي الكتب مشكوكة كما كانت وهذا الامر يظهر من المقدمة

التي كتبها جيروم على ذلك الكتاب ثم بعد ذلك انعقدت مجالس أخر
فسلموا الكتب الباقية وبقيت مسلمة بين جمهور المسيحيين وبقيت
كذلك الى مدة ١٢٠٠ سنة ثم ظهرت فرقة بروتستانت فردوا حكم
أسلافهم فى الكتب المذكورة ولم يعتبروها وقالوا انها ليست مسلمة
الهامية بل واجبة الرد سوى كتاب أستير فسلموا بعضه وردوا بعضه وأقاموا على
ذلك أدلة تؤيد ردها وعدم اعتبارها الهامية والحال أن الكنيسة الرومانية
التي تبعوها الى الآن أكثر من فرقة بروتستانت تسلم هذه الكتب الى
هذا الحين ويعتقدون أنها الهامية واجبة التسليم وهى داخلة في ترجمتهم
اللاطينية التي هى مسلمة ومعتبرة عندهم غاية الاعتبار ومبنى دينهم
عليها قال الشيخ رحمة الله اذا علمت ذلك فأى تحريف بالزيادة يكون
أزيد من هذا فان الكتب التي كانت غير مقبولة الى ثلاثمائة وأربع
وعشرين سنة وكانت محرفة غير الهامية جعلها أسلاف المسيحيين في
المجالس المتعددة واجبة التسليم وأدخلوها فى الكتب الالهامية واجمع
الوف من علمائهم على حقيقتها والهاميتها والكنيسة الرومانية الى هذا
الزمان تصر على كونها الهامية فظهر من هذا انه لا اعتبار لاجماع أسلافهم
وليس هذا الاجماع دليلا على المخالف فكما أجمعوا على هذه الكتب
المحرفة الغير الهامية يجوز أن يكون اجماعهم على هذه الاناجيل المروجة
مع كونها محرفة غير الهامية الاترى أن هؤلاء الاسلاف كانوا مجمعين
على صحة نسخة التوراة اليونانية وكانوا يعتقدون تحريف النسخة العبرانية
وكانوا يقولون ان اليهود حرفوها فى سنة ١٣٠ مسيحية والكنيسة
اليونانية وكذا الكنائس المشرقية الى هذا الحين أيضا مجمعون على صحتها
واعتقادها كاعتقاد أسلافهم ومع كون الامر كذلك نرى جمهور



علماء بروتستانت أثبتوا أن اجماع الاسلاف وكذا الاخلاف المقتدون
بهم غلط وعكسوا الامر فاعتقدوا صحة العبرانية عكس ما كان عليه أسلافهم
وكذلك أجمعت الكنيسة الرومانية على صحة الترجمة اللاطينية وعلماء
بروتستانت أثبتوا أنها محرفة بل لم تحرف ترجمة مثلها قال هورن فى
المجلد الرابع من تفسيره الذى طبع سنة ١٨٢٢ فى صفحة ٤٦٣ منه وقعت
التحريفات والالحاقات الكثيرة فى هذه الترجمة من القرن الخامس الى القرن
الخامس عشر ثم قال في صفحة ٤٦٧ لابد أن يكون ذلك الامر في بالك ان ترجمة
من التراجم لم تحرف مثل اللاطينية ناقلوها من غير المبالاة ادخلوا فقرات بعض
كتاب من العهد الجديد فى كتاب آخر وكذا أدخلوا عبارات الحواشى في
المتن انتهى كلام هورن * قال الشيخ رحمة الله واذا كان فعلهم بالنسبة الى ترجمتهم
المقبولة المتداولة غاية التداول هذا فكيف يرجى منهم أنهم لم يحرفوا
المتن الاصلى الذى لم يكن متداولا بينهم مثلها يقينا بل الاظهر ان من
بادر منهم الى تحريف الترجمة بادر الى تحريف الاصل ليكون لفعله سترا
عند قومه انتهى وقال رحمه الله فى موضع آخر ومن جملة الكتب
المنسوبة الى موسى عليه السلام كتاب الخليقة الصغير كان أصله يوجد
باللسان العبرانى الى المائة الرابعة ونقل عنه بولص فى رسالته الى أهل
غلاطية ونقل عنه أيضا جيروم وغيره من علمائهم وكانت ترجمته
موجودة الى القرن السادس عشر وفى هذا القرن كذبه محفل ترنت
فصار جعليا كذبا بعد ذلك وهذا حالهم فى الكتب الالهامية اذا رأوا
مصلحة سلموها وصدقوها واذا شاؤا منعوها وكذبوها بحسب أغراضهم
ومن جملة الكتب المنسوبة أيضا الى موسي عليه السلام كتاب المعراج
وكان معتبرا بين القدماء ونقل عنه يهودا الآية التاسعة من رسالته والآن هذا

الكتاب مع كتاب المشاهدات وكتاب الخليقة الصغير وكتاب الاسرار وكتاب الاقرار تعد جعلية محرفة قال هورن المظنون ان هذه الكتب الجعلية اخترعت فى ابتداء الملة المسيحية انتهى (ومن الشواهد على وقوع التحريف فى التوراة بالزيادة أيضاً) وهو الشاهد الثانى مما ذكره اظهار الحق في شواهد التحريف بالزيادة الآية الحادية والثلاثون من الباب السادس والثلاثين من سفر الخليقة هكذا (وهؤلاء الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم قبل ان يملك لبنى اسرائيل) ولا يمكن ان تكون هذه الآية من كلام موسى عليه السلام لانها تدل على ان المتكلم بها بعد زمان قامت فيه سلطنة بنى اسرائيل وأول ملوكهم شاول وكان بعد موسى عليه السلام بمدة ٣٥٦ سنة قال آدم كلارك فى المجلد الاول من تفسيره فى ذيل هذه الآية غالب ظنى ان موسى عليه السلام ما كتب هذه الآية والآيات التى بعدها الى الآية التاسعة والثلاثين بل هذه الآيات هي آيات الباب الاول من السفر الاول من كتاب أخبار الايام وأظن ظنا قويا قريبا من اليقين ان هذه الآيات كانت مكتوبة على حاشية نسخة صحيحة من التوراة فظن الناقل انها جزء المتن فادخلها فيه انتهى فاعترف هذا المفسر بالحاق الآيات التسع وعلى اعترافه يلزم أن كتبهم كانت صالحة للتحريف لان هذه الآيات مع عدم كونها من التوراة دخلت فيها وشاعت بعد ذلك في جميع النسخ (ومن الشواهد على وقوع التحريف فى أناجيل متى ومرقص ولوقا بالزيادة) وهو الشاهد السابع والعشرون مما ذكره اظهار الحق فى شواهد التحريف بالزيادة الآية الثالثة من الباب الرابع عشر من انجيل متى هكذا (لان هيروديس كان قد أخذ يحيي وكتفه وألقاه في السجن لاجل هيروديا زوجة أخيه فيلبوس) والآية السابعة عشر من الباب

السادس من انجيل مرقس هكذا لان هيروديس كان قد أرسل وقبض على يحيي وقيده فى السجن لاجل هيروديا زوجة أخيه فيلبوس والآية التاسعة عشر من الباب الثالث من انجيل لوقا هكذا وكان هيرودس رئيس الربع لما انتهره يحيي من أجل هيروديا زوجة أخيه فيلبوس الخ ولفظ فيلبوس غلط يقينا في الاناجيل الثلاثة ولم يثبت فى كتاب من كتب التواريخ ان اسم زوج هيروديا كان فيلبوس بل صرح يوسيفس في الباب الخامس عشر من الكتاب الثامن عشر ان اسمه كان هيرود أيضاً ولما كان غلطا قال هورن فى الصفحة ٦٣٢ من المجلد الاول من تفسيره الغالب ان اسم فيلبوس وقع فى المتن من غلط الكاتب فليسقط وكريسباخ قد أسقطه انتهى وعندنا هذا اللفظ من اغلاط الانجيليين ولا نسلم قولهم من غلط الكاتب لانه دعوى بلا دليل و يبعد كل البعد ان يقع الغلط من الكاتب فى الاناجيل الثلاثة فى مضمون واحد وانظر الى تجاسرهم انهم بمجرد ظنهم يسقطون ألفاظا ويدخلونها وتحريفهم هذا جار فى كل زمان ولما كان ايراد الشواهد على سبيل الالزام أوردت هذا الشاهد فى أمثلة التحريف بالزيادة على تسليم ما ادعوه وهو فى الحقيقة بالنظر الى الاناجيل الثلاثة ثلاثة شواهد (ومن الشواهد على وقوع التحريف فى انجيل يوحنا بالزيادة) وهو الشاهد الحادى والثلاثون مما ذكره اظهار الحق في شواهد التحريف بالزيادة ما وقع فى الباب الخامس من رسالة يوحنا الاولى هكذا (لان الذين يشهدون في السماء ثلاثة وهم الاب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة واحد والشهود الذين يشهدون فى الارض ثلاثة وهم الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة

تحد في واحد) ففى هاتين الآيتين كان أصل العبارة على ما زعم محققوهم هذا القدر لان الشهود الذين يشهدون ثلاثة وهم الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة تتحد فى واحد فزاد معتقدو التثليث هذه العبارة فى السماء ثلاثة وهم الاب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة واحد والشهود الذين يشهدون فى الارض فيما بين أصل العبارة وهى ملحقة يقينا وكريسباخ وشولز متفقان على الحاقيتها وهورن مع تعصبه قال انها الحاقية واجبة الترك وجامعو تفسير هنرى واسكات اختاروا قول هورن وآدم كلارك أيضا مال الى الحاقيتها واكستاين الذى كان أعلم العلماء المسيحية التثليثية فى القرن الرابع من القرون المسيحية وهو الى الآن مستند أهل التثليث أيضا كتب على رسالة يوحنا الاولى عشر رسائل وما نقل فى رسالة من هذه الرسائل هذه العبارة وهو كان من معتقدى التثليث وكان مناظرا مع فرقة أيرين التى تنكر التثليث فلو كانت هذه العبارة في عهده لتمسك بها ونقلها فى اثباته ولما ارتكب التكلف البعيد الذى ارتكبه فى الآية الثامنة فكتب فى الحاشية ان المراد بالماء الاب وبالدم الابن وبالروح الروح القدس فان هذا التكلف ضعيف جدا وأظن انه لما كان هذا التوجيه بعيدا جدا اخترع معتقدو التثليث هذه العبارة التي هى مفيدة لعقيدتهم وجعلوها جزأ من عبارة الرسالة * قال الشيخ رحمة الله وأقر صاحب ميزان الحق أيضاً على رؤس الاشهاد فى المناظرة التى وقعت بينى وبينه سنة ألف ومائتين وسبعين بأنها محرفة ولما رأى شريكه انه يورد عليه عبارات أخر لابد فيها من الاقرار بالتحريف بادر الى الاقرار قبل ايراد هذه العبارات الاخر فقال أسلم أنا وشريكى ان التحريف قد وقع فى سبعة أو ثمانية مواضع فلا ينكر التحريف فى عبارة يوحنا الا مكابر عنيد

(ومن الشواهد على وقوع التحريف فى التوراة بالنقصان) وهو الشاهد الاول مما ذكره اظهار الحق فى شواهد التحريف بالنقصان الآية الثالثة عشر من الباب الخامس عشر من سفر الخليقة هكذا (وقيل له اعلم عالما ان نسلك سيكون ساكنا فى غير أرضهم ويستعبدونهم ويضيقون عليهم ٤٠٠ سنة) وقد دلت آيات أخر دلالة قطيعة مسلمة عند الجميع ان نسله هم بنو اسرائيل وانهم يسكنون في غير أرضهم أى مصر وان الذين يستعبدونهم هم المصريون والآية الاربعون من الباب الثانى عشر من كتاب الخروج هكذا (فكان جميع ما سكن بنو اسرائيل في ارض مصر ٤٣٠ سنة) ففى الآيتين اختلاف فاما اسقط من الاولى لفظ ثلاثين واما زيد في الثانية ومع قطع النظر عن هذا الاختلاف والتحريف فان المدة في كلتيهما غلط يقينا لا ريب فيه ثم اثبت الشيخ رحمة الله بالدلائل التى اعترف بها علماؤهم صريحا ان مدة اقامة بنى اسرائيل فى مصر ٢١٥ سنة فقط

(ومن الشواهد على وقوع التحريف فى التوراة بالنقصان) وهو الشاهد الثانى مما ذكره اظهار الحق في شواهد التحريف بالنقصان الآية الثامنة من الباب الرابع من سفر التكوين هكذا (وقال قايين لهابيل اخيه ولما صارا فى الحقل قام قايين على هابيل اخيه فقتله) وفي النسخة السامرية واليونانية والتراجم القديمة هكذا (وقال قايين لهابيل اخيه تعال نخرج الى الحقل ولما صارا فى الحقل) الى آخرها فهذه العبارة تعال نخرج الى الحقل سقطت من العبرانية ونقل عن علمائهم تسليم ذلك وهو ظاهر بأدنى تأمل (ومن الشواهد على وقوع التحريف فى الانجيل بالنقصان) ما يأتى وهو الشاهد الثامن عشر مما ذكره اظهار الحق في شواهد التحريف بالنقصان * قال الشيخ رحمة الله الانجيل الذى ينسب الى متي

الآن وهو أول الاناجيل وأقدمها عندهم ليس من تصنيفه يقيناً بل ضيعوه
احد ماحرفوه لان القدماء المسيحية كافة وغير المحصورين من المتأخرين
على ان انجيل متى كان باللسان العبرانى وهوضاع وفقد بسبب تحريف بعض
الفرق المسيحية والانجيل الموجود الآن ترجمته ولا يوجد عندهم اسناد
هذه الترجمة حتى لم يعلم اسم المترجم أيضاً باليقين الى هذا الحين كما
عترف به جيروم من أفاضل قدمائهم فضلا عن علم أحوال المترجم
نعم يقولون رجماً بالغيب لعل فلاناً أو فلاناً ترجمه ولا يتم هذا على
المخالف ولا يثبت استناد الكتاب الى المصنف بالظن والتخمين فاذا
كان مذهب القدماء كافة وغير المحصورين من المتأخرين ما عرفت فلا
اعتماد على قول بعض علماء بروتستانت الذين يقولون بمجرد ظنهم بلا
برهان ان متى نفسه ترجمه قال رحمه الله تعالى وها أنا أورد عليك
شواهد هذا الباب وذكر نقولا كثيرة عن علمائهم تثبت يقيناً ان انجيل
متى الذى هو باللغة اليونانية ليس من تصنيفه قطعاً ولا يعلم من ترجمه
من العبرانية التى الف بها هذا الانجيل وفقد بحيث لاوجود له الآن
باللغة العبرانية أصلا ﴿ ومن الشواهد على وقوع التحريف فى الانجيل
بالنقصان ﴾ وهو الشاهد التاسع عشر مما ذكره اظهار الحق فى شواهد
التحريف بالنقصان الآية الثالثة والعشرون من الباب الثانى من انجيل
متى هكذا ﴿ ثم أتى وسكن فى بلد تسمى ناصره ليكمل قول الانبياء انه
سيدعى ناصريا ﴾ فقوله ليكمل قول الانبياء انه سيدعى ناصريا هذه الجملة
من أغلاط هذا الانجيل ولا يوجد هذا فى كتاب من الكتب المشهورة
المنسوبة الى الانبياء * قال الشيخ رحمة الله لكن أقول ههنا كما قال علماء
كاتوليك ان هذا كان فى كتب الانبياء لكن اليهود ضيعوا هذه الكتب

قصدا لعناد الدين المسيحي قال رحمه الله وأى تحريف بالنقصان يكون
أزيد من ان تضيع فرقة الكتب الالهامية قصدا للاغراض النفسانية
ولعناد ملة أخرى ثم نقل عن علمائهم المعتبرين ان هذه الجملة وهي قوله
ليكمل قول الانبياء انه سيدعى ناصريا انمحت لان كتب الانبياء الموجودة
الآن لا يوجد فى واحد منها ان عيسى يدعى ناصريا قالوا لان اليهود
ضيعوا كتباً لا لاجل غفلتهم بل لاجل عدم ديانتهم ومزقوا بعضها واحرقوا
بعضها لانهم لما رأوا ان الحواريين يتمسكون بهذه الكتب فى اثبات مسائل
الملة المسيحية فعلوا هذا الامر

﴿ القسم الرابع فى ذكر أمور يزول بها استبعاد وقوع التحريف
فى كتبهم وقد تقدم منها شىء كثير فى كلام الامام ابن حزم ﴾

قال الشيخ رحمة الله كان موسى عليه السلام كتب نسخة التوراة وسلمها
الى الاحبار وسائر كبراء بنى اسرائيل ووصاهم بمحافظتها ووضعها فى
جنب صندوق الشهادة واخراجها الى الناس بعد كل سبعة سبعة من
السنين فى يوم العيد لاجل سماع بنى اسرائيل فكانت هذه النسخة
موضوعة فى جنب الصندوق وكانت الطبقة الاولى على وصية موسى عليه
السلام فلما انقرضت هذه الطبقة تغير حال بنى اسرائيل فكانوا يرتدون
تارة ويسلمون أخرى وهكذا كان حالهم الى أول سلطنة داود عليه السلام
وحسنت حالهم فى تلك السلطنة وصدر سلطنة سليمان عليه السلام وكانوا
مؤمنين لكن لاجل الانقلابات المذكورة ضاعت تلك النسخة الموضوعة
في جنب الصندوق ولا يعلم جزما متى ضاعت ولما فتح سليمان الصندوق
في عهده ماوجد فيه غير اللوحين اللذين كانت الاحكام العشرة فقط مكتوبة
فيهما كما هو مصرح فى الآية التاسعة من الباب الثامن من سفر الملوك الاول

وهى هكذا (ولم يكن فى التابوت الا اللوحان الحجريان اللذان وضعهما موسى بحوريب حيث عاهد الرب بنى اسرائيل واخرجهم من أرض مصر) ثم وقع الانقلاب العظيم فى آخر سلطنة سليمان عليه السلام على ماتشهد به كتبهم المقدسة عندهم بأن ارتد سليمان بزعمهم والعياذ بالله تعالى في آخر عمره بترغيب الازواج وعبد الاصنام وبنى المعابد لها فاذا صار مرتدا وثنياً مابقى له غرض بالتوراة و بعد موته وقع انقلاب أعظم وأشد من الاول بأن تفرق اسباط بنى اسرائيل وصارت السلطنة الواحدة سلطنتين فصارت عشرة أسباط في جانب وسبطان فى جانب وصار يوربعام سلطاناً على عشرة أسباط وسميت تلك السلطنة السلطنة الاسرائيلية وصار رحبعام بن سليمان سلطانا على السبطين وسميت تلك السلطنة سلطنة يهودا وشاع الكفر والارتداد بين السلطنتين لان يوربعام بعد ما جلس على سرير السلطنة ارتد وارتدت الاسباط العشرة معه وعبدوا الاصنام ومن بقى منهم على ملة التوراة من الكهنة هاجر الى مملكة يهودا فهذه الاسباط من هذا العهد الى مائتين وخمسين سنة كانوا كافرين عابدين للاصنام ثم أبادهم الله بأن سلط الا شوريين عليهم فأسروهم وفرقوهم فى الممالك وما أبقوا فى تلك المملكة الاشرذمة قليلة وعمروا تلك المملكة من الوثنيين فاختلطت هذه الشرذمة القليلة بالوثنيين اختلاطا شديدا فتزاوجوا وتناكحوا وتوالدوا وسميت أولادهم السامريين فمن عهد يوربعام الى آخر السلطنة الاسرائيلية ما كان لهذه الاسباط غرض بالتوراة وكان وجود نسخ التوراة فى تلك المملكة كوجود العنقاء هذا حال الاسباط العشرة والسلطنة الاسرائيلية وجلس على سرير سلطنة يهودا من بعد موت سليمان عليه السلام الى ثلاثمائة واثنتين وسبعين سنة

عشرون سلطانا وكان المرتدون من هؤلاء السلاطين أكثر من المؤمنين وشاعت عبادة الاصنام فى عهد رحبعام ووضعت تحت كل شجرة وعبدت وفى عهد آخذ بنيت المذابح للبعل فى كل جانب وناحية من بلدة أورشليم وسدت أبواب بيت المقدس وكان قبل عهده نهب أورشليم وبيت المقدس مرتين ففى المرة الاولى تسلط سلطان مصر ونهب جميع أثاث بيت الله وبيت السلطان وفي المرة الثانية تسلط سلطان اسرائيل المرتد ونهب بيت الله وبيت السلطان نهبا شديدا ثم اشتد الكفر فى عهد منسا حتى صار أكثر أهل تلك المملكة وثنيين وبنى مذبح الاصنام في فناء بيت المقدس ووضع الوثن الذى كان يعبده فى بيت المقدس وهكذا كان حال الكفر فى عهد آمون ابنه ولما جلس يوشيا بن آمون على سرير السلطنة تاب الى الله توبة نصوحا وكان هو واراكينه متوجهين لترويج الملة الموسوية وهدم رسوم الكفر والشرك فى غاية الجد والاجتهاد ولكنه مع ذلك مارأى أحد ولا سمع وجود نسخة التوراة الى سبع عشرة سنة من سنى سلطنته ثم ادعى حلقيا الكاهن فى العام الثامن عشر من سلطنته أنه وجد نسخة التوراة فى بيت المقدس واعطاها شافان الكاتب فقرأ على يوشيا فلما سمع يوشيا مضمونه شق ثيابه لاجل الحزن على عصيان بنى اسرائيل كما هو مصرح فى الباب الثانى والعشرين من سفر الملوك الثاني والباب الرابع والثلاثين والسفر الثانى من أخبار الايام لكن لا يعتمد على هذه النسخة ولا على قول حلقيا لان البيت نهب مرتين قبل عهد آخذ ثم جعل بيت الاصنام وسدنة الاصنام كانوا يدخلون البيت كل يوم وماسمع أحد الى سبعة عشر عاما من سلطنة يوشيا أيضا اسم التوراة ولا رآه مع أن السلطان والامراء والرعايا كانوا في غاية الاجتهاد لا تباع الملة الموسوية وكانت

الكهنة يدخلون كل يوم الى هـذه المدة فالعجب كل العجب أن تكون
النسخة فى البيت ولايراها أحد فهذه النسخة ما كانت الا من مخترعات
حلقيا فانه لما رآى توجه السلطان والاراكين الى اتباع الملة الموسوية جمعها
من الروايات اللسانيـة التى وصلت اليـه من أفواه الناس سواء كانت
صادقة اوغير صادقة وكان الى هذه المدة فى جمعها وتأليفها فبعد ماجمعها
نسبها الى موسى عليه السلام ومثل هـذا الافتراء والكذب لترويج الملة
واشاعة الحق كان من المستحبات الدينية عند متأخرى اليهود وقدماء
المسيحيين كما عرفت لكن بقطع النظر عن هذا فقد وجدت نسخة التوراة
في العام الثامن عشر من سلطنة يوشيا وبقيت معمولة الي ثلاث عشرة
سنه مدة حياته ولما مات وجلس ياهوحاز على سرير السلطنة ارتد وأشاع
الكفر وتسلط عليـه سلطان مصر وأسره وأجلس أخاه على سرير
السلطنة وهوكان مرتدا أيضا كأخيه ولما مات جلس ابنه على السرير وكان
مرتدا أيضا كأبيه وعمه وأسره بختنصر مع جم غفير من بنى اسرائيل ونهب
بيت المقـدس وكنز بيت الملك وأجلس عمه على سرير السلطنة وكان
مرتدا أيضا مثل ابن أخيـه فاذا علمت هـذا تعلم ان تواتر التوراة فى
اليهود منقطع قبل زمان يوشيا والنسخة التى وجدت فى عهده لا اعتماد
عليها ولا يثبت بها التواتر ومع ذلك ما كانت معلومة الا الى ثلاث عشرة
سنة وبعدها لم يعلم حالها والظاهر انه لما رجع الارتداد والكفر بين أولاد
يوشيا زالت قبل حادثة بختنصر ولو فرض بقاؤها أو بقاء نقلها فالمظنون
زوالها فى حادثة بختنصر وهذه الحادثة هى الحادثة الاولى (الامر الثانى)
لما بغى هذا السلطان الذى أجلسه بختنصر عليه أسره وذبح أولاده قدام
عينيه أولا ثم قلع عينيه وربطه بالسلاسل وأرسله الى بابل وأحرق بيت

الله و بيوت الملك وجميع بيوت أورشليم وكل منزل جليل وجميع بيوت الكبراء
احرقها بالنار وهدم سور أورشليم وأسر سائر شعوب بنى اسرائيل وسباهم وعمر
تلك المملكة من مساكين الارض وضعفائها كرامين وفلاحين وهذه هى الحادثة
الثانية لبختنصر وفى هذه الحادثة انعدمت التوراة وكذا جميع كتب العهد العتيق
التى كانت مصنفة قبل هذه الحادثة عن صفحة العالم رأسا وهذا الامر مسلم
عند اهل الكتاب ايضا (الامر الثالث) لما كتب عزرا عليه السلام كتب
العهد العتيق مرة اخرى على زعمهم ووقعت حادثة أخرى جاء ذكرها
فى الباب الاول من الكتاب الاول للمقابيين هكذا (لما فتح انتيوكس
ملك ملوك الفرنج أورشليم احرق جميع نسخ كتب العهد العتيق التى
حصلت له من اى مكان بعد ما قطعها وأمر ان من يوجد عنده نسخة
من نسخ كتب العهد العتيق أو يؤدى رسم الشريعة يقتل وكان تحقيق
هـذا الامر فى كل شهر فكان يقتل من وجد عنده نسخة من
كتب العهد العتيق أو ثبت انه أدى رسما من رسوم الشريعة وتعدم
تلك النسخة) انتهى ملخصا وكانت هذه الحادثة قبل ميلاد المسيح بمائة
واحدى وستين سنة وكانت ممتدة الى ثلاث سـنين ونصف كما فصلت
فى تواريخهم وتاريخ يوسيفس فانعدمت فى هذه الحادثة جميع النسخ التى
كتبها عزرا وقال جان ملنر كاتلك انه لما ظهرت نقولها الصحيحـة اي
التوراة بواسطة عزرا ضاعت تلك النقول ايضا في حادثة انتيوكس انتهى
(الامر الرابع) وقعت على اليهود بعد هذه الحادثة المذكورة حوادث
اخرى ايضا من ايدى ملوك الفرنج انعدمت فيها نقول عزرا ونسخ لا
تحصى ومنها حادثة طيطوس الرومى وهي حادثة عظيمة وقعت بعد عروج
المسيح بسبع وثلاثين سنة وهى مكتوبة بالتفصيل في تاريخ يوسيفس

وتواريخ اخرى وهلك فى هذه الحادثة من اليهود فى اورشليم ونواحيها الف الف ومائة الف بالجوع والنار والسيف والصلب واسر سبعة وعشرون الفا وبيعوا في الاقاليم المختلفة وهلك جموع كثيرة في اقطار ارض اليهودية ايضا (الامر الخامس) ان القدماء المسيحيين ما كانوا ملتفتين الى النسخة العبرانية من العهد العتيق بل جمهورهم كانوا يعتقدون تحريفها وكانت الترجمة اليونانية معتبرة عندهم لاسيما الى آخر القرن الثاني من القرون المسيحية فلهم لم يلتفت أحد منهم الى النسخة العبرانية وكانت هذه الترجمة اليونانية مستعملة فى جميع معابد اليهود ايضا الى آخر القرن الاول فكانت نسخ العبرانية لهذا الوجه ايضا قليلة ومع كونها قليلة كانت عند اليهود (الامر السادس) ان اليهود اعدموا نسخا كتبت فى المائة السابعة والثامنة لانها كانت تخالف مخالفة كثيرة للنسخ التى كانت معتمدة عندهم ولذلك ماوصلت الى مصححى العهد العتيق النسخة المكتوبة فى هاتين المائتين فبعد ما اعدموا ما اعدموا بقيت النسخ التى كانوا يرضون بها فكان لهم مجال واسع للتحريف (الامر السابع) كان فى المسيحيين ايضا فى الطبقات الاول امر موجب لقلة النسخ وامكان تحريف المحرفين لان تواريخهم تشهد بأنهم الى ثلاثمائة سنة كانوا مبتلين بأنواع المحن والبلايا ووقع عليهم عشر مقتلات عظيمة ذكرها اظهار الحق واحدة واحدة مع بيان تواريخها وكلها ضد الملة المسيحية وعلمائها واساقفتها وخدام دينها فغلبتهم اعداؤهم وفتكوا فيهم غاية الفتك وأرادوا بذلك استئصال الملة المسيحية ومحو آثارها فهذه الوقائع كما قال الشيخ رحمة الله لا يتصور فيها كثرة النسخ ولا محافظة الكتب كما ينبغى ولا تصحيحها ولا تحقيقها ويكون للمحرفين فى امثال هذه الاوقات مجال كثير للتحريف (الامر الثامن) أراد السلطان ديوكليشين أن يمحو وجود الكتب

المقدسة عندهم عن صفحة العالم واجتهد فى هذا الباب وأمر فى سنة ٣٠٣ بهدم الكنائس واحراق الكتب وعدم اجتماع المسيحيين للعبادة فهدمت الكنائس وأحرق كل كتاب حصل له بالجد التام ومن ابى أو ظن انه أخفى كتابا عذب عذابا شديدا وامتنعوا عن الاجتماع للعبادة كما هو مصرح به فى تواريخهم قال لاردن في الصفحة ٥٢٢ من المجلد السابع من تفسيره هكذا صدر امر ديوكليشين فى شهر مارج من السنة التاسعة عشر من جلوسه أن تهدم الكنائس وتحرق الكتب المقدسة ثم قال يقول يوسيبيس بالحزن التام انه رأى بعينيه ان الكنائس هدمت والكتب المقدسة احرقت فى الاسواق انتهى *قال الشيخ رحمة الله بعده لا أقول ان النسخ كلها باعدامه انعدمت عن صفحة العالم لكن لا شك انها قلت جدا وضاعت منها النسخ الغير محصورة النفيسة الصحيحة لان كثرة المسيحيين وكثرة كتبهم كانت في مملكته ودياره وما كانت بمنزلة عشرها فى غيرها وانفتح باب التحريف ولا عجب ان انعدم بعض الكتب رأسا ايضا ويكون الموجود باسمه بعده جعليا مختلقا لان هذا الامر قبل ايجاد صنعة الطبع كان أمرا ممكنا كما علمت من ان النسخ المخالفة لنسخة اليهود انعدمت رأسا باعدامهم بعد المائة الثامنة وقال آدم كلارك في مقدمة تفسيره ان أصل التفسير المنسوب الى يتشن انعدم والمنسوب اليه الآن مشكوك عند العلماء وشكهم حق انتهى كلام آدم كلارك وقال واتسن فى المجلد الثالث من كتابه كان التفسير المنسوب الى يتشن موجودا في عهد تهيودورت وكان يقرأ فى كل كنيسة لكن تهيودورت أعدم جميع نسخه ليقيم الانجيل مقامه انتهى كلام واتسن *قال الشيخ رحمة الله بعده انظروا كيف انعدم هذا التفسير عن صفحة العالم وكيف اخترع واختلق المسيحيون بدله ولا شك

ان اقتدار ديوكليشين الذى هو ملك ملوك الفرنج ازيد من اقتدار اليهود
وكذا زمان اعدامه كان اقرب من زمان اعدامهم وكذا اقتداره ازيد
من اقتدار تيهودورت فلا استبعاد في أن ينعدم بعض كتب العهد الجديد
بحادثته والحوادث التى ظهرت فى عهد السلاطين الآخرين الذين كانوا ملوك
الملوك فى عهدهم ثم يكون الموجود من كتب العهد الجديد مفترى مختلقا
كما سمعت من تفسير يدشن والاهتمام الى اختلاق بعض كتب العهد
الجديد كان اهم عندهم من اختلاق التفسير المذكور وقد مر ان مثل
هذا الاختلاق مستحب عندهم ومستحسن للحاجة ولاجل الحوادث
المذكورة في هذه الامور الثمانية المسطورة فقدت الاسانيد المتصلة لكتبهم
ولا يوجد عندهم سند متصل لكتاب من كتب العهد العتيق والجديد
لا عند اليهود ولا عند المسيحيين كما عرفت انتهى ما نقلته من كلام الشيخ
رحمة الله رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته وهو وحده فضلا عما نقلته قبله
عن الامام ابن حزم مثبت عند كل منصف عاقل لوقوع التحريف في
التوراة والانجيل يقينا بالاتفاق عند المسلمين وطوائف النصاري حتى
الملحدين منهم والوثنيين والمؤرخ يوسيفس اليهودى ايضا فقد بلغت هذه
المسألة أقصى درجات الثبوت اليقينية المتفق عليها وان كابر بها بعض النصارى
ظاهرا وقلوبهم لا تشك فيها باطنا وانما حملهم على هذا أنها كتب يتدينون
بها ولا يمكنهم أن يقروا عند الخصم بتحريفها وتبديلها الا المحققين
المنصفين منهم فقد صرحوا بما في كتبهم ولم يتحاشوا ولم تأخذهم في ذلك
لومة لائم ويا ليت هؤلاء المتأخرين منهم الذين نصبوا أنفسهم لرد الحق
ونصرة الباطل اتبعوا اسلافهم بذلك وأراحونا من هذا العناء والتعب
معهم في اثبات هذه المسائل التى لشدة وضوحها وتحقق ثبوتها يكون

الاشتغال فيها من قبل تحصيل الحاصل ولا بأس ان ألحق بذلك كلاما منى
ازيد فيه مسألة وقوع التحريف والتبديل في التوراة وغيرها وضوحا وان
كانت من أوضح الواضحات فأقول

﴿ زيادة ايضاح مسألة وقوع التحريف والتبديل فى التوراة والانجيل
بوجوه عقلية لا يأباها الا كل مكابر جاهل مصر على الباطل ﴾ اعلم ان
كل كتاب ولا سيما اذا كان من الكتب القديمة التى طال الزمان بيننا
وبين مؤلفها اذا لم يؤخذ عن صاحبه الاول عبارة عبارة وكلمة كلمة بالضبط
والاتقان وهكذا من بعده الى الآن فلا بد من وقوع التحريف فيه
ولو بدون قصد كما نشاهد ذلك فى كثير من الكتب المتداولة بين الناس
والسبب انه لا يخلو فى هذه الادوار قطعا ان من نسخوه يوجد فيهم
الجاهل وغير الامين الذى اذا مر على عبارة ولم يفهمها يغيرها بعبارة
أخرى بسبب جهله أو عدم أمانته أو يختصر بعض العبارات بالحذف
لظنه عدم لزومها لئلا يضيع الوقت بكتابتها ويستحق الاجرة ممن قاولوه
على كتابة ذلك الكتاب جملة واحدة في وقت قريب هذا فضلا عما يقع
لبعض رؤساء دين اليهود والنصارى من الاغراض التى تحملهم على تحريف
بعض العبارات عن قصد ثم يتداولونها فتشيع بين الناس كأنها صحيحة
وربما دخل فيهم من ليس منهم فصار يستعمل ذلك عن قصد كما قاله
العلماء العارفون والمؤرخون الصادقون فى حق بولص انه كان يهوديا
وتنصر وادعى الدعاوى الطويلة العريضة التى غير بها كثيرا من أحكام
دين النصرانية ووضع أحكاما من عند نفسه واتبعوه عليها وكان قبل ان
يتنصر أعدى أعداء النصارى وفرض عدم وقوع التحريف على الوجه
المذكور أو غيره في هذه المدد الطويلة فرض بعيد لاسيما وقد ثبت ذلك

بالادلة الكثيرة المتقدمة وغيرها مما ذكره الامام ابن حزم والشيخ رحمة الله وغيرهما من علماء المسلمين والنصارى وغيرهم فلا مجال حينئذ للانكار اذ من المحال عادة عدم وقوع التحريف فى تلك الكتب مع قدم العهد واختلاف الاحوال وكثرة الاهوال وتوالى الجهالات وأنواع الضلالات وكيف يمكن سلامة تلك الكتب مع هذه الحالات السيآت وقد وقع بعض التحريف فى بعض كتب الحديث عندنا معاشر المسلمين مع قرب العهد وعدم وجود تلك الاسباب القوية المقتضية لتحريف كتبهم ولولا شدة اعتناء أئمة الدين وحفاظ المسلمين فى ضبط حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشتبه الصحيح بالسقيم ولكنهم لم يتركوا فى تلك الموضوعات التى وضعها الجهال أو الضلال لمقاصد فاسدة شيئا الا وقد بينوه وأوضحوه وأفردوا لها الكتب التى بينوا فيها أحوالهم وأحوالها وأحوال رواتها فبهذا السبب لم يحصل فى دين الاسلام دخيل من الاكاذيب والاباطيل وأما كتب النصارى واليهود كالتوراة والانجيل فلم يحصل لها هذا الاعتناء من علماء أممهم بل لم تكن علماؤهم فى الدرجة الكافية وانما كانوا قليلين لا كعلماء المسلمين فى الكثرة والاتقان والتبحر فى العلوم ومع ذلك فقد مرت عليها عصور كثيرة فى الجهالات المظلمات والمصايب والمحاربات قطعت الاتصال فى رواياتها ومما يدل على ذلك انها مع كونها ليست متواترة قطعا بل ولا مروية بدون تواتر بالاتصال رجل عن رجل الى المؤلف الاول لا يوجد فيها ترديد ذكر عدة روايات فى العبارة كأن يذكر عبارة منها ثم يقول وروى كذا وكذا بغير تلك العبارة وهذا لابد من وقوعه اذا تعددت الروايات لان بعض الرواة لا بد ان يخالف بعضهم ببعض الكلمات كما انه لا يوجد

فيها الشك من الراوى فى بعض الالفاظ كأن يقول هو كذا أو كذا وهذا لابد من وقوعه فى بعض الالفاظ من الرواة الصادقين الامناء الذين لا يثبتون كلمة واحدة ولا حرفا واحدا الا عن يقين واذا حصل لهم شك فى كلمة أو حرف يبينونه كما هو الجارى عند علمائنا علماء الحديث والروايات ومع كل هذا فلا يستحى بعض علماء النصارى من دعواهم ان كتب التوراة والانجيل مروية بالتواتر مع انها غير مروية بالآحاد وليس لها أسانيد متصلة بالكلية وكيف يقال ذلك فيها وهذه كتبنا معاشر المسلمين حتى البخارى ومسلم اللذان هما بعد القرآن أصح الكتب على الاطلاق لا يوجد منها كتاب واحد متواتر الرواية من أوله الى آخره مع شدة الاعتناء بها الى درجة لم تبلغها كتب أمة من الامم والكتاب المتواتر عندنا جميعه هو القرآن فقط فهو الذى روته الامة عن الامة بالتواتر فان الرجل يأخذه عن الرجل لفظا لفظا الى النبى صلى الله عليه وسلم من غير انقطاع وتجد فى كل عصر من هذا مئات ألوف فمن هنا لا يمكن وقوع النقص فيه أو الزيادة أو التحريف والتصحيف أما كتب الحديث فيوجد منها بعض أحاديث متواترة من النبى صلى الله عليه وسلم الى زمان مؤلفيها ثم من مؤلفيها الى من بعدهم وليس كلها متواترا اذا علمت ذلك تعلم ان دعوى اتصال كتب التوراة والانجيل بأصحابها بالسند المتواتر من هذا الزمان الى أول من نسبت اليهم هى دعوى كاذبة ظاهرة البطلان والحامل عليها المكابرة والجهل بمعنى التواتر ومعناه ان يرويه جماعة يؤمن تواطؤهم على الكذب وبعضهم قدرهم بمائة وأكثر وأقل عن جماعة مثلهم وهكذا فى كل طبقة الى الاول وهذا المعنى لا يوجد فى كتاب فى الدنيا على الاطلاق غير القرآن لا من كتب المسلمين ولا من كتب

خلافهم وذلك من الامور التى لايدعيها الا الجهال ولايشك فيها عارف
بحال من الاحوال ومما يدل على ان الانجيل الحقيقى الذى أنزله الله
على سيدنا عيسى لم يذكر جميعه في هذه الاناجيل المتداولة بينهم فضلا
عن كونها ليس لها سند متصل بمؤلفيها ان أصحابه عليه السلام مع ما كانوا
عليه من القلة والذلة بين أعدائهم لم يجتمعوا على أثر رفعه الى السماء جميعهم
اجتماعا واحدا ويتفقوا على جمع الانجيل بحيث يذكر كل واحد ما عنده
من محفوظاته التى رواها بنفسه من فم سيدنا عيسى عليه السلام كما
فعل أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن وانما اهملوا ذلك
سنين كثيرة بسبب ما كانوا فيه من الاضطهاد والذل والمصائب المتتابعة
عليهم من أعدائهم ثم بعد ذلك خطر لاربعة ان يجمعوا ذلك ويا ليتهم
اذ خطر لهم ذلك قد اجتمعوا وتذاكروا وأثبتوا ما اتفقوا عليه واستعلموا
من غيرهم عما لم يبلغهم من أحواله وأخباره وما روى عنه من آيات
الانجيل عليه السلام ولكنهم لم يوفقوا لفعل ذلك بل استبد كل واحد
منهم فالف انجيلا مستقلا ذكر فيه ما سمعه هو ورآه ولذلك خالف
بعضهم بعضا ولم يستوفوا جميع ماروى عن سيدنا عيسى من الآيات
الانجيلية والاخبار التاريخية ثم جاء غيرهم فجمعوا أناجيل أخرى
فخالفوهم فى بعض ما ذكروه وخالف أيضا بعضهم بعضا فضاع بذلك
كتاب الله تعالى الذى أنزله على سيدنا عيسى عليه السلام بين هذه
الاناجيل فكل واحد من أصحابها أخذ نتفا منه وفرقها في غضون كلامه
بحسب ما سمع وما بلغه من علم ذلك ولا شك انه بهذا العمل قد ضاع
منه آيات كثيرة لم تذكر فى واحد من هذه الاناجيل لانه قد ثبت وتحقق
ان كل واحد منهم خالف سائرهم بزيادة شيء من ذلك على ما ذكروه

ونقص شيء مما ذكروه ولا شيء يدل على ان تلك الزيادة منحصرة
بما زاده هو عليهم بل يحتمل ان تكون هناك زيادة لم يعثر عليها ولم تبلغه
سوى الزيادات التى زادوها عليه وهذا احتمال قريب بدليل ان كل واحد
منهم له زيادات على الآخرين اما ان يكونوا أنسوها أو لم تبلغهم أصلا
فلم يذكروها لاسيما وبعضهم تأخر زمانه عن سيدنا عيسى ومن اجتمع معه
منهم لم يكونوا يتمكنون من كثرة الاجتماع معه عليه السلام لتغلب أعدائه
فلا يمكن ان يكون أحدهم جمع جميع ما أنزله الله عليه من الانجيل وانما
روى كل واحد منهم ما تيسر له وفرقه فى اثناء كلامه الذى جاء بعباراته
من عند نفسه مخبرا عما شاهده من وقائعه واخباره عليه السلام فمن نظر
الى هذا المعنى بتدقيق وانصاف لايشك بأن هذه الاناجيل لم تشتمل
على جميع الانجيل الحقيقى المنزل على سيدنا عيسى وانظر الى ما حصل
لهم من الخذلان حتى لم يجتمعوا على جمعه وحالت بينهم وبين ذلك أسباب
كثيرة ولم يحصل لهم ما حصل لاصحاب رسول الله سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم من التوفيق حتى اجتمعوا واعتنوا غاية الاعتناء فى جمع القرآن
مع كثرتهم وكثرة اجتماعاتهم بالنبى صلى الله عليه وسلم وعدم الموانع لهم
وكثرة التسهيلات من الحق سبحانه وتعالى لجمع القرآن حتى جمعوه فى
غاية الضبط والاتقان ورووه عنهم كذلك علماء الأمة وفضلاؤها وكبيرها
وصغيرها الى الآن اذا علمت ذلك تعلم ان الله تعالى لما تعهد بحفظ
القرآن بقوله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ سهل لهم
سبيل ذلك ولما لم يتعهد بحفظ غيره من الكتب السماوية لم يسهل لهم
سبيل حفظها فوقع فيها ما وقع من التحريف والتصحيف والنقص

والازدياد ولله فى ذلك حكم فهو يفعل ما يشاء ويحكم بما أراد ومثل ذلك حمايته تعالى بعض الانبياء وعدم حمايته بعضهم * ومن أقوى الادلة على تبديل التوراة الموجودة الآن ما اشتملت عليه ونسبته الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الزنا مطلقاً فضلا عن الزنا بالبنات والمحارم فضلا عن السجود للاصنام فان ذلك كذب مختلق مفترى لا أصل له ولاشك انه مما أدخله الزنادقة والملاحدة والكفرة فى التوراة وغيرها من الكتب المنسوبة الى الانبياء لبغضهم الاديان والانبياء بغضاً شديدا حملهم على هذه الدسائس الفاحشة والافتراآت الشنيعة فى حقهم لتنفير الناس منهم ومن اديانهم وهؤلاء الزنادقة يجوز ان يكونوا من اليهود الذين خرجوا عن الملة اليهودية في الزمن الاول أو من غيرهم وهذا ليس ببعيد ونحن في هذا العصر نرى كثيرا من المسلمين والنصارى ولا سيما بعد دخولهم المدارس الافرنجية يخرجون من اديانهم و يصيرون زنادقة أبغض شىء اليهم الدين وأهله واذا ذكروا أنبياء تعالى ورسله الكرام يصفونهم بما لا ينبغى وكثير من الكفرة الطبيعيين المتشعبين من النصارى الافرنج فى هذا العصر ألفوا كتباً كثيرة ضد الاديان وطعنوا فيها بالانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بما قدروا عليه مما قادهم اليه الشيطان وحسنته لهم عقولهم السخيفة فلا شك ان امثال هؤلاء يوجد منهم في كل عصر ولكنهم فى هذا العصر أشد وقاحة منهم فى الاعصر الاولى لكثرتهم وقوة شوكتهم فلا يبالون من الاديان وأهلها ولذلك أظهروا كفرهم على رؤس الاشهاد بخلافهم فى الاعصر السابقة فانهم كانوا لا يستطيعون هذه المجاهرة فكانوا يكتمون أمرهم ويدسون تلك الدسائس الفظيعة في الكتب الدينية ويروجونها على الناس لانهم بحسب الظاهر منهم وعلى دينهم ويجوز ان

يكون الذين دسوا تلك الفواحش فى التوراة هم فساق أحبار اليهود ورهبان النصارى ممن يقعون في الزنا بمقتضى طبيعتهم البشرية لاسيما من لا زوجات لهم يستغنون بهن عن ذلك فحملهم حب الرياسة و بقاء ناموسهم وشرفهم فى أعين الناس على ان دسوا تلك الدسائس فى التوراة ونسبوها الى الانبياء ليكون ذلك عذرا لهم عند من يعترض عليهم فيقال ان انبياء الله قد وقعوا فى الزنا وهم صفوة البشر ولا يبلغ غيرهم درجاتهم في الصلاح والديانة فكيف يكون غيرهم من الناس مهما كانوا صالحين وصارت هذه القصص الفاحشة التى افتروا بها على انبياء الله تعالى حججا لهم ولمن جاء بعدهم من فسقة الاحبار والرهبان يدفعون بها اعتراضات الناس عليهم ويقنعون بها من تمتنع عليهم من حرائر النساء اذا راودوها عن نفسها ويعتذرون للناس اذا ثبت عليهم ذلك وكيفما كان الامر فمن المحقق الذى لا يشك فيه عاقل ان جميع تلك الحكايات الفاحشة هى كذب مختلق مدسوس في التوراة من كفرة الزنادقة فى أول الزمان أو من فسقة الاحبار والرهبان ثم نقل تلك الكتب الخلف عن السلف وبقيت فيها تلك الشنائع والفظائع فى حق الانبياء فصار اليهود والنصارى أحرص الناس على المحافظة عليها لاعتقادهم صحتها لانهم هكذا وجدوها ويدل على ذلك وجوه (منها) ان النصارى واليهود الذين يعتقدون صحة وقوع تلك الفظائع من الانبياء حاشاهم ثم حاشاهم لو قلت لاحدهم يا زانى يا ابن الزانية مثلا لغضب غاية الغضب وأخذه المقيم المقعد ورفعك الى الحاكم وانتقم منك غاية الانتقام ان أمكنه ذلك ولو كان حقيقة هو زان وأمه زانية لان الزنا من أفحش الفواحش وأعظم العيوب وأكبر الفظائع عند كافة الناس على اختلاف مللهم ونحلهم واجناسهم ومذاهبهم وهذا اذا كان الزنا بالاجنبية فما بالك اذا كان ببنته

أو أخته أو زوجة أبيه أو غيرهن من المحارم التى ذكر فى التوراة زنا بعض الانبياء بهن فهذا لا نشك بأنه كذب عليهم لم يفعلوه أصلا اذ لو فرضنا انهم فعلوه لستره الله عليهم ولم يفضحهم به على رؤس الاشهاد ويذكره فى كتبه السماوية التى تتداولها الامم جيلا بعد جيل ويتعبدون الله بها ويقرؤنها في معابدهم وهى محل شرائعهم المبينة لهم أحكام الحلال والحرام فاى عقل يجوز ان الله يذكر هذه الفواحش فى كتبه المقدسة ويسندها الى اصفيائه وانبيائه وهو سبحانه ينهى الناس أشد النهى فى تلك الكتب عن ارتكابها ويوعدهم بأشد الجزاء على ارتكابها ويأمرهم باتباع أولئك الانبياء بأفعالهم وأقوالهم لانهم مشرعون فهل يمكن بعد هذا ان يرميهم بفاحشة الزنا ويشهرهم بين خلقه المأمورين باتباعهم حاشا وكلا سبحانك هذا بهتان عظيم لا نعتقده ولا نرضى به بل الموافق للحكمة والحقيقة مدح الله تعالى اياهم ونشره محاسنهم بين خلقه كرامة لهم وليتبعوهم ويقتدوا بهم كما فعل سبحانه وتعالى فى القرآن فقد ذكر من محاسن الانبياء وأوصافهم الجميلة ماهم أهل له نعم قد ذكر ذنوبهم الخفيفة فى نفس الامر وعظمها لصدورها من عبيد عارفين فى مخالفة سيدهم العظيم سبحانه وتعالى وليبين للناس توبتهم فيقتدوا بهم فيها وينفروا من الذنوب مهما كانت وليس فى القرآن ان أحدهم زنى بأجنبية فضلا عن غيرها بل مدحهم الله تعالى مدحا كثيرا ومتى ذكر ماظاهره المعصية عن بعضهم اتبعه بما يمحوها من التوبة والانابة قال تعالى ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ ومع ذلك فليس فيما نسب الى بعضهم من المعاصى شىء من المنفرات المستقبحة في عرف الناس مثل الزنا بل ليس في القرآن ذكر الزنا فى حقهم ولا في حق غيرهم أيضا الا مبهما

لبيان الحكم الشرعى وليس فيه تعيين رجل زنى بامرأة معينة فان هذا من القذف الصريح الذى تجل عنه كتب العلماء فضلا عن كتاب الله تعالى ولا يترتب عليه فائدة مخصوصة اذ يمكن بيان الحكم الشرعى مع الابهام كما فعل القرآن اذ لم يصرح بشىء من ذلك فى حق أحد منهم بل ولا من غيرهم على التعيين ومن قرأ فيه قصة يوسف وداود عليهما السلام يتحقق شدة أدب القرآن بكناياته عما يتحاشى من التصريح بذكره كقوله تعالى فى قصة يوسف عليه السلام ﴿ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ وقال فى قصة داود عليه السلام ﴿ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ فكنى عن المرأة بالنعجة ومن العجائب ان بعض الكتاب والمؤلفين من الرهبان والقسيسين وغيرهم من أفاضل النصاري يستحسنون طريقة القرآن من التنزه عن التصريح بما يستقبح ذكره من نحو الزنا ولا يصرحون فى كتبهم بشىء من ذلك ويبالغون في الامر حتى انهم يتحاشون من ذكر الجماع ولو بالحلال وقد يختصرون بعض الكتب الادبية والتاريخية فيحذفون تلك العبارات المستهجنة حتي من كتب الاكاذيب والقصص الهذيانية مثل كتاب ألف ليلة وليلة وهم مع ذلك يستحسنون وجود تلك الالفاظ الشنيعة والقصص الفاحشة المصرحة بالزنا فى الاجنبيات والمحارم والبنات فى كتبهم المقدسة المنسوبة الى الله تعالى مسندة تلك الافعال الشنيعة الى أنبياء الله ورسله وهم سادات الخلق وأصفياء الحق فياليت شعرى كيف كان الشىء الواحد وهو التصريح بالزنا فى التوراة وهى أجل كتب الله عندهم منسوبا للنبيين فى غاية الصحة والاستحسان وهو نفسه اذا كان فى أرذل الكتب منسوبا الى الفسقة والاشقياء في غاية الاستقباح والاستهجان أليس هذا

من التناقض الشنيع والتضارب الفظيع الذى يأباه كل لبيب عاقل ولا
يرضي اتصافه به الغبى الجاهل فضلا عن الذكى الفاضل فاذا كان هذا
التناقض الظاهر على هذا الوجه الغريب هو حال الخواص منهم والعلماء
فكيف يكون حال العوام الجهلاء واذا ضلت العقول على علم فماذا تقول
الفصحاء ولاشك أن الزنا من أشنع الذنوب وأكثرها عارا عند الناس
كافة بل عند بعض الوحوش أيضا فقد بلغنى ان بعضهم رأى فى بلاد اليمن
قردة زنت بقرد غير قرينها فلما تحقق ذلك قرينها جمع عليها القردة ولا
زالوا يرجمونها بالاحجار حتى قتلوها والمقصود ان شدة شناعة الزنا لا
يختلف فيها أحد حتى المومسات المعدات لهذا الامر يعرفن أنفسهن
مرتكبات أمرا عظيما أسقطهن من شرف الانسانية وصرن يعتبرن أنفسهن
فى درجة سافلة جدا لا يرتفعن معها الى مقامات أحرار الناس ولو كانوا
من أسفل الاجناس هذا بحسب ما جبلت عليه فطرة الانسان من أى
صنف كان وقد حرمه الله تعالى وجعله من كبائر الذنوب فى كافة الاديان
وليس هو من الاحكام التى نسخت او عدلت لان فظاعته هي هى فى كل زمان
ومكان فلا يقبل النسخ ولا التعديل ومرادى بالتعديل ان يكون
اثمه فى شريعة أخف منه فى شريعة أخرى فان هذا أيضا لم يكن اذ هو من
أهم الوصايا العشر المنصوص عليه فى التوراة وهي معتقد اليهود
والنصارى وجاء القرآن بتأكيد تحريمه وذمه أقبح الذم واقامة أشد
الحدود على فاعله قال تعالى (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ
سَبِيلًا) فلو قال لا تزنوا لكان كافيا لافادة التحريم ولكنه نهى عن
القرب منه وذلك يكون بالعزم والاتيان بالمقدمات هذا فضلا عن المباشرة
وذلك أبلغ فى التنفير ولم يكتف بذلك حتى قال انه كان فاحشة والفاحشة ما اشتد

قبحه من الذنوب ولم يكتف بذلك حتى قال وساء سبيلا أى قبح طريقا للتعدى
على الناس بغصب الاعراض واثارة الفتن وفى التعبير بساء سبيلا مبالغة أخرى
وهى انه تعالى أسند القبح الى طريقه الموصلة اليه لان التمييز هنا محول
عن الفاعل فالمعنى ساءت سبيله أى قبحت طريقه الموصلة اليه وقال
تعالى (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا
تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) وهذا فى غير المحصن
الذى تزوج أما المحصن فحده الرجم كما ثبت فى السنة وتأمل الى قوله
تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله تجده ناشئا عن غضب شديد
منه سبحانه وتعالى وكذلك قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين
فانه شرع فضيحتهما ليكونا عبرة لانفسهما ولغيرهما فقد ظهر من هذا
ان الزنا من أفحش الفواحش وأقبح الذنوب فى جميع الاديان والازمان
وعند عموم الناس على اختلاف المذاهب والاجناس وان من المتفق
عليه عندنا وعند أهل الكتاب ان الانبياء هم سادات البشر وأشرفهم
وأفضلهم وأحبهم الى الله تعالى وأعلاهم منزلة لديه وأطهرهم من كل
رجس يشينهم عنده وعند الناس ولا شك انه تعالى ما اتخذهم وسائط
بينه وبين خلقه لتبليغهم شرائعه اليهم حتى جعل بينه وبينهم مناسبة
قوية بشدة طهارتهم وصفائهم الى درجة فاقوا الناس كافة أهلتهم لأن
يتلقوا الوحى عنه تارة بالالهام بلا واسطة بينهم وبينه تعالى وتارة بواسطة
الملك النورانى الذى يرسله اليهم وهو فى غاية الصفاء فيختلط
بأرواحهم ويزاحمها في دخول أجسامهم وينفث فى قلوبهم ما أمره الله
به من الاحكام أو الاخبار أو ماشاء الله ان ينفثه فأرواحهم اذا لم تكن

في غاية الطهارة والصفاء كيف يمكنها أن تتلقى الوحي من الله بلا واسطة أو بواسطة ملائكته الاطهار وهل اذا وقع من أحدهم زنا وهو أفحش الفواحش يبقى عنده من الصفاء مايؤهله لهذا المنصب العظيم ومن أين تبقى عنده بعد ذلك مناسبة من الصفاء يسوغ له معها تلقى الوحي عن الله تعالى أوبواسطة الملك ثم ماهي المزية التي يمتاز بها عن أمته اذا ارتكب أفحش الفواحش التي لا يرتكبها الا أسفل الاسافل وارذل الاراذل، وكيف تقبله الامة بعد ذلك رسولا مشرعا أليس هذا من أقبح المنفرات وأشد المنكرات وكيف يرضي الله تعالى هذا الوصف الشنيع لانبيائه ورسله وصفوة خلقه ومحل نظره من عوالمه وهل يمكن ان يخلع الله تعالى عليهم خلعة النبوة والرسالة التى هى أفضل وصف يمكن للبشر الا بعد ان يجعل أرواحهم فى الطهارة والصفاء كارواح الملائكة أوأشد وهل بعد هذا تبقى لهم نفوس شهوانية تطلب الزنا فضلا عما يعلمونه من شدة قبحه عند الناس وعند الله وهل يمكنهم بعد قربهم من الله تعالى هذا القرب ومشاهدة عظمته وكبريائه وجلالة قدره ومعرفتهم بشدة قبح الزنا عنده تعالى وعند خلقه أن يرتكبوه ويجعلوا أنفسهم الشريفة من أسفل السفلة بارتكاب هذا الذنب الفاحش حاشا وكلا اذا علمت ذلك ايها المنصف الفهم سواء كنت من المسلمين أو من غير المسلمين تعلم يقينا ان جميع ماهو مذكور فى التوراة من القصص التي فيها نسبة الزنا والذنوب الفاحشة الى الانبياء الكرام فضلا عن السجود للاصنام انما هى أكاذيب وأباطيل لاصحة لها البتة دسها الزنادقة والملاحدة فى كتب الله تعالى لشدة كراهتهم فى انبيائه الذين نشروا دينه بين خليقته وما زالت الزنادقة يعادونهم ويعادون أديانهم وأتباعهم في

كل زمان ومكان فماهو الذى تستبعده ايها النصراني من ذلك وأنت تشاهدهم فى هذا العصر من الاعداء الالداء لكل دين على وجه الارض ويبذلون كل مافى وسعهم لمحو الاديان كافة حتى يكون الناس كالبهائم الراتعة لا حلال ولا حرام ولا شرائع ولا أحكام أتظن أن الازمنة السابقة كانت خالية من هؤلاء الكفرة الفجرة أعداء الله ورسله وأنبيائه وأوليائه كلا ولو انك أيها النصراني العاقل تأملت قليلا لما رضيت أن تنسب الى سادتك الانبياء أقبح الاوصاف الذى لو نسبه لك أحد أعدائك فضلا عن أصدقائك وقال لك يازاني أويا ابن الزانية لضاقت عليك الارض بما رحبت ومع ذلك فأنت تنسب هذا الوصف الشنيع لاحب الخلق اليك وأعظمهم لديك ولا ترضى لنفسك أن تذكر حكايات الزنا والفواحش في مجلس او كتاب حتى كتب القصص المكذوبة المرذولة كالف ليلة وليلة فاذا طبعتها تحذفها منها وترضاها لكتاب الله تعالى التوراة وتنزه نفسك عن ذكرها فى كتابك اذا الفت كتابا وتعد ذلك من قلة الحياء وسوء الادب ولا تنزه الله تعالى أن يذكره فى كتابه كما نزهت نفسك الخبيثة عن ذلك فانت لو دققت أدنى تدقيق وأنصفت أقل انصاف لمقت نفسك غاية المقت وتيقنت أنها على ضلال مبين وجهل عظيم فى هذا الاعتقاد القبيح الذميم فيا أيها النصاري الكاتوليك كيف اعتقدتم صحة ورود هذه الفواحش فى التوراة عن الله تعالى منسوبة الى أنبيائه الكرام ولم تبالوا باعتقاد عدم عصمتهم وهم سادات الانام وأنتم تعتقدون عصمة البابا من الخطأ والآثام كيف رضيت عقولكم أن تكون منزلته عندكم فى الدين فوق منزلة الانبياء والمرسلين صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين فأنتم أفرطتم فى تعظيمه كل الافراط حتى رفعتموه فوق النبيين الى أعلى عليين فسلط الله عليه البروتستانت حتى

حقروه غاية التحقير فانزلوه مع الشياطين الى أسفل سافلين كما وصفه رئيسهم لوطر بما ذكرته فى مقدمة هذا الكتاب نقلا عن اظهار الحق الناقل له عن كتبهم أليس من العجيب اعتقاد عصمة هذا الرجل وعدم عصمة النبيين فيا أيها العقلاء لا أقل من ان تجعلوا أنبياء الله تعالى بمنزلته وتعتقدوا فيهم العصمة من الزنا ونحوه كما اعتقدتموها فيه وحينئذ يجب عليكم ان تعلموا يقينا ان جميع ماورد في التوراة فى حق الانبياء من تلك الاقاصيص والحكايات هى من الاكاذيب الباطلات والدسائس المختلقات التى لايجوز اعتقاد صحتها بحالة من الحالات وأنتم يامعشر البروتستانت قد نقحتم دين النصارى تنقيحا بالغا وحذفتم كل مازاده عليه أصحاب المجامع فى العصور السابقة مع انهم بلا شك أعظم أمانة من الزنادقة الملحدين الذين لادين لهم وجميع ماكانوا زادوه من الاحكام الدينية هو يقينا أقل فحشا من هذه الفواحش التى نسبتها التوراة الى الانبياء فما الذى منعكم من ان تكملوا معروفكم بحذف هذه الاباطيل والافتراآت المدسوسة في كتب دينكم فى حق الانبياء والمرسلين صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين واذا لم تسمح نفوسكم بحذفها كلها فلا أقل من ان تحذفوا رميهم بالزنا ولا سيما فى البنات والقرابات وسجودهم للاصنام وتعتقدوا ان هذه الشناعات والاكاذيب الباطلات لايمكن ان تكون بالهام من الملك العلام فلو فعلتم ذلك لاستحقيتم الثناء الجميل وسلمتم من هذا الوصف الذميم * ولكن الامر ليس بيدكم فالله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

(تتمة الخاتمة في ان جميع النصارى على شك من دينهم)

اعلم ان عقلاء النصارى على الاطلاق يجزمون بوقوع التحريف

والتبديل فى التوراة والانجيل وما الحق بهما من كتب العهدين التى يزعم علماؤهم انها الهامية أوحى الله بها الى رسله وأنبيائه ونحن اذا لم نعتقد فى عقلائهم ذلك نكون قد أسأنا الظن بعقولهم الدقيقة التى نرى آثارها في الصنائع والاختراعات الغريبة آراهم مع ذلك لايدركون مالا يخفى على أطفال المدارس من التحريف والتبديل ومناقضات التوراة والانجيل حاشا أولئك العقلاء من ذلك وهذا هو السبب فى ترك الجم الغفير منهم الديانة النصرانية بالكلية ودخولهم فى سلك الطبيعية والدهرية ولعمرى لو استعملوا عقولهم فى تحقيق دين الاسلام لتحققوا صحة الاديان وانه خير دين جاء من رب العالمين ولعرفوا ربهم وعبدوه وما كفروا به وما جحدوه ولكنهم لما ضلوا السبيل وفقدوا الدليل جنحوا الى الجحود والتعطيل وكثير من عقلاء النصارى استمروا على نصرانيتهم بحسب الظاهر و باطنهم مملوء بالشكوك والاوهام فهم من ذلك لا يزالون فى ضيق و آلام وقد تحققنا ذلك من كثير ممن عاشرناه منهم فلم نجد واحدا منهم جازما بصحة دينه بل جميعهم وجدناهم على شك وارتياب بل جازم بأن ما هو عليه خلاف الصواب ولكنه هكذا وجد الآباء والاجداد فلا يمكنه الا اتباع سبيلهم وان خالف سبيل الرشاد و يحقق ماقلته من انه لايخلو أحد من الشك فى دينه عبارة (العلامة سيدي أحمد بن المبارك فى كتاب الابريز الذى ألفه في مناقب شيخه القطب الغوث سيدي عبدالعزيز الدباغ رضى الله عنه) قال ابن المبارك وسألته رضى الله عنه عن قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ ما المراد بالمعيشة الضنك فانه ان أريد بذلك ضيق المعيشة أشكل الامر فان كثيرا من الكفرة فيهم أغنياء ولاشك ان

معيشتهم واسعة لاضيقة والآية تقتضى ان كل معرض عن ذكره تعالى معيشته ضيقة فقال رضي الله عنه يسبق الى العقول فى الدنيا ما تصير اليه الذوات فى الآخرة وقد قضى تبارك وتعالى على الكفرة بالخلود فى جهنم فالكافر لاتمر عليه ساعة الا ويتكدر عليه حاله لما يسبق الى قلبه من الوسوسة فان الوسواس يحرك عليه الهم ويكدر عليه أمره وأقله ان يقول له لعلك لست على دين صحيح فهذا هو الامر الذى يقذفه الله في قلوب الكفرة وبه تضيق معيشتهم ولوكانوا أغنياء أو ملوكا فالمراد بضيقها ضيقها فى القلوب لافى اليد فان من كانت بيده دنيا واسعة وعلم ان مصيره الى سخط الله ضاقت معيشته قال ابن المبارك قلت وقد أخبرنى بعض الفقهاء وكان الكفرة أسروه سبع سنين انه لم يزل منذ كان تحت أسرهم يناظرهم ويناظرونه قال وطال اختبارى لهم وكثرة مراجعتى لهم حتى بان لى أن غالبهم على شك فهم لمرض قلوبهم بمثابة الاجرب الذى يبتغى من يحك له فاذا أحسوا بطالب من طلبة الاسلام أسرعوا اليه وسألوه وتباحثوا معه ثم لايزيدون على ان يقعوا في حبالته بأدنى كلام يصدر منه لهم قال وهذا حكم الاوساط منهم وأما كبراؤهم وأساقفتهم وذووا رأيهم فحصل لى من طول اختبارى لهم وكثرة مناظرتى معهم انهم جازمون بأنهم على الضلال والباطل والله غالب على أمره قال ولم أزل فى مناظرتهم حتى ذكروا لى حبرا من أحبارهم بموضع كذا اليه انتهى علم الكتب السابقة فانتهيت اليه فوجدته بحرا لاساحل له يستحضر نصوص التوراة والانجيل والزبور والقرآن العزيز وكثيرا من أحاديث نبينا صلى الله عليه وسلم وبعض أشعار امرئ القيس الكندى فقلت له انى جئت لأسألك عن مسألة هى أكبر همومى أغمتنى وأسهرتنى وأدامت حزنى فقال وما هى فقلت انى منذ كنت فى

بلاد الاسلام لم أزل أسمع ان دين الاسلام حق وان دين النصارى ضلال وحين وقعت في بلادكم انعكس الامر على فأسمعهم يقولون ان دينهم حق ودين الاسلام على غير حق وأظهرت له انه حصل لى شك بسبب ذلك وانى سألت عن أعلم اهل النصرانية فاتفقت كلمتهم عليك ولم يختلف اثنان في أنك سيدهم وأعلمهم وقد فرض الله على الجاهل أن يسأل العالم فأردت منكم ان تجيبونى بما هو الحق عندكم فى هذه المسألة لأتخذ جوابكم يوم القيامة حجة فيما بينى وبين ربى عز وجل فانا جاهل وأنت عالم وقد فرض الله على الجاهل أن يسأل وعلى العالم أن يقول الحق وينصح لله فوقع السؤال منه غاية الموقع ووضع جبهته على كفه وسكت طويلا وجموع النصارى جالسون معه فرفع رأسه وأسر الى فى أذنى لادين الا دين الاسلام فهو الحق الذى لا يقبل الله غيره قم عنى قبل أن يعلم النصارى بهذا الذي قلت لك ثم ذكر مناظرات وقعت له مع أحبارهم من هذا المعنى فى ذكرها خروج عن غرضنا وانما أردنا تأييد ما أشار اليه الشيخ رضى الله عنه ومن ناظر اليهود والنصارى علم ما قاله الشيخ رضى الله عنه قال وقد تكلمت أنا مع بعض أحبار اليهود فلم أزل احاججه حتى بان لى فى آخر أمره انه جازم بأنه على باطل وانه ما منعه من الاسلام الا العناد وخشية الفضيحة من قومه وهى مناظرة طويلة حضرها جماعة من الفقهاء والقراء أصحابنا وحضر مع اليهودى بعض اليهود أيضا وكذا تكلمت مع بعض أحبار النصارى فما وجدت عندهم شيئا والحكايات في هذا كثيرة قال ومن أراد ذلك فعليه بتحفة الاديب فى الرد على أهل الصلب تأليف عبد الله الميورقى وكان من أحبارهم ثم أسلم وكذا تأليف عبد الحق الاسلامى وكان من أحبار اليهود ثم أسلم وكذا

تأليف أبي العباس القرطبي فى الرد على النصارى وفيه العجب العجاب وفيه نحو عشرين كراسا ومن طالع هذه الكتب أو خالط أهل الكتابين علم يقينا ان قلوبهم مرضى بالشك والجزم بأنهم على الضلال فرضى الله عن سيدنا الشيخ ونفعنا به والله تعالى أعلم انتهى كلام الابريز قال جامعه الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه أما المسلمون فهم بفضل الله تعالى وحسن توفيقه مبرؤن من الشك فى صحة دينهم دين الاسلام وصدق نبيهم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام سوى من قدر الله شقاوتهم وايقاع الخلل فى دينهم بتربيتهم في مدارس النصارى واقامتهم فيها عدة سنين ليلا ونهارا فهؤلاء لا يسلم منهم الا القليل وحسبنا الله ونعم الوكيل وقد فصلت مضرات هذه المدارس وغوائلها على أولاد المسلمين فى كتابى ارشاد الحيارى فى تحذير المسلمين من مدارس النصارى وبينت فيه ان المسلم الحقيقى لا يمكن ان يضع ولده أو من له عليه ولاية في تلك المدارس بعد ان يعلم أخطارها وأضرارها على الدين ومثل من يتربى فيها فى الخطر الذين يسافرون الى أوربا وأميركا وغيرهما من البلاد التى لا اسلام فيها ويقيمون هنالك سنين كثيرة مختلطين بأهلها منقطعين عن المسلمين والاسلام تاركين الصلاة والصيام منعكفين على الخمور والفجور وانواع الحرام فهؤلاء وأمثالهم ممن يكون على هذه الحالة الشنيعة ولو فى بلاد الاسلام لا يستغرب وقوع الشكوك فى دينهم والاوهام فقد قال صلى الله عليه وسلم المعاصى بريد الكفر والبريد معناه الرسول أى انها تتقدم قبل الكفر لتهيء له موضعاً في قلب مرتكبها بما تحدثه فيه من الظلام المتتابع بتتابعها حتى تنطمس بصيرته فتدخل عليه الشكوك في صحة الدين شيئاً فشيئاً الى ان يعمى بالكلية فيرتحل منه الايمان ويحل له الكفر والعياذ بالله تعالى

الا اذا تاب الله على ذلك العاصى فرجع الى الطاعات واقلع عن المعاصى فانها تنجلى بصيرته وتطيب سريرته فيثبت فيه الايمان ويبقى على ما كان والله المستعان أما من عدا أولئك الاقوام الذي سلكوا فى سبل الظلام والقوا أنفسهم فى مهاوى الشكوك والاوهام فجميع المسلمين فى غاية الصلابة فى الدين لا يطرأ عليهم أدني شك يزيل منهم اليقين ولا يرتابون بأن الدين عند الله الاسلام ولا يشكون فى بطلان ماعداه من الاديان كلهم جازمون بأن الله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وان سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم عبده الاكرم ونبيه الاعظم ورسوله الافخم أفضل الخلق على الاطلاق وسيد النبيين والمرسلين بالاتفاق أرسله الله رحمة للعالمين وختم به الانبياء والمرسلين ونسخ بشريعته شرائعهم أجمعين وجعل دينه هو الحق المبين والحمد لله رب العالمين فالمسلمون كلهم جازمون بذلك ماعدا من استثنيناهم ممن ألقوا أنفسهم فى المهالك وسلكوا أقبح المسالك وها أنا واحد من جملة المسلمين وأقسم بالله العظيم عدد الانفاس انى في جميع عمرى أى وقتى هذا وهو سنة ١٣٢٢ وأنا الآن ابن سبع وخمسين سنة لم أتخيل في خاطرى احتمال صحة دين سوى دين الاسلام ولم يطرأ على أدني شك في صدق سيدنا محمد وصحة نبوته ورسالته عليه الصلاة والسلام وان جميع ما جاء به هو من عند الله تعالى حق وصدق وان القرآن كلام الله تعالى الفاظه ومعانيه وكل ذلك عندى والحمد لله يقين لاشك فيه ولم يمر على خاطرى قط شيء من الشكوك فى ذلك لا فى صغرى ولا فى كبرى ولا في يقظتى ولا فى منامى فقد رأيته صلى الله عليه وسلم مرارا فى المنام وأنا جازم بأنه رسول الله حقاً مثل اليقظة بل أقوى لان الشيطان يكون أبعد عنى حين رؤيته

صلى الله عليه وسلم منه في يقظتي فان رؤيته عليه الصلاة والسلام حق لاشك فيها كما ورد في الحديث الصحيح من رآني فقد رآني حقاً فان الشيطان لايتمثل بي وأحمد الله على ذلك وأسأله سبحانه وتعالى بجاهه عليه الصلاة والسلام أن يحفظ عليَّ وعلى جميع المسلمين نعمه ولاسيما نعمة الايمان ويتفضل علي وعليهم بحسن الختام * وقد انتهى تبييض هذا الكتاب ومقابلته في نهار الاحد الواقع ١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٢٢ وقد كان سبق مني جمعه في العام الماضي في نحو أربعة أشهر تقريباً والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وكل من آمن به الى يوم الدين عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته كلما ذكره

الذاكرون وغفل عن

ذكره الغافلون

اللهم

آمين



